سلسلة التراث العلَوي

١

رَسَائلُ الحِكْمَةِ العَلَوِيَّةِ

١. محمّد بن نُصَير النُّمَيري

٢. السيّد الجَنان الجُنْبُلاني

تحقيق وتقديم

أبو موسى والشيخ موسى

دار لأجل المعرفة

ديار عقل- لبنان

هويّة الكتاب

مؤلِّفا الكتاب	:	محمّد بن نُصَير النُّميري والجنان الجنبلاني
إسم الكتـاب	:	رسائل الحكمة العلويّة
		١ . محمّد بن نُصَير النميري
		٢ . السيّد الجنان الجنبلاني
إسم السلسلة	:	«التراث العلوي»، رقم ١
تقديم وتحقيق	:	أبو موسى والشيخ موسى
قياسه وصفحاته	:	(١٧×٢٤سم)، ٣٠٤ ص.
دار النشر	:	دار لأجل المعرفة، ديارعقل-لبنان
الطبعة الأولى	:	سنة ٢٠٠٦

تقديم

سلسلة "التراث العلوي"

لا بدّ لمن يريد أن يعـرف حـقـيقـة الديانة العـلويّة، من الاطّلاع على الكتب الأساسيّة. وكلّ معرفة لا تستند إلى الأصول هي معرفة ناقصة، بل قد تكون غـيـر صـحـيحـة. لهـذا آثرنا نـشر سلسلة «التـراث العلوي»، وهي مخطوطات سرّيّة، يكاد لا يُدرك كنهَها غيرُ أصحابها.

ومع هذا، وبالرّغم من صعوبة فهمها، ننشرها كما هي، بدقّةٍ وأمانة. ولم نتدخّل، لا في متن النصّ، ولا في ترجيح مـعنًى على آخر. مرادنا فقط أن نترك للقارئ، أو للباحث، أن يقرأ، ويتأمّل، ويتفهّم، ويستنتج بذاته. ولا نبغي فرضَ فهمِنا على أحد.

أمامنا العشرات من المخطوطات لمؤسّسـي الديانة العلويّة. فيها إثبات عقائدها، وتنظيم طقـوسها، وتعيين أعيادها. هؤلاء المؤسّـسين هم: محمّد بن نُصـيـر النُّمَـيـري (ت ٢٧٠هـ/٨٨٣م)، ومـحـمّـد الجـنان الجنبُـلاني (ت ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، والحـسين بن حـمـدان الخصـيـبي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ومحمّد بن علي الجلّي، والميمون أبو سعيد الطبراني (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٤م).

نبـتدئ، في هذا الكـتاب الأوّل من سلسلة «التـراث العلويّ»، بنشـر مـؤلّفـات محـمّـد بن نصـيـر، مـؤسّس العلويّة، والذي نُسـبت إليـه باسم «النُّصَيـريّة». وهو أبو شُعـيب محمّـد بن نُصَيْر البـصري البَكْري النُّمَـيْري العَبْدي، باب الإمـام الحادي عشر، الحسن العسكري؛ ونشر مؤلّفـات السيّد

الجنان الجنبلاني، العابد الزاهد، والعالم الورع، الذي أنشأ طريقة خاصّة بالتصوّف نُسبت إليه، ووضع للنصيريّين فقهاً خاصّاً مستقلاً عن الفقه الجعفري عند الشيعة

لقد استفدنا من مخطوطات عديدة، في مكتبات عامّة في الغرب والشرق –لا نسمّيها حفظاً على سلامتها– كما وجدنا مخطوطات أخرى عند أشخاص علويّين وغير علويّين، يبغون نشر المعرفة على أن تبقى مطمورة في الربائد أو مخفيّة في رؤوس بعض مشايخ الدين.

هذه الكتب ليست كتباً مقدّسة، إنّما هي سرّيّة؛ ولا تتّصف بالوحي والعصمة واليقين، كالتوراة والإنجيل والقرآن، إنّما هي مراجع تدلّ على تعاليم ومعتقدات، أدّاها مؤلّفوها كما فهموها. وقد تختلف المفاهيم من كاتب إلى آخر بسبب سرّيّتها ورمزيّها، وعدم نشرها، واستحالة تداولها، وضآلة الباحثين لتوضيح ما فيها.

غير أنّ هذا الاختلاف لن يقف حائلاً دون إقدامنا على نشر ما يجب نشره لمعرفة ما عند فئة فاعلة في مجتمعنا البشرق–أوسطي. وقد يكون لهذه الفئة فعلٌ فاعلٌ في إدارة شؤون المنطقة. ولا بدّ، لمعرفة مدى هذا الفعل، من معرفة عقيدة هؤلاء الناس، وتتبّع مراحل تاريخهم. فهي خلفيّات ضروريّة لفهم تصرّفهم في مجتمعهم وتعاملهم مع جيرانهم وسياستهم مع العالم.

وفي ظنّنا أنّ ما يقف حاجزاً أمام إدراكنا كنه السياسة الدوليّة هو تعامينا عن هذه الخلفيّات الدينيّة والتاريخيّة، بحجّة أنّ ذلك يُشعل نيران الطائفيّة، ويشكّل خطراً على العيش المشترك، ويضع حدّاً للحوار بين الأديان.. هذه، في رأينا، حجّة بارعة لتبرير غباوة.

أ.م.ح.

تقديم بقلم الشيخ موسى

العلويّون واقع وتاريخ

غريبةٌ هي هذه الطّائفة الّتي تماثل معظم الدّيانات الباطنيّة في العالم من خلال سرّيّتها، ولكنّها تتفرّد عنها جميعاً باستمراريّة غريبة، إذ إنّ معظم الفرق الباطنيّة قد كانت تنشأ وتخبو بتأثير شخص ما أو عدّة أشخاص يتحلّقون حول زعيم مدّعٍ للألوهيّة.

ولكن هذه الطّائفة هي الطّائفة الوحيدة الّتي لم يثبت لنا التّاريخ أن أئمّتها الّذين تنسب إليهم الألوهيّة قد ادّعوا هذه الألوهيّة المزعومة أو أنّهم قبلوا بها، بل نجدهم يحاربونها بالنّار، والسّيف، والصّلب، وأمّا دعاتها فهم ملازمون للأئمّة يشيرون إليهم بالألوهيّة، كلّما قضى واحدٌ شاعت الأقدار قيام مدّعٍ جديد يسمّي نفسه باباً ويدعو إلى عبادة الأئمّة. والأبواب الّذين قد تناوبوا على إعلاناتهم غير المبرّرة لألوهيّة الأئمّة كلّما سنحت لهم الفرصة معرّضين أنفسهم للموت والحرق والصّلب، كما أنّ الأئمة قد تناوبوا على رفضهم تلك الإدّعاءات التّأليهيّة، ويضع هؤلاء الأبواب مؤلّفات تثبت فرضيّاتهم على شكل رسائل وكتب ومسائل.

وإنّي أرى في هذا تفرّداً، إذ إنّ مدّعي الألوهيّة – على العموم– يُنكر ألوهيّة من سبقه لتتمّ له العبادة لشخصه –كما حصل مع الدّروز–، ولكن العلويّين يثبتون ألوهيّة شمعون الصّفا وظهوره بالمسيح، وألوهية هارون وظهوره بيوشع بن نون، وألوهيّة عليّ –بعد فترة من انقطاع– يُعيد نفسه في الظّهور بذاته حتّى تتمّ الإزالات المثليّة الّتي يزيل بها الاسم ويشرّفها فيزيلها ويظهر بمثلها كمثل صورها تشريفاً لإسمه وهو لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه[1].

وقد وصلتنا هذه الكتب عن طائفة العلويين، سواء كانوا نصيريين أو إسحاقيين ولكن دراسةً بسيطة لهذه الكتب تبيّن لنا أنّ هذه الكتب هي أقدم من أن

[1] كتاب الدلائل لأبي سعيد.

تكون من تأليف شيوخ الدّين وإن كانوا هم الّذين قد صاغوها لنا، لأنّا نعلم من خلال كتاب الأكوار والأدوار أنّ أبا شعيب محمد بن نصير يعترف أنّ هذا الكتاب موجود بكامله عند إسحاق الأحمر عدوّه اللّدود، بل ويعترف أنّه يشرح الكتاب، وأنّه لم يبتكره من تلقائه، إلاّ أنّه يقول أنّه قد شرحه واوضح بعض فقراته، أضف إلى ذلك وجود مخطوطات لعصور أقدم من عصر أبي شعيب محمد بن نصير ككتاب الجوهرة الطالقانية لأبي طاهر سابور، بالإضافة إلى مؤلفات المفضّل بن عمر الجُعفي، والّتي تشكّل رسالته المسمّاة الرّسالة المفضّليّة دستوراً متكاملاً يشرح الديانة العلوية كما هي ويستند إليها واضع الدّستور[1].

ثمّ جاء الجنّان الجُنبلاني، والجنان لم يكن من أصحاب الكشف ولكنّه أسّس طريقاً في البنوّة الدّينيّة تفوّق فيها على أخيه في الدّين هالت، إذ انه قد حقّق شهرة، ذلك أنّه ذو فصاحةٍ قويّة باللّغة العربيّة جذب بها التّلاميذ، وقد صنّف كتابين نسب أحدهما لأبي علي الكوفيّ وهو كتاب تصنيف الأقاليم، وكتابه الذّائع الصّيت إيضاح المصباح الدّال على سبيل النجاح، وفي كتابه «إيضاح المصباح» لم يزد على كتاب الأكوار سوى شروحاتٍ قليلة.

و قد علّم طريقته للشّيخ الخصيبي، فكان تلقينه للخصيبي طريقته ذا أثرٍ بالغٍ في جَعل الخصيبي الرّجل الأهمّ في التّاريخ العلوي على الاطلاق، سيّما وأنّه لم يتمكّن فيها من جمع شمل الهالتيّين مع أبناء الجنّان الجُنبلاني فحسب، بل إنّ تلاميذ إسحاق الأحمر قد اعترفوا له بالفضل وقدّموا له الطّاعة والولاء، ويدلّنا كتاب الرد على المرتد أنّ الإسحاقيّين كانوا يجلّون الخصيبي أكثر من إجلال النصيريين له.

قدّم الخصيبي صورة متكاملة للطّريقة أضاف عليها شرحه لطبائع الله، وقد كانت أغلب شروحاته تعتمد على إيضاح المصباح وعلى كتاب الأكوار والأدوار ولعلّ شخصيّته كقائد سياسيّ قد فاقت شخصيّته كمعلّم ليستلم هذه المهمّة تلميذه النّجيب الجلّي، الّذي لقّبه الخصيبي بالشّيخ الثّقة.

[1] يسمّى كتاب المجموع الّذي نشره الآذني بالدّستور، وقد وضعه أبو سعيد الميمون بن القاسم الطّبراني، ومن الخطأ نسبته لأبي شعيب محمد بن نصير، وهذا أمرٌ معروف ولو كان محمد بن نصير قد وضعه، فكيف نفسّر وجود سورتين واحدة للجلّي وأخرى لأبي سعيد تذكران حادثة مقتل أبي الذّهيبة على يد أبي سعيد الميمون، وهذه الحادثة قد وقعت بعد أكثر من مئتي سنة من وفاة أبي شعيب محمد بن نصير!

والجلّي قد كان قائداً عسكريّاً عند سيف الدّولة الحمدانيّ، مكّنه اتقانه للغة السّريانيّة من جعله فاتحاً عسكريّاً متميزاً، ولم يقدّم لنا التّاريخ سبباً لتمويه شخصيّته بهذا الشّكل الغريب، وقد أعزوه لإحدى سببين :

الأوّل : إنّه هاشميّ علويّ النّسب ملتزم بفتوى الشّيخ الخصيبي للمنتسبين للنّسب الشّريف بإنكار هذه النّسبة، لأنّ عليّاً أمير المؤمنين – بحسب التقليد العلوي– لا يمكن أن ينجب ذرّيّة، فتكون هذه النّسبة نسبةً وهميّة ويكون الاعتراف بها ذنباً، وينقض هذا الافتراض أنّ أبا سعيد الميمون يقول أنّ الشّيخ الثّقة (الجلّي) كان يحبّ تعليم الهاشميّين ويقول لهم: هذه بضاعتكم ردّت إليكم.

الثّاني : أن يكون مسيحيّاً – ونسطوريّاً على الخصوص–، سيّما وإنّ تعليلاته مشوبةٌ بروح الإيمان المسيحيّ، ويؤيّد قولي هذا تبشيره في نابلس وفي دمشق ورسالته المسيحيّة الّتي قدّمها لجبرائيل الدّمشقي مبيّناً فيها إيمانه الصّريح بصلب المسيح.

و قد أضاف الجلّي (النّصيري) بعض الشّروحات، ولكنّ إسماعيل بن خلاّد (الإسحاقي) يشير إلى أنّ مؤلّفات الجلّي ليست بجديدة على هذه الطّائفة، فهو يقول على سبيل المثال إنّ كتاب الأندية موجود عنده من قبل أن يدّعي الجلّي تأليفه.

يردّ أبو سعيد الميمون بن القاسم الطّبراني على ابن خلاّد، وإن كان ردّه عليه غير مقنعٍ في أغلب الأحيان إلاّ أنّ ردوده تبيّن لنا أنه باستثناء مشكلة تعيين الباب أبي شعيب محمد بن نصير بدلاً من إسحاق الأحمر فلا خلاف بين الاسحاقيّة (الّتي دعيت فيما بعد بالذّهبيّة) وبين النّصيرية إلاّ من ناحية الفرق بين المعنى (الغاية) والاسم (الحجاب) وهو خلاف واقع بين النّصيريّين أنفسهم، لا بل إنّ بعضهم عظّم الاسم أكثر ممّا عظّمه الإسحاقيّون.

كلّ هذه الأسباب قارنّاها بوجود كتاب الصّراط وكتاب الهفت والأظلّة عند الاسماعيليين الّذين لا يعترفون بالحسن بن محمد العسكري إماماً ولا بأربع أئمّة قبله، ووجود كتاب الأسوس، ممّا يمكّنّا من إثبات أنّ هذه الكرّاسات قد تناقلها العلويّون منذ عصورٍ أبكر من هذه العصور وسنثبت – فيما بعدٍ – إن شاء الله أنّهم قد تناقلوها منذ أيّام عبد الله بن سبأ.

وحتّى هذه الخلافات الّتي قد ابتدعوها بين ابن خلاّد وبين ابي سعيد لم تكن على بابيّة أبي شعيب أو إسحاق الأحمر، ولكنّها هي الخلاف نفسه الّذي اختلف فيه بشّار الشّعيري مع المخمّسة حول اثبات الألوهيّة للإسم أم للمعنى تناقلوه وحملوه سنين طوالاً فهو موجودٌ في جميع كرّاساتهم، حتّى الدّستور العلوي لم يخلُ منه خطأ في تعيين الألوهيّة وإثباتها للإسم (محمد) أم للمعنى الغاية (علي)، وهذا الخلاف يظهرونه كلّما اختلفوا على الرّئاسة الدّينية حتّى قام أبو سعيد بإلغاء هذه الرّئاسة تحت ظروف غامضة.

العلويّون واقعٌ وتسمية

جاء في كتاب الرجال للكشي أن مقالة بشار الشعيري هي: (أن عليا هو رب وظهر بالعلوية والهاشمية وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمدية فالمعنى أنهم ادعوا ربوبية علي ع وقالوا إنه ظهر مرة بصورة علي ومرة بصورة محمد وأظهر أنه عبد الله مع أنه عين الله وأظهر رسوله بالمحمدية مع أنه عينه.)

و في بعض النسخ: (أنّه هرب وظهر بالعلوية الهاشمية وأظهر وليه من عنده ورسوله بالمحمدية أي هرب علي مع ربوبيته من السماء وظهر بصورة علي وأظهر رسوله بالمحمدية وسمى وليه باسم نفسه وأظهر نفسه في الولاية قوله وأنكروا شخص محمد ص أي أصحاب أبي الخطاب وافقوا هؤلاء في ألوهية أربعة وأنكروا ألوهية محمد وزعموا أن محمدا عبد ع وع ب فالعين رمز علي وب رمز الرب أي زعموا أن محمد عبد علي وعلي هو الرب تعالى عن ذلك. وأقاموا محمدا مقام ما أقامت المخمسة سلمان فإنهم قالوا بربوبية محمد وجعلوا سلمان رسوله وقالوا بانتقال الربوبية من محمد إلى فاطمة وعلي ثم الحسن ثم الحسين. قوله وجعل محمدا ع ع أي عبد علي)

و نحن نعلم أنّ هذه العقيدة هي عقيدة أبي شعيب فهذه الأسباب قد دعتنا لأن نسمّي هذه الطّائفة بالعلويّة إذ أنّ أقدم مصدرٍ وجدناه في ذكر عقيدة بشّار الشّعيري يطلق عليها اسم العليائيّة، ولو سمّيناها باسم شخصٍ ما لكان أصحّ تسمية نسمّيها به هي بالسّبأيّة، ولكنّا اعتمدنا التّسمية الرّائجة لأنّنا وجدناها أقرب إلى الحقيقة.

و هذا التراث قد اعتمد جميع المؤلّفات الباطنة الخاصّة بالمذهب الاثني عشري الشّيعي الامامي إلاّ أنّه لم يعترف بالسّفراء الأربعة الّذين كانوا أبواباً للإمام الأخير محمد بن الحسن، على الرغم من أنّ العلويّين يعترفون بإمامته وبقيامته وكرّته البيضاء، ولكن قيام أبي شعيب بإعلان البابيّة قد ساهم في تناسي وجود إمام ثاني عشر طالما أنّ بابه حاضرٌ موجود.

رسائل شيوخ الدين (الكتب الباطنة)

تحظى الكراسات الّتي ننشرها هنا لأول مرّة على اسم الكتب الباطنة، وهي كرّاسات صنّفت من قبل الشّيوخ الأربعة الّذين يطلق عليهم تسمية شيوخ الدّين، والّذين قد تمّ الإجماع على تعليمهم، ولا خلاف بين العلويّين عليهم سواء كانوا كلازيّين (نورانيّين) أم ماخوسيّين (غيبيّين) أو حتى اسحاقيّين، ونجد في بقايا مؤلفات اسماعيل بن خلاد استشهادات كثيرة بهذه الرّسائل، ويتمّ الاستناد إلى هذه الكرّاسات كما يتمّ الاستناد إلى القرآن، لا بل وترجّح على القرآن إذا ما تعارضت معه. وعلى أي حال فإنّ رجال الدّين يمنعون أي تعارض بينها وبين القرآن باستخدام التّأويل الباطن ويمكن لهذا التّأويل أن يقلب معنى الآية كأن يفسّر الأمام بالخلف والخلف بـ (القدّام [1]) كما جاء في الرّسالة الرّستباشيّة للشّيخ الخصيبي وقِسْ على هذا الكثير.

فالكلازيون والغيبيون يستندون في إثبات حججهم وفي نقض حجج الطرف الآخر إلى هذه الرّسائل، ذلك أنّ تصنيف هذه الرّسائل كان يعتمد على مسلّمات لم تكن ثمة حاجة ملحّة إلى شرحها، إلاّ أنّ طول المدّة قد أدّى إلى تناقض يحاول كلّ فريق فيه إثبات مصداقيته فيه على الفريق الآخر.

شيوخ الدّين

أربع شخصيّات يصبغون التاريخ العلوي بصبغتهم، وتجعل كتب العلويين ذوي مرجعيّة ثابتة وأصل واحد وفكر واحد. هذه الكرّاسات تتّصف بالصّفة القدسيّة الإلهيّة، وكلّ ما يعتمد عليها فهو ذو منشأ قدسي إلهي لا يعلوه أيّ إثبات ولو استند

[1] يحتجّ الخصيبي بقوله: (وشاهد ذلك من كتابِ الله تعالى قوله: «أمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لمَساكِينَ يَعْمَلُون فِي البَحْرِ فأرَدْتُ أنْ أعِيبَها وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غصبًا»، ولو كان الوراء خلفاً لمَا أدركهم الملك).

إلى القرآن الكريم وخطب نهج البلاغة للإمام علي، لأنّ هذا التراث متّصل بالباب محمد بن نصير، والّذي هو باب وحجاب لله تعالى، فهو سلمان وهو محمد وهو كلّ باب وكلّ حجاب، ولم يندمج الحجاب والباب إلاّ بشخصه. وخلفاؤه هم مستودعو علومه، من الخصيبي إلى أبي سعيد الميمون الّذي قد أخرج الدّين بإخراجه النهائي ليكون آخر من امتدّت يده لوضع لمسات على هذه الطّريقة.

وتشتمل الرسائل على مصنّفات قصيرة ومصنّفات طويلة تختلف الغاية من تأليفها وتتفق جميعها حول مضمون الغلوّ وأفكاره الّتي أستطيع أن ألخصها بمختصر صغير.

مختصر الديانة العلوية

لا تنفصل الديانة العلوية عن الفقه الجعفري الاثني عشري لأنها امتداد للباطنية الاثني عشرية، فهي تعترف بإمامة الأئمّة جميعهم ولكنها تقول أنّ مقام الإمامة هو عينه مقام الألوهيّة هذا المقام الّذي نسمّيه الحجّة أو الإمام، ولكلّ إمام حجاب هو رسوله إلى الخلق.

ويبرز هنا تساؤل على غاية الأهميّة يقول : لماذا نقول إنّ جميع الأئمّة هم عليّ ولا نقول أنّهم جعفر مثلاً، فما معنى العلويّة ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ من التّطرّق إلى معنى الغيبة والظّهور فالغيبة هي غياب المعنى واستتاره دلالته من الفلك غياب القمر لبضع ليال، فالقمر هنا هو صورة مثال للمعنى يكون هو الدّليل والشّمس هي السّراج الواضح ونعلم وفق المذهب الشيعي قيمة الليل وفضله على النهار وتفضيل الصلاة فيه والمناجاة فيه على الصلاة والمناجاة في الليل فإن كانت الشّمس هي الظّاهرة بالنور فالقمر هو جوهر هذا النور وغياب المعنى بين كلّ قبّة[1] وقبّة هو استتار حتّى يظهر بذاته. وهكذا عندما يظهر علي يكون ظاهراً بصورة المعنى، وأحيل القاريء هنا إلى الرسالة الرستباشيّة للشيخ الخصيبي وإظهاره لظهور المعنوية عن طريق الإزالات المثلية أي بغياب المعنى (وفاته ظاهراً) أي أن يظهر مرة أخرى بوصيّ الإمام

[1] يتطرق المذهب العلوي إلى سبع قباب دالة على سبع ظهورات ففي القبّة المحمّدية كان الظهور لعلي وفي القبة الموسوية كان الظهور ليوشع بن نون ، وفي القبة العيسوية كان الظهور لشمعون وهكذا..

فيكون وصيّ الإمام آدماً قبل أن يصبح إلهاً بغياب المعنى فيه وظهوره كمثل صورته أي أن جعفر بقي على صورته المخالفة لصورة أبيه. ولكن أباه (المعنى) قد ظهر به دون أن يغير صورته، ولكن ظهور عليّ بن أبي طالب لم يَظهر عن طريق الإزالة بإزالة صفة الاسم عن الابن وظهور الأب فيه إلهاً، لأن ظهور علي بن أبي طالب كان بالتجلي الكامل للإله وظهوره الهاً منذ طفولته وحتى غيابه، حتّى يشرّف اسماً له –وهو الحسن–.

وهكذا نفرّق ظهور علي عن باقي ظهورات الأئمّة. ويمكننا من هذا الباب أن نقول إن عليّاً ظهر في باقي الأئمّة وليس صواباً أن نقول إنّ الأئمة ظهروا في عليّ، والجميع واحد.

مشكلة كبيرة تظهر هنا تقول : إذا كان تشريف المعنى للإسم (أي لباقي الأئمة) عن طريق ظهوره فيهم كان بإبقائهم على صورهم السّابقة، فهل كان المعنى ظاهراً بعليّ بن أبي طالب فتكون صورة علي هي صورة الله ؟ يجيبنا المفضل بن عمرو في رسالته المفضلية بقوله : «ليست كلّ الباري، ولا الباري غيرها، وهي هو إثباتاً وإيجاداً وعياناً ويقيناً، ولا هي هو كلاً ولا إحصاراً ولا إحاطةً»، فتكون هذه الصورة هي إثبات للظهور لا بمعنى أن الله محصور في هذه الصورة أو أن هذه الصورة هي كلّ الباري ومن هنا ينطلق التوحيد العلوي من مبدأ أنّ الوهيّة علي غير محصورة في هذه الصورة وأنّ هذه الصورة ليست كلاً على الرغم من أنّ عليّ هو «كلّ».

و أمّا عن الكون بموجوداته فهو –علويّاً– صورة لله يتجسد الله فيه بالقمر والحجاب بالشمس، والباب بالسّماء، ويأخذ الوليّان صورة النّجمين الظّاهرين بالسّماء، ويكون مقام كلّ نجم دالاً على مؤمن أو نبيّ بحسب قوّة إنارته.

و أمّا عن المؤمنين فهم – كما يصورهم لنا كتاب الهفت الشريف– أنّهم الطينة الحسنة وأنّ الطّينة المالحة هي طينة المنافقين، وقد جمعهم الله سويّاً وأورى لهم ذاته، ولمّا كان الله موجدهم وخالقهم فقد اعترفوا به –جميعهم– ببرّهم وفاجرهم، وكان ظهور الله لهم حجّة عليهم.

ثمّ كانت الهبطة وترمز لنا الهبطة إلى أصلنا السّماوي، وهنا نعود إلى فكرة السّماء والنّجوم. وهكذا، وبظهور الله في عالمنا المختلط الّذي نسمّيه هنا بالعالم الصّغير المزاجي البشري كانت المحنة، فقد دعت الطينة الحسنة أهلها إلى الاعتراف بالله، وأمّا ما نسمّيه بـ الطينة المالحة، فقد أنكرت معنويّة الظّهور الإلهيّ فحقّ على من انتمى بطينته إلى هذا المنبت أن يتردد في الهياكل المسوخيّة، كما أنّ من آمَنَ بالظّهور الإلهيّ فقد أُوجب له بإيمانه أن يعود –بعد هبطته– بعمليّة نسمّيها هنا (التمحيص) بأن يعود إلى السّماء ليكون نجماً يعلو بمقامه بحسب مرتبة إيمانه.

ويكرر المشائخ هذه الأفكار ويوجدون لها الاثباتات والتعاليل موضحين صحّتها كلٌّ على طريقته معتمدين على التأويل الواردة في كتب شيوخ الدّين.

التاريخ العلوي

إنّ تعاقب شيوخ الدّين على التاريخ العلويّ جعلنا نقسّمه إلى مراحل أو حقبات تتّسم كلّ حقبة برؤية فرضت عليها روحانيّة معيّنة ووجّهتها باتّجاه معيّن كان التّأثير فيه يقع على العامّة ولكن المتحكّمين بهذا التّأثير هم قلّة من – الأمراء– أو المشائخ، ويمكننا هنا أن نقسّم التاريخ العلوي إلى حقبتين هامّتين:

الحقبة الأولى: وتشمل ما قبل ظهور محمد بن نصير النميري، لم تكن قد تحدّدت فيها ملامح الصّورة العلويّة على وجه التّعيين، والكرّاسات التي وصلت إلى أيدينا عنها هي مجموعة من مصنّفات زاهر بن سنان والمفضّل بن عمرو الجّعفي، والّتي تدور مواضيعها حول التّناسخ، وحول كون الله وحدوده واحتجابه، ولكن الرّوايات الّتي وصلتنا عن المعتقدات الّتي كان ينادي بها بشّار الشّعيري وعبد الله بن سبأ لا تختلف عن تلك الّتي نادى بها محمد بن نصير النميري والملقّب بأبي شعيب بل تنطبق عليها انطباقاً مطلقاً، ممّا يدلّنا على أنّه قد تبنّاها كما كان الأمر مع اسحاق الأحمر والخلاف الّذي نشب بينهما قام أولاً على فكرة قيادة الجّماعة بتعيين أنفسهم كلّ واحد بمنصب الباب للإمام الّذي كان مثالاً لله على الأرض. ودليلنا على ذلك هو اعتراف أبي شعيب أنّ كتاب الأكوار والأدوار موجود عند إسحاق الأحمر، لا بل وقد كان يحضر التّعليم مع محمد بن جندب، ممّا حدا به إلى ادّعاء البابيّة، واستشهاد اسماعيل بن خلاّد (الاسحاقي) بالخصيبي (النصيري) ومحاولته – كما

يقول أبو سعيد– تزوير أبيات الخصيبي ليتمكّن من الاستشهاد بها على ما يناسب آراءه، ولو لم يكن الخصيبي يمثّل وجه العلويّين الأعظم لما قام إسحاقيٌّ لا يعترف ببابيّة أبي شعيب بالاستشهاد به كدليل لا يقبل النّقض، وأبو شعيب نفسه يستند إلى مصنّفات إسحاق الأحمر، ولكن ظروفاً يأتي شرحها فيما بعد ساهمت بتغليب القائلين ببابيّة أبي شعيب على أولئك القائلين بإسحاق الأحمر، وتمتدّ هذه الحقبة حتّى تشمل محمد بن جندب والسّيّد الجنّان تلميذه الشّهير والّذي نسبت له الطّريقة الجنبلانيّة وهذه الطريقة لا تختلف مع طريقة السيد أبي شعيب إلاّ أنّ السيّد الجّنان الجنبلاني الفارسي قد عمّق الرّابط بين الشّريعة والحقيقة، فيكون بطريقته قد ساهم في زيادة الرابط بين طبقة الملتزمين وبين هذا الإيمان المرتكز على ألوهيّة عليّ ووحدانيّته.

الحقبة الثّانية: وهي تختلف عن الحقبة الأولى كونها قد ترافقت مع قيام أوّل دولة علويّة في التّاريخ وهي الإمارة الحمدانيّة.

ذلك أنّ خموداً في الدّعوة العلويّة رافق غياب محمّد بن نصير الباب الشّرعيّ للإمام، وهذا الغياب لم يرافقه تعيين خليفة ثابت له طالما أنّه وبحسب التّراتبيّة العلويّة فإنّ الأبواب قد انتهت والحجب، وهكذا حدث ذلك الخمود والّذي استمرّ برهة من الزّمن تسلّمَ فيه الابن الرّوحيّ الأكبر زمام الأمور وكان هو الجّنّان، ولم يكن يدور في خلد أحد أن يظهر تلميذ فيما بعد هو الخصيبي بشخصيّته الفذّة والّتي كانت محطّ إعجاب أساتذته منذ نعومة أظافره، ذلك أنّه قد امتلك موهبة كبيرة على الحفظ والاستنباط وربط النّتائج، أضف إلى ذلك شخصيّة قويّة تمكّن من خلالها من إقامة أقوى العلاقات مع شخصيّات كبيرة من الأسرة الحمدانيّة العريقة في التّشيّع، بالاضافة إلى حضوره إلى بلاط الخلفاء ومعاشرته مع علية القوم.

أذكر على سبيل المثال الكثير من المناقشات الّتي كان يقودها في البلاط العبّاسيّ مع المتصوّفين الّذين تنسب لهم هذه الطّائفة، ولكن جرأته في إبداء رأيه سبّب له الكثير من المتاعب سيّما خلافه مع الحلاّج صاحب الحظوة آنذاك لدى الأمراء. ولعلّي أرى في تلك التّهمة الّتي أراد الحلاّج أن يلصقها بالخصيبي وكأنما

هي تقدير إلهي [١]، ذلك أنّ النّاظر إلى التّاريخ سيّما في تلك الفترة الّتي انتشر فيها الجواري والمحظيّات لا يجد الكثير من البأس في قيام شخص ما بزنا ويوجب عليه السّجن والتّسخيم [٢]، وأستند هنا إلى فهم القارئ للتّاريخ.

حيث أن الموكّل بتعذيب الخصيبي – وهو رستباش الدّيلمي – كان يشنّع على الخصيبي دينه ولم يكن يشنّع عليه عمله، وهذا ما أكّد لي أن التّهمة الّتي قدّمت للخصيبي بكونه زانٍ هي تهمة لا أصل لصحّتها طالما أن رستباش الدّيلمي العجمي عندما ناقش الخصيبي أثناء تعذيبه اقتنع بفكرته، ممّا أدّى إلى تغيير في سياسته تجاهه هذا التّغيير أدّى إلى تتلمذه على يديه ليكون أوّل التلاميذ العراقيين.

وأرى هنا أن الخصيبي كانت غايته تعليم النّخبة لهذه الطّريقة خطّة مدروسة منه للحصول على تلك الشّعبيّة الكبيرة.

كلّ تلك الأمور أهّلته لأن يكون أستاذاً بارعاً تمكّن ببراعته من اكتساب ودّ داود بن حمدان الّذي أخرجه من السّجن، وربطه التّاريخ العلويّ بأسرة آل حمدان العريقة. ولعلّ آمالاً كبيرة كان يعلّقها الخصيبي على تكوينه لدولة في فارس الدّولة العظيمة الّتي كانت تشكّل الطّوق المحيط بالخلافة العبّاسيّة، ولكن آماله قد تحطّمت لوجود التيارات القرمطيّة في تلك المناطق ولأسباب أخرى يطول شرحها، كل ذلك جعل من حلب مقرّاً لا يمكن له تخطّيه، ليعيش في بلاط آل حمدان معلّماً وسيّداً صاحب الكلمة الأولى في البلاط [٣]، أذكر هنا على سبيل المثال تلك الحادثة الّتي كادت تودي بأمراء آل حمدان أثناء ثورة والي آذنة، والّتي قد أحبطت بفتوى من الخصيبي وجعلت الآذنيين يهرعون خلف زعيمهم للفتك به فانتحر من أعلى برج في قصره رامياً بنفسه للموت السّهل.

وإن كان بعض المؤرّخين ينكرون علويّة سيف الدّولة الحمداني فإنّ بقاء ذرّيته في منطقة الغاب والقرداحة مشتملة على عشيرتين وهما عشيرة الكلبيّة،

---

[١] يقول كتاب النّسب الشريف– وهو كرّاس يحتوي على تلاميذ الشّيخ الخصيبي– أنّ الحلاج قد ادّعى على الشيخ الخصيبي أنّه زانٍ وقد عومل الخصيبي حينها على عادة أهل فارس في معاملة الزّناة بالتسخيم، وهو أن يوضع على جمل أجربَ ويُدهن وجهه بالسّواد ويطاف به في الأسواق.

[٢] عادة فارسية قديمة استعيض بها عن رجم الزاني أو جلده ، وتقضي بمسح وجهه بالسواد وتسييره على حمار أو جمل بشكل مقلوب .

[٣] راجع كتاب هداية المسترشد وسراج الموحّد لأبي صالح الدّيلمي، وكتاب النّسب الشّريف للزّجّاج.

وعشيرة القراحلة، يثبت أصالتهم. على الرّغم من أنّ هاتين العشيرتين فريدتان في التّاريخ العلويّ بعدم وجود مشائخ فيهما ممّا حدا بهم إلى استقدام آل بشمان الغساسنة ليكونوا شيوخاً دينيّين عليهم، ممّا يثبت لنا أنّ الغساسنة كانوا شيوخاً تقليديين وزعماء ثابتين لسكّان جبال العلويين على مدى الدّهور، ويؤكّد قولي هذا مسائل نصر بن معالي الخرقي الغسّاني المنتسب إلى عائلة الأمير جبلة بن الأيهم الغسّاني الشّهير – والّذي أتشرّف بانتسابي إليه –، وكُتُب السّياحة الّتي أُلّفت في فترات الانحطاط العلويّ للّباحثين عن أبناء الأمير رائق بن خضر الغسّاني، وأبناء الأمير حسن بن يوسف المشتهر بالمكزون السّنجاري فيما بعد.

ولا يمكن إثبات وجود قوي للشّيعة في حلب طالما أنّ الّذين تعرّضوا لغزوة السلطان سليم لم يكونوا سوى علويّين ممّا سبّب فرارهم إلى جبال العلويّين.

ألّف الخصيبي رسالتين كانتا أساساً للدّين العلويّ وهما : الرسالة الرّستباشيّة، وهي مجموعة من التعاليم والشّروحات حول مجملَ العقيدة العلويّة، وفقه الرسالة الرستباشيّة، وهي تعليقات أوردها الخصيبي دوّنها فيما بعد ونقلها إلى رستباش الخصيبي على يد تلامذه دون أن يزوروه.

وللخصيبي مرويّات عدّة أذكر منها على سبيل المثال : آداب عبد المطلب، والمراتب والدّرج، والأدعية، وقد خلفه في منصبه الدّيني السّيّد الجلّي، والّذي قدّم كتابين هامّين هما : باطن الصّلاة، وحاوي الأسرار، ورسائل كثيرة تجدها في هذه السلسلة.

وبزوال الأسرة الحمدانية وقيام دولة ثانية هي الدولة المرداسية، ظهر فتور بين القائد العلوي وبين الأسرة المرداسية الّتي تبنّت فكرة اسحاق الأحمر ممّا حدا بالجلي إلى نقل مقره من حلب إلى اللاّذقية ممّا شكّل هجرة كثّفت الوجود العلوي في منطقة الساحل السوري، وأدت إلى نقل مقر قيادة العلويين إلى العاصمة الجديدة.

وقد خلف الجلي في منصبه الديني أبو سعيد الميمون بن القاسم الطبراني، والّذي كان آخر قائد علويّ قويّ وصاحب كلمة ونفوذ، قام هذا القائد بتقديم نظريته النهائية حول الشريعة العلوية وقدّم الدّستور بشكله الكامل والنهائي وقام بوضع الأسس العلوية على صورتها النهائية، ولكنه قام بعمليّة الغاء منصب القيادة الروحية

للطّائفة، ولعلّه قد هاجر في آخر أيّامه إلى طبرية بعد قيامه بقتل أبي ذهيبه اسماعيل بن خلاد والي الأسرة المرداسية على اللاّذقية وأمير الشّرط فيها ممّا أدى إلى وفاته الغامضة.

ولعلّ جميع هذه الأسباب قد جعلت من مؤلفات السّادة الأربعة أصحاب الرأي في العقيدة أسساً وأركاناً وجعلت من مؤلفاتهم قانوناً لا يمكن تجاوزه – أو الزيادة عليه– ولم يُعلم أنّ أحداً قدّم بعد مؤلّفاتهم كتاباً يمكن أن يكون مرجعاً أقوى من مؤلفات شيوخ الدين الأربعة.

كلّ هذه الأسباب جعلت من هذه الرّسائل والمصنفات قانوناً ثابتاً تستند إليه الشريعة العلوية.

خصائص مؤلفات شيوخ الدين

تتّسم مؤلّفات شيوخ الدين بطريقة غريبة في الشّرح باعتماد الظاهر للوصول إلى الباطن والاستناد إلى القرآن بطريقة التضمين، وهذه الطريقة تجعل القرآن ذا وجوه، إذ انّها تستخدم المماثلة بين شيئين ماديّ وروحيّ لاستنباط حكم على تعليم روحيّ من خلال التشريع الماديّ أو القصصيّ التاريخي.

وقد تكون هذه الطريقة غير مألوفة، ولكن المتطلع إلى خباياها يجد سهولة الاستنباط فيها، ويجد استحالة انتهائها بل إنّ زيادتها ترجّح استمراريّتها وتشعّبها كلّما تعمّق الباحث في الغوص والتّفسير.

ولمّا كانت هذه الطّائفة هي جزء من تاريخ التصوف الإسلاميّ فإنها التزمت أفكاراً صوفيّة تجعل من قضيّة البحث عن أسرار الوجود البشريّ والإلهيّ قضيّة خاضعة للجّدل ضمن فرضيّات تحتمل الاثبات أو النقض بحسب قوّة الأدلّة المقدّمة، وفي حين التّعارض – وكثيراً ما كان يتمّ – فإنّه يكون هناك الانشقاق.

تدوين مؤلّفات شيوخ الدّين

إنّ فتوى ابي سعيد الميمون بتحريم بيع هذه المخطوطات في كتابه «حاوي الفتاوي» جعل من مسألة تدوينها وتناقلها أمراً بالغ الأهميّة، يختصّ به المشائخ،

ويمنعونه عن العامّة جعل هذه المخطوطات تحظى بسريّة قلّ نظيرها بين مخطوطات العالم.

ويتمّ تعليم هذه المؤلّفات للشّاب بعد تسلّمه للدّين بفترة تتراوح بين بضعة أشهر وبضع سنين، ومن التّقليد والعادة أن يستلم التّلميذ رسائله هذه في مجلس عند سيّده الدّينيّ والّذي يلقّبه بالعمّ أو السّيّد، فكم كنّا نشعر بهذه اللّذة عندما نجلس متربّعين بين إخوتنا الدّينيّين متحلّقين حول نسخة نتّقُ بها بقدر ما يظهر عليها من القِدَم والعفونة، ونحن ننسخ بدواة يفتخر كلّ واحد منّا بنسبتها إلى شيخٍ يزيده طول المدّة تقديساً، جاهدين على نقل أكثر الملاحظات والحواشي غموضاً، مع نسبتها بذكر اسم ناسخها واسم قائلها. مضيفين إليها ما شئنا من استحسان وتوقير لها ولقائلها.

وكم كنّا نقطع المسافات الطّويلة متكبّدين الأخطار للحصول على نسخةٍ من مخطوط يحتفظ به شيخٌ ما، وكثيراً ما كان يمنعنا عنها حُبّاً بالاستئثار بالمعرفة، متعلّلاً بعدم تأهيلنا للحصول على هذه المعرفة.

نداء إلى الإنسان العلويّ الحرّ

أخي العلويّ قد تعلّمنا من رسالة الأندية للسّيّد الجلّي أن الاسم قد اشار إلى المعنى بسبعة أنديةٍ كان أوّلها في عالم الأرواح، وقد كان غير كافٍ، فكرّر نداءاته بلسان عبد الله بن سبأ وبلسان محمد حجابه وبلسان بابه أبي الخطّاب وبلسان المعنى نفسه على مئذنة الكوفة فصرّح بأنّه الأوّل والآخر والظّاهر والباطن، والشّيخ الخصيبي – شيخ الدّين – قد دعا لهذا الدّين في جميع الملل والأقاليم فدعا سبعة عشر عراقياً وسبعة عشر شاميّاً، دعا صابئة حرّان ومجوس إيران، والعرب الأقحاح والأكراد، لم يثنِه شيءٌ عن عزيمته في إظهار معنويّة أمير المؤمنين.

ونحن نتبع خطى شيخ الدّين في إظهار هذا المذهب إلى العموم واعلم يا أخي أنّه ربّ أخٍ لك لم تلده أمّك، فمَنْ كان يظنّ أنّ رستباش الدّيلمي سيتّبع هذا المذهب وهو الموكل بتعذيب قائده، ولكنه عندما اطّلع عليه آمن به، فما يمنعك أن تكشف هذا العلم وقد قال رسول الله أنّ لكلّ شيء زكاة وزكاة العلم تعليمه.

أخي العلويّ، لقد تعرّض أجدادك في تاريخهم لاضطهاد طويل وكان وفاؤهم لمعتقدهم يدفعهم إلى تجرّع الموت باذلين أرواحهم رخيصة أمام كتمان هذه العقيدة، ولكنّ القدر أقوى من إرادة الإنسان، فلم تلبث هذه المخطوطات أن تسرّبت إلى متاحف العالم لا يعتني بها أحد، ولا ينشرها أحد، ولا يجد الباحث في تاريخ العلويين بين يديه شيئاً يستند إليه، فكان أن ألّف المؤرّخون تاريخاً نسبوه إلى العلويين لا يمتّ بأغلب محتوياته إلى الحقيقة بأيّ صلة.

فانهض من كبوتك أيّها العلويّ، وأظهر دعوتك، وانشر تراثك، فإنّ المخطوطات الّتي توارثها مشائخ العلويين تُظهر بياض تاريخك ونقاء عقيدتك، وتنزع عنك عاراً لم ترتكبه يوماً.

لقد استقرّ أجدادك في كهوفهم يتلون من القرآن قوله:«إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَو يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ولَنْ تُفْلِحُوا إذاً أَبَداً[1]»، ولكنّ ظروفاً قد تغيّرت وأحكاماً قد تبدّلت، فها هو العالم يُظهر خباياه، ولم يعد شيءٌ بعدُ مستوراً فمن واجبك الآن أن تلتزم الآية الّتي تقول «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ».

لقد عَبَدَ أجدادك النّور وجعلوا سعيهم إليه غاية ما يرجوه الإنسان العَلَويّ ليكون عُلوياً قَبلَ أن يكون عَلوياً لأنّ غاية عقيدتك هي الصّفاء لتصبح نوراً سماويّاً يدور في السّماء – الّتي هي سلمان–، بابك إلى الاقتراب من نور السّماء، فكيف تقبل على نفسك أن تمشي بَعدُ في الظّلمة، أوليس يسوع المسيح يقول لك في الإنجيل: «ان كان احد يمشي في النهار لا يعثر لانه ينظر نور هذا العالم، ولكن ان كان احد يمشي في الليل يعثر لان النور ليس فيه» ومحمّدٌ يقول:«الشّاة الشّاردة يتخطّفها الذّئب، والمؤمن الشّارد يتخطّفه الشّيطان».

و اعلم أنّه لا يمين للولد فوق يمين أبيه ولا للعبد أمام مولاه، فإن كان يمينك يمنعك من إظهار مذهبك، فإنّ الإمام الصّادق قد دعا إلى إظهار هذه الكتب كواجب على كلّ موحّد، فلا مبرّر لك أمام مولاك بإخفاء هذه الكتب. بل من واجبك إظهارها كما هي، وقد جاء في توقيع الامام المنتظر – الّذي ينتظره كلّ علويّ – كتاباً يحضّك على هذا الكشف ويقول: «جعلت هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في

[1] أهل الكهف ٢٠.

عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحد من موالي وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق وينتهوا عما لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه فكل من فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فلقد حلت عليه اللعنة من الله وممن ذكرت من عباده الصالحين».

أظهر باطنك لأنّه لا كلمة لك فوق كلمة مولاك، ولا يمين لك فوق يمينه ولا يد لك فوق يده وقد قال الله في كتابه:«يَدُ اللَّه فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ ومَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتيهِ أَجْراً عَظِيماً[1]»

و اعلم يا أخي أنّي قد وفيت ذمّتي وأدّيت ديني، فأنا أرجو الاثابة من الله، فليكن هذا التراث رحمة على حملتِه كيلا يكون عليهم لعنة يوم تحلّ اللّعنة والله وليّ التّوفيق وعليه الاتّكال.

الشـــــيخ موســـــى الطرطوســـــي

فـــــي :١/ رمضـــــــان / ١٤٢٦

[1] الفتح ١٠.

دراسة عامّة حول مؤلّفات محمد بن نصير

تنبع أهميّة محمد بن نصير من كونه أوّل من دعا إلى معنوية الأئمّة بعد غيبتهم، ولعلّ شخصيّته قد شابها الكثير من التّشويه، وليس غرضنا هنا الدّفاع عنه بقدر ما تكون غايتنا هي السّعي إلى معرفة الحقيقة الّتي لا يعلو فوقها شيء، ولعلّنا نتحرّى هنا المصادر في أبحاثنا لنصل إلى حقيقة محمد بن نصير، ونرجع ههنا إلى أنّ مراجعتنا للمرويّات الشّيعية تركّز على انشقاق علي بن حسكة وابن بابا القمّي بصفة مغالين، وقلّما يُذكر اسم محمد بن نصير.

إلاّ أنّ إثباتاً يدلّ على لعن الحسن الآخر العسكري لأبي شعيب محمد بن نصير يدلّ على عدم رضاه عنه، ولكن العلويين يعترفون بلعنته وكأن لعنته كانت على مرأى الكثير من الشهود ويبررون اللعنة بأنها رحمة، ويستشهد الميمون بن القاسم الطبراني في كتابه الموارد بحادثة يذكر فيها أنّ الخليفة العباسيّ المتوكل كان يطلب شيعة الحسن العسكري ليقتلهم، ولكنّ لعنة الحسن العسكري كانت رحمةً عليه، إذ جعلت الخليفة يتركه لشأنه دون عقابه لأنّه عرف أنّه ملعون من قبل الإمام الحسن العسكري وهكذا تكون اللعنة رحمة من المولى لأبي شعيب محمد بن نصير!

ولعلّ ظروفاً قد جعلت أتباع محمد بن نصير هم الأكثر عدداً فقد افترق الشّيعة إلى متّبعين للأبواب ومتّبعين للسّفراء[1].

و كان لمتّبعي الأبواب قسمان هامّان وهما

١. منهم من قال ببابيّة محمّد بن سنان وغيره[2].

٢. و منهم من قال ببابيّة محمّد بن نصير.

---

[1] يختلف المخمّسة عن النصيرية في بابيّة عليّ بن حسكة، ومحمّد بن موسى الركّي، ومحمّد بن الحسن النّجيلي. وأما السّفراء الأربعة فهم :أبو محمّد عثمان بن سعيد السّمّان العمري ، إبنه جعفر محمّد بن عثمان ، أبو القاسم بن روح النّوبختي ، أبو الحسين عليّ بن محمّد السّمري.

[2] مثل عليّ بن جبلة القمّيّ ومحمّد بن موسى الشّعيبي وغيره

وأبو شعيب محمد بن نصير لا يُعرف له ابن اسمه شعيب، وله ولدٌ زاهدٌ يدعى جعفر ولذا قيل أبو جعفر، وجعفر هذا زاهد ومذكورٌ بكثرة في الرسالة القشيرية دلالةً على اعتناقه فكرة التصوّف وعلى تلازم هذه الفرقة مع المتصوّفة سيّما وأنّ السريّ السقطي والجنان والجّنيد هم من أتباع هاتين الطريقتين وهما: الغلوّ، والتصوّف.

مؤلّفات محمد بن نصير

لم تصلنا جميع مؤلّفات السّيّد أبي شعيب أو مرويّاته، ولعلّ قيام البعض بتشذيب مؤلّفاته قد أخرجها بشكل جديد وحلّة جديدة فتناسى العلويّون الكتاب الأصليّ كما حدث مع كتاب مجموع الأعياد للشّاب الثّقة ميمون بن القاسم الطبراني إذ انّه يعترف أنّ كتابه من وضع السيد أبي شعيب، ولكن لمساته كانت أكبر من لمسات النّاقل ، بل إنّه قام بعملية الدمج والاخراج والاستنتاج، وكذلك فقد امتدت يده إلى كتاب الكافي للضدّ المنافي.

فقد أخذ الميمون بن القاسم الطبراني محتويات **كتاب الكافي للضدّ المنافي:** وأبعده عن جوّه العام حول الخلاف بين ابي شعيب محمد بن نصير وبين اسحاق الأحمر وجعله للبتّ بالخلاف بين الشّاب الثّقة وبين اسماعيل بن خلاّد، حتّى أنّ كثيراً من العلويّين قد ظنّوا أنّه هو الكتاب عينه سيّما وأنّ الشاب الثقة ميمون بن القاسم الطبراني لم يغيّر من اسم الكتاب حتّى جاء الشّيخ محمد كلازي الأنطاكي وقال في كتبه أنّ هذا الكتاب الّذي يتناقله العلويّون هو غير كتاب الكافي للسّيّد أبي شعيب، وأنّ كتاب السّيّد أبي شعيب لم يعد موجوداً، ونعلم أن حادثة فقدان كتاب الكافي للضدّ المنافي قد حدثت في حرّان وفي عهد الشّيخ الخصيبي، ولكن الشّاب الثّقة يورد الكتاب في معرض بحثه حول تعليم الدّستور وأنّه اطلع عليه ويضع تعليقاً جانبيّاً كثير الأهميّة يقول فيه أنّ قلّة هم الّذين قد اطلعوا على هذا الكتاب، ونرجّح هنا تناقله على أوساط ضيّقة، ولكن ناقل رواية فقدانه في حرّان يقول أنّه قد كلّف عبداً بتعريضه للشمس خشية من التلف الحاصل من تبلله من الماء ولكنّه قد اطلع على محتوياته فوجده يبحث حول الكيمياء وأساليب تحصيل المعادن الرخيصة وتحويلها إلى معادن ثمينة وأنّه كتاب عامّ حول الكيمياء والطبّ ولكنّه يضيف في الوقت نفسه أنّه يحتوي على شتائم للكثير من الصحابة منعت صاحبه من الاعتراف

به خشية من الحاكم، ويبقى الكتاب –في حال وجوده– متناول على نطاق ضيق، ولي قناعة بعدم توفّره على الأقلّ في جبال الساحل السوري لأنّي قد اطّلعت على أكبر مكتبة علويّة على الإطلاق وهي مكتبة الشيخ عمران قبل أن يفرقها أولاده فيما بينهم ولم أجد أثراً له، ولكني سأبحث الآن فيما وردني من مؤلّفاته ومروياته.

كتاب باطن التكليف : هذا الكتاب أيضاً هو كرّاس صغير وغير متناقل على نطاق واسع سيّما في جبال العلويين ومحتوياته تدلّ على طريقة استنتاج أحكام الشريعة فهو يتناول الشريعة كما يتناولها السيد الجلي في كتابه باطن الصلاة مع تعاليل دالّةً على معانيها وعلى فهم واسع للشريعة ينطلق من قضية ثابتة في نظره وهي أنّ الشّريعة هي الوجود بأكمله وأنّ الشّريعة هي تطبيق للحياة ولم أتمكن من نساخته لأن صاحبه قد افترض عليّ ديناً ثقيلاً ثمناً له وهو أن أؤمن بطريقته في عبادة القمر وهو ما يعرف عني إنكاره.

كتاب الموارد : يشتهر هذا الكتاب بكتاب الموارد وتحفة لكل وارد وهو عبارة عن تعليقات على جميع كتبه ومنتخبات غايتها الاختصار لم يقدّم فيه الكثير، ولكنه أوضح فكرة الفرق بين الصورة والمثال كما أوضحها في كتابه الشّهير المثال والصورة.

كتاب المثال والصورة : ويبحث في الفرق بين الاسم والمسمّي ويثبت أنّ الامام الصامت الذي يسمونه الوصي هو المثال وأن الصورة هي الإمام القائم .

كتاب المجالس النميرية : وهو كتاب مليء بالأقاصيص التي تروي الخلافات والمناقشات والمشاجرات التي كانت تتم بين السيد أبي شعيب محمد بن نصير وبين آخرين والكتاب ذو قيمة عظيمة على الرغم من اشتماله على خلافات عميقة.

كتاب الأكوار والأدوار: يُعدّ هذا الكتاب هو الأهمّ بين مؤلفات ابي شعيب محمد بن نصير، وتنبع أهميته من الموضوع البالغ الأهمية الّذي يتطرق إليه، فإذا كانت جميع مرويات محمد بن نصير قصيرة ودالّة على أشياء محدّدة ، فإن هذا الكتاب يذكر وجود الكون بأكمله. ويشرح تكوينه، ويضعه في قالب غريب عن الفهم مليء بحركة الوجود والأكوان دالّةً على اختراع الله للكون. وقد روى الكتاب عن عبد الله بن غالب الكابلي. وهو باب المطلع الرابع أي مطلع علي زين العابدين بن

الحسين بن علي بن أبي طالب. وأوّل ما يسأل فيه السائلون عبد الله بن غالب عن اسم الله، ومتى تسمّى.... وما الحد بين إرادة الاسم في تسميته لنفسه وفي النطق باسمه، وعن الاحتجاب وعن الكون النوراني وكون الممازجة.

يبتديء الكتاب بذكر المعنى والحجاب، وظهور النور بصفة قوس قزح (قوس الله) والفرق بين لوني القوسين وتشعبهما وهنا يظهر اسم الله بالقدرة وهو ظهوره بالأكوان.

يعالج الكتاب الله وكأنه قام بتكثيف الحيث وتلطيفه وبسطه وتحليله ورجرجته ولحظه. ومواقف الخشوع والحبس بالجس وأحوال التجسد والقدرة. والتفرق في الحيث إذ الحيث هو القشرة

و يدل على ست مواد للإرادة وهي الامداد واللحظ بالتحييث والملاحظة بالجمع والملاحظة بالإزهار والبدو بعلم الارادة والحجب بحيث الحجاب، وهذه الست مواد هي الست أيام للخلق ويمثلها بملاحظة الارادة للسماء بالتكوين، والتبريج (وضع البروج)، والطرق (جعلها طرقاً)، والتطابق بالانفطار، والسّقف (بسقفها)، ثم معاودة الملاحظة لتسميتها سماء.

وأن الأكوان الخمسة هم الأيتام الخمسة، ويشرح الكتاب بمجمله تطور الكون الإله والربط بين الكون وبين جماعة المؤمنين هو ربطٌ واضحٌ ذلك أنّ العقيدة العلوية قائمة بأكملها على هذا الربط لأنّ أملِ العلويين هو العودة إلى الروحانيّة والروحانيّة العلويّة هي النورانيّة عينها بالتدرّج في المراتب الفلكيّة.

فيه بمراد مراد كونه فغيبه في ذاته لا في ذات غيره فكان
بذاته غائبًا عن وجود ذاته لا يعلم أنّ له به هو الذي غيّبه بلى
حيث ولا ذات فلمّا تمّت له المائة ألف كور عاوده المريد لكونها
فذهب ذاتها عن وجوده إذ وجوده من حيث إيجاد موجده
الذي أوجده كلّ موجود ونظر إلى حيث، فإذا هو بكونه في
مبدأ مبديه الذي كوّنه والحيث من قبل تكوينه فأبدى له التسليم
والإقرار بالشهادة له، فبدأ قوله تعالى: «هو الله الذي لا إله
إلاّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم»، فأمدّه
بالإقرار بهذه الشهادة مائة ألف كور لا يجد في جميع الحيث
الأزل إلاّ ذات كونه، وكان وجوده لكون ذاته من حيث
أوجده أزله وغايته الذي بمراد كونه لذاته كوّنه فلمّا أتمّ له
مدى مراده فيه أبداه قبالة الحيث وتوسّط به في كيفيّة
الكيف فناجاه خطابًا وأبان له نطقًا من حيث لم يوجده
خطابًا قبله ولا نطقًا سبقه ولا أوجده أنّ لذلك وجودًا
أوجده فكان يطلبه لوجود فناداه إنّي أنا الله لا إله إلاّ

أنّ الكون والمراد له ومنه يكون إليه ومنه يكون مراده كون
ما كوّنه من كيان لأنّه أبداه بذاته من ذاته فأمدّه الأزل بعلم
الإفاقة من سكرة الإبانة فراجع المرافقة في حيثه وأمدّه بالبسطة
والسلطنة والقدرة على يدي التكوين يبدو وكون فراجع الملاحظة
للحيث فلحظ ما أبداه من نور في مبتدأ إرادته للتكوين وهو نوره
الذي كثّفه ولطّفه وجبس كثيفه وأمدّ لطيفه وأوسعه
ذهابًا ومدّده سرابًا وأدجن من بهجه وقتم وهمه، فأجراه
سبعًا وأعلاه رفعًا، وباعدها عن التلاحم وحبس كلّ جزء
منها بحيث إرادته من كونه بكيان ذلك من التكوين مائة
ألف كور، ثمّ عاودها بالملاحظة ثانية وهي بكونها فأبدى
لها إرادة مكوّنها للملاحظة فخرجت بملاحظته عن كيانها إلى
كون إرادته فتطابقت السبع طبقًا واحدًا لا فرجة فيها
فكانت بكيان ذلك مائة ألف كور، وقد أبان ذلك
بالنطق من تكوينه، فقال: سبعًا طباقًا ثمّ عاودها بالملاحظة
فحبكها حبكًا فكانت كذلك مائة ألف كور، وقد أبان ذلك

بذلك مائة ألف كور، ثم عاودها بالملاحظة فسقفها سقوفا
ولونها صفوفا، وقد أبان ذلك بالنطق فقال: "وجعلنا
السماء سقفا محفوظا"، فكانت بذلك مائة ألف كور، ثم
عاودها بالملاحظة فسماها باسمها سماء وهو مشتق لاسمه
الذي تسمى به فكان اسم وسماء شيئا واحدا ولكنه كبر اسم الأزل
أن يكون كاسمه فحل الألف من اسم إذ كان في أوله وفي آخر
سماء فاسم اسم وسماء سماء، فعوا هذا واعرفوه واعلموه
وتبينوا مراد اسم الله بتسميته لهذا الكون الذي كونه على
تعاظم هذا الوصف والكيان لما هو كائن وما أراد به ولما
يريده فهو نبأ عظيم وسر كريم لا يغوص عنه إلا ذو رتبة، ولا
يعيه إلا ذو منزلة. **فقالت الجماعة** يا محمد بن جندب
قل لعبد الله بن غالب: صدقت يا مولانا، ولا علم لنا بذلك
إلامن حيث علمتنا فقال: إن مولاي أمرني أن أكشف ذلك
لكم وأخرجه إليكم لتزيد به تيقنا في كل حين وأوان وعند كل
جيل وقرن. فقالت الجماعة: لمولانا - الشكر لله ولك

كتاب الأكوار والأدوار لابن نُصير، ص ٥٦

وعشرين ألف نبي وأقام له سبعين ألف حجاب ليكون
منها ومن الأنبياء والأوصياء الوصول إلى معرفته ولم يكن
ذلك إلا بمشيئته وإرادته، ومن ذلك أن هذا العالم
فيما يتعاملون من أمر دنياهم ويعبدون به ربهم ويعرفون
به ما لهم وما عليهم يكون لهم بهذه الحروف دليل، وجميع
ما خرج إلى الهند تسعة أحرف بها حسابهم ونهايتهم
وإن كانت التسعة مخالفة لأشكال ما تكتب به الآن
وأعطيت كل أمة منها جزءا مثل: أبجد هوز وغيره.
وهي ثمانية وعشرون حرفا ولها علم معلق بالأكوان
الستة يطول شرحه. وأعطي السريانيون والعبرانيون
اثنان وعشرون حرفا كرامة لكليم الله تعالى ذكره وكلمته
المسيح وأما باقي الأقلام التي كانت في العالم فدون
ذلك وشرفت هذه الأمة بشرف رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يعني أنه أخرج إليها الثمانية والعشرين
حرفا من العلم فهم يتعلمون بها وانضافت إليها "الياء"

كتاب إيضاح المصباح للجنبلاني، ص ٣٨

الآدمية من الكون النوراني والروحاني ما ذكرناه واسمع أذنيه وأنظر عينيه واشتم منخاره بالعطس فنطق الحمد لله. ثم استوى جالساً مثلما صار قائماً فأتاه العالم على اقداره وذلك بالحمد يدل على روح القدس وقد نصبه قبلة للعالمين وإماماً للمؤمنين وسبيلاً للهدى ولا يقبل عمل ولا يزكى فضل إلا ما كان من جهته، ولا فاز إلا من عرفه وعرف سجود ملائكته له، وهو قوله تعالى لهم: «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين(1)». فأما الحمد مما أفضى من إقرار آدم عليه السلام. الحمد لله على كل نعمة وعلى التقوى والحكمة. وقد ورد في الحمد من الفضل ما يطول شرحه، فنحن نورده ونوضح منه ما يدل على فضيلته. أما قوله: الحمد لله، فالحمد ورد على لسان كل برّ وفاجر وإن في قوله الحمد لله معرفة الحجاب، فقد فاز من عرف الحجاب،

كتاب إيضاح المصباح للجنبلاني، ص ٧٦

كتاب الأكوار النّورانيّة والأدوار الرّوحانيّة

رواية أبي عبد الله بن عتاب البصريّ عن أبي خالد عبد الله الكابلي
مرفوعاً إلى
السّيّد أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النّميري

يُعدّ كتاب الأكوار والأدوار من أهمّ المؤلّفات العلويّة، وقد شملت أفكاره أسُساً مكّنت الشّيخ الخصيبي وتلامذته من وضع الأسس الثّابتة، واستنباط النّظام الشّموليّ للكون. بما قدّمه الخصيبي في رسالته الرّستباشيّة.

وكتاب الأكوار قد نقله بشّار الشّعيري ويونس بن ظبيان عن حمران بن أعين، وإن كان حمران قد نسبه لأبي حمزة الثّماليّ فإنّي أشكّ في ذلك، وسأبيّن فيما بعد - إن شاء الله - أنّ حمران بن أعين هو من وضعه، والشّاهد على ذلك أجده من كتاب المقالات العشر لحمران بن أعين. ومن الواضح أنّ دخول محمد بن جندب وقوله لأبي شعيب:«إنّني سمعت كتاب الأكوار عن إسحاق بن محمد فأبهرني شرحه وعظيم وصفه، فدخلت على مولاي أبي شعيب محمد بن نصير إليه التّسليم وأنا مفتون بما سمعت...» يدلّنا على تناقل هذا الكتاب بين جميع أوساط الغلاة العلويّين، ولكن وصوله إلينا عن طريق محمد بن نصير جعلنا ننسبه عن طريق الخطأ إلى أبي شعيب - الّذي يدّعي- أنّه هو شارحه، ولكن الكتاب يثبت أنّ أبا شعيب لم يشرحه،

ونجد في الكتاب أنّ ابا شعيب يُخبر محمد بن جندب أنّ الشّرح غير موجود عند اسحاق، ولكن اسحاق الأحمر يقول أنّ الشّرح موجودٌ عنده ويقول له :« كأنك تقول: إنّه صاحب الشرح؟» ويردّ عليه محمد بن جندب فيقول: « نعم كذا أقول» ويتابع محمد بن جندب فيقول: فوضع كتابه من يده وأخذ في إصلاح ردائه للخروج، فمدّ محمد بن نصير يده فأخذ الكتاب ورفعه إليّ وقال: احتفظ به، ونهض إسحاق وهو يقول: لا يزالون بمحمد بن نصير حتّى يتّخذوه ربّاً، وخرج ولم يطلب الكتاب. فقال محمد بن نصير: انظر في كتاب اسحاق بالموضع الّذي شرحت لك ما لم يشرحه إسحاق، وعرّفتك أنّه ما شرحه، فعدت أنظر فيه فإذا بجميع ذلك الشّرح الّذي شرحه لي محمد بن نصير في كتاب اسحاق. فقلت له: يا سيّدي إنّي أجد شرحك كلّه كاملاً. فقال: هو كذلك، وإنّما سُتر عنه ذلك كما ستر عنه أخذ كتابه...

يشرح الكتاب وجود الله وكيانه وتكوينه للوجود كما تصوّره الطّريقة العلويّة، فالوجود فيها هو العالم الكبير النّورانيّ بدرجاته وهم مراتب المؤمنين، وخلاصة العالم الصّغير المزاجي البشري الّذي يصفو فيه المؤمنون فيخلصون، ويُظلم الكفّار فيَفنون، ويربط الكِتاب الوجود النّورانيّ للمؤمنين بالكون والوجود المادّي وفق أبجديّة الظّهور والتّجلّي. ولكنّ صعوبته وتداخل أفكاره الغامضة جعلت من شرح الخصيبي للكتاب على شكل رسالةٍ مقتضبةٍ أمراً على غاية الأهميّة، سيّما وأنّ الشّيخ الخصيبي جعل رسالته على طريقة السّهل الممتنع، وعلى الرّغم من أنّ الكتاب لم يشرحه أحدٌ منذ عهد الشّيخ الخصيبي إلاّ أنّه يبقى هو المرجع الأكثر وثوقاً وأهميّة في الفكر العلوي.

مقدّمة

نبتديء على خيرة الله تعالى وحسن توفيقه بنقل كتاب الأكوار النّورانيّة، وشرح أكوارهم ومبداهم، وبيان أوصافهم بالقدم، ونعت الحجاب، وبدو كونه، وكون الباب، وكون العالم النّورانيّ وسبقه، وبيان ذلك وشرحه، وما أبداه مولاه سيّد العابدين الامام علي بن الحسين علينا سلامه، وكشفه حين دخول حبّابة الوالبيّة والحصاة، وسؤالها له بعد ختم الحصاة عن بدو العالم، ومبدا الدّهور، رواية أبي عبد الله محمد بن عتاب البصريّ بإسناده عن سيّدنا أبي خالد عبد الله بن غالب الكابلي صلوات الله عليهم وعلى الصّفوة المختارين وبالله التّوفيق والهداية.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله العليّ وحده حمد الشّاكرين، وصلواته على الصّفوة المختارين السّيّد محمّد الأجل وآله أجمعين إلى يوم القيامة والدّين، وحسبنا الله ونعم الوكيل. رواه أبو عليّ محمد بن عتاب بن عبد الملك البصري في منزله بشارع البرامكة يوم الأحد لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظّم قدرهِ سنةِ ستّ وعشرون وثلاثمائة. قال:

حدّثني محمد بن غياث عن محمد بن جندب عن إسحاق بن محمد النّخعي قال: حدّثني أحمد بن غياث عن محمّد بن جندب عن سيّدنا محمد بن نصير صلعم قال أحمد بن غياث قال محمد بن جندب: إنّني سمعت كتاب الأكوار عن إسحاق بن محمد فأبهرني شرحه وعظيم وصفه، فدخلت على مولاي أبي شعيب محمد بن نصير إليه التّسليم وأنا مفتون بما سمعت، فلمّا بصرني قال لي: يا محمّد بن جندب إنّي أراك مسروراً، فقلت له: نعم يا مولاي إنّي مستبشر فرحٌ شاكرٌ لله مولاي على نعمته السّابغة، إذ يحبوني بمكنون مخزون علمه، ويخصني بحمله، قال: وما ذلك يا محمد بن جندب؟

خبر حبابة الوالبية والخاتم والحصاة

قلت: يا مولاي بما قد حدّثني إسحاق بن محمد، فقال: صدق اسحاق بن محمد بما حدّثك به. فقلت: إنّه قال: حدّثني محمد بن خالد بن الأشعث. قال: صدق محمد بن خالد بن الأشعث فيما حدث به اسحاق. قال: حدّثني صالح بن عبد القدوس. فقال: صدق صالح بن عبد القدوس فيما حدث به الأشعث. قال : حدّثه يونس بن ظبيان. فقال: صدق يونس بن ظبيان فيما حدث به صالح بن عبد القدوس، قال: حدّثه بشّار الشّعيري، قال: صدق بشّار فيما حدث به يونس بن ظبيان. قال: حدّثه حمران بن أعين. قال: صدق حمران بن أعين فيما حدث به بشار الشّعيري. قال: حدّثه أبو حمزة الثّمالي، قال: صدق أبو حمزة الثّمالي فيما حدث به حمران بن أعين. قال: حدّثه جابر بن عبد الله الأنصاري. قال: صدق جابر بن عبد الله الأنصاري فيما حدث به أبا حمزة الثّمالي، قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

كنت بحضرة مولاي عليّ بن الحسين زين العابدين علينا سلامه وتحيّته ورضوانه وبحضرته جماعة من العارفين، وسيّدي أبو خالد عبد الله بن غالب الكابلّي صلوات الله عليه، وسعيد بن المسيب جالس إلى جانبي، إذ دخلت علينا أم النّدا حبابة الوالبيّة سلام الله عليها فجعلت تتخطّى النّاس حتّى وقفت بين يدي مولانا، ثمّ إنّها خرّت ساجدةً فقال لها إرفعي رأسك يا حبّابة وإسألي عمّا شئتِ وعمّا جئتِ فيه وهلمّي حصاتك الّتي معكِ حتّى أختمها لك بخاتمي هذا كما ختمها لك جدّي أمير المؤمنين وعمّي الحسن وأبي الحسين.

فاستوت جالسةً ثمّ قالت لِك ومنك البشرى يا مولاي، هاك الحصاة، فأخرجت حصاة كالدّرّة أضاءت لنا حتّى أعشى نورها أبصارنا وإذا هي مثمّنة الجّوانب لها إثني عشر وجهاً وإثني عشر جنباً فأخذها من يدها.

وقال لها يا حبّابة: إجتمعوا إليك، وأقسموا عليك، أن تخلّصيهم من حيرتهم هذه. فإنّها ليست بأوّل حيرةٍ ولا بآخر سكرةٍ فكم قد حاروا في الدّهور الماضية وكم سكرة لهم في أزمنة دائمةٍ.

ثمَّ إستخرج من إصبعه خاتمه وعمد إلى وجه من وجوه الحصاة فختمه فلقد رأينا الخاتم يجري فيها كما يجري في الشّمع، فلمّا رفع خاتمه عن الحصاة قالت له: يا مولاي سألتك بحقّك الّذي أوجبته على عبادك إلاّ دفعت إليّ خاتمك حتّى أنظر إليه.

فقال لها: إعلمي يا حبّابة ما في نفسك من نظرك إلى الخاتم وكذا سألت عنه الحسن والحسين كما سألتني وقالا لك أنتِ ممّن تلقينه بعدي. هاك ما قد سألتني يا حبّابة، لو لم نحملكِ حمله لما أطقت أنتِ ولا جميع العالمين العلويّ والسّفليّ حمله. أي والله ولو لم نقوّهم على النّظر إليه لما أطافوا النّظر إليه، ولهلكوا بأجمعهم من الشّعاع ولكنّا نحملهم بحسب الطّاقة، ثمّ دفع إليها الخاتم.

فأخذته بيدها وجعلت تتأمّله وتدمن النّظر إليه ثمّ قالت: سلّمت واستسلمت للّذي فطر السّموات والأرض، وله ما سكن في اللّيل والنّهار، وإليه يرجع الأمر كلّه، وهو على كلّ شيء قدير.

فقال لها: قولي يا حبّابة، فقالت: أطلقت لي القول يا مولاي وأنا أقول بإذنك وإرادتك، سألت جدّك بزعمي وهو مولاي بزعمي النّظر إلى الخاتم حين طبع لي بهذه الحصاة فدفعه إليّ فكان هذا الخاتم بعينه. فإذا عليه مكتوب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ سألت عمّك بدعواي وهو سيّدي ومولاي النّظر إلى الخاتم حين طبع لي به هذه الحصاة فدفعه إليّ، فكان هذا الخاتم بعينه، وإذ عليه «مكتوب الله وليّ الّذين آمنوا الحسن بن عليّ»، ثمّ سألت أباك باجترائي وهو مالك هلكي وبقاي النّظر إلى الخاتم حين طبع لي به هذه الحصاة فدفعه إليّ فكان هذا الخاتم بعينه وإذ مكتوبٌ «الله وليّ المتّقين الحسين بن عليّ». وقد سألتك الآن النّظر إليه حين ختمت لي به هذه الحصاة وإذ هو الخاتم بعينه وعليه الآن مكتوبٌ الله مولى الفائزين عليّ بن الحسين. فكلّ ذلك أجد الخاتم ما حال عن كيانه ولا تغيّر في عيانه، وقد هجس لي سؤالك عن بيانه.

فقال لي: يا حبّابة عظم عليك كون ما نحن نحمله ونمكنه، ولم يعظم عليك ما حملناكِ إيّاه وخففنا حمله عليك. فتأمّلي حصاتك واعتبري بها عن سؤالك.

قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ: وقد كانت حبّابة استخرجت الحصاة من جيبها حين دفعتها إلى مولاي، فإذا هي مدرجةٌ في خرقة حرير صفراء تكون دون عظم الذّراع، فلمّا ختمها أعادها إليه، وردّتها إلى جيبها وقالت له: والله يا مولاي إنّي خائفةٌ من يدٍ تسبق إليها وإنّها ما تفارق جيبي.

فقال: كذلك سيّرناه إليك وحمّلناك إيّاه وألهمناك، وإنّه لا يسعها بيتك ولا جيبك، فقالت له: يا مولاي إنّ في بيتي تابوتاً لو وثقت به عليها لوسع أضعافها.

فقال: ذلك ظنٌّ منك يا حبّابة وما أمرت به وأذن لك فيه.

قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ: فأعادت حبّابة يدها إلى جيبها لتخرج الحصاة، وإنّي لأرى المجلس الّذي نحن فيه يتّسع وسقفه يعلو، وسرير مولاي يعلو مع علو السّقف. فمرّة أنظر إلى مولاي وارتقائه على السّرير، ومرّة أنظر إلى السّقف وترفعه على الجّدران، ومرّة أنظر إلى اتّساع المجلس، ومرّةً أنظر إلى أصحابي الّذين هم بحضرة مولاي هل ينظرون ما أنظر.

فما أخرجت حبابة الحصاة من جيبها حتّى رأيت جبال عمان وساحل العين وأقصى السّويس الأسفل. ورأيت السّقف في قطب السّماء حيث تكون الثّريّا. ومولاي على سريره بين ذلك في شعاع نورٍ جائل يجري أسرع من هبوب الرّيح، مرّةً يمنة، ومرّةً يسرةً، ومرّةً أنظر في مغرب الشّمس، ومرّةً في مشرقها.

وبدرت يد حبابة من جيبها، والخرقة في كفّها، وحلّت عنها، واستخرجت الحصاة من كفّها، فإذا جبل أبي قبيس على كفّها ماثلاً وقد أحاط بالأرض فما أحدّه وهو يحتوي على أقطارها.

فخرّت حبّابة عند ذلك لوجهها تخور. وصعقت أنا لوجهي وأنا أقول: أمانك أمانك يا مولاي من عذابك. فسمعته يقول: إرفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي وإذا سائر أصحابي جلوس ما يداخلهم شيءٌ ممّا يداخلني. فسمعتهم يقولون: إنّ جابر بن عبد الله الأنصاري وحبابة كبيران في العمر. وهما يطيلان العبادة والتّهجّد، فهذا الّذي بدا منهما لذلك.

فعلمت أنّ مولاي ما أطلع أحداً على أمره غير أنا وحبابة، - قال- فثنيت بوجهي طالباً مولاي أبا خالد عبد الله ابن غالب الكابلّيّ فإذا أنا به في الهواء قبال سرير مولاي واقفاً. ما تحته ما يقيمه ولا فوقه ما يمسكه.

فقلت: جللت يا مولاي وعلوت، ما خصصت به بابك أبا خالد بكوامل آلائك. حتّى أقمته في سنا نورك.

فرفعت حبابة رأسها وقالت: يا جابر هلك والله الشّاكّون، وضلّ المرتابون، وتاه الحائرون. أسألك مولاي إقالتي ممّا جنيت. واجترائي على ما سألت.

فقلت: يا حبّابة من يكون وسيلة جابر في مثل هذا الّذي سألت؟ وإنّي مع ذلك أنظر إلى جبل أبي قبيس ماثلاً على يد حبّابة، وإنّه يحتوي من عجائب خلق الله ربّي على ما لا يعلمه إلاّ هو من صنوف، وأممٍ، وضروب، وعوالم، وتكاثر آكامٍ، ومفاوز، وغياض، ووحوش، وهوام. وإنّ حبّابة لا تألم بحمله، ولا تحسّ بثقله. وإنّها لتعاين من ذلك مثل الّذي أنا معاينه.

فناداني مولاي: سل حبّابة، فهل يحتوي على ما في يدها بيتها وتابوتها أو جيبها؟ فقالت حبّابة: يا مولاي لا يحوي ذلك إلاّ علمك، ولا يكيّفه غير قدرتك، ولا يسعه غير تلك. فناداها: رديّها إلى جيبك، حتّى عادت إلى هيئة الحصاة في أقلّ من لحظ الطّرف، فردّتها إلى الخرقة، وأعادتها إلى جيبها وهي ترعد، وقد ذهل عقلها، وزال عنها لبّها، وهي ترعد كالسّعفة في الرّيح العاصف، والجّماعة يقولون لها لعظم ما يرونه منها: حبّابة كبيرة السّنّ. وهي تقول لهم: الله أكبر.

فلمّا إشتملت حبّابة على الحصاة عاد السّرير إلى موضعه من الأرض، ثمّ قال لها: يا حبّابة، رأيتِ حصاتك!

فقالت: مولاي رأيت قدرتك.

فقال لها: يا حبّابة وفيها من أوصاف ما رأيت أعظم وأكبر وأكثر، ولو كشف لك عن ذلك لصغر عندك ما عاينت. فداومي الشّكر تستحقّي الزّيادة كما تقدّمت به.

فقلت «ولإن شكرتم لأزيدنّكم». فقالت حبّابة: وأنا مالي بذلك إلاّ بتوفيقك إيّاي، وإنعامك عليّ.

فقال: يا حبّابة، أيّما أعظم ما عاينت من حصاتك وما عاينت من الخاتم؟

فقالت: يا مولاي، وأيّ قدرة صغيرةٍ من قدرتك ليست بكبيرة. وأيّة آيةٍ من آياتك ليست عظيمةً. وإنّي أرى الدّنيا على حالها في الإنبساط والتّوسّع، ولا أرى في عظم ذلك كلّه غير مولاي جالساً على سريره، وإنّ ذلك النّور يترجرج بين السّماء والأرض.

فأخرج خاتمه من إصبعه فنصّه بإصبعه وقال: يا حبّابة، أيّهما أكبر في تحصيل عيانك وتحقيق عقلك خاتمي أم حصاتك؟

فحارت حبّابة ولم تجب بشيء.

فقال: قولي يا حبّابة، فليس عليكِ علم ما لا تعلمين، ولا وصف ما لا تدركين.

فقالت: يا مولاي، إنّ الحصاة أطول وأعرض، وأرجح وأوزن. وأنت بذلك أخبر وأعلم.

فغمزه بإبهام إصبعه على فصّه فخرج من جنبات الفصّ بحار تجري أحصيتها سبعاً، لا يدرك مثلها ولا وصفها. وإنّ فيها من عجائب الخلق، وصنوف القدرة، وتكاثف الشّجر، وشواهق الجبّال في وسط الجزائر ما لا غاية له. ورأيت في جميع ذلك كلّه دودة حمراء، وإنّها لأصغر شيء عاينته وحصّلته نظراً وخبراً.

قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ: ولو أنّها أمرتِ ببلع دنياكم هذه وما فيها من الثّقلين والجنّ والإنس لابتلعتهنّ، وكانت بعد ذلك كأنّها لم تأت على شيء منه، فماجت البحار شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، وسهلاً، وجبلاً، وأرضاً، حتّى خفت أنّه يكون غرقاً.

فخرّت حبّابة، وخررت معها لوجوهنا سجوداً.

فناداني مولاي: إرفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي فإذا بذلك كلّه كأن لم يكن، فقلت: جللت يا مولاي وعلوت، ما أسرع ما أظهرت قدرتك وأسرع ما أبديت عظمتك.

فرفعت حبّابة رأسها وقامت -وهي تشهد بوحدانيّة الله-: ويح حبّابة، هلكت بإجترائي على ربّي.

فقال لها: يا حبّابة لا عليك شيء. إثبتي تري أعظم من ذلك، ثمّ غمز الفصّ ثانيةً، فخرج عن جنباته عوالم ودنيا تحتوي على صنوف خلائق، وضروب أجناس لا غاية لها ولا حدّ، لم يبق لله أمّةٌ وصفت وذكرت في الدّهور والقرون إلاّ وظهرت من تحت ذلك الفصّ. فأبدوا من تصاريف اللّغات، وضجيج الأصوات، وكلّ ذلك بتسبيح وتقديس واستغاثة وتضرّع، حتّى لم يبق من الأرض موقع قدمٍ إلاّ وعليه إسمٌ.

فقال عند ذلك: يا حبّابة، هل تعلمين في ذلك كلّه قد كنت؟ وفي أمثاله قد عدت؟

فقالت: يا مولاي، لا علم لحبّابة بنشأتك لها، ولا بردّك لها.

فقال: يا حبّابة ولك إلى أمثاله مصير، وفي أشكاله نظير، حسب إرادة المريد، ونهاية التّأييد.

فغشي على حبّابة فسقطت لوجهها وخررت لوجهي ساجداً أقول أمانك من سخطك بعد رضوانك، فناداني: إرفع رأسك يا جابر، فرفعت رأسي كما أمرني مولاي، فإذا بجميع تلك القدرة قد عادت من حيث بدت، لا يعلم جابر من أين كان بدوها وحدوثها، وإذا بالسّقف قد عاد إلى مكانه، وثبت على أركانه.

ورفعت حبّابة رأسها، ونهضت قائمةً على قدميها، فقال لها مولاي: غنيت يا حبّابة وكمل سؤالك؟

فقالت: يا مولاي، ومن ذا الّذي يستغني عن اختصاص نعمتك السّابغة، وترادف رحمتك وامتنانك وإحسانك؟ فامنن على أمّتك بتمام تأييدك، وكمال تفضّلك،

وإنّي أحبّ منك، وأنقل عنك كم مضى من أمد الدّنيا من وقت تكوينها، وبدو إنشائها، وأوان تقديرها، وكم بقي منها إلى نفاذ كيانها وزوال آنها وعدم ذاتها.

فقال: يا حبّابة، طال بك علم الأوّليّة، وبَعُدَ عليك تحصيل سبق اللاّهوتيّة، فأنّى لك بذلك من الإدراك؟ وكيف تسألين عن كائنٍ مرتقب، وتقرّر أمر قد سبق يكون بكون أمد الأمد حتّى يحصل عند العوالم أنّه مُسرمَدٌ ممّا مضى في غابر الغابر من الدّهر الدّاهر، والكون الدّائر، والدّور الجّائر. فنحن ندلّ من ذلك إليك بما يثقل عدّه عليك وتحصيله لديك مذ مضى من أمد دنياك الّتي هي غاية نهاك وعليها مدى إسراك إلى مائة ألف ألف كورٍ في مائة ألف ألف كورٍ، وكلّ كورٍ منها مائة ألف ألف دورٍ، وكلّ دورٍ منها مائة ألف ألف جورٍ، وكلّ جورٍ منها مائة ألف ألف سنة، وكلّ سنةٍ منها ألف ألف شهرٍ، وكلّ شهرٍ منها ألف ألف يوم، كلّ يومٍ منها خمسون ألف سنة من سنيّك هذه البشريّة.

أحصي يا حبّابة مبلغ هذا كلّه، وأكمليه عدّاً، فإذا أتيت عليه صدقاً فأتني به أعرفك ما قبل قبله إلى سبعة أقبال وأعود بك إلى تعريف ما هو سرمد ونهاية بلا أمد وبلاغ بلا حدّ كونه كلّه بالحالين بإرادة المريد ونفاده بعزيمة المبيد.

فقالت حبّابة: يا مولاي، متى يحصل لعبدتك ما نعتّه من الزّمان الّذي وصفته على حقيقة ما نصصته، حتّى يكون له معاودةٌ إلى أخبارك بما أنت خبّرته من قبل تكوين خبرته وقد بَعُدَ عليّ وعلى جميع خلقك علم ذلك وتقديره إلاّ بطولك عند إرادتك.

ثمّ قالت: يا مولاي، وفي كلّ ذلك كانت أشخاصكم موجودة معاينة؟

قال: نعم يا حبّابة، في ذلك كانت، وفيما قبل ذلك، وقبل قبل أن يكون قبل إسم قَبل، وهو كذلك يكون بعد، وبعد بعد أن يكون بعد قبل إسم بعد، فهمت يا حبّابة؟

فقالت: إنّكم أزليّون لا تزالون، ودائمون لا تعدمون، فكنتم بأسمائكم هذه أم بأسماء وصور ومتشابهات؟

فقال: يا حبّابة، بأسمائنا هذه، وصورنا هذه، لا نحول ولا نزول عن كياننا، نغيّر العالم ولم نتغيّر، ونشتبه لهم ولم نشبه، نوجدهم في ذاتنا في قبائل وعشائر

وأنساب وأنسال، ونكبر عن ذلك ونجلّ، يجدنا أهل التّحقيق بالحقيقة ولا اشتبه علينا ما تشبّه لأهل المزاج والإمتزاج بالظّلمة حتّى يجدوا منّا مائة ألف شخص في أوان. يشهدون أنّها واحد لا ينثني في عدد ثانٍ، وذلك بحسب ما حمّلناهم من الفضل، وخصصناهم من القبول، وليس يجد ذلك منّا من يألم ويهرب ويشرب ويطعم، بل من صمد وقصدنا وكبّر عندنا وعندهم.

يا حبّابة، فالشّقيّ يجدنا بالوصف، ويشهد علينا بالضّعف، ويسلّمنا للحتف، ويصغّر منّا ما عظم قدره، ولقد نورد عليه ما يبهره ويعظم قدره وخطره، فيشهد أنّه لربّه في القدر، وأنّ فاعله من البشر، فبذلك يزعم أنّ لله شريكاً، إذ أشرك في فعل القادر مقدوراً، في خلق الخالق مخلوقاً. فهم في حيرتهم يعمهون. أفقت يا حبّابة ووسعت علم ذلك؟

فقالت حبّابة: نعم يا مولاي، غنيت حبّابة بهدايتك لها إلى معرفتك بحقيقة ذاتك، فلا تضلّها بعد هدايتها، ولا تفتنها في دينها بدنياها.

فقال: أحببت يا حبّابة فإستقيمي كما سبق في الذّكر حيث أبان « قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما [١] ».

إملاء أبي شعيب للكتاب

قال محمّد بن جندب: فقطع عليّ سيّدنا أبو شعيب محمد بن نصير صلعم الخطاب بهذا الموضع وقال: صدق إسحاق فيما نقله من صدق جابر، فهل عرّفت إسحاق عن إشارة المولى منه السلام في الوقت، وقوله في الذكر: قد أجيب دعوتكما فاستقيما إلى من كانت؟ فقلت: لا يا سيدي.

فقال: كانت الإشارة من المولى إلى جابر بن عبد الله وحبابة الوالبية، إذ كشف لهما من ستره عن جميع من بحضرته من أهل المراتب والدّرج العالية، وذلك أنّه ما عاين سائر من بحضرته من الأولياء شيئاً مما أظهره، ولا سمعوا بشيءٍ من محاورته – إلاّ من موضع وصف الأكوار والأدوار – فإنه أطرق ذلك في أسماعهم،

[١] يونس ٨٩.

ثم إن سيدي أبا شعيب إليه التسليم أخذ بإعادة ما سمعته من إسحاق من هذا الموضع إلى آخر الشرح لم يغادر منه حرفاً واحداً.

فقال: يا محمد بن جندب، ثم إن حبابة خرجت من المجلس بما أنعم الله به عليها من فضله، وتفرقت الجماعة ولم يبق بحضرته إلاّ عبد الله بن غالب، فرفع رأسه إليه ملياً، ثم أطرق عنه مليّاً، ثم أعاد النظر إليه ثانية، فقال عبد الله بن غالب: إن مولاي يريد منّي حالاً وقد علم منّي سرّاً، فأسأله لعلّ أنّه يجيب سؤالي عن إدمان نظره إليّ حتّى قال لي: يا عبد الله بن غالب.

فقلت: لبّيك يا مولاي.

فقال: إن أصحابك خرجوا فوقفوا بالباب بمقدار ما رفعت رأسي إليك بالمرّة الأولى، يراودون أنفسهم بالرجوع والسؤال عن شرح الأكوار الّتي ذكرتها لحبابة، وذلك أنّهم قد استعظموه واستكبروه.

فقال لهم جابر بن عبد الله الأنصاري: دعوا المعاودة لوقت ثانٍ، فسئموا عن الباب برهة بمقدار إطراقي عنك، ثم إنهم وقفوا بباب جابر بن عبد الله وقالوا: إنّا ما نلتذّ بعيشٍ وفي أنفسنا ما فيها من عظم ما سمعته، ونخاف أن نهلك قبل السؤال عن ذلك، وكان وقوفهم بمقدار ما أعدت نظري ثانيةً، فقال لهم جابر بن عبد الله: أتدخلون إلى داري وتجتمعون على رأي بالسؤال فإذا اتّفق الرأي أتيتم باب عبد الله بن غالب وسألتموه الإذن بالسؤال من مولاكم، ويكون هو السائل عن مرادكم والمؤدي إليكم عنه، – فكان ذلك بمقدار إطراقي عنك ثانيةً–.

وإنهم أجابوا جابر بن عبد الله إلى ما أشار به، فدخلوا إلى داره وإنّهم يسألونك أن تستأذن لهم منّي بالسؤال، وأن تسأل أنت وتخبرهم كلّهم بأجمعهم، على ما ذكرته وشرحته لك مدّة نظري إليك ثانية. وإنّهم وقفوا لك بباب جابر بن عبد الله الأنصاري يرتقبون انصرافك من حضرتي ليلقوا إليك ما في أنفسهم من السؤال الّذي أجمعوا عليه.

وسؤالهم يا عبد الله بن غالب:

يسألون متى تسمّى الله باسمه المشهور، وكم الحد بين إرادة الاسم إلى أن تسمى، وحين تسمى لمن تسمى به حتى عرفه، وهل كان قبل ذلك غيره متسمى باسم، وعلى أيّ نعتٍ كان إن كان غير متسمى؟ وما مبلغ الحدّ في تسميته المسمي له حتّى سمّاه؟ وما إرادته في تسميته لنفسه، أم مسمٍّ سمّاه واخترع له اسماً ارتضاه فتسمّى به؟ وكم الحد بين إرادة الإسم إلى النطق به إن كان هو المسمي لنفسه؟ وكم الحدّ بين ما التّسمّي إلى أن خلق ما سمّي به؟ وبعد كم أطلق النّطق الّذي تسمّي حتّى سمّاه؟ وهل خلق شيئاً قبل اسمه؟ وما الّذي خلق بعد اسمه؟ وكم الأجل بين ما خلق بعد اسمه وبين خلق اسمه؟ وهل الاسم غايته أم هو غاية الاسم؟ وما كوّن بعد ذلك في بدائه إذ هو الأبد، وعلام دهَّر الدّهور وأدهر الدّهر؟ وعن احتجابه بحجاب، أهو المحتجب بالحجاب، أم الحجاب المواري له عن الوجود؟ وتناهي الأكوار السالفة وأوصافها، وبدو ذواتها بالقدم مع الاسم، والقديم الّذي قدم إليه بالإسم؟ وكون العالم النّوارني. وسبقه من قبل المزاج، وكون الممازجة؟

و أنا أشرح لك من ذلك ما يعجز أفهامهم عن سؤاله، ولا تهتدي عقولهم لإيضاحه. فعه منّي وألقه إليهم عنّي، وابدأهم قبل السؤال. وسارع به إليهم، فإنّي عليهم شفيق، وبهم رفيق، وأنا أجريت ذلك عليهم بالقدم، وسبقت لهم فيه سنناً ما ليست هذه بأُولٍ، ولكنها جاريةٌ في البشريّة، من الآدمية إلى المحمّديّة ولهم في كل آدمٍ أقام بهذا السّؤال، يعرفونه خبراً، ويستيقنونه علماً. حتّى إذا أفل ذلك العالم، وطلع بعد، –لقوله في سورة الكرّة أفهمتهم– أفتِهم لهذا السؤال وغيره من الأحوال ليكونوا أدلاّء على ذلك العالم، وهداته وسبيل العالم عن وفاء عهودهم بما قد كان، بما عاهد عليه الله، وهل عرفوا حجّة من الحجج الماضية؟ أو نبأً من الأنباء السّالفة؟ فهؤلاء ذكر كما قلت لهم على لسان النّاطق إليه حين نطق بالإسم قال: «ولقد أنزلنا في القرآن من بعد الذّكر[1]»، ونطق به فقال:«إن هؤلاء ذكرٌ وقرآن مبين[2]». وقال: «إنّ هؤلاء ذكر للعالمين[3]». وأمثاله كثيرةٌ، فهؤلاء هم الذّكر كلّ ما يخرج إليهم

[1] الآية في سورة الأنبياء ١٠٣ هي : « ولَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُون »، وقد أوردت بشكل مختلف في الكتاب.
[2] وردت الآية في سورة يس ٦٧ قوله :« إِنْ هُو إلاَّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبِينٌ »
[3] الآية في سورة ص ٨٥ هي : « إنْ هُو إلا ذكرٌ لِلْعالَمين »

ليذكروا به، فعنّي إليك يكون. أنا أخرجه وأنت مَوردُه إليهم، لا يذهلون عن حفظ ما أنطق لك، ولا تذهل فتحفظه، فلا يشتكل عليك، وكذا رتبتهم بحفظ ما تورده إليهم عنك، فهل أنت لموضعهم من الحاجة بالسّؤال عمّا هم فيه راغبون؟

قال عبد الله بن غالب: فقلت: يا مولاي، ومن ذا الّذي يرغب عن رحمتك، ويملّ من عطائك أنت كلّ حين في شأنٍ، وتبدّل حالاً عن حال، وتسلك الأوفى وتفتق الرّتق، وترتق الفتق، وإن سألك سائلٌ أعطيته سؤله، وإن عدل عنك طالبٌ أفضت إليه وموّلته حتّى يقنط العطاة من عطائك، وتتجبّر الطّغاة بنعمائك، فلك الأمران عسره ويسره، إن بشرت بذكر شأن ما ذكرت، وإن حبسته حبست.

فقال مولاي: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ»[1] – وحبس نطقه – فبأزله آليت لقد جدّد إليّ عوالم عنها في هذا السؤال وأجراه إليّ، فألقيته إلى من في العدّة للسّؤال، فلا تبلغ عدد ذلك العالم هِمَمُ العقول، ولا تحيط بها كوامل التّحصيل، ولو مُدّ بالسّبعة الأبحر كما قال:«ولَو أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ[2]»، وكلّ كلمةٍ عالمٍ لمقام وذلك من حيث أوجده من نفسه، فقال: « كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ [3]» فكان مقالته، وعالمه **الكلمة**، فلو أنّ ما في البحر يمدّه من بعده سبعة أبحرٍ ما أحصي بها عدد مقاماته في عوالمٍ أظهرها ويكرّرها.

أفحويت من ذلك على علم شرح السّؤال من الأجوبة المتقدّمة عندي، وكان ذلك بقوله:«يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ».

فخررت ساجداً ألوذ به وأقول: سيّدي ها أنا عبدك ومقصد أوليائك وباب هداك أثبت تحت سرّك، إذا شئت أخذت، وإذا شئت أعطيت، فكيف يكون من هو معنّفٌ مأخوذٌ وطالبٌ مجهودٌ أسألك إثبات أوليائك.

فقال: يا عبد الله. سبقت الرّحمة الغضب.

[1] سورة البقرة آية ١٨٥.
[2] سورة لقمان آية ٢٧.
[3] سورة النساء آية ١٧١.

فقلت: مولاي، الرّحمة اسمك، ونفسك وعرشك وحجابك، وكون ذاتك، والغضب ضدّه إذ لا ضدّ لك.

فقال: يا عبد الله **أثبتّ العالم النّورانيّ العلويّ، وأضفت إليه علمي بالعالم السّفليّ، وكونه**، فكانّ علمي بتكوينه وكونه وذاته ووجوده، كما كان كون العالم النّوراني ووجوده، وبين ظهوريهما ما قد حفظته ووعيته السّاعة، وما أنا معيده عليك عند كون الرّحمة، **فأوقفت العالمين على سنا نوره وضياء برهانه**، وتناهي شأنه وملكه وسلطانه، وأوجبت لها أنّه الخالق لها، والمكوّن لذاتها، إذ أذنت فيها وقدمت إلي حواس جواهر عقول الطّاعة له والانقياد والرّغبة والاجتهاد. فكانت بعلمي في غيبي لائذة به ناظرة إليه، وأجّلت لها فيه أجلاً بمقدار ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ بوصف ما قدّمت إلى حبابة من نعت الأكوار وأوصافها.

ثمّ كان علمي وإرادتي إيجاد الغيب بعد هذا الأمد، وأوقفها ذلك الموقف من علمي وغيبي، وأذنت إلى كلّ ذي فهم فيها من الرّحمة وصفات فيهم من الغضب مثله، وأثبتّ لها عتوّه وطغيانه، وتمرّده وعدوانه وكفره. حتّى كمل لها أوصافه وكفره، وخلافه، ثمّ المحنة في مهاوي الظّلمة والقتم والبهمة والعتم، فساح في هلاكه وركد في ارتباكه، فتحزّب له من العالم أهل الشّقوة وطالبوه بالهمم وهم لا كونٌ ولا علمٌ ولا ظلمةٌ ولا نورٌ، وعدل عنه أهل السّعادة إلى بدو كون العادة والمادة، فلن يشقى من سعد ولن يسعد من شقي، وسبق السّابق ما سبق إليه، واستوهَقَ المتأخر بما وهَق، فلن يضلّ من هدي ولن يهدى من أضلّ كما قال تعالى ذكره: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ[1]».

خروج عبد الله بن غالب الكابلي

قال عبد الله بن غالب: فأسرّ عنّي مولاي بما كشفه لي خوفاً على أولياء الله وأصفيائه وأهل خيرته وأحبّائه، وكلّ من اختاره الله وحباه في سائر رتب الاقرار والإجابة على حقيقة الوحدانيّة وصحّ لهم عندي عن مولاي وفاءً بما عاهدوه عليه

[1] سورة الشورى آية ٧.

وأجابوه إليه، لا يزيلهم عنه، ولا يسلبهم إيّاه، وأن ليس عليهم خوفٌ غير الذّنوب والتّقصير، فإن أذيلتا هاتان الحالتان عنهم لحقوا ملحق الامتحان.

ثمّ إنّ مولاي بدأني فقال: يا عبد الله إذا سألك أصحابك عمّا أخبرتك به فأجبهم عنه بما استودعتك إيّاه، وكن من الشّاكرين.

ثمّ قال لي: يا عبد الله «سنقرئك فلا تنسى[1]»، فبان له لقد صار شرح ذلك على لسانه يجري كذلك لمولاي لأمتثل ذكره ولا أفتر عنه، وخرجت وهو يتدافق بين جنبيّ حتّى أتيت جابر بن عبد الله وإذا بالجّماعة قد بدروا إليّ.

فقلت: ما شأنكم ومن أنتم وكم يكون هذا منكم في كرّةٍ بتذكرةٍ وعصرٍ بعد عصرٍ كأنّكم تعرفون قوله في أمثالكم حين يقول: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وهُو مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ[2]» فنكس القوم رؤوسهم وألبسهم الخشوع والخضوع واشتملَ عليهم الفزع والهلع، ولم يكن منهم إلاّ ذو مقامٍ محمودٍ وأثرٍ موجودٍ من يتيم مختارٍ ونقيبٍ منقّب، ونجيبٍ منجّب، وذو رتبةٍ عاليةٍ ومنزلةٍ ساميةٍ.

فقالوا: يا حجّة الله وباب رحمته ما الإقالة من الذّلّة؟

فقلت: على ما أنتم تضمرون، فقد أنبأني بمحاورتكم عند وقوفكم، وتعاود المحاورة عند خطوكم، حتى لم يدع لكم سرّاً إلاّ أعلمنيه ومقالاً إلاّ عرّفنيه، ثمّ إنّه شرح لي سؤالكم، وأبان لي عن جوابكم وأمرني بكشفه لكم ودراسته عليكم لتستحكم الحجّة له في عباده، وتنفذ أحكامه فيهم ومراده.

فإذا أبديت لكم علم إرادته وكون مشيئته في سابق علمه، فعُوهُ علماً وحَصّلُوه فهماً، ولا يمرّ على مسامعكم صفحاً ولا فصحاً.

[1] سورة الأعلى آية ٦.
[2] سورة النساء آية ١٠٨.

قول المولى — بدء الكتاب —

يقول مولاي وقوله صدقاً وعزمه حقّاً: إنّه أزلٌ بغير نهاية أزل ما في بدو تكوين حين ما هو كذلك. أزل بغير نهاية ولا في غايةٍ حدّ. أجل تكوين حتّى ما لا يقع بوصف أزله وصف واصفٍ ولا علم عالمٍ، بل هو حيثه ولا حيث له، سرمداً أبده إذ كان هو سرمده وأبد واحده، إذ كان هو أبده فلا نهاية تحويه ولا غاية تبديه، ليس بكيان كونٍ فيقال له كان، ولا بذي هيئة فيقال له متى أبدى لاهوتيّته بغير هيئةٍ، أقام أزله لا بأمدٍ ما كان بذاته لذاته، إذ «لم يلِد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد[1]».

قبل تكوين كَونِ حجابه، وقبل تداني وقوع اسمه عليه، ما احتجب عن ذاته بذاته، بل كان علمه باحتجاب وجود احتجابه لذاته، فأزّل أزله على علمه إلى حيث أبدت إرادته في أزله الكون اسمه بكون التسمية فأجال نوره في أزله مائة ألف كورٍ كما وصفها نوراً رجراجاً، ثم أوقفه قبال أزله يلحظه بإرادته مائة ألف كورٍ حتى أمسكه عن ترجرجه، فأسرع يقدّ نوراً ساطعاً كذلك في أزله مائة ألف كورٍ، ثمّ أدناه منه حتى صار كقاب قوسين أو أدنى، فكان منه مدى مائة ألف كورٍ، وقد كان قبل ذلك في أزله في الأوصاف الّتي شرحت على ما لا نهاية له ولا وصف عليه، فلمّا أدناه منه كان على مدى مائة ألف كورٍ من أكواره النّورانيّة، فأوقفه على ذلك الدّنوّ مائة ألف كورٍ، **والقوسان اللّتان نصّ عليهما هما موجودتان يظهران في كلّ أوانٍ**، ويفرح العالم إليهما ويستبشرون بهما وهما قوس قزح الّذي يسمّيه العالم به وهو يأخذ حيث لا يحدّ من الأفق ولا يعلم نهاية امتداده إلاّ أزله، **وللقاب بين القوسين ما بين الحمرة إلى الخضرة الّتي يراها العالم متلاصقة**، ومثله ما كان بين الأزل وبين نور كون اسمه وهو مائة ألف كورٍ ممّا وصف، وكذلك بين الحمرة والخضرة، لا كما يعاينه أهل الحيرة، ثم إن قلتم إنه لحظه بستر غيب علمه لما يراد، فماج واضطرب، فترجرج كهيئته الأولى وعاد إلى كيانه من المكان الأول في الأزل تعظيماً وإجلالاً وإكباراً لو أنّه مكوّن الكيان لموقع اسم الأزل **فدار لذلك حتّى صار**

[1] سورة الاخلاص آية ٣ - ٤.

كالضّباب، ومن ذلك النّور إنشاء للضّباب حين حلّ به المحلّ المبهر، فجال في أزله على ذلك الحال مائة ألف كورٍ.

ثمّ تكاثف واجتمع وركد بحيثه الثّاني مائة ألف كورٍ ساكناً لا يقدّ خوفاً، **ثمّ أوقد مائة ألف كورٍ** حتّى إذا كملت له عدّة الأكوار أدناه فدنا إلى حدّه بالدّنوّ الأوّل، فوقف في رتبة الدّنوّ مائة ألف كورٍ ثمّ لحظة بعلم إرادته أنّه مكوّن لموقع التّسمية، فهو ذاهبٌ قد بدت له الهيبة عن كون ذات الكيان الّذي كان به مكوناً، فقام في ذهابه مائة ألف كورٍ، ومثل ذلك في رجوعه، كلّ ذلك إجلالاً لغايته، وهو وأوصافه على ما تقدّم سبعاً فأنحله بهنّ تكوين سبعٍ شداد لعظم ما عاناه بخوفه وحذره، فلمّا تمّ به المداد وأوقفه، أدناه بحيث الارادة لحظةً لَحظةَ الرّضا منه بالإجابة إلى وقوع الاسم فيما لحظه من علمه بلحظة الرّضا انفرد شعباً شعباً وأجزاءً بعدد ما سلف من الأكوار الّتي أهمل فيها فمرّت تلك الشّعب في كون الأزليّة كلّ شعبة فيها كدنياكم هذه سبعون ألف ألف مرّة. وهي نورٌ قد أعمّ كون تكوين ما يراد كونه، ونعت فقال: «اللّهُ نُورُ السّماواتِ والأَرْضِ» لمّا وقع عليه علمه بكون تقرّبه في الشّعب، ثمّ إنّه بدا له فناجاه في خفيّ علم إرادته، وكانت تلك المناجاة إرادة منه له بما به كوّن، فتلاومت الشّعب من حيث علمها معه بكن قبل قول كن فصار ماثلاً في حيث الدّنوّ الّذي هو محلّه من الأزل، فأبدا إليه بعلمه أنّه مبين عن اسمه الّذي هو علمه، فرتّب في ذلك المقام من الأزل مائة ألف كورٍ **ثمّ أمدّه بالقدرة المادّة من علمه**، فثبت فيه القدرة مائة ألف كورٍ مستحكمة العظمة، ثمّ يلج بالقدرة للنّطق والأخبار، فلَحَظَهُ بعلم البيان المتبيّن، فأبدى نطق شهادته له وتسمّى بالإسم الّذي أنحله وجعله كون المحلّ العلويّ ونهاية العالم البشريّ وغاية كون تكوينه، فقال: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ» اعترافاً إذ كان هو الشّاهد لإلهه أن لا إله إلاّ أنا، عند التّسمّي بهذا الإسم، وإنّ شهادتي بتّنا إقرار له **وأثنى عنّي فأبّدَهُ فصار معناه الأزل، وصار هو الأبد، فلم يزل في أبده مع أزله عدد ما مضى من الأكوار السّالفة على تلك الشّاهدة الّتي شهدها**، ثمّ أراد بإرادة الأزل تكوين كونٍ فوجد وجود التّكوين من حيث إيجاد بدو مراد المريد، فكثّف من نور ذاته كثيفاً كثّفه مائة ألف كورٍ، **ثمّ رمقه بلطفه** مائة ألف كورٍ، وحبس الكثيف في سرّ الغيب الخفيّ لأمرٍ فيه يراد، ثمّ أمدّ اللّطف حتّى أوسع به ذهاباً وأمدّه سراباً فينبجس من وهمه في وهم مريده، ويعود ببدوه إلى إعادة

معيده، فتدجّن من وهمه وتقتّم من وهمه لا بحسّ حسّ ذاته ولا يعلم حيث نهايته، وناءَ واحتبس في علم إرادة مريده، وغيّب القدرة في بعيد السّطوة مائة ألف كورٍ لا يبدو منه إذن ذاته، إذ ذاته الغاية وهو نهاية الإذن في مراد ذاته، فلمّا أكمل مائة ألف كورٍ **غيّب الغاية نوره عنه، وحبس ضياءه فيه فاختلط كثيفه ولطيفه**، ثمّ أمدّه فأذهب به ولاشاه حتّى تحمّل كرمادٍ اشتدّت به الرّيح في يومٍ عاصفٍ فلحظ مكوّنه فعدمه عن كيان تكوينٍ وعن كيان تكوّنٍ، وكان بكونه، فعاد بعودة الشّهادة الثّانية، فقال: لا إله إلاّ أنت سبحانك، فكان مقرّاً لمعناه وأزله بأنّه الغاية وهو المكوّن لكيانه وأنّ كلّ مكوّن هو تكوين مكوّنه، وكلّ إرادة مريدٍ هو مريده، وأنّ لا حيث ولا حدّ غير حيثه، ووقف عن الإعادة إلى شيء من المراد السّابق له في كلّ تكوينٍ كائنٍ مائة ألف كورٍ يشهد باسمه الّذي أنحله الأزل معناه، وهو نور كلّ كيانٍ ومكانٍ في العالم النّورانيّ وليس بكون الوجود والعيان بل بتكوين الإرادة إلى المراد الّذي قد علمه الإسم وأوجد تكوينه، وتناهي القدرة المادّة من الغاية إليه في تكوينِ ذلك، وإنّه بإرادة الأزل يكون تكوين ما يريد تكوينه إذا رأى عدم ما أوجد ذاته، فلمّا أكمل له المدّة وهي مائة ألف كورٍ مدّة الأزل بالإرادة من حيث إرادته ليبدي القدرة من ذات قدرته، **فلحظ الحيث الّذي حيثه والنّور الّذي كثفه ولطّفه، فوجد في الحيث كلّه نوراً بسيطاً ما فيه كثيفٌ ولا لطيف فلحظه بالمراد منه فيه فزاد بسيطاً** ثمّ حبسه في البسط فوقف عند علم مريده فعلاه يذهب به في علوّ غيبه مائة ألف كورٍ، ثمّ حفظه فذهب به في خفيّ خفوض غيبه مائة ألف كورٍ.

ثمّ أعاده إلى حيث حبسه في البسيط فكان بحاله في تكوين ذاته لا عوج فيه ولا أمتاً، فحلله ورجرجه، فتحلل وترجرج فأهمله متحلّلاً مترجرجاً مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظه فسيّره فسار مائة ألف كورٍ وهو متحلّلٌ مترجرجٌ سائراً وكمّل له فيه الإرادة على تطاول مدّة الأكوار السّالفة فيه، وكان تكوين ذلك وثباته لمكوّنه الّذي هو اسمه بتأييد غايته الّذي هو المريد، **فأمدّه الغاية الأزل بإرادة الغيب منه، فذهب به في خفيّ الوهم، وحبسه في نهاية وجود الغاية المكوّن له فأعدمه وجوده، وأرساه في سرّ قدرة مقدّره**، فلم يحبسه وهو بذاته وكيانه في تحلّله وترجرجه وتسيّره ما حال عن حدّ تكوين المكوّن إلى تغيير حال مغيّره بل كانت إرادة الأزل فيه جاريةٌ قبل تكوين مكوّن كيانه عند تكوين مكوّنه له، وفيما بعد تكوينه، إلى حيث

تناهي التّكوين فيه، ولا أزال عنها في حدّ تكوين مكوّن غيره بل يجري به قدرة القادر له بمراد المقتدر عليه عدلاً بذلك في تكوين مكوّن يكون عن المشاركة في إرادة تكوين مراده.

إذ كانت الإرادة منه هي تكوين كلّ كيانٍ يكون من مكوّن فلمّا أجراه بحيث ما أجراه من محلّ قدرة إرادته أمر المكوّن بوجوده ما كان كوّن **فلحظه للمراد منه فلم يحدّه، ولم يحبسه فخشع عند وقوع قدرة الاقتدار على حيث تكوينه، فوقف موقف الخشوع** مائة ألف كور، ثمّ عاد بالشّهادة والتّسمية لأزله فقال:«الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم» فأراد بذلك أنّه الغاية الّتي هي أزله وغايته ومعناه وهو مبدي كلّ مبتدي، يبديء ويعيد وهو مقيمه عند تكوينه الكيان له وبه تكوين المكوّن، فكان بهذه الشّهادة مائة ألف كورٍ لا يجد شيئاً عن كيان ما كوّن، فلمّا أكمل له المئة ألف كورٍ أمدّه الغاية الأزل بكون الإرادة منه لإرادته، **فلحظ الحيث الّذي كان يلحظه فوجده خيالاً لا نوراً يجول به ولا ضياءً يكثّفه ولا ظلمة تحوطه،** وإذ به هامداً غير أشباحٍ فسيّره في مسيره ثمّ أمدّه بنوره، فامتزج وتلاحم، فاختلط وزال عن كيان التّجزيء والتّمييز، فأوقفه في كيانه مائة ألف كورٍ يلحظه في كلّ كورٍ منها لحظة، فيصفو عند لحظته حتّى جعله في تداوم ملاحظته كما الدّرّة البيضاء.

ثمّ إنّه لحظها، فسمّت علوّاً في المراد من القدرة **فأوقفها** فيه مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها بعد ذلك فأضاءت تشتشعاً مائة ألف كورٍ **ثمّ لحظها** فأنارت مائة ألف كورٍ، ثمّ أزالها عن كون المستقرّ منها، **فأمدّها بحيثها** مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظها** فذهب بها في غيب قدرة ذات اليمين مائة ألف كورٍ، **ثمّ أعادها إلى الحيث،** فأوقفها مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظها** فذهب بها في غيب قدرة ذات الشّمال مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظها فأعادها إلى الحيث،** فأوقفها مائة ألف كورٍ، **ثمّ عظّمها فذهب بها في جميع ما ذهب بها في علوٍّ ويمينٍ وشمالٍ، فملأه بها ووسّعها وأقرّها بحيثها مائة ألف كورٍ،** ثمّ لحظها ولطّفها، فأوقفها بحيث لا تعلم هي أين انتهاؤها من ذلك الحيث الّذي هي فيه، فأوقفها فيه مائة ألف كورٍ، **ثمّ إنّه لحظها فأحبسها** فكانت بحال الحبس مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظها فأوجس حسّها** فكانت بحال الحبس والحسّ مائة ألف كورٍ، **ثمّ قدّم فيها قدرة المراد** فكانت بتقدّم قدرة المراد فيها مائة ألف كورٍ، **ثمّ أبداها لكون تكوين الإرادة منها ببدئها لكون تكوين الإرادة منها** مائة ألف كورٍ، **فلمّا تكامل للمريد فيها**

إرادته وصمد لتكوينها ذهب بها إرادة الغاية فخفيت عن مكوّنها بحيثها لأنّه حجبها [ما حجبها] **عنه بحجاب ولا ركّب من دونها رهاباً بل كانت هي بحيثها واقفةً عند إرادة المريد لها وكان المريد لكونها محجوباً عن وجودها بإرادته إذ كان هو غايته وأزله.**

فلمّا احتجب الكيان [و عن] من المكوّن سلم كون القدرة من تكوين ما كوّن أنه ليس بكائن إلاّ عند إرادة المكوّن لكونه وكيانه فسلّم القدرة أمره إلى المقتدر القادر الّذي ترجع أسماء المقتدر إلى ذاته وهو ذاتها وغايتها **فوقف موقف التّسليم** فأبدأ الشّهادة له باسمه المنحول له، وأماط عنه أن يكون هو غاية اسمه، فقال الله: «لا إله إلاّ هو الملك القدّوس» فردّ بهذه الشّهادة إليه أنّه غاية علم كلّ مكوّن [كيان] مراد تكوينه ومنه يمدّ علم الإرادة إلى المريد، فوقف عند شهادة التّسليم والتّسليم مائة ألف كورٍ لا يراجع الملاحظة إلى حيث كان تكوين ما كوّنه علم بحقيقته عدم ذلك، وأن ليس إلى وجوده وجود إلاّ بإيجاد مراد الأزل الموجود، **فلمّا كمل له مائة ألف كورٍ أمدّه الأزل بعلم إرادة تكوين كونٍ فلحظ الحيثِ الّذي كان يلحظه فوجده مشعشعاً نوراً وضياءً فأجاله في علم مراد تكوينه مائة ألف كورٍ ثمّ لحظه بقدرة حدّ كيانه فيمَ ولمَ مائة ألف كورٍ لا في إحالته إزالةً إلى حال تغييرٍ وإحراك وتسيير، ولا في ملاحظته أبداه بحال كون تكوينٍ.** بل كان ذلك من الإحاطة في علمه وإرادته بحولٍ وكانت الملاحظة في سرّ القدرة تكوين ما يكون، ثمّ أعاده إليه ملاحظة في سرّ القدرة تكوين ما يكون، **ثمّ أعاد إليه ملاحظة الإرادة فدكّه دكّاً** فمرّ في تدكدكه مائة ألف كورٍ حتّى سوّاه، فاستوى، **فدنّاه ثانية بملاحظة القدرة لمريده، فعرّجه ودرّجه وسهّله وجرّبه،** وأهمله على كيانه مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظه فخفّ في محمله حتّى صار لو مرّت به الرّيح لألقته في مكانٍ سحيق،** فكان بحاله مائة ألف كورٍ.

ثمّ إنّه لحظه فأزاله إلى حالِ التجسّي والتّنقّل حتّى صار بأعظم التّناهي في العظم من تحسّيه، فكان في ذلك مائة ألف كورٍ، **ثمّ بثّه فأنبت في مرام علمه من إرادته فيه** فكان في انبثاثه كالفراش المبثوث مائة مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظه فتلاصق انبثاثه، واجتمع في تلاصقه كالكوّة الخرقاء وهي في حال اتّساع الانبثاث،** لم يفصل عنها من السّعة شيئاً في التّلاصق والاجتماع، **فأدامها في حالها مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها فأجراها بأربع مخترقات نافذات بعضهنّ إلى بعضٍ، وهي تتخالف**

منها بإزاء مخترق توازيه، وهي مستديرة باستدارة الكوّة، فكانت كذلك مائة ألف كور، فلمّا أراد كون كيانها بالكون الّذي أكانها له بالقدرة الّتي أبدى بها إبداءً إليها الغاية وهي قدرة علمه بإرادة المريد، فأودها أن [أنّه] ليس كونها وتكوين كيانها ذات مكوّنها الّذي أمدّ من تكوينها ما أمدّ وأنّ غاية التّكوين وكون كيان المكوّن إرادته للتكوين فاندحت في غيب علم الغاية بحيث لا يعلم المكوّن أين حلولها من ذات كيانه **فثنّى بالنّظر إلى محلّ القدرة الّتي أبداها لمريده، فعدم ما أوجده ذاته من كون كيان ما كوّن فراجع العزمة إلى تعظيم الغاية بتسليم كون الإرادة وتكوين الكيان له وأنّه أزله فأبدى له بالشّهادة على العادة وإدمان الانقياد إلى ذات المقتدر على اقتدار القدرة الّتي اقتدر بها على تكوين ما كوّن من الكيان،** فقال ينفي عنه المعنوية وإقراراً أنّ معناه هو غايته وإلهه لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشّهادة، فكان ذلك إقراراً منه له بأنّه يعلم سرّه وعلانيته وأنّه موضع الإرادة [إذا أراد] والكون إذا كوّن بإبدائه له يبدو ما يبدي بتكوينه بكون ما يكون ولا يسبق بإرادته إلى حيث كون مراده، بل تنقاد به القدرة من مقدّره إلى حيث الإرادة من مريد مراده حتّى لا يوجد ذاته إلاّ بذات ذاتها، بل الذّات هي الأزل الّذي هو غاية ذات ذاته.

فكان بكون هذه الحال من الانقياد مائة ألف كور، لا يراجع فيها الحيث الّذي يبدي له فيه إرادة كون ولا يطلب فوات ما كوّن من كيانه كيف فات ولا أين حلّ من محلّ القدرة الّتي هي قادرة له وعليه لأن علمه بها كاملٌ ونظره فيها ثاقبٌ، قد شمله بها الغاية الأزل، وجعله محلّها ومعدنها، وحيثها، وإن كان البدا يبدو من مبديه عند كلّ بداء يبديه وكون يكوّنه، فإن ذلك إكمال عند القدرة وإتمامه له المراد فيما يريده لأنّه أقامه فيه مقام عدم ما كوّن ولا يوصف، وعاجز عجز عن بلوغ تكوين ما يكون بل كان ذلك كلّه منه جارياً بحال إرادته الّتي بدت له فيه كامل اللّون في جميع ما أظهره من التّكوين، وما كان مريده به ليكون أبانه بتكوينه في كيانه ما أبداه له.

فكان في جميع ذلك مكوّناً مريداً وكان ما كوّن كائناً، فلمّا قضى مدى مائة ألف كور أمدّه بإرادة التّكوين خامسةً وقد كانت الموادّ إليه بما سلف إليه إلى هذه المادة أربع على ما شرحت لكم.

فهل أحصيتموه عدداً أم غمر عليكم ترادف الأوصاف وتكاين الأكوار؟

فاستعظم قدرة القادر القدير، فالمقتدر واحدٌ أحدٌ ذاته لا حدّه فهو أحدٌ الواحد الّذي هو أحد الآحاد كلّها وعليه بدؤها ومعادها، وهو الإسم الّذي هو الله لا يشاكله في الأسماء شكل ولا يلمّ به شبه ولا يدخل عليه تعارض، إذا قيل الله كان بذاته أحداً، فإن نعت إلى حدّ الوصف والنّعت كان القول به الله واحدٌ ولا يقال الله إثنان ولا ثلاثة كما أبان، وقال الله «لا تتخذوا إلهين اثنين إنّما هو إلهٌ واحدٌ» فأوجدكم أنّكم إذا قلتم الله أحدٌ فهو أن الغاية أحدٌ والله اسمه، فإذا قلتم الله واحدٌ فهو أن الواحد الإسم وهو اسم الأحد كما أبان في التّسمية أيضاً فقال:«قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا له الأسماء الحسنى» **فالرحمن هو الأحد والله اسمه، فإن قلتم الرحمن فهو الغاية، والله اسمه، وإن قلتم الله الرحمن كان الله اسم الرحمن، وقد أبان لكم ذلك مشروحاً مكشوفاً مفسّراً له لم يخرج في أبده إلى معاودة الكشف، فكشف حين قال «الرحمن على العرش استوى»،** وقد عرّفكم العرش والرّحمن واستواءه عليه.

فإذا تداومت عليكم نِعَمُ مولاكم بما أذن فيه لي ببثّه إليكم وشرحه لكم فكونوا عند كلّ لفظةٍ شهوداً، فكم من شاهدٍ يحوي وهو مفقودٌ وكم من فقيد مضى وهو موجود.

نداء الجماعة لمحمد بن جندب

فقالت الجّماعة: يا محمّد بن جندب، سل أبا خالد عبد الله بن غالب، وقل له: يا باب الله وعيبة علمه، ومعدن رحمته، الجّماعة تسألك إقالة الزّلّة وغفران الغفلة عمّا قد علمته منّا ومن غيبٍ [غيبة] أنفسنا وما اطّلعت عليه من خفيّ سرّنا بما أحصينا ممّا سلف من إرادة المريد لكون التّكوين لعظيم شرح تأويله، وترادف نعت أوصافه وعجائب كون تقديراته بقدرته حتّى أنّ العقول لتذهل عن الإحاطة والتّحصيل وتنحسر عن الإدراك والتّكميل، وقد علمت أنت منّا أنّا ما حفظنا ما قدّمت شرحه ممّا سلف من إرادة تكوين المريد.

فقال لهم عبد الله بن غالب: إنّ مولاي ناداني فأسمعني أن أعرّفكم ما سلف من توقيت إرادة المكوّن، فقد أبهرهم ما نورده عليهم من الشّرح وأين لهم عن الّذي

نبديه لهم من التّوقيت فيما يستأنفه لهم من بيان تكوين مراد المكوّن ليكون ذلك كامل عدّه ونعته، ووصفه، وكونه، فعن أمر مولاي وعلمه بكم أخرجت إليكم، ولو لم يناديني به لما علمته لأنه يقول:«وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» وقال: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى» فإنه لمّا ارتضاني، أطلعني على غيبكم، فعلمته من علمه، فلمّا سمعوا ذلك من أبي خالد خرّوا لوجوههم سجّداً، فتناهوا في غمرات الاستغفار.

حتّى ناداهم عبد الله بن غالب: ارفعوا فقد غفر لكم ما استغفرتم من التّفريط فيه واعلموا أنّكم إذا جلستم إليّ بمجلس الذّكر لعلوم الله مع الأولياء فإنّما بمجلس الله جلستم، وإذا تلا عليكم أحدّ شيئاً من علوم الله، فالله هو التّالي عليكم والمخاطب لكم إذ كان الإذن منه والأمر إليه، فلا تعرضوا عن المجالس لكم، فإنّ في ذلك إعراضكم عن الله.

و اعلموا أنّ الله مداومكم ما دمتم على الانصات إلى علومه، والاستماع للفظه والاستئثار بمجالسه ومشاهده، وإن أنتم عدلتم عن ذلك عند حلول نعمه عندكم وأياديه إليكم، بدّلكم بها بؤساً وحسرةً وندماً يطول بكم فيها الكرّ بعد الكرّ حتّى يخلّصكم بمنّه وغفرانه.

فرفعوا رؤوسهم وهم يقولون: أمانك ثانية يا مولانا من أين علمت أنّه قد غفر لنا؟

فقال: بذلك ناداني أولاً بما كان منكم في غيب السرّ، فأبدوا الشّكر.

نداء أبي شعيب لمحمد بن جندب

ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جنديب، فاحذر أن تكون لهم إلاّ بحفظ توقيت ما سلف من إرادة تكوين المريد لعظم ما أنا مبديه لك وتاليه عليك فنبّهني عن ذلك، وقد كنت كذلك.

فقلت: يا مولاي كذلك والله محمد بن جندب ذُهل عند عظم هذا الشّرح فأسأل مولاي إقالتي، فقد هلكت إن هو لم يقلني خطيئتي.

فقال: يا محمد بن جندب، هو ناداني بعلمه ذلك منك لا بعلمي، فخررت لوجهي ساجداً ألوذ بسيّدي - أبي شعيب صلوات الله عليه، فناداني: ارفع يا محمد بن جندب، فقد غُفر لك.

ثمّ قال: يا محمد بن جندب، هذا مما لم يبده لك اسحاق ولا حدّثك به ولا سألك عنه.

فقلت: صدقت يا سيّدي ما حدّثني بهذا إسحاق ولا سمعته إلاّ السّاعة منك، فقال: يا محمّد بن جندب، وكثيراً من هذا الكتاب أورد عليك مثله، وما سمعته من إسحاق، فلا يختل منه حرف لأنّ إسحاق حمل فاستودع وغيره شوهد فأوجد، وإن شئت أقل لك، يا محمد بن جندب، لو قلت إنّه شهد ولم يغب لقلت حقّاً وأتيت صدقاً، سلِّم لذلك تسلم من شككت.

فقال محمد بن جندب: فقلت: يا سيّدي واسلمت لك واستسلمت لأمرك.

فقال: نعم يا محمد بن جندب.

تتمة شرح وجود الله وشهادة الاسم للمعنى

ثمّ قال عبد الله بن غالب الكابلّي: فلمّا أمدّه الغاية بإرادة التّكوين خامسة أبدى إليه إعادة الملاحظة للحيث فلحظه فرآه منيفاً شاهقاً ذاهباً متعالياً متلاصقاً، فلحظه بإرادة مراده فيه فصدعه، وفرّقه كما قال:«فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم[١]» فجعلت تلك الفرق تتهاوى في علم الإرادة من المكوّن مائة ألف كورٍ لا يقربها حيثٌ إذ لا حيث.

ثمّ إنّه أعاد ملاحظة الإرادة نحوها، فبدا من فرق بعد تلك الفرقة كل فرقة أعظم منها إجلالاً وأكبر محلاً، حتّى صارت تلك الفرقة الّتي بدت منها تلك الفرقَ أدناها منظراً أو أقلّها وزناً لا تحسّ عند عظم أحد الفرق الّتي بدت منها، وقد كانت

[١] سورة الشعراء آية ٦٣.

الفرقة الأولى الّتي تفرّقت عند الانصداع بعد سنيّ المائة ألف كورٍ من سنيّكم هذه على ما شرحت، فبدا من كلّ فرقةٍ منها مثل تلك الفرق.

فقالت الجماعة: جلّ العليّ العلاّم تعالى به الواحد الدّوّام، كبر مالك الملك، فلا غاية له في نهاه ولا نهاية تقع على مداه.

فقال: **ثمّ إنّه أدامه بتلك مائة ألف كورٍ وهو متراكب ومتشابك ومتضاعف ومتطابق، ثمّ إنّه أعاد بملاحظة المراد المكوّن فباعده عن تلاصقه، وتشابكه، وتراكبه وتطابقه، فصارت كلّ فرقةٍ منها بحيث لا تحسّ بأخرى من تباعدها وتباينها**، فأدامها بتلك مائة ألف كورٍ، ثمّ عاودها بلحظة المراد فدكّها إذهاباً فأعدم بعضها بعضاً، حتّى كأنّها لم تكن بمكوّنة.

وثبت منها ملاحظته فرقتان لا ثالث لهما في الحال فكانتا بحيث ثبتتا مائة ألف كورٍ عن حالهما ليستا بحائلتين ولا زائلتين، ثمّ عاودهما بملاحظة المراد وأعمّ بهما ذلك الحيث الّذي كانت تلك الفرق بعظم تكاثرها فيه لا يحسّ أحدهما بصاحبه، ولا يحسّه ولا يعلمه، فأمثل ذلك الحيث بتلك الفرقتين، حتّى امتلأتا فيه، فكان ذلك الحيث والفرقتان بهذا الوصف مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاوده بملاحظة المراد فأنارت الفرقتان في الحيث بنور ملاحظته المريد لهما بإرادته، فكانتا كنوره في كيان كونه، فكان ذلك كذلك مائة ألف كورٍ، **فبدت له عند كمال إرادة مريده إرادة الغاية فيه فغشيه في حيثه بكيانه وعند إيجاده لمكوّنه ومبديه، فعاود المكوّن المريد بملاحظته للمراد**، فلم يجده في الحيث بحيثما ولا تكاثر ما في **كونٍ** ولا **فيما** فراجع الانقياد إلى إظهار التّسليم بالشّهادة للغاية الأزل فأبداها بقوله:«الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى[1]» فكان ذلك في الشهادة أنه لا إله إلاّ الأزل، وقوله الأسماء الحسنى، أما موضع الاسماء فكانت هذه **الشهادة من الاسم للمعنى** مائة ألف كورٍ، **ثمّ أمدّه الغاية بمادّة الارادة لإرادته، فعاود الملاحظة إلى الحيث، فإذا هو مملوء نوراً، وإنّه متبعّض متجزّيء وأنّ كلّ بعضه منه كون يضيء بضياء يفضل بعض عن بعض، ويغشى بعضها بعضاً، وهي متكاثفة قد امتلأ بها الحيث، فلمّا لحظها فرقها في الحيث، وتفرقت مائة ألف كورٍ، ثمّ عاودها**

[1] سورة طه آية ٨ .

بالملاحظة للمراد، فجمعها فرقاً متشاكلة لا تمازج كلّ فرقةٍ إلاّ شكلها وأحفّ بعضها ببعضٍ في ذلك الحيث، فكانت بذلك من الكيان [من مراده] في تكوين المريد مائة ألف كورٍ ثمّ عاودها بالملاحظة للمراد، فأزهرها وسيّرها في الحيث.

فحلّ بعضها محلّ بعضٍ، حتّى سكن كلّ واحدٍ منها بحيث سكون ما كان ساكناً بحيثه، فصارت تجد بذات حيثها وقبل تجديدات حيثها وبذات حيث غيرها، من أشباهها، كلٌّ يجول ويسير بحيث رتب له المسير، فكان كذلك مائة ألف كورٍ، حتّى تمّ فيها كون الإرادة للتكوين الّذي هو [هي] مكوّنه له [لها] فبدا لها علم إرادة المريد لإرادة مريدها، وهو الّذي لولا إرادة مراده من المريد لما كانت للمريد إرادة، **فحين بدا لها علم إرادته حجبها بحيثها بحجابٍ عن قدرة الاقتدار**، فكانت في الحجاب بالحيث يكون[بكَون] تكوين مكوّنها، لا حالٌ منها حال كائن عن كائن ولا زال منها زائلٌ عن مكانٍ، ولا قعد عن مواراة الحجاب له عن جولانٍ ما كان جائلاً فيه.

فتمّت ستّ موادّ من الأزل في مراد التّكوين، وبذلك أبان فقال: في ستّة أيّامٍ، وهو حين بدا النّطق في مقام الميم فقال:«و لقد خلقنا السموات والأرض في ستّة أيّامٍ وما مسّنا من لغوب[1]» **فالبدا كان بالسّموات وما بينهما من الكون النّوريّ، والعالم النّورانيّ كان بدوه من الكون النّوريّ له في ستّ موادّ أمدّه الأزل بمراده لإرادته التّكوين**، فكان منه ما شرح لكم ووصفه ونعته، حتّى أكمله له في قدرة علمه الّذي أمدّه منه بالقدرة لمراد التكوين، وهي ستّة أيّامٍ للإسم أنحله إيّاها الأزل وهي بعدد هذه الأكوار الثّانية في شرح هذا التكوين.

فأشهدوا ما شرحت وعُوا ما وصفت وميّزوا ما ذكرت، هل لذلك أمدٌ ما أوجد فيهم أو نهاية إلى مَ وهل يبلغ بكم التّحصيل بعد تفصيل كلّ موصول، وتوصيل كلّ مفصولٍ إلى علم عدّ بعضه، إذ كان لا بعض له.

فقال الجّماعة: جلّ علم العليم بعلمه، وعظمت عظمة المبتديء لفعله من أن يكون لهم جدّ على ورودٍ همّة لعلمٍ، وهمّة فيما قد نسقت وشرحت، قصرت عن ذلك إحاطة مكوّن به ولا يحيط به غير علم المكوّن له. بل نسلم لأمره إذا أورده، ونشكره على فضله إذا أوفده، ونعوذ به من سخطه، ونلوذ بعفوه ورحمته.

[1] سورة ق آية ٣٨.

فقال لهم: قد سبق لكم ذلك منه وبه أحلّكم هذا المحلّ وأهّلكم لهذا السّؤال، وذلك في قدمه قبل كونكم في كيان التكوين، فخرّوا عند ذلك ساجدين.

فناداهم: ارفعوا رؤوسكم فقد غمركم مولاكم بنعمته، وشملكم بإحسانه، وأباحكم على ملكوته، فرفعوا رؤوسهم وهم يعلنون ببثّ الحمد والشّكر.

تعيين خلافة محمد بن جندب

قال محمّد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير علينا سلامه قال لي مثل قول عبد الله بن غالب لمن بحضرته عند هذا الفصل وخاطبني بما خاطبهم وأمرني بما أمرهم به، وأوعز لي بما أوعز إليهم، فتداخلني من ذلك مثل الّذي ذُكِر لي أنّه تداخلهم، فخررت لوجهي ساجداً ألوذ بسيّدي وأتعوّذ بمولاي تعالى ذكره من سخطة.

فناداني: ارفع رأسك.

فرفعت، فوعدني مثلما وعدهم من القبول والثبات وبشّرني أن ذلك سابق لي وهو كون كيان من قبل تكوين ذات كوني.

ثمّ قال: يا محمد بن جندب، وهذا ممّا لم يشرحه لك إسحاق ولا نطق لك ولا بشّرك به.

فقلت: صدقت يا مولاي، ما خرج إليّ إسحاق بهذا، ولا سمعته في شرحه، وإن لك الفضل على أولياء الله إذ خصّك الله بمكنون علمه يا محمد بن جندب، إن إسحاق نطق لك بما شرحه بغير إذنٍ أذن له فيه، أراد به بثّ ذكره ونباهته ليقول قائلٌ: إسحاق بن محمد حوى علماً وسرّه فهو محلّه ومقصده.

وبابه محمد بن نصير نطق لك بإذن أذن له به لك، فهو يشرح لك من فيه ما يخرجه إليه مولانا منه كان بدا ما شرحته لك ومنّي كان إلى إسحاق بن محمد ما شرحه لك، فاشكر ما أنعم به عليك وأوصل الحمد لله يهدك له..

العودة للشرح

قال محمد بن جندب: ثمّ أعاد لي مولاي أبو شعيب محمد بن نصير إليه التسليم إلى إعادة الشّرح فقال: إنّ عبد الله بن غالب عاد بالجماعة بعد محاورته لهم وبشراه إيّاهم إلى بيان ما كان يشرحه لهم فقال:

فتداوم لها في مواراة الحجاب مائة ألف كورٍ على كونها في كمال الكون، ثمّ إنّ الأزل أمدّه بإرادة التكوين سابعةً فعاود الحيث بملاحظة المراد لتكوين كونٍ يبديه ببدو ما يكونه عند التكوين، إذ بالحيث ((سابت باهت غيْر ترن ساحت كهف قائم مرت))، فلحظة لحظة الإرادة فيه فأخلطه، فماج في اختلاطه فأهمله مائة ألف كورٍ، ثمّ عاد إليه بملاحظة المراد فيه فأدمه أديماً مراداً ماداً وهو أرق من هبوب الهواء يخفق خفقان الرّعد القاصف، فأماده كذلك مائة ألف كورٍ، ثمّ عاد إليه بملاحظة المراد، فعركه عركةً وأدرجه فيها، فصار مندرجاً كما قال:« يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ [1]» (للكتب).

فلمّا تدرّج في عركته أهمله مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى له إرادة الأزل فيه بمراد كونه، فغيّبه في ذات ذاته لا في ذات غيره، فكان بذاته غائباً عن وجود ذاته، لا يعلم أنّ له به هو الّذي غيّبه بلا حيثٍ ولا ذاتٍ، فلمّا تمّت له المائة ألف كورٍ عاوده المريد لكونها فذهب ذاتها عن وجوده، إذ وجوده من حيث إيجاد موجده الّذي أوجد كل موجود ونظر إلى حيث، فإذا هو بكونه في مبدا مبديه الّذي كوّنه، والحيثِ من قبل تكوينه فأبدى له التسليم والإقرار بالشهادة له، فبدا قوله تعالى:« هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [2]» فأمدّه بالإقرار بهذه الشهادة مائة ألف كورٍ، لا يحدّ في جميع الحيث الأزل إلاّ ذات كونه، وكان وجوده لكون ذاته من حيث أوجده أزله وغايته الّذي بمراد كونه لذاته كوّنه.

[1] سورة الأنبياء آية ١٠٤.
[2] سورة الحشر آية ٢٢.

فلمّا أتمّ له مدى مراده فيه أبداه قبالة الحيث وتوسّط به في كيفيّة الكيف فناجاه خطاباً وأبان له نطقاً من حيث لم يوجده خطاباً قبله ولا نطقاً سبقه، ولا أوجده أنّ لذلك وجوداً أوجده، فكان يطلبه لوجودِ فناداه إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني.

فكان بذلك الإيجاد له والنطق آنفاً عن الاسم أنّه الغاية بل الغاية نهاية الاسم ومعناه، وبه يكون الاسم، وأبان له حدّ إيجاد التّعبّد له وكان هذا الخطاب في خاصّيته له لا يشاركه فيه مشاركٌ، ولا يلم به غير المخاطب، إذ أبان النطق في الخطاب، فقال أنا فاعبدني، فلمّا بدا له النطق من حيث لم يجد كمثله، هفت ساجداً لأزله من خشيته، فكانت السّجدة منه لهيبة النّطق ماءة ألف كورٍ، ثمّ أمدّه بعلم الإفاقة من السّكرة، فراجع الموافقة في حيثه، فأمدّه بكونِ كل مرادِ أرادِ تكوينه، فلحِظِ الحيث الّذي كان يلاحظه بمداومة الإرادة لتكوين كونٍ فوجد كيان كونه بالّتي كوّنها لمراده من الإرادة ماثلته في الحيثِ بكونٍ حين كوّنها وبمراده الّذي أراده ما حال منها كيانُ كونِ كونه الّذي كوّنه ولا زال عن حيث حيثه فيه، متدانٍ من المراد بقدرة مريده.

فأكبر ذلك من إنعام أزله ومعناه وغايته، فهفت ساجداً مائة ألف كورٍ، وكانت السّجدة منه تسليماً لأزله أن الكون والمراد له ومنه يكون إليه ومنه يكون مراده كون ما كوّنه من كيانٍ لأنّه أبداه بذاته من ذاته فأمدّه الأزل بعلم الإفاقة من سكرة الإبانة، فراجع المرافقة في حيثه وأمدّه بالبسطة والسّلطنة، والقدرة على يدي التكوين، يبدو وكوّن فراجع الملاحظة للحيث، فلحظ ما أبداه من نورٍ في مبتدأ إرادته للتكوين وهو نوره الّذي كثّفه ولطّفه، وحبس كثيفه وأمدّ لطيفه، وأوسعه ذهاباً ومدّده سراباً وأدجن من بهمه وقتم وهمه، فأجراه سبعاً وأعلاه رفعاً، وباعدها عن التلاحم وحبس كل جزءٍ منها بحيث إرادته من كونه بكيان ذلك من التكوين مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاودها بالملاحظة ثانية وهي بكونها فأبدى لها إرادة مكوّنها للملاحظة فخرجت بملاحظته عن كيانها إلى كون إرادته فتطابقت السّبع طبقاً واحداً لا فرجة فيها، فكانت بكيان ذلك مائة ألف كورٍ، وقد أبان ذلك بالنّطق من تكوينه، فقال: سبعاً

طباقاً[١]، ثمّ عاودها بالملاحظة فحبكها حبكاً فكانت كذلك مائة ألف كورٍ، وقد أبان ذلك بالنّطق فقال:« والسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ ».

ثمّ عاودها بالملاحظة فبرّجها بروجاً، فكانت بتلك مائة ألف كورٍ وقد أبان ذلك بالنّطق، فقال: «والسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ».

فطرقها طرقاً فكانت كذلك مائة ألف كورٍ، وقد أبان ذلك بالنّطق فقال:«والسَّماءِ والطَّارِقِ» وهذا معناه أي مستطرقة طرقها كما يقال طرقني فلانٌ، وهو أجلى فلان وطرق فلانٌ فلاناً، ومعناه جاء فلان إلى فلان، وقد أبان مولانا أمير النّحل جلّ ذكره ذلك على منبر المخاطبة عند مشافهة المحاورة فقال: «اسألوني فإني بطرق السّماء أهدى منكم بطرق الأرض» فأوجد تعالى ذكره طرقها إذ لها طرقٌ فكانت كذلك مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاودها بالملاحظة ففطرها عن التّطابق إلى تجريها في عدد السّبعِ فكانت جميعاً بكونٍ واحدٍ، بالأوصاف فكانت تلك منه كما قال:«وأَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها» أي كون فيها كيان ما أبداه وهي واحدة مطابقة، **وقد أبان الانفطار في النطق**، فقال: «إذا السماء انفطرت» فكانت بذلك مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاودها بالملاحظة فسقفها سقوفاً وكوّنها صفوفاً، وقد أبان ذلك بالنّطق فقال:« وجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» فكانت بذلك مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاودها بالملاحظة فسمّاها باسمها سماءً وهو مشتقّ لاسمه الّذي تسمّى به فكان اسم وسماء شيئاً واحداً ولكنّه كبر اسم الأزل أن يكون كاسمه فحلّ الألف من اسمٍ إذ كان في أوّله وفي آخر سماء، فاسمٌ اسمٌ وسماءٌ سماءٌ، فعُوا هذا واعرفوه واعلموه وتبيّنوا مراد الله بتسميته لهذا الكون الّذي كوّنه على تعاظم هذا الوصف والكيان لما هو كائنٌ وما أراد به ولما يريده، فهو نبأ عظيمٌ وسرٌّ كريمٌ لا يفحص عنه إلاّ ذو رتبة، ولا يعيه إلاّ ذو منزلة.

---

[١] يشير الكتاب هنا إلى قول الله « سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً » نوح ١٥، وإلى قوله : « سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً » الملك ٣، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ تكوين الوجود هو تكوين للكون.

تبيان بابيّة أبي شعيب وعدم وعي إسحاق الأحمر

فقالت الجماعة: يا محمد بن جندب، قل لعبد الله بن غالب: صدقت يا مولانا، ولا علم لنا بذلك إلاّ من حيث علّمتنا، فقال: إنّ مولاي أمرني أن أكشف ذلك لكم وأخرجه إليكم لنزيد به تيقناً في كل حينٍ وأوانٍ وعند كل حلول قرنٍ.

فقالت الجماعة: لمولانا الشّكر لله ولك يا باب الله وخزانة علمه.

فقال: إنّ الإسم أنحل بابه الّذي بوّبه معرفته، وجعله مقصد أوليائه إليه هذا الاسم ولكونه عند إرادته لتكوينه كوّن هذا الكيان حتّى جعله حيث اسمه وبدأه مع بدئه حين أبداه أزله، فهو مؤبد مع أبدِه وسمّاه مع اسمه الّذي أنحله أزله، فليس يدانيه في هذا الاسم مدانٍ ولا ينحله منتحلٌ كما لا يداني الإسم في التّسمية مدانٍ ولا ينتحله منتحل، وكلّما أتحف الأزل للإسم أتحف الاسم للباب، وكما حباه إذ كان أول بدوٍ أبداه كما بدأه أزله.

فقالت الجماعة: جلّ مولانا وتقدّس اسمه، لقد شرّف بابه وأحلّه محلّ حاله، فله الحمد إذ منّ علينا بمعرفته ذلك.

ثمّ قال لهم: فهل علمتم من الباب الّذي أحلّه الإسم من كان في كون الكيان الأول؟

قالوا: لا يا سيّدنا.

فقال: إنّه كان سماءً بذاته واسمه في جميع الأكوار النورانية إلى أن أبدى الاسم الأكوار النورانية، فإنّه سمّاه جبريل، ولم يزل به متسمى واسم السّماء له إلى أن ظهرت البشرية الجسمية، فلمّا أظهر البشرية الجسمية سمّاه بأسماءٍ أعمّها باسمٍ وهو سلمان، وكان اسم جبريل له تسمّى به أفعقلتم ذلك؟

فقالت الجماعة: قد كملت لنا معرفة باب الله !؟

فقال: كلاّ فقولوه من هو الآن؟

فهمّت الجّماعة أن تبدي قولها: أنت هو.

فقال: هسّوا احبسوا، عرف صدقكم وصحّ لكم رشدكم، لن يضلّ من اهتدى بكم أنا باب الله، لكم منّة منه عليكم، وكذلك أبنته أنا لك يا محمد بن جندب، كما أبان عبد الله بن غالب لأولياء الله وأصفيائه، فهل وعيته وعرفته.

قال محمد بن جندب: نعم يا مولاي، صحّت لي معرفة باب الله على ما شرحته وتيقّنته، فلا شكّ فيه، فقال: أفتراه من هو في أوانك، فأردت أن أبديه له وأفوه به وأقول: أنت هو.

فقال: هسّ احبس عليك قولك، قبل صدقك، وصحّ رشدك، فأبدأت لمولاي حمداً وشكراً.

فقال: يا محمد بن جندب، وهذا ممّا لم يبده لك إسحاق ولا خرج به ولا شرحه.

فقلت: نعم يا مولاي، ما أبداه ولا خرج به ولا شرحه، أفتراه لم يعلمه؟

فقال: نعم يا محمد بن جندب، لم يعلمه ولا أمثاله ممّا أنا أشرحه لك في هذا الكتاب.

قال محمد بن جندب: فإنّه ليحدّثني ويشرح لي حتّى أحسست إلى جانبي بحركةٍ، فأثنيت بوجهي، فإذا أنا بإسحاق جالساً إلى جانبي، وفي يده كتابٌ ينظر فيه.

فقلت: ما أعجب حالي مع سيّدي أبي شعيب محمد بن نصير، يحدّثني ويشرح لي، وإسحاق إلى جانبي لا علم لي به، وإنّه ليقول بعقب كلّ شرحٍ، وهذا ممّا لم يشرحه لك إسحاق ولم يخرج به إليك.

فأقول له: نعم، وهو يسمع ذلك لا يحتجّ فيه بحجّة، ولا يسأله أن يضمّه إلى شرحه، إنّ هذا لعجبٌ، ثمّ ملت إلى إسحاق فقلت له: إسحاق.

قال: نعم.

قلت: إنّي لمقبل على سيّدي أبي شعيب أسمع منه ماحدّثني به من شرح كتاب الأكوار النورانية، وأنت إلى جانبي ما علمتك حتّى السّاعة، فمتى كان دخولك؟

فقال لي: على أثرك دخلت يا محمد بن جندب، وذلك أنّي علمت أنّك حين سمعت منّي ما سمعت، أنّك تأتيه فتعرفه ذلك وأنّه سيعيده عليك حفظاً، فجئت والكتاب معي، فكان منك ما كان إليه حين دخلت عليه، ثمّ أصدقني فيما رويت وأصدق من رواه رجلاً فرجلاً إلى آخر الإسناد، ثم بدأ يشرحه، وجعلت أنظر في الكتاب هل أجد عليه اختلالاً في كلمةٍ واحدة، فأقول له هذه الكلمة نسيتها، فإلى هذا الموضع من الشّرح ما أخلّ من لفظةٍ منه، فبقيت حائراً في إسحاق وكلامه وما قد نحا إليه.

فقلت له: هل وجدت في كتابك زيادة ممّا شرحه سيّدنا أبو شعيب محمد بن نصير؟

فقال: لا.

فقلت: ولا نقصان؟

فقلت: إنّا لله، أيشرح لي سيّدي أبو شعيب شرحاً ما شرحه لي إسحاق ويزيد عليّ بالشّرح ما لم أسمعه من إسحاق ثمّ يثبته بحضرته ويقول: هذا ممّا لم يشرحه لك إسحاق ولا أتى به، ويعيدني بأمثاله، وهو يسمع ذلك من قوله إيّاي ويتأمل ما في كتابه، فلا يقول ليس هذا في كتابي، ما أظنّه إلاّ إسحاق أعقل ذلك عندما شرح لي ما شرح أو نسيه، فهو يجده الآن، ولا يعلم أنّه نسيه.

فقلت له: يا إسحاق إنّي أريد أن أسألك.

قال: اسأل؟

قلت: أعطني كتابك هذا حتّى أنظر فيما قد مضى من الشّرح؟

فدفعه إليّ، فتصفّحته وتبيّنته، فلم أجد شيئاً ممّا كان شرحه لي سيّدي أبو شعيب محمّد بن نصير وعرّفني به أن إسحاق لم يأت به ولا شرحه، فعلمت أنّه ما طرقه بمسامعه وأنّه أخفاه عنه.

فقلت: يا مولاي بلّغت بابك محمد بن نصير أن يسمع من يشاء ويصمّ من يشاء؟

فقال لي أبو شعيب: يا محمد بن جندب إنّك لا تسمع الصمّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين، فعلمت أنّ أبا شعيب إليه التّسليم فعل ذلك بإسحاق حين علم منه ما علم.

فقلت له: يا سيّدي أقلني، فلا علم لي بما كان علمك به أعلم وأكمل ورددا الكتاب إلى إسحاق وقلت له: قد رأيت وتبيّنت فوجدت فيه ما رويت كما رواه سيّدنا أبو شعيب محمد بن نصير.

فقال: يا محمد بن جندب وإنّه وإن شرحه لك حفظاً فما يقدر أن يزيد على ما سمعه منّي حرفاً.

فقلت: الله أعلم.

فقال سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير بملء صوته:« وذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرينَ» فعلمت أنّ أبا شعيب أشار إلى إسحاق بخطابه، وسكت إسحاق فلم يعد في الّذي سمعه من سيّدي أبي شعيب.

اعادة الشرح

فقال محمد بن جندب: ثمّ عاد أبو شعيب محمد بن نصير إلى إعادة الشّرح، فقال: يا محمد بن جندب، ثمّ إنّ عبد الله بن غالب عاد إلى شرحه الّذي كان يشرحه فقال: ثمّ إنّه عاودها بالملاحظة للمراد فرفع طبقاً عن طبق، وجعل بين الطّبق والطبق مائة ألف كور، وسقفها بمثل ذلك، وأبان التّرفّع للطّبق عن الطّبق في الطّبق، فقال: «لترفعنّ طبقاً عن طبق [1]»، وأبان في النّطق سقفها فقال: «وجَعَلْنا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً»، ثمّ أوجد أنّه لا علم لهم بكون ذلك، ولا يعلمه فيها ولا بدو بدأته لها فقال: «وهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ»، أي معرفتنا، ولمّا كوّنها وأيّ كون هي، فكانت كذلك في مراده مائة ألف كور، ثمّ عاودها بالملاحظة فكشطها فبان أوّلها من آخرها، وآخرها من أوّلها حتّى أوجد جميع ما كوّن من كيان السّبع طباقٍ وما فيها من الّتي توجد من واحدةٍ منها إذا حلّها أبان له ما في جميعها لا مواري بينهم وهي

[1] الآية في القرآن: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ»

في عظم ذلك في السّمك والعلوّ بعضاً عن بعضٍ، والسّمك مائة ألف كورٍ لكلّ سماء، والعلوّ عن الطّبق إلى الطّبق مائة ألف كورٍ.

فرتّبها في ذلك مائة ألف كورٍ، ثمّ عاودها بالملاحظة فأثبتها وأقامها بإرادته في مراده وهي ضياءٌ ساطعٌ لامعٌ، ثمّ عاودها بالملاحظة **وقد أتمّ له كوره الّذي هو بدأه من نور ذاته، وهو الكون النّورانيّ فكان جميع ما مضى من شرح الأكوار في هذا التّكوين إلى حيث تناهى هذا الشّرح كوراً واحداً فسمّاه به إذ كان هو النّور ومن نوره أبدأه ومنه كوّن كيان تكوينه**، ثمّ أمدّه بالمعاودة له بالملاحظة، فلحظ ما كان حلّله ورجرجه وسيّره، ثمّ لحظه فحبسه مائة ألف كورٍ عن تسيّره، ثمّ لحظه فأقامه عن ترجرجه مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظه فألقاه من تحلّله وأهمله مائة ألف كورٍ.

ذكر نعت أوصاف السماء

ثمّ لحظه بالإرادة للتكوين، فانصبغ بضياء نوره الجوهريّ فأهمله مائة ألف كورٍ، **ثمّ لحظه فجسّم به الصّيغ فصارت صبغةً، وقد أبان الصّبغة بالنّطق، فقال: «صِبْغَةَ اللَّهِ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» وهذا ما أراد بالصّبغة لا ما ذهب إليه الشّاكّون.**

وقد حار أهل الشّكّ في لون السّماء الّتي يجارون كيانها من حيث لا علم لهم بها، فقالوا: زرقاء وغير زرقاء، ثمّ أتوا يصفون كون أوصاف ما لا معاينة وقعت لهم بها، فقالوا: سماء من درّة بيضاء، وسماء من فضّة بيضاء، وسماء من ذهب صفراء، وقد سمّوها بأسماء كثيرة، وأوصاف اخترعوها بظنّهم، وقد أبان ذلك بالنّطق فقال: «لَخَلْقُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» ممّا يختلقون لها من الخلق، وكذلك اختلفوا في أن للأرض أوصافاً عند تكوينها وهم يحرّفون نطقه وأخباره فيتلون النّطق على حسب إرادتهم بالتّمثيل فيتلونه: «لَخَلْقُ السَّمَاواتِ والأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» فهم في ذلك كاذبون لأنّهم لا يعلمون، وقد أبان ذلك فيهم أنّهم لا يعلمون من خلقهم ولا من خلق السموات والأرض، فقال بالنّطق: «ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» وأبان عنهم في ذاتهم فقال: «ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، قل الحمد الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون [1]»، فأوجد أنّهم لا يعلمون من خلق ولا ما خلق، ولا ممّ خلق، ولا كيف خلق.

وهم بالجرأة يجدون الخالق ويجدونه ويصفون خلقه، وممّ خلق، ويجدونه وينعتونه بوصف الحدّ والكيف والتناهي والوزن واللّون حتّى يصفوا بادّعائهم عدد حجبه، ورؤية عرشه، وسعة كرسيّه، وأين يصفه من السّماء وكيف يجلس عليه، وقد أبان في النّطق تكذيبهم فقال: «وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» فأوجد بها أوسع موجود السّموات والأرض من علمه بحيث نهاية السّماوات لا بحيث علمهم، ثمّ قال: «ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما» فأوجد بذلك أن السماوات والأرض لا يعلمان بحيثهما من الكرسي إذ هما فيه لأنّه وسعهما وحفظهما وهما بسعته «ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وهُو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ».

الكرسي (الاسم)

قال محمد بن جندب: ثمّ حبس عليّ سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير الشّروح، وقال: يا محمد بن جندب، إنّ عبد الله بن غالب حبس الشّروح عن الجّماعة.

فقال لهم: هل علمتم ما الكرسي وما كونه وأين سعته وحيثه من السموات والأرض؟

فقالت الجماعة: من أين لنا علم ذلك إلاّ بمنّك علينا إذ أنت معدن علم الله وخزانة سرّه، ومستودع مكنون غيبته فأيّدنا بما أيّدت به لنعلم ذلك.

فقال: إنّ مولاي ليزيدكم من فضله، لا يزال يأمرني بشرحه لكم ويصف لي سؤالكم ما لم تبلغه هممكم، ولا تتناهت إليه عقولكم، **كرسيّه اسمه، وهو أبداه الّذي أمدّه بكون التّكوين الّذي كوّن بإرادته، فكان بكونه كائناً لمكوّنه والغاية وسعة إذ هو أزله وهو وسع السّماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من كون كيان تكوينه، لا يعلم حيث حيثه ولا كون كيان تكوينه شيئاً ممّا كوّن ولا يحيط بوصف**

[1] النصّ الصحيح في القرآن هو: «ولَئِنْ سألتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فأنّى يُؤفَكُون»

ذاته في كونه إلاّ أزله الّذي هو غايته ومعناه، تاهوا عن معرفة ما كوّن فلن يدركوه ولن يبلغوه، فكيف يحدّون حدّ ذاته، ووصف حيثه، وقد وصفهم بحمل العجز في هذا وغيره من أوصافهم لقدرته، وضعفهم لما هو مبديه.

فقال بالنّطق تعالى ذكره: «إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ» فلاذت الجّماعة يا محمد بن جندب بعبد الله بن غالب وأرادت أن تسأله عن حبس الشّرح وأن يبدي استكفاءهم بما قد تقدّم إليهم منه.

فقال: واحبسوا عليكم فإن مولاكم أمرني أن آتي بالشّرح على تمامه وكماله حتّى تتمّ بذلك النّعمة على أوليائه.

فقالت الجماعة: يا سيّدنا قد أبهرنا ما تورده وضعفت قلوبنا عن وسعه وحفظه، فاسأله إثباتنا له وهبه الحفظ منه.

فقال لهم: إنّه قد أمدّكم بذلك من حين أمدّكم السّؤال، ولولا ذلك لما أطقتم استماع حرفٍ واحدٍ ممّا قد شرحت، فأكثروا من حمد مولاكم والشّكر له.

قال محمد بن جندب: فأبهرني ما أورده عليّ محمد بن نصير من الشّرح، وضعفت عن حِفظِه، فأردت أن أبدأه بحبس الشّرح وأقول له حسبي قد غنيت بما شرحت.

فناداني: احبس عليك يا محمد بما تريد أن تبديه، فإن مولاي أذن لي وأمرني أن أخرج إليك بالشّرح على كماله، وتمامه فاشكره، فقد أمدّك بالحفظ والثبات.

فقلت له: لمولاي الحمد على نعمه وأياديه عندي وعند أوليائه.

ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جندب، هذا ممّا لم يخرجه إليك إسحاق ولا شرحه.

فقلت: نعم يا مولاي، ثم انثنيت على إسحاق فقلت: أسمعت ما شرحه محمد بن نصير، ووافق لفظه ما في كتابك، فقال: نعم يا محمد بن جندب حرفاً بحرف، فهل سمعت أنت منه شيئاً لم تسمعه منّي؟

فقلت: ما أعجب ما تسألني عنه أنت حاضرٌ تسمع كما أسمع وتقابل بلفظ كتابك، أظنّك غائباً عن حضورك.

فقال: وكيف ذلك؟

فقلت: لسؤالك إيّاي هل سمعت شيئاً من محمد بن نصير غير الّذي سمعته منك، كأنّي أخبرك أنّي سمعت منه بغير حضرتك؟

فقال: لئلاّ أكون غفلت عند لفظه أو خرجت مع ما أنيّ مبينه لما يأتي به الشّرح أقيّد عليه لفظه.

فقلت: إنّا لله، إنّ هذا من إسحاق لعظيمٌ.

فقال لي أبو شعيب محمد بن نصير: يا محمد بن جندب: «وتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وهُمْ رُقُودٌ ونُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وذاتَ الشِّمالِ» فعلمت ما أراد بقوله أنّه أوجدني أنّ إسحاق عند نطقه لي نطق بما لم أسمعه من إسحاق، وإسحاق راقد، وإنّه يقلّب وجهه عن شرحه ذات اليمين وذات الشمال.

فقال لي إسحاق: يا محمد كم يقطع عليّ محمد بن نصير شرحه ويسأل عن صحّة ما في يديّ، فهل عنده من علم كتاب الأكوار النورانية غير ما عندي، أم علمه به يزيد على علمي؟

فقال محمد بن نصير: يا محمد بن جندب، ومن أظلم ممّن افترى على الله الكذب، فبدر إليّ إسحاق وقال: سمعت الآن ما قال؟

فقلت له ما قال؟

فقال: يقول إسحاق يقول لك ما يعلم من علم ما علم.

فقلت: صدقت قد أعاده عليّ مراراً.

شرح الأكوان الأربعة

فقال سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه: يا محمد بن جندب، ثمّ إنّ عبد الله بن غالب عاد إلى الشّرح فقال: **ثمّ إنّه عاوده بملاحظة المراد، فتجوهر بضياء نوره، فأمدّه بتجوهره على حاله مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظه فجوهر به السّبع طباقٍ، فكلّ تجوهرٍ يعلمه بمراده، وكيان ما أراد كونه، فكان التجوهر في السّبع طباق مائة ألف كورٍ، فتمّ له فيه كورٌ سمّاه به فكانت الأكوار الّتي بين تسميته: الكون النوراني.**

إلى أن سمّى هذا الكون كوناً واحداً، فسمّاه بالتجوهر: الكون الجوهريّ، حين أكمل له التكوين إلى نهاية التجوهر فكان بكيانه وحاله مائة ألف كورٍ، ثمّ عاوده الحيث بملاحظة المراد فوجد في الحيث ما كان سيّره وميّزه فتسيّر وتميّز، **ثمّ أمدّه بنوره، فامتزج وتلاحم واختلط وأزاله عن كيانه التجزيء والتمييز وأوقفه في كيانه ودوامه بملاحظته حتّى صفّاه وجعله بمداومة الملاحظة كالدّرّة البيضاء ولحظها فسمّت علوّاً في المراد من القدرة، فأوقفها في الأمد الّذي قدّمه،** ثمّ لحظها فتشعشعت مثل ذلك الأمد، ولحظها فأنارت مثل ذلك الأمد، ثمّ أمادها بعد أن أقرّها، وذهب بها في قدرة ذات اليمين أمداً مثل ذلك، ثمّ أعادها إلى الحيث، فأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، ثمّ ذهب بها في قدرة ذات الشّمال أمداً مثل ذلك.

ثمّ أعادها إلى الحيث فأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، ثمّ عظّمها فذهب بها في جمع ما ذهب بها فيه علوّاً ويميناً وشمالاً، وملأه بها وسعاً وأقرّ فيها أمداً مثل ذلك، **ثمّ لطّفها ولاشاها حتّى صارت كالدّرّة من الهباء بعد التعاظم والسّموّ وأوقفها فيه أمداً مثل ذلك، وهي بحيثها لا تعلم أين انتهى بها من الحيث الّذي هي فيه، ثمّ أحسّها فكانت في حال الحسّ والحبس أمداً مثل ذلك.**

ثمّ قدّم فيها قدرة المراد فكانت بتقدمة قدرة المراد أمداً مثل ذلك، ثمّ أبداها لتكوين تكوين الإرادة فيها، فكانت ببدئها لكون تكوين الإرادة فيها أمداً مثل ذلك، **فلمّا أوجدها المكوّن بالحيث بكون تكوينه لها لحظها بملاحظة المراد منها في سابق تكوينها، فأسفرت عن سبعة أبحرٍ، فذهب كلّ بحرٍ منها في الحيث من حيث**

ذهبت بها فيه، ثمّ جمعها فكان ذهابها في الحي مائة ألف كورٍ، وجمعها مائة ألف كورٍ ثمّ لحظها ما حذق كلّ بحرٍ منها سماء، فكان أمد أحذاق كلّ بحرٍ سماءٍ مائة ألف كورٍ إذا أحذق بحر بسماء، وتمّ احتذاقه بها بدا الآخر باحتذاقه حتّى أتمّ لها في أمد الاحتذاق بسبعمائة ألف كورٍ فكانت جارية مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها فأقامها عن الكون مائة ألف كورٍ.

ثمّ كيّفها فكانت في الكيف مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها فحبسها مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها فسجّرها مائة ألف كورٍ، وذلك قوله في النّطق: «والْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» **فلمّا أكمل لها آماد الأكوار الّتي كوّنها به وفيه وهي كون واحد سمّاه باسمٍ وهو: الكون المائيّ**

ثمّ أعاد الحيث، فوجد به النور المتشعشع المضيء، الّذي أجاله في علم مراد تكوينه أمداً مثل ذلك، ثمّ لحظ فيـما **ولمّا** أمداً مثل ذلك ثمّ دكّه دكّاً أمداً مثل ذلك، ثمّ سوّاه وزناً أمداً مثل ذلك، ثمّ عرجه ودرّجه، وسهّله وجرّبه أمداً مثل ذلك، ثمّ أماده وأرهجه أمداً مثل ذلك، ثمّ خفّفه، في محمله حتّى صار لو مرّت به الريح ألقته في مكانٍ سحيقٍ، فكان به أمداً مثل ذلك، ثمّ حبسه ونقله في تناهي العظم فكان به أمداً مثل ذلك.

ثمّ بثّه فأنبت في مدام علمه كالفراش المبثوث، فكان فيه أمداً مثل ذلك، ولحظه فتلاصق انبثاثه واجتمع في تلاصقه كالكوّة الخرقاء، وهي في حال اتّساع الانبثاث لم يفصل عنها من السّعة شيء في التّلاصق والاجتماع، وأدامها في حال أمد مثل ذلك، **ثمّ خرقها بأربع مخترقات نافذات بعضهنّ إلى بعضٍ بإزاء بعض كلّ مخترقٍ بإزاء مخترقٍ نورانيّة، وهي مستديرةً كالكوّة، فأمدّها فيه أمداً مثل ذلك،** فلمّا أوجدها في الحيث ثمّ لحظها فاندحت في الحيث ذهاباً، ثمّ أمدّها في الدّحو أمداً مثل ذلك، ثمّ أجالها في مذاهب البحار السّبعة فجالت أمداً مثل ذلك، وهي مائة ألف كورٍ.

ثمّ لحظها فأجازها في كون جميع ما كوّنه من السّبع طباقٍ والسّبعة أبحرٍ، فلمّا أدارها فيه مائة ألف كورٍ ثمّ لحظها، **فظهر لها دويٌّ كالرّعد القاصف وهو محتبسٌ في جوفها مائة ألف كورٍ، ثمّ لحظها فأبدت الدّويّ من المخترقات الأربع،**

فكادت تذهب بجميع كلّ مكوّنٍ فأثارت وثوّرت كلّ ساكنٍ، وموّجت ماء البحار، فكان كذلك مائة ألف كورٍ، ثمّ عاودها بالملاحظة فانحسّ ركد في حيثه في جوفها لا تبدو منه ذارية.

فلمّا تكامل له في عدد الأكوار وهو كورٌ واحدٌ سمّاه بالإسم الّذي كوّنه به وهو الكون الهوائيّ.

قال محمد بن جندب: **ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه قال لي: يا محمد بن جندب، في هذا الموضع قطع عبد الله بن غالب الشّرح وسأل من بحضرته: هل حصّلتم ما سلف من عدد التّكوين؟**

و كانوا قد عقلوا إحصاءه فأقرّوا بتقصيرهم عن معرفة ذلك، فشرحه وأتى به وعرّفهم ما قدّمه إليه مولاه وأدّبهم فيه بإذن الله، وعرّفهم أنّ الكون الّذي حبسه عليهم كان الكون الخامس **وكانت الأكوار إلى الكور الخامس بعدد من كان بحضرته للسّؤال وهم الخمسة الأيتام** الّذين هم خُزّانه.

الخمسة الأيتام

فأراد أن يعلمهم أنّه عند كون كلّ مكوّن كون من هذه الخمسة، كون منهم مكوّن ولا حلّه كونٌ، وهو محلّه وإليه ينسب، ولم يكشفه لهم في الخطاب الأول، بل كشفه لهم في هذا الموضع فقال: إنّ الإسم لمّا خلق ما كوّنه في بدو تكوينه أمدّه الأزل بعلمه أنّه يكون ما يكون لكون يكوّنه، ويصطفيه كما اصطفى، فكان بمادّة العلم من الأزل عالماً بالخمسة أشخاص أنّه مكوّنها لكونه الّذي قد بدا كيانه وهو اسمه الّذي أنحله مشاكل الاسم الّذي أنحله أزله، وهو اسمه سماء وأنّهم خواصّه في التكوين بعده وأنّ كونه كائنٌ بتكوين بدو ما كوّن لم يسبقهم كونٌ، وأنّهم يجرون مع المكوّن بحيث جرت قدرته، ويحلّون بحيث حلّت عظمته، لا يغيّرهم عن كون إرادته الّتي أرادها لهم وأرادهم لها استخصّ ذاتهم لذات ذاته وهو بابه، وأمدّهم منه إذ جعله المادّة لهم منه يحلّ! محلّ ذاته عن كنه الوصف للواصفين، ولا يأتي على علم كونه إلاّ مكوّنه المكوّن لكيانهم من أجله.

فكشف لهم عبد الله بن غالب هذا الشرح في هذا الموضع وأبانه لهم وعرّفهم عظم منزلتهم عند مكوّنهم، ونهاية صفائهم في علم أزل من أبداهم للتّكوين وما أنحلهم من رتبة الأكوار السّالفة وأنّهم كائنون في قدمها مع قدمهم يعلمهم ولا يعلمونه إلى أن أبداهم للإيجاد، فأوجدهم ذاته وأمدّهم من غير إيجادهم ذاته بما مضى من الأكوار السّالفة، ثمّ أوجدهم ذاته وأمدّهم فيه بأمد ما لم يوجدهم، ثمّ تسمّى عندهم في [أمد] مثل ذلك، ثمّ نطق فيهم بأمدٍ مثل ذلك، وهم في غيب علمه بكونهم.

فلمّا أتمّ لهم الأمد وأقام الكائنات الّتي كوّنها بكونهم، وأنحلهم إيّاهم أبدى إرادة تكوين عيانهم كما أبدى عيان تكوين المكوّنات لكونهم فأبداهم على وجود إرادته من حيث أبداهم قدرته بتقديراتن إمادة وإبادة في الحيث النوريّ **فكبُر خلقهم عند وجودهم ذلك منه وعرفوا فضل ما أنعم به مولاهم عليهم وعرفوا المحلّ الّذي أحلّهم والرّتبة الّتي أنحلهم** فقالوا:

إنّا كنّا عن هذا غافلين، وخرّوا لوجوههم لائذين بسيّدهم، فناداهم عبد الله بن غالب ارفعوا، وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، «و كم له إليكم من ابتداء النّعم وأنتم عنها غافلون».

افتقاد الأحمر للشرح

ثمّ قال: يا محمد بن جندب ولقد حضرني في مجلسي أحد من حضر هذا الخطاب من عبد الله بن غالب وشاهد الجماعة في وقت السّؤال وسمع الشرح من عبد الله بن غالب، ثمّ ضرب عليه فنسيه، ونسي ما عرف من كون كيانه في بدنه وهو السّاعة يسمع منّي ما قد طرق مسامعه في أعصارٍ وأكوارٍ وأحقابٍ يجدده عند الشرح ويحبس عليه الحفظ، ثمّ يقول: حدّثني إسحاق وسمعت من إسحاق، وإنّ ذلك اختبارٌ من الله لأوليائه وأصفيائه ليبيّن لهم الّذين اختلفوا، أو يثبتوا لهم الحجّة على الّذين خالفوا.

قال محمد بن جندب: فعلمت أنّ إشارته إليّ في الّذي قاله، فخررت لوجهي ألوذ بسيّدي ومولاي.

فقال: ارفع يا محمد بن جندب كما رفعت بين يدي عبد الله بن غالب حين ناداك وبشّرك، وأنا أبشّرك بمثل تلك البشرى.

فرفعت رأسي وأنا أقول: ويحي أنسى نِعَمَ مولاي عليّ، وأعرض السّؤال عمّا أبداني مرّة بعد مرّة أخرى.

ثمّ إنّ محمد بن نصير قال لي: يا محمد بن جندب عِ قولي تلويحاً فإنّي أقوله لك تصريحاً، هل سمعت بهذا من إسحاق؟

فقلت: لا يا سيّدي، ما أورد هذا إسحاق.

فقال: يا محمد بن جندب، إنّ الله جعل سؤالك عن هذا الشّرح حجّةً على إسحاق، وإنّما قاده إلى شرحه لك ما شرح لكشف ما يضمره ويسرّه في باب الله وأمره، وقد قال بالنّطق:« والله غالب على أمره»، وذلك أن اسحاق يخفي خلاف ما يعلن ممّا كشفه لك.

قال محمد بن جندب: فانثنيت إلى إسحاق وقلت له: إنّ محمد بن نصير يصفك بأوصافٍ يعلمها منك ولا أعلمها.

فقال: يا محمد بن جندب إنّ محمد بن نصير حفظ كتاب الأكوار، فهل يتلوه عليك ظاهراً وتسأله عن بيان ما فيه فيشرحه، ولو سألته عن تأويل ذلك وتفسيره لغرب عليك علم ذلك منه، فإن أردت علم ما عرّفتك فاسأله، قال محمد بن جندب: فقلت له يا إسحاق عمّ أسأله؟

فقال: تسأله عن المقام الّذي أقامه نفسه لشرح ما يشرحه لك بشيء أذن له فيه في هذا الوقت أم شيء تقدّم إليه به من قبل سؤالك واستماعك منّي، فإن كان أذن له فيه من قبل أن تسمعه منّي فلم أخرّه عنك إلى أن سمعته، وإن كان شيءٌ أمر في هذا الوقت وقد سمعته منّي فأين الفصل بين استماعك ذلك منّي ومن ادّعائه هو عليك ذلك، إذا كان الشّرح واحداً؟

فقال محمد بن نصير: يا محمد بن جندب أجب إسحاق بما يبهره، فقلت له: إن محمد بن نصير مأمور بإبداء علوم الله وشرحها يأتي به على حقيقة كونها وصدق شرحها، يخرج ذلك إليه من مولاه، ويبديه لأوليائه والّذي حدّثتني أنت به

عن خالد بن الأشعث، عن صالح بن عبد القدوس، عن يونس بن ظبيان، عن بشّار الشعيري، عن حمران بن أعين، عن أبي حمزة الثمالي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فإنّما سمع جابر ما سمعه من محمد بن نصير هذا وقت زين العابدين وهو عبد الله بن غالب في أوانه.

فقال إسحاق: كأنك تقول: إنّه صاحب الشرح؟

فقلت: نعم كذا أقول.

فوضع كتابه من يده وأخذ في إصلاح ردائه للخروج، فمدّ محمد بن نصير يده فأخذ الكتاب ورفعه إليّ وقال: احتفظ به، ونهض إسحاق وهو يقول: لا يزالون بمحمد بن نصير حتّى يتّخذوه ربّاً، وخرج ولم يطلب الكتاب.

فقال محمد بن نصير: انظر في كتاب اسحاق بالموضع الّذي شرحت لك ما لم يشرحه إسحاق، وعرّفتك أنّه ما شرحه، فعدت أنظر فيه فإذا بجميع ذلك الشّرح الّذي شرحه لي محمد بن نصير في كتاب اسحاق.

فقلت له: يا سيّدي إنّي أجد شرحك كلّه كاملاً.

فقال: هو كذلك، وإنّما سُتر عنه ذلك كما ستر عنه أخذ كتابه، يا محمد بن جندب إنّ إسحاق خرج فلقيه بعض تُبّاعه فجلس يحادثه ثمّ مضى ودخل إلى منزله، فخرج وجلس في سوق الكوفيين، فافتقد الكتاب، فرجع إلى منزله وطلبه فلم يجده، وقد طالب به الرّجل الّذي جلس معه يحادثه، فأيّ وقتٍ لقيته فاسأله عنه فإنّه لا يعرف منه حرفاً واحداً ولقد سلبه بما جرى إليه وليكن عند سؤالك له عنه، هذا الكتاب في يدك فإنّه بخطّه فإن سألك عمّا في يدك، فقل له: كتاب الكور والدّور لمحمد بن سنان، فإنّه سيقول أرنيه أنظر إليه، فادفعه له، فسيقول لك صدقت هذا كتاب الكور والدور لمحمد بن سنان.

قال محمد بن جندب، فلقد كان من إسحاق جميع ما أبداه إليّ محمد بن نصير، ولم أسمع إسحاق ذكر كتاب الأكوار بعد ذلك اليوم.

العودة للشّرح

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير إليه التسليم عاد إليّ شرح ما كان يشرحه لي فقال: ثمّ إنّ عبد الله بن غالب عاد بالشّرح فقال: إنّه عاد بالملاحظة للحيث، فعاين تكوينه وكيانه الّذي كوّنه الخامس من التكوينات الّذي رآه حين لحظه لمراده منيفاً شاهقاً عالياً زاهياً متعالياً متلاصقاً، فحين لحظه بإرادة مراده صدعه، وفرّقه، كما قال: «فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» فتهافت في علم الارادة من المكون لا يقرها حيثُ حيثٍ إذ لا حيث. وأبدى من كلّ فرقة منها بعدد تلك الفرق فرقاً أعظم منها حالاً حتى صارت تلك الفرقة الّتي بدت منها تلك الفرق أدناها منظراً وأقلها وزناً لا يحسّ عند عظم إحدى الفرق التي بدت منها.

وقد كانت الفرقة الأولى التي تفرقت عند الانصداع بعدد سنين المائة ألف كورٍ من سنيّكم هذه على ما شرح، ثمّ أدامه كذلك وهو متراكبٌ متشابكٌ متضاعفٌ متطابقٌ وباعده عن تلاصقه وتشابكه وتراكبه وتطابقه، فصارت كلّ فرقة منها حيث لا تحسّ بأخرى من تباعدها وتباينها وتراكبها ذهاباً فأعدم بعضها بعضاً حتّى كأنّها لم تكن بمكونة، وأثبت لملاحظته فرقتين لا ثالث لهما فكانتا بحيث ثبتتا على حالتيهما، ليستا بحائلتين ولا زائلتين، وأعمّ بهما ذلك الحيث الّذي كانت تلك الفرق تعظم تكاثرها فيه لا يحسّ أحدهما بصاحبه ولا يحيثه ولا يعلمه.

فملأ ذلك الحيث بتلكما الفرقتين حتى امتلأت فيه ثمّ أنارهما بنور ملاحظة المريد، فكانتا كنوره في كيان كونه، فلمّا لحظهما وهما بحال كيانهما الّذي كوّنهما به أعاد على نورهما بمعاودة الإرادة، **فقدح إحداهما عن لهب نورٍ أعمّ به الحيث وأجّجه مائة ألف كورٍ**، ثمّ أعاد اليه الملاحظة للمراد **فأسعره** مائة ألف كورٍ، ثمّ أعاد الملاحظة للمراد **فأضرمه** مائة ألف كورٍ، ثمّ أعاد الملاحظة للمراد **فجعجعه** مائة ألف كورٍ، ثمّ أعاد الملاحظة للمارد **فأبدى شرره** مائة ألف كورٍ، ثمّ أعاد الملاحظة للمراد **فأشعله** يمرّ في الحيث كلّه، **فأعمّه وغمره وأحذق به وكلّله وأوهج وقده حتّى قتم وسدم وتعم فعام في ذلك مائة ألف كورٍ، فعاوده بملاحظة المراد فأركده وأخمده وأهمده فأنحس تنحيساً في كون كيانه بكون ذات إرادته فأنحله الإسم الّذي**

كوّنه لمّا كمل له إعداد الأكوار الّتي جعلها كوراً واحداً وسمّاه به فكان الكون الناري.

تبيان النجوم

ثمّ عاود الملاحظة للحيث فإذا هو بالنور الّذي كان متبعضاً متجزئاً وإن كلّ بعض منه جزء ليضيء، وإنّ ضياء بعضهما ليفضل على ضياء بعض، ويغشى بعضهما بعضاً، وهي متكاثفة قد امتلأ بها الحيث فألحظها ففرقها أمداً ثمّ لحظها **فجمعها فرقاً متشاكلة لا تمازج فرقةٌ إلاّ شكلها** وأحفّ بعضها ببعضٍ في ذلك الحيث، فكانت كذلك أمداً مثل ذلك، **ثمّ أزهرها وسترها في الحيث** فأحلّ بعضها محلّ بعضٍ بحيث كان يسكن من قبله، وأوجدها بحيثها وحيث غيرها من أشباهها كلٌّ يجول ويسير ويحلّ بحيث رتب له السير وكانت بذلك أمداً مثل ذلك حتى تمّ فيها كون الإرادة للتكوين الّذي هي مكوّنة له.

فلمّا أوجدها في الحيث بحال كيانها المكوّنة له أعاد إليها ملاحظة المراد الكائن لتكوينها فأنشأها عدداً، وكوّنها شداداً، وأبداها صفوفاً وأكملها ألوفاً، وكوكبها فزيّن ما أبداه في بدو تكوينه وهي السماء، وقد أبان ذلك بالنّطق فقال: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» ثمّ زيّنها بحيث كوّنها له وأحفّها بالكون الّذي أبداه وهو السماء، فغمرها بها وسطّرها فيها، وسكّنها فأزهرها، فكانت على ذلك الوصف مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى ها أحد الفرقدين، فأغشى بنوره أنوارها، وأمدّ نوره على أنوارها ونصبه في قطب الكون، وتهيأ من حوله وأركزه وأركزها مائة ألف كورٍ، وهو بحاله ما يقضيه شيءٌ من الضياء والنور وهو مع ذلك ميم الإرادة، **ثمّ بدا له الاسم فثبت له تلك الفرق وتهاوى ما كان حوله من كونٍ فمرّت في الحيث يميناً وشمالاً حتّى لم يبق منها حوله زاهرة وصار بذاته في كونه**، فأمدّه الأزل بعلم أحكام التكوين وتمام المراد ونهاية الحدوث، فأوجد ذاته بوصف ذلك، فلمّا ثبت له ذلك من علمه أبدى الأزل بإيجاده الفرق من حيث إرادة إيجاده له لا توجد ذات كلّيته، **فجعل تلك الفرق تدور من تعظيم ما أوجد من علم إرادة الأزل بإيجاده له.**

فلم يزل به ذلك التّعظيم حتّى ذهب به وأوجد لمكوّنه في حال عدم الوجود، فلمّا كمل له مراد الأزل بإيجاد المكوّن بسط قدرته على ما قدره وذهب بذلك العلم الّذي أوجده للفرق من إرادته لموجده الغاية من الأزل، وقد كان ذهب في منازل التعظيم حتّى صار كالعرجون، وهو كالشّعرة البيضاء، الّتي تلوح في حالك الشّعر الأسود، ليس به غيرها، فكانت كذلك بالذّهاب من الكون إلى حلول هذا الوصف مائة ألف كور، وعلى وصف العرجون مائة ألف كور، ثمّ أمدّ الأزل المكوّن عند مراده مكان تكوينه فعاود بالملاحظة للحيث الّذي كوّنه، والفرق الّذي أنارها، والمصابيح الّتي أزهرها، فأطافها بالملاحظة للطّلب مائة ألف كور، لا يوجد لكيان ما كوّن حيث، ولا يجده أزله حقيقة عدم وجود ما كون. فكان بذلك مدمن بالملاحظة والطّلب.

فلمّا بَعد عليه مدى طلبه أبان له وجود العرجون فبدا له، وألهم العرجون إيجاد مكوّنه فجعل ينحوه، ويطلبه، ويسمو إليه، وينقاد إلى قدرته الّتي قدره لها حتّى عاد إلى هيأته بمائة ألف كور، فثبت فيه ذلك من إرادة الأزل الذّهاب والتّلاشي، كما أبان ذلك بالنّطق فقال: «والْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» فكان ذهابه وتلاشيه ذهاباً بالسّبع ثمّ لمّا بدا له كون ذات المكون ثمّ عاود فيها إلى كمال ذات كونه فأبدر بهيئة التّمام.

فمن ذلك صار برتبة الإبدار في تتمّة أربع عشرة، وأنحله الأزل بتلك إرادة الظّهور بالإسم لتكويناته الّتي كوّنها في بدو تكوينات النّورانيّة، فكان ذلك من بدو مراده فيه، وأنحله مكوّنه وهو الاسم. ولمّا أنحله الأزل وجود ظهوره بذات الاسم للأكوان النّورانية إذ جعله دليل ما تكوّن ومحلّها ومقدارها وضيائها ومقدار ما يكون من تكوينات إرادة ما يكون، وتوقيت ما يوقته، فمن ثمّ ثبّت فيه وجود ما أوجده هذا العالم من الترتيب للقمر واستهلاله وإجرائه للعوالم تقديرات عوالمهم وكون أكوارهم بالسّبق الّذي قدّمه الأزل فيه من علم الإرادة مبين فيه ما أبداه إلى مكونه حتّى لكأنه فيه، فلمّا تمّ له ما أنحله مكوّنه ثبت في ذلك الحيث على تمام الكمال مائة ألف كور، وذلك أن الحيث والكون والتكوينات كلّها نور لا ظلام يمازجها، ولا قتم والكيان المكون نورٌ مشبّحٌ لإيجاد الذّات لأنه كون بها **فكانت الكائنات تجد كونها من حيث**

إيجادها من مكوّنها، فيزهر بذلك نورٌ وهي بغير حسّ، فكان البدر الّذي بدر تمامه ثابتاً بحيثه، وهي حافّةٌ به محدقةٌ به.

فأمّد الأزل إرادته للكون في إدامة ذلك ألف ألف كور، فأمدها المكون كذلك، فكانت إرادة الأزل في الظّهور بالاسم لذلك المبدر فيذهب في حاله بالذّهاب الأول والتلاشي على ما أبداه حتّى يعود كالعرجون، ثمّ يعاود بعد تمام إنفاد مراده بوجود المكوّن، فيعود إلى كون بدوره بالتمام، فكان كذلك بالكرّ والعود ألف ألف كور، يذهب بمائة ألف كور، ويعود بمائة ألف كور، **فأكرّه كذلك خمساً** وقد أبان ذلك فقال بالنّطق: «في خمسة أَيّامٍ سَواءً لِلسَّائلِينَ»[1].

ثمّ قال لي محمد بن نصير: يا محمد بن جندب، **وتلك الألف ألف كور هي الخمسة الأيام**، كل يوم منها مائتا ألف كور أمدّها الأزل لذات كون مكوّن الكيانات.

ثمّ إنّ عبد الله بن غالب سأل الجمع الّذي بحضرته فقال: أعلمتم معنى النطق خمسة أيّامٍ سواء للسائلين؟

فقالوا: لا يا مولانا.

فقال: في وقت تكوين المكوّنات لم يكن سائلٌ ولا معترضٌ على المكوّن وإنّما وقع السؤال عند تكوين النّطق في الكون الترابيّ البشريّ، فلمّا جرى النّطق وثبت لها الوجود والعيان أوقعت السؤال، واعترضت في علم الكيانات، وكذلك أمدّها الأزل بإرادة المكوّن لإيجاد القدرة يبدو للقادر وتثبت الحجّة على الكون المكوّن بعد هذه المكوّنات وهو الكون الترابيّ البشريّ.

الكون الترابي البشري

و هو الّذي جرى فيه المزاج وبه كوّنت الظّلمة وهو بدوّها والقتم والعتم وهو ذاتها والّذي جرى عليهم هذا الخطاب من النّطق في سبق القدم النورانيّ إلى أن بدا في وجودكم الكون الترابيّ البشريّ وهم الخمسة الّذين شرحتهم وأثبتّهم أنّهم الأيام

[1] يورد الكاتب هنا أربعة أيام ولكن النص في القرآن يقول: «وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائلِينَ»

الّذين كوّنوا مع الأكوان الخمسة، وسمّيت الأكوار بهم عند إرادة كونهم وهم السائلون من علم الملكوت والباحثون عنه، والراغبون في وجود علمه.

ثمّ قال: **وهم أهل السؤال عن هذا الشّرح وفي هذا الحين وفي كل حين،** وذلك إذا أراد الغاية أبداه وبيانه وإظهاره قدرة القادر الّذي أمدّه بالاقتدار أمدّ هؤلاء الخمسة بالسؤال عن إرادته الّتي قد أمدّهم بطلب علمها، فيبدو السؤال منهم المؤدي إليهم، ويبدو الأذن من الأزل إلى المؤدي بالإجابة، فيجيب عن مراد المريد بما يثبت به البيان عند ذوي الايمان.

ثمّ أبدى لهم عن وضوح ذلك فقال لهم: وإن كنتم لأنتم هم، فلمّا سمعوا ذلك خرّوا ساجدين وتذللوا تعبّداً إذ أنحلوا هذه وأحلوه وصاروا به واختلقوه لعلمه.

فقال لهم عبد الله بن غالب: وكم لكم إلى مثله من رجوعٍ وسؤال وبحثٍ عند كلّ إرادة من المريد لإبدائه في تنقل علامه وتغيير كونهم وردّهم من حيثٌ كان بدوهم وردّهم إلى حيثهم مؤبّداً ذلك مع أبده، ودائماً ذلك مع دوام ملكه.

ثمّ قال سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير: يا محمد بن جندب، فأبشر فإنّك في المحلّ كهم، وإن أردت أقلّه [قله] مبيناً بل هم.

قال محمد بن جندب: فكدت أهلك سروراً وفرحاً وخررت لوجهي ساجداً.

فقال: ارفع رأسك يا محمد بن جندبٌ واعلم أنّه يجري هذا السؤال ويبدو هذا الشّرح وتثبت هذه الحجّة عند أوان وقوع الغيبة وركود الحيرة فيكشف المولى مراد السائلين عنه فإذا كشف لهم المراد أمدّهم بالسؤال فسألوا وشرح لهم، فثبّت بذلك أهل الإيمان على معرفة الله إلى وقت وجود الظّهور وحار فيه ذوو الشّكّ والارتياب.

وقد أبان ذلك بالنّطق حين قال: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» فقد سبق لهم الثبات في البدو من التكوين وفي الّذي يأتي من بعده من الكيان لا يزول من استقام ولا يرجع من عدل.

العودة للشّرح

ثمّ عاد سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير إلى شرح ما كان يشرحه فقال:

يا محمد بن جندب، ثمّ أعاد بهم عبد الله بن غالبٍ بعد أن أوجدهم معرفة الخمسة أيامٍ سواء للسائلين إلى إعادة الشّرح فقال:

ثمّ إنّ الأزل أبدى مراد الإرادة منه إلى محلّ مراده وكون ما يريد كونه بعد إكمال كون كيان المهل المبدر في تمام إرادته في الفرق الثاني فعاوده بملاحظة المراد وهو في الحيث فسيّره مائة ألف كورٍ، ثمّ أعاد مثل ذلك إلى حيث كان به من الحيث، فلمّا توسّط في الحيث عاود بالملاحظة، فمرّ في ذهابه لم يجده من الحيث ثبات يثبت فيه ولا يحلّ محلّه بل جعل له في ذهابه منزل السّير في الذّهاب، فمرّ كذلك مائة ألف كورٍ على ما ذهب به بالملاحظة الأولى حتّى أعاده إلى حيث التوسّط.

ثمّ لحظه فذهب على كيانه لا يقرّ بحيث ولا يفتر عن سير ألف ألف كورٍ مثل الّذي أدام فيه الفرق الأول، وقد كان الفرق الأول الّذي أقمره، وأهله وأبدره إذا ذهب به في تلاشيه وأحله العرجون، ثمّ أبداه برجوع كونه بتداوم رجوعه إلى الحيث بكماله فأوقفه فيه مائة ألف كورٍ، إلى بدو الإرادة فيه وذلك رتبةٌ أوجدها فيه، ورتّبه بها عندما أمّد الأزل الإسم أنّه يريد أن يظهر به في جميع عوالمه ومكوّنات كونه.

فلمّا أبداه ببدائه وفيما يمدّه بتكوينه أوقع وجود ذلك في قدم النّورانيّة وكوّن الكون النّورانيّ وجود ذلك في قدم النّورانيّة وكون الكون النورانيّ وجود الظّهور والغيبة، وكان إيجاد ذلك في الوقت للإسم لا غير إذ لم يكن كون قبله ثمّ أمدّه بعلمه وإرادته إيجاد ذلك لما كوّنه الإسم، فاوجد الاسم مكوّنات تكوين كونه ذلك من الأزل فوعته وعلمته من قبل ظهوره فيها وغيّبته عنها وهي عند ذلك لا بكون وجود عيان ولا لمس ولا حسّ بل تكاملت في إيجاد ما يوجدها مكوّنها تعيه فهماً وعلماً قد أكمل لها في تكوينه إياها فهي مكوّنة، **فلمّا ذهب بالفرق الثّاني في المداومة السّير ألف ألف كورٍ بغير توقّف وصار به إلى أن توسّط من الحيث علم منه مراد الوقوف كما**

أوقف الفرق الّذي كان مشاكله في التكوين وقد كان خلج ذلك وهم سر الفرق الثاني فلحظه لحظة الإنكار عليه ذلك فكثّفه عن ضيائه وأماده بنوره ولاشاه بذهابه وسيّره ولبّسه حيرة التّخلّص، **فصار في الحيث كالطائر الواقع في شباك صائد يريد هلاكه وهو يجهد في خلاصه من شباكه لينجو إلى حيثه الّذي كان فيه**، ولا يعاود إلى مداناتة شباك، فرتب فيه ذلك وأحلّه به وأنحله إيّاه، فهو به **وهو الكسوف الّذي في الشّمس** يجري عليه في كلّ حينٍ، وهو أمدّ ما سلف من الأكوار وهذا سابقٌ فيه جارٍ من قبل وقوع التّسمية، فكان في ذلك من وصف مائة ألف كورٍ.

ثمّ أعاده بملاحظة الإرادة فخلّصه من حيرته وأمادته، وراجعه بما كان أعدمه من نوره وضيائه، **فأشمسه وأوقع به اسم الشّمس**، وذهب عند رجوعه إلى حاله في الكيان والتمام بذهاب سيره ودوام ذلك لا يفتر منه، ولا يقصر عنه، وعليه أجراه في بدو تكوينه وله كونه فهو بحاله من حيث كان حيثه ووجوده وأوقع اسمه عليه وأنحله الكون المسمّى بالسّماء، والاسم واحد بالوصف والنّعت وذلك أنّ السّين كاملة بالتّسمية والميم و**صار السين موضع الألف المقدمة في اسم** وصارت في عدها ثلاثاً إذ كان ثالث مكوّنه وذلك بأن **الأزل والاسم والكون** الّذي وقع عليه اسم سماء وشمس ثالث، وقد تقدّم الشّرح ونعته واسمه وكشف لكم عن وجوده وعيانه.

فلمّا أكمله في حاله في الحيث والنّور والكون أمد الأبد المدى بإيجاده غير ما أوجد من مكوّنات قدرته وذات إرادته فكان المدى الّذي أمّده ألف ألف كورٍ، ثمّ بدت مدّة الإرادة من الأزل إيجاد الاسم وظهوره وأماده بإيجاده ما أوجده أن يوجده كونه، واسمه وهو السماء والشّمس بالتّسمية **فأظهر الأزل ذات إرادة من القدرة الّتي أبداها اسمه وأمدّه بإرادته** فظهر الأزل المعنى بالّذي أهّله وأبدره، وأقمره وهو كان بدو إيجاده ذاته لإسمه وظهوره له وأبدى إلى اسمه أن يظهر بالشمس الّتي أنجلها الاسم لبابه فظهر فأوجد في الحيث جميع الأكوان المكوّنة من ذات القدر فكان بين الأزل والاسم مدى مائة ألف كورٍ وكان الأزل يبدو بظهوره للأكوان بحيثها وهو في أزله ولا حائل ولا زائل، ولا حال فيما أبدى من ظهوره به. بل كان يوجد من الكون المبدر المقمر ما يدل تلك الأكوان على أزله وغايته، وكان الاسم يجد في سيره بترتيب ما كوّن به الشّمس لا يفتر يريد بذلك إدراك الكون الّذي أزّله مبدئه بالظّهور فلا يدركه ولا يقرب منه ولا يدانيه في ثمالةٍ وهي دون الذّرّة، فأبان ذلك بالنّطق

فقال: «لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» والفلك هو الحيث الّذي حدّهما للوجود وهما سائران فيه، فأوجد في ذلك أن الشّمس ليست بمساوية للقمر ولا كونها ككونه **وذلك في الشّرح أن ليس الباب بمدرك للإسم إذا كان بظهور المقمر المبدر المهلّ وكذلك ليس الاسم بمساوٍ لأزل عنه بدائه وجود ظهوره به**، فأبدى المعنى ذات ظهوره به، وأبدى الاسم ذات ظهوره ببابه بالحالين المكوّنين بالحيث النورانيّ للأكوار النّورانيّة ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ وهي على حال وصف ما ذكرته لكم أن بين الاسم والأزل في نهاية التقارب مائة ألف كورٍ، وهذا ثابت للإسم وهو به وإليه نهايته بالدّنوّ وهو المحلّ الّذي أحلّه فيه حين قال: «ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى. فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى».

الدّنوّ

فكان الدّنوّ نهاية القرب وهو مائة ألف كورٍ، فلمّا أبدى اسمه بوجوده وتناهى دنوّه من أزله. وأنّ اجتهاده بالسّير ليس بمدنيه من الأزل، ولا خارجٌ به من الحيث الّذي حيّثه له. فثبت فيه وراجع الانقياد إلى قدرة مقدّره الّذي هو أزله، وقد كان المقمر المبتدر المهلّ حين أبداه الأزل لإرادته الظهور به وأوجده الإسم أنار الاسم بمراد الأزل نوراً لم يكن أناره مكوّنه ولا أمدّه أزله بإيجاد نورٍ مثله، **وهو النّور الّذي يحلّ بالهلال عند بدوره**، فيوجد فيه ذلك النور والكون عند بدوره ويعدم فيما بعد ذلك من وجوده، فلمّا أتمّ المدى بإرادة الظّهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وقد أوجد الأكوان ذات الظّهور بالوجود من حيث لم تبد بكيان كونٍ ولا وجود، ثمّ غيّب عنها وجود ما أوجدها من الظّهورين.

فلمّا بدا بذات الغيبة وأعدم النّور الّذي أنحله المبدر عند بدوره، وقد كان عاقبة ذلك العدم الكسوف الّذي أحلّه به عند كلّ مقاربةٍ حيث أبدى الغيبة وأعدم النّور، فكذلك إذا حلّ القمر المحلّ الّذي أعدمه فيه وجود النّور الخاصّيّ عند الظّهور بالحيث النورانيّ انكشف فرتّبه بذلك في بدو الأكوار [الأكوان] المكوّنة عند كيانها.

ثمّ أهمل المدى ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ لا يبدي ظهور ذاته ولا ظهور اسمه، فلمّا أتمّ المدى أمد إلى اسمه إيجاد الظّهور بذات اسم كونه وهو

الشمس، فظهر في الأكوان كلها بإرادة أزله ألف ألف كورٍ وخمسمِائة ألف كورٍ، يبدي ذاته لأكوانه وهو في إدامة سيره، فلمّا أكمل المدى وتمّ مراد الأزل فيما أمده به بدا هو بذات الكون المبدر المهل المقمر الّذي هو أنحله اسمه كما أبدى الظهور الأول، فأبدى ذاته بغير إحراك إزالة ولا حلول كونٍ، **وأبدى ذلك النور فأبدر به المهل المقمر حتّى أوجد جميع الأكوان وجود أزليّته وأبان بين أزله وقديمه،** ففرقت الأكوان من حيث أوجدها الأزل أنّ مكوّنها كون كيان مكوّن غيره، وأنّها هي مكوّنات تكوينه بإرادة مكوّنه وأزله، فكان ذلك من ظهورات الأزل والاسم على هذا الوصف والنّعت ألف ألف ظهورٍ وخمسمِائة ألفِ ظهورٍ، كلّ ظهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وبين الظّهور إلى الظّهور ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ على نعت ما شرحته لكم من نعوت الأكوار والأدوار والأجوار والسّنين والشّهور والأيّام، وأن اليوم خمسون ألف سنة من سنيكم هذه، فهل أنتم مدركون أمد ذلك ومداه وعدده وإحصائه؟

تفسير دنوّ الباب من الاسم

فقالت الجماعة عند ذلك لأبي خالد: يا سيّدنا، أفي هذا المدى كنّا نحن موجودين، نعاين ونعايَن للحيث ويظهر لنا ذلك الظهور ونوجده؟

فقال: نعم، في كلّ ذلك كنتم مكوّنين في الكون والوجود والعيان ولكم أبدى الظّهور وبكم طاف الوجود، وفيكم وعليكم كان الأبد والعود في جميع هذه الأكوان، ولمن كان حلّ بالحيث من أهل المراتب العلوية النورانية والصّفاء، وما بعد ذلك أعظم وأكبر وأجلّ إلى أن أبداكم بالوجود بعد التكوين، وأبدى إليكم ولكم نطق المكوّن بالإشارة إلى الأزل الّذي هو الغاية فأسمعكم نطقاً لم تسمعوا نطقاً قبله ولا وجدتم تكوين نطقٍ، وأوجدكم نطقه لمّا أنطقكم، فنطقم من نطقِه عن نطقه لأنّه لم يكن وُجد نطقٌ قبله ولا أُوجِد وجود ناطقٍ.

فلمّا نطق له بقوله في خطابه:«إنّي أنا الله لا إله إلا أنا» كان ذلك إيجاد النّطق له فنطق عند ذلك من حيثِ أوجد النّطق لأنّه نطق له كنطق المكوّن لكم حين نطق لكم، وأشار إليه، وكذلك أوجدكم إن وعيتم سمعاً حيث سمعتم، وفهماً حين فهمتم. كلّ

ذلك كان من المكوّن وهو الاسم لكم كما كان من أزله إليه وبوجوده وُجدتم، ثمّ إنّ الأزل أمدّ الإسم بإظهار دُنوّ الباب من الاسم وجوهر به الشمس الّذي ظهر به وأبدى كونه، فأبدى المكوّن ذاته وإرادته للشّمس الّذي هو اسمه وكونه وبدو تكوينه **فظهر الاسم للكون ظهور عيانٍ، وأبداه له، وقف له إجلالاً للعظمة الّتي أبداها له،** وكان وقوفه خمسمائة ألف كورٍ، وأدناه منه فدنا حتّى صار في الدّنوّ منه مدى خمسمائة ألف كورٍ، وكان الوقوف له في ذلك الدّنوّ خمسمائة ألف كورٍ **وهو المقدار الّذي تقف الشّمس في القطب حتّى تمرّ منه إلى الزّوال.**

فلمّا كمل لها ذلك المدى أبداه بكون كيانه شخصاً في شبح الوجود نوراً وأوجدهم ذاتِه وكونه فكان عند ذلك متجوهراً ظاهر الجّوهر عند ذاته، ووجد بجوهرته علم مكوّنه، فاستسلم له ولاذ بالقدرة خمسمائة ألف كورٍ لا يخرج به الرتبة من حيث كوّن فيه ووقّت له. فلمّا أتمّ المدى له بدا له ثانية ببدئة الأوّل له، وأوجده المعاودة إلى مسيره. فسار عن حيث الدّنوّ إلى حيث كانت تسير إليه وفيه من حيث التكوين فأدام له ذلك ألف ألف كورٍ لا يبدو له ظهور مكوّنه، ثمّ ظهر له بعد ذلك مراد الأزلِ في وجود المُهلّ المُقمر المُبدر، فأوجده من مكوّنه في الظّهورين المتقدّمين بضياءٍ غلب على ضياء ما سبق وقدرةٍ أبهرت ما قدّره من قدر المقتدر لكونه، فذهب عن حيثه حتّي لم يجد فيه بمعاينته وجود لا وقوع أثر قريب له بذلك عند تكوينه به الليل الّذي يغيب فيه عن الوجود والعيان وذلك أنّه ثبت فيه عند ظهور الأزل بالاسم.

ثمّ قال محمد بن جندب: فقال لي محمد بن نصير عند بلوغه من الشّرح إلى هذا الباب: ثمّ إنّ عبد الله بن غالب أقبل على من بحضرته فقال لهم: فمن ثمّ أوجد المعنى ظهوره بالإسم، **وأوجد الإسم ظهوره بالكون النوريّ** وهو الباب، والمعنى أزّل الجّميع وهو يوجِد ظهوره ويُوجد بظهوره ظهور اسمه وبابه، وظهور أهل المراتب النّورانية ليس يظهر بظهور الإسم إذا أظهر بذاته وجود شيء من الأشخاص المرئيّة للظّهور، فرتّب الإرادة على ذلك في بدو تكوين الأكوان النّورانيّة، وأوجدها فيه وقدّرها عليه بجميع أكوانها وظهوراتها، لا يخرج بها عن حالٍ إلى حالٍ، ولا عن كيانٍ إلى كيانٍ، ولا عن رتبة إلى رتبةٍ. فهل أنتم مثبتون ما

أشرحه وأصرّح لكم به من حكمةٍ بتدبير قادر القدر وغاية الغايات في بدو إرادته من اسمه بتكوين كونه إذا أمدّه بتكوينه ووجوده؟

الدحوة الاولى

فقالت الجماعة: يا مولانا، قد عرفنا أنّ الأزل أبدى اسمه، فهو كونه الّذي أبداه لذاته لا لأحد غيره، ثمّ سمّاه عند إبداء اسمه له، **فلمّا أبداه باسمه وجعله موقع اسمه، وأنحله إيّاه، وسمّاه به تسمّى بالإسم وشهد له بالمعنى**، وأقرّ له بالأزليّة، وسلّم للتّعبّد له، ونفى عن ذاته أنّ الإسم اسمه وأنّه له. فأبدى ذلك في جميع تكويناته الّتي كوّنها في الحيث الّذي حيّثه، وفي مدى الأمد الّذي أمدّه به حتى باهى به إلى غيب إرادته في أزله.

ثمّ أوجده ذات وجوده وناجاه بوجود نطقه وأمره بالتعبد له. فلمّا أجاب وصمد إلى إرادة الأزل منه أنحله الظّهور به فأوجد جميع أكوانه المكوّنة تعظيمه ومحلّ قدرته وذات بسطته فيما بسطه وأمدّه بتكوين كون يكون موقع اسمه كما كان هو موقع اسم أزله وموجود ظهوره كما أوجد أزله ظهوره به، **وأنحله من مدى المدد أن أجراه فيها كما جرى هو في مدى مراد أزله.**

فشرّف الاسم بابه بما شرّفه به أزله إذ كان لا نهاية هي أنهى ولا شرف هو أعظم ولا عزّ هو أبهى ممّا أنحله أزله، ولا تكيّف بكيف كيّفه كالتّكييف الّذي أمدّه أزله بتكييفه، وإنّه لمّا تمّ به مداه أبداه للتكوين كلّه، فأوجده كلّ تكوينٍ كوّنه أنّه مكوّنه وكان ذلك عند ظهوره به، ثمّ أمدّه بعد ذلك بأن بدا هو بذاته لمكوّنات تكوينه فأوجدهم أن أزله هو غايته وبكون إرادته كان تكوينها وأوجد ذاتها، وبقدرة أزله قدر على الظّهور لها حتّى وُجد له.

فقد كمل لنا معرفة ذلك وتحصيله من حيث أنت أوحيته وشرحته ووعدت حفظه وما بعد ذلك ممّا نورده. فنحن نسأل مولانا توفيقه لما وفّق، وتسديده لما سدّد، فإن شرحت شيئاً وعيناه ونقلناه.

فقال لهم عبد الله بن غالب: إنّ مولاكم قد سبق إليّ من علمه أنّه بكم شفيقٌ رفيقٌ وذلك من منّه عليكم، وليس يسلبنّكم ما أنعم به عليكم بعد نعمائه، وكذلك يا محمد بن جندب يُبدي إليكم محمد بن نصير كما أبدى عبد الله بن غالب إلى من كان بحضرته للسّؤال ويبشّرك بما بشّرهم به ويعلمك أنّك قد حللت من مولاك محلّهم، ونزلت منزلهم، وأنّك تنال من المثال من بعد شرحي لك مثل الّذي نالوا بالوقت الّذي أفرغ لهم عبد الله بن غالب من شرح سؤالهم.

قال محمد بن جندب: فقلت لمحمد بن نصير: يا سيّدي متى نالهم من مولاهم بعد إفراغ عبد الله لهم من شرح سؤالهم، عرّفنيه، فقد شوّقتني إلى معرفته وعلمه.

فقال: نعم يا محمد بن جندب، أنا أنعم به عليك: إنّ مولاهم لمّا بلغ بهم عبد الله بن غالب إلى هذا الموضع من الشّرح، واستكشفهم عن علم ما شرحه لهم فوجدهم قد أتقنوه وحفظوه ودعوه، أشرف عليهم ثمّ ناداهم بأسمائهم رجلاً رجلاً، وقال: أهّلتكم لما سمعتم فحفظتم، فحدّثهم يا عبد الله بن غالب إلى حيث أريد بهم من محلّ ملكوتي، وأبِن لهم ما أبدَيته لمعاينتهم، فإنّي معهم حتّى أناهي بهم إلى الحيث الّذي حيّثته لهم بمرادي، ثمّ بدا لهم حتّى اكتنفهم بكلتا يديه، وضمّ بعضاً إلى بعضٍ، وعبد الله بن غالب في وسطهم، **ثمّ دحا بهم في جوّ السّماء، فمرّ في ذلك الهواء بدحوته كذهاب الرّيح العاصفة والبرق الخاطف، حتّى أطاف بهم الحيث الّذي كان يشرحه عبد الله بن غالب لهم من المحلّ النّورانيّ والمكوّنات النّورانيّة حتّى أوجدها جميع ذلك بمعاينة بدو التكوين النورانيّ، وجمع لها كلّ متفرّج ومتفرّق، وصفا لها كلّ ممتزجٍ ومعتلجٍ ومظلمٍ ومقتمٍ حتّى أوجدها ذلك كلّه في الحيث بكون بدو المكوّن المريد عند إرادته** وذهب بهم فيه في تداوم تلك المدى من الأكوار والأدوار، والأعصار والأجوار. وأوقفها في كلّ حيثٍ أوجدها ببدئها وكونها فيه، وأبدى جميع ما أبداه ببدو الكيان حتّى أوجدها ذاتِ الأزليّة في ظهوره الّذي ظهر لها به حتّى قرّر عندها أنّه قد أعادها إلى الكون النّورانيّ وأبدى المبديء أنّه قد يخلّصها من موجودات أهل الممازجات، فلمّا أكمل لها الإجابة في ذلك كلّه ذهب بها في أحياث لم تعرفها قبل ذلك ولا كوّنت فيه ولا كوّن كونٌ وأوجدها أنّ تلك الأحياث من مكوّنات مكوّنها مكوّنٌ حيثها، ثمّ أوجدها بعد إيجاده لها الأحياث بلا تكوين، مكوّنات

مملوءة تكوينات أصغر كون مكوّنٍ فيها أكبر من كونها. وهي مع ذلك نورٌ لامعٌ ساطعٌ، وجميع ما فيها من التكوينات كذلك.

ثمّ أوقفها في كلّ حيثٍ من تلك الأحياث ما أمدّه لها تحصيل علمه ومعاينته مكوّناته، ثمّ أنطق لها المكوّنات، فنطقت لها بلغاتٍ متخالفاتٍ كما قد أوجدها في الحيث الّذي هو مؤبّده، فيه لغات مختلفات، فلمّا أسمعهم ذلك بلغات التكوينات الّتي في تلك الأحياث كانت اللّغات كلّها ناطقة بنطق واحد تشهد بمعنوية الأزل الّذي هو الغاية، وباسمه الّذي هو القديم، وبابه الّذي هو بدو أمره، وكونه لا يوجدهم في تلك الأحياث غير ما أوجدهم في حيثهم، ولا غاية غير غايتهم، وكان عدد الأحياث الّتي أوجدهم ألف ألف حيث في ألف ألف حيث. أطافهم وأوجدهم ما هو مكوّن فيها وأسمعهم نطقها، فلمّا أكمل لهم ذلك أوجدهم أنّها قد بدت أسرارهم في غيوبهم، وأنّ ذلك نهاية أحياثه ومكوّنات كيانه من تكوينه وأمد ملكه، وقد كان علمه بذلك من غيب أسرارهم من قبل أن يكون لهم غيب سرّ نعم ومن قبل وقوع اسم على غيب سرّ، فظهر لهم في تناهي الأحياث الّتي وقع لهم التناهي إليها ووجود ذات أكوانها، واشتملهم بكلتا يديه كما اشتملهم في بدوه الأوّل من مجلس سؤالهم.

الدحوة الثانية

ثمّ دحا بهم في ذهاب نور لا تحصيل فيه لحيث، فكان ذهابهم في ذلك كذهاب الغريق الّذي يعوم بالماء لا يدري بحيث، ولا يحيّثه. يمرّ فيه، قد أذهله عن وجود حيث سكون الجزع فيه والهلع وتحقيق ذهابه، إذ لا يجد في عوم غرقه حيثاً يقرّه ولا يعلق به، وكان مدى ذلك الذّهاب في ذلك النّور ألف ألف كور وخمسمائة ألف كور كلّ كورٍ منها مائة ألف كورٍ من هذه الأكوار المشروحة لكون هذا الحيث الّذي كوّنت فيه.

فلمّا بلغت الدّحوة إلى تناهي الذّهاب أوقفها على متنه وردّ إليها لبّ الفكر وإثبات العزيمة وأوجد ذاتها في غيب سرّ غيوب سرّها أن حيث أوقفها فيه هو نهاية مدى أحياثه وغاية مدى ملكه، وقد كان علم ذلك من غيب سرّ غيوب سرّها من قبل إيجاد الغيب للسّرّ بكون تكوينه في كيانها، فظهر لها في مثل ظهوره في أوّليّته في

ظهوره، وهم في مجلس السّؤال وفي ظهوره ثانية عند وقوع تناهي الأحياث والأكوان لهم، فاكتنفهم كاكتنافة لهم في المرتين.

الدحوة الثالثة

ثمّ دحا بهم في إرادته من المراد، فعاود بهم في أحياث كأنّ جميع ما عاينوه من الأحياث السّالفة كحيثٍ واحدٍ من الأحياث الّتي صار بهم إليها، وأوجدهم بما أحلّهم فيه من الأحياث تكوين كيان مكوّنه لو أن كون منها حتّى يشتمل على جميع ما عاينوه من الأكوان لا يشتملوه وغمره وأوجدها أنّ ذلك كلّه من أحياث محيّث حيثها، والأكوان من تكوين مكوّن كونها، ثمّ أبداها بالنّطق لهم فنطقت كلّها بلغة واحدة جمعت فيها جميع اللّغات، **ثمّ أبداها لهم في الأحياث حتّى أوجدها أنّها بنطق واحد تنطق بلغات شتّى، ثمّ أوجدهم أنّها بتلك اللّغات تشهد بجميعها للأزل والإسم وتسلّم له كما شهدت هي وسلّمت**، فكان مبلغ الأحياث ألف ألف حيث، في ألف ألف حيثٍ بين كلّ حيثٍ ألف ألف كورٍ، وخمسمائة ألف كورٍ، كلّ كورٍ منها مائة ألف كورٍ من الأكوار المشروحة لكون هذا الحيث الّذي كوّنهم فيه.

فلمّا أبدى لهم تلك الأحياث أوجدهم تلك الأكوان وأوجدهم ذلك النّطق وأوقفهم بالغاية من الأحياث، فأبدوا بسرّ الغيب تلك الحال الّتي أبدوها من وهمهم، فظهر لهم فاكتنفهم كاكتنافه الأوّل من اكتنافه، **ودحا بهم كدحوه الأوّل** في إحالة الذّهاب مثل ذلك على تضاعف الوصف فأدام بهم ذلك الوهم وأدام بهم ذلك الظهور مع الاكتناف حتّى دحا بهم في اكتنافه في مائة ألف حيث، وبين كلّ حيث ذهاب مثل الّذي بدا بشرحه، وهي بكون عند كمال ذلك، كلّ يتضاعف في التّضاعف على ما وصفه من أوّل حيثٍ وذهابٍ، وكذلك تتضاعف أكوانها ولغات الأكوان، وأوجدهم أنّ ذلك كلّه يشهد ويقرّ عندهم بالأزل والإسم الّذي هو مكوّنهم ومكوّن الأحياث، فلمّا بلغ بهم إلى نهاية ذلك هتفوا لوجوههم وقد عدموا اللّبّ والذّهن والتّحصيل والإدارك، وزال عنهم سرّ الغيب من وهم ينبيءُ أمد ملكه، وتناهي أحياثه، ومكوّنات كيانه، وأيقنوا أنّه لا غاية لذلك، وأنّها بعض بعض علمه إذ كان لا بعض يقع عليه ولا به، فلمّا أوقفهم وقد هفتوا لوجوههم في نور غرّته الّتي أغرّ بها اسمه، وجلال قدرته الّتي قدّره بها

على كون ذلك وإيجاده، ظهر لهم فقال لهم نطقاً وأوجدهم إيّاه من إرادته، وهو ما قد سبق إليهم في مقامات ملكه حين أبداهم فيه:«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فكانت الأجابة على سرعة التّسليم «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»، إنّه الإسم الّذي أمدّه بكون تكوين هذا الملك.

ثمّ قال: يا محمد بن جندب، فأهل الشّكّ، والزّعم، والحيرة، يقولون بكذبهم على الله، ودعواهم عليه بالباطل **أنّ الله الواحد يبيد عالماً، ويذهب به حتّى يحلّه العدم بعد الوجود وينفي ذاته بلا كونٍ يكون، ثمّ يشرف على عالمه، وهم همودٌ بزعمهم في أحداثٍ وقبورٍ قد أحالهم فيها إلى الرّميم وسوّا بهم الأديم**، ومعنى ذلك أخلطهم بها حتّى صاروا كهي لا ينفصل أحدٌ إذا بحث عنها، وعن الأرض ومن سوّرت به الأرض، فيناديهم عند ذلك:«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فيكون ذلك منه في بدأة أمره، وثانية وثالثة، **فإذا لم يجد من يجبه دفع إلى أن يردّ من ذاته على ذاته، ويشهد بملكه لذاته فيردّ بقوله إلى قوله:«لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». وهذا يا ابن جندب عبثٌ ولعبٌ، جلّ الأزل والواحد عن كيانه ما وصفوه به ونسبوه إليه**، ما كان بالّذي يبيد عالمه ويسأل نفسه عن ملكه، **بل له إليهم عند كلّ إرادةٍ بدأة وفيهم ظهور تجديدٌ يوجدهم ذاته عند تجديده لهم ويتلوهم بعلم ما أعلمهم من قبل استعلامه ذلك منهم**، فالملك دائم بدوام قديمه الواحد، قاهرٌ بعلم إرادة أحده. فتبيّن يا محمد بن جندب ما شرحته.

ثمّ عاد إلى شرح أهل السّؤال وعبد الله بن غالبٍ في نهي المراد الّذي دحا مولاهم بهم فيه وبدو نطقه لهم، وإيجاده إيّاهم النّطق من حيث أمدّهم بعلمه وأبدى السّؤال لهم عمّا كانوا قدّموه من غيب سرّ وهمهم الّذي وهموه أنّه قد تناهى بهم المدى إلى غاية أحياث الواحد، وأنّه حين أمدّهم بغيب سرّ الوهم أهفتهم، ثمّ ناداهم بإيجاد سرّ النّطق الّذي أوجدهم:«لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» وأبدى لهم إجابة التّسليم للقدرة البادية لما أبداه لهم.

فقالوا: «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» فلمّا أنابوا بحقيقة علمه فيهم ومنهم اكتنفهم كاكتنافه لهم في مدا دحواته الّتي دحاهم فيها، ثمّ دحا بهم دحوةً واحدةً فذهب بهم في جميع تلك المذاهب والأحياث والأكوان حتّى أعادهم بمجلس السّؤال الّذي اكتنفهم منه، فمثلوا جلوساً بحيثهم، وكان ذلك من مولاهم بأقلّ من طرف العين مرّتين ذهاباً

ومجيئاً، وقد أبان ذلك بنطقه حين أحلّهم في ذلك المحلّ عند كلّ سؤال «فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ[1]» فكان هذا طرفاً واحداً.

ثمّ قال:« ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ[2]» فلمّا أبان لهم المولى ذلك من قدرته لاذوا بعبد الله بن غالب وقالوا: يا باب الله أنهلك بهذا السؤال، أو نحن مبقون؟

فقال: لا بل مبقون لإرادة مولاكم فيكم، وكم لكم في مثله من عودات كما قد سلف أمدٌ بعد أمدٍ، وحينٌ بعد حينٍ؟

فقالوا: يا باب الله أوقد كان لنا فيما كنّا فيه عودة قبل هذه!؟

قال: إي والله، عوداتٌ وعوداتٌ. لو أحصيتهنّ لكم لطال بكم تحصيل ذلك وعدّه، وإكمال نعته.

فلم يجد أحدٌ إعادة جواب، ثمّ قال: يا محمد بن جندب: هل سمعت هذا الشّرح من إسحاق حين شرحه لك، ومن أين كان يشرحه؟

فقلت: من كتابه الّذي قد أودعتنيه، وقدّمت لي فيه ما قدّمت.

فقال لي: أنظر فيه هل تجده فيه؟

فنظرت فوجدت جميع ما شرحه في الكتاب.

فقال: إن علم ما قد شرحت لك حجب عن إسحاق، فكان يمرّ به إذ هو يصفّح كتابه لا يراه لأنّ المولى لم يجده موضعاً لعلم الكلّ من علم سرّه وغيبه.

[1] الملك ٢.
[2] الملك ٣.

ذكر دعوة أبي شعيب ومحمد بن جندب

فقلت: ما أجلّ ما مكّنك فيه مولاي !

فقال: يا محمّد بن جندب، إن أحببت أن أقول لك: إنّ محمد بن نصير ومحمد بن جندب قد كانا في الجّمع الّذين اكتنفهم المولى ودحا بهم في الحيث الّذي حيّثه، وعاينا جميع ما عاينوه.

فقلت: يا سيّدي أوقد كان محمد بن جندب في جميع ما ذكرته وعاينه؟

فقال: نعم يا محمد بن جندب، وها هو كائنٌ كما كان أوّلاً وليس بآخر.

قال محمد بن جندب: فلمّا أتى محمد بن نصير على قوله وليس بآخر، حتّى بدا مولاي الحسن منه الرحمة ماثلاً لنا فاكتنفني وسيّدي أبي شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه، ثمّ دحا بنا في تلك المذاهب والأحيات، فعاينّا تلك الأكوان المكوّنات، وسمعنا تلك اللّغات ووعينا تلك الشهادات، فكان عياني له كما شرحه لي سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير باب كلّ هدي، فحصّلت ذلك يقيناً وعياناً حتّى بلغ بنا المدى الّذي ذكره.

ثمّ ظهر في تناهي الحيث فاكتنفنا ودحا بنا فأعادنا فيه إلى مجلس أبي شعيب محمد بن نصير في أمد الطّرفين من اللّحظ، فهفت لوجهي أخور تحت إرادته وكون قدرته أقول: يا سيّدي يا أبا شعيب يا محمد بن نصير، أتهلك محمد بن جندب بهذا السؤال أم هو مُبقىً؟

فأجابني ووعدني بما أجاب به عبد الله بن غالب ومن كان بحضرته، ووعدني بما وعدهم مثلاً بمثل، فشكرت مولاي على نعمائه، وعلى ما خوّلنيه من نعمه.

فقال لي محمد بن نصير: ثمّ عاد عبد الله بن غالب بهم إلى شرح السؤال الّذي كان يشرحه.

فقال: ثمّ إنّ الإسم أمدّ بابه بما أنحله من ذاته أن أبداه بالجّوهريّة الموجودة وتحصيل العيان فأمدّه إلى أن مرّ في الكون كلّه والحيث كلّه على جميع الأكوان الّتي

كوّنها حتّى أوجدها محلّه من مكوّنه وما أنحله من الظّهور به إذ كان هو الظّاهر لهم قبل ظهوره بذات الشّمس، وأبدى إلى أوهام حواسّ عقولهم تجوهر المكوّنات أن عرّفته عظمته ولاذت به. فأبداه أولاً بإيجاده اللياذة به مراد اللاّئذين به منه ما هو وأين قصد مرادهم فكانت اللياذة به طلب تعريفها ذات مكوّنها أولاً، وكيف أبدى تكوينها، وفيم أبداها، ولم أبداها حتّى أوجدها ذاتها بالتجوهر الّذي جوهرها به عندما أمدّ الباب بالإطافة بها وإيجاده ذاته وكونه ومحلّه من مكوّنه بالإطافة في الحيث والأكوان وأوقف الأكوان على رتبة اللّياذة به، وطلب التعريف منه كونها ووجود مكوّنها وممّ كوّنها، ولم كوّنها ألف ألف كونٍ وخمسمائة ألف كونٍ لا يمرّ إليه بإبداء ذلك بإظهاره شيئاً منه. إذ ليس علم ذلك عنده ولا اطلع عليه وأنه ليس يكمل ذلك إلاّ عند مادّة مكوّنه ذلك إليه.

فلمّا أتمّ له ذلك المدى أعاده إلى الحال الّتي كان بها قبل أن أمدّه بالظهور والإطافة، ثمّ ظهر هو به في الحيث والكون فأبدى ظهوره ثانيةً كما أبداه أولاً، فأطاف ذلك الحيث والكون ذاته بكيان الشّمس الّتي هي مثيلةٌ منه للباب مائة ألف كورٍ، فحارت الأكوان عند ظهور المكوّن بعد وجودهم تجوهر ظهور الباب بذاته في إطافته بهم في الحيث، ثمّ عاودت إرادة المكوّن بمراجعة الباب إلى ما أبداه له وأبداه من المطاف، فأمدّه بالظّهور فظهر بظهوره أوّلاً، وأطاف ذاته بهم في الحيث وعاودت الأكوان إلى اللّياذة به في طلب إيجادها ما أبدت به أدوات سرّ معرفتها الّتي هي بكيان التّكوين وليس فيه ولا فيهم محلّ نطقٍ، ولا أبدى لهم نطقاً ولا أوجدهم وكان كذلك خمسمائة ألف كورٍ.

ثمّ أعاده المكوّن إلى حاله في التّكوين الأوّل من الحيث، فكان كذلك يبديه ويعيده ويبديء به فيوجد ذاته بعد إيجاد ذات جوهريّة الباب سبعين كرّاً أو سبعين عوداً كلّ كرّ خمسمائة ألف كورٍ وكلّ عودٍ خمسمائة ألف كورٍ، فلمّا أتمّ له مدى ذلك وتناهى به الحيث أعدمهم وجوده، فلم يوجدهم ذات كونه مائة ألف كورٍ، فأهفت الكيان في طلب الكون الّذي كان بدا لها وطاف بها فاطلع عليها من المطلع الّذي كان غرب فيه، ومرّ حتّى غرب في المشرق الّذي كان يطلع منه، **وبدا بعد مائة ألف كورٍ من المشرق الّذي غرب فيه**، فأتى به بقوله في النّطق: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» فلمّا ذهب به إلى المغرب الّذي أغربه فيه بعد إطافته في الحيث

والكون مائة ألف كورٍ غرب فيه، **ثمّ عاود الظّهور منه فظهر من مغربه الّذي غرب فيه بعد مائة ألف كورٍ ومرّ به في الحيث والكون إلى أن تناهى به المشرق الّذي أظهره منه وأطلعه من مطلعه الأوّل في مائة ألف كورٍ**، وأحلّه فيه مائة ألف كورٍ، ثمّ أظهره منه بطلوعه للحيث والكون، فبان ذلك عند ردّه في الظّهور بالطّلوع من المشرق والغروب في المغرب، والظّهور من المغرب، والغروب في المشرق، والظّهور ثانية من المشرق والغروب في المغرب، والظّهور ثانية من المغرب بقوله في النّطق:«رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»، فكان ذلك لإيجاد الاسم ذاته في محلّ الشّمس وكونها وهي ذات بابه.

ثمّ كان بعد ذلك إيجاده للشّمس بذاتها وجوهرها في الحيث والكون الّذي كان إيجاد الاسم ذاته، ثمّ أخفى وجوده بذاته وأوجدها هو ذاته ثانية للحيث والكون الّذي كوّنه وأطاف بذاته بكيان بابه ثانية على تكويناته، ثمّ أبدى الباب ثانية لما أبدى غيبته عن كيان الوجود فظهر الباب بكيانه وذاته وتجوهره. وجعل ذلك من إرادة أزله في إيجاد ذاته بكون اسمه وإيجاد اسمه بذات بابه وكون ذلك كيان مرادٍ يجريه إلى حيث إرادته وعلمه. فلمّا أبان ذلك وأوضحه لكونه الّذي كوّنه أبدى ظهور ذلك المهلّ المقمر المبدر للإسم أن يجري الشّمس الّتي هي اسمه بمداومة الظّهور من المشرق والغروب في المغرب،والظّهور من المغرب والغروب في المشرق ألف ألف كورٍ وغروبه فيه ألف ألف كورٍ، وكذلك طلوع الظهور من المغرب ألف ألف كورٍ مثل الكرّ وغروبه فيه ألف ألف عودٍ وبدءٍ فلمّا أكمل ذلك من إرادته أبان النّطق أنّ الكلّ له من الكون والحيث والحدوث والقدرة والإرادة فقال:«رَبِّ الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ».

فكان الاسم ربّ المشرقين وربّ المغربين وقد كان قبل ذلك ربّ المشرق والمغرب، إذ كان إيجاده للحيث والكون ذاته بلا ذات كونٍ، فلمّا بدا بذات كون تكوينه وأنحل الكون ما أنحله أوجد الأكوان أنّه ربٌّ وأنّ شرق غرب كما شرّق هو وغرّب على تكويناته وحيثه، فلمّا أمدّ الأزل وجود الظّهور، والغروب من المشرق والمغرب شهد له الإسم بالتّسليم والتّعبّد لأزله فقال بالنّطق:«رَبِّ الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ» وكان ذلك من النّطق إيجاد أنّ كلّ مشرق شرقٌ، ومغرب غربٌ، فالأزل مشرقه ومغربه ومظهره ومبدئه، وأنّه ربّه في ذاته وكونه، وكان ذلك في الإيجاد له في الأكوان النّورانيّة إيجاد ما يريد من الظّهور بالإسم للعالم النّورانيّ في الحيث

الّذي قد كوّنهم فيه حتّى يثبت ذلك عندهم من قبل إظهارهم بالتّجوهر الّذي أظهر به الباب، ثمّ إنّ الأزل أمدّ الاسم بإيقاع الاختيار للباب والظّهور له بكلّيّة الكون الّذي كوّنه لذاته وأنحله وسمّاه سماءً وشمساً، فظهر له وهو في متوسّط الحيث من التّكوين الّذي أكانه[كوّنه] فيه بذاته الّتي أدناه بها الأزل عند إيقاع اسمه عليه. فأجلّه وعظّمه وهمّ به بالسّجود، **فغيّب عنه وجوده خوفاً من أن يكونَ يُشرك بالأزل بالتّعبّد، وذلك أنّ الأزل ما أمدّه بعلمه الّذي علّمه هو من تكويناته الّتي كوّنها أنّها تشركه معه بالمعنويّة ولم يكن هو علم ذلك منها** وإن كانت مكوّنات قدرته الّتي قدّرها، فلمّا غيّب ذاته عن كون الشّمس الّتي هي اسمه، وبابه لمّا أحسّه بإبداء السّجود وأنّه أكبرَ أزله عن أن يحدّه الكون بذات الأزليّة والمعنويّة، أمدّه بعلم غيبه في تكوينه الّذي كوّنه بأن من مكوّنات كونه من يشركه بأزله ويحلّه محلّه ويوجده وجوده.

و قد أوجد ذلك بالنّطق في مقامٍ أقامه قبل إظهار النّطق به في مقام الميم بأنّه خاطب اسمه في ذلك المقام بما نطق ببيانه وكشفه في هذا المقام عن نطقه:« أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [1]» وذلك حيث شركوه بالأزل وهو الاسم في ذلك المقام فجعلوه في وجودهم له بوجود الأزل.

ذكر مريم وفاطمة

و كذلك أوجدوا أمّه ما أوجدوه به، **وقد كان في ذلك المقام أبدى الظّهور منها، وفي هذا المقام أبدى ظهورها منه، فثمّ قالوا: عيسى بن مريم.**

و في هذا قالوا فاطمة بنت محمد، وسمّوها ثمّ مريم، وقد سمّيت ها هنا مريم الكبرى، أي هي الّتي كبرت ذاتها، وفي ذلك المقام قصّوا على الإسم، وقد أظهر الأم أنّها معنىً واحدٌ من الأزل الغاية والمعنى، وكذلك قصّت طائفةٌ: أنّ محمداً وعلياً وفاطمة كونٌ وأزلٌ واحدٌ، ومعنىً واحدٌ، فكان ذلك بدو إيجاد للإسم أنّ في تكوينات ما كوّنت من يتّخذك إلهاً معنىً وأنت كوّنت كون من أثبتّ لك أنّه بهذا، ولم يكن لك عِلم تكوينك على ما هو مكوّن إذ كان التكوين منك بتكوين مكوّنك، **فأبدا له ذلك من**

[1] المائدة ١١١.

اسمه حين أعظمه وأكبره وهمّ له بالسّجود، فلمّا أبدى له وجود ذلك من من اسمه وبابه غيّب عنه وجوده الّذي أوجده ذاته بها، وهو ذات الدّنوّ الّذي أدناه الأزل فيه وهو من العظمة الّتي ألبسه إيّاها في الدّنوّ حين قرنه مع نعت أوصاف موجود ذاته وهو العليّ العظيم.

فالعليّ الأزل، والعظيم الإسم الّذي ألبسه حلّة العظمة في الدّنوّ، فلمّا بدا بها لاسمه أعظمه، وكان ذلك من إرادة الأزل إيجاد الإسم وهو كائنٌ، فلمّا وجد الإسم ذلك من علم الأزل بمكوّناته الّتي كوّنها أبدى الإسم في وجوده الأول الّذي أوجده ذاته من التكوين والظّهور به، فثبت اسمه الّذي هو بابه على أنّ الغاية أزله وهو مكوّن أزله، وغايته، **فاختبره بذلك على إعادته إلى مداخلة وهمه بالسّجود ثانية، فلم يجده بذلك، ولا حال عن كيان الثبات الّذي ثبت فيه**، فأمدّه الأزل بإبداء الظّهور الخاصّ وهو ما أنحله عند الدّنوّ من العظمة، فبدا لاسمه بتلك الجلالة الّتي أنحله إيّاها أزله في الدّنوّ.

فلمّا بدا له ثبت ولم يهم بل عارضته مراودة الإرادة بالفعل في غيب سرّ الوهم، **فعلم ذلك منه الأزل ولم يبن علمه للإسم، فأمدّ الأزل للإسم بعلم ما علمه، فغيّب ذاته عن الوجود له خوفاً من أن يقيم له المراودة بالفعل في غيب سرّ الوهم، فكان ذلك من باب الإسم ومحلّه في ظهورين لا ثالث لهما.**

ثمّ إنّ الإسم أبدى ظهوره للباب الّذي هو اسمه في ظهورٍ بعد ظهورٍ يظهر له بالظّهور الخاصّ مرّةً بالظّهور الموجود به في تكوين كونه عند تكوين مكوّناته في كلّ حيثٍ فلا يتداخله شيءٌ ممّا كان تداخله في ذلكما الظّهورين. بل يكون فيهما بحالٍ واحدٍ بالثبات والوجود لأنه اسم أزله وأنّه هو كونه الّذي كوّنه وكيانه من مكوّن كون كيان مكوّنه. فكانت مداومة تلك الظّهورات ألف ألف ظهور، فلمّا أكمل ذلك له ردّه إلى حيث أطاف به من الحيث والتكوين، فأطافه فيه كما أطافه أوّلاً وهي خمسمائة ألف كورٍ، وجميع ما أطافه به وفيه لائذه به يريد رُشده إلى وجود ما وجد وحقيقة ما تحقّقه، **وذلك كلّه يجري من الاسم إلى الباب بغير إيجاد النّطق بل مادّة منه يمدّه بها فيعلمها**، فلم تزل به الكرّات بروادف الأكوار حتّى كان له في ذلك من الكمال سبعمائة ألف ألف كورٍ أبداه بالإطافة في الحيث من بدو الكيان الّذي كوّنه **وهي السّبع المتطابقة**، فكان له في كلّ سماءٍ منها ألف ألف كورٍ.

فلمّا أكمل به ذلك أوقفه وظهر له ظهور وجود النطق له، فأوقفه ألف ألف كورٍ قبله في حيث السماء الّتي باهى به إليها، ثمّ أهبطه إلى الّتي دونها فأوقفه مثل ذلك الموقف وأبدا ذاته له وأوقفه قبالته ألف ألف كورٍ، **فلمّا كمل له ذلك في حيث تلك السماء الّتي أهبط إليها أهبطه إلى الّتي دونها**، فأوقفه مثل ذلك الموقف، وظهر له بذلك الظّهور وأوجده ذلك الوجود من إرادته إبداء النّطق له، وكذلك أجراه في سبعها إلى أن أكمل سبعة آلاف ألف كورٍ يوجده فيها لذّة وجود النّطق من مكوّنه، **فلمّا أكمل له ذلك أعاده إلى الحيث الأوّل من السّماء الأولى فأوقفه، ثمّ تجلّى له بالظّهور والوجود والعيان بالنّورانيّة وكذلك الباب بكون النّورانيّة، فناداه الله نور السّماوات والأرض.**

تفسير الله نور السموات والأرض

أراد بقوله السّماوات: ذات بابه إذ قد أنحله اسمها وحيثها فقال أنا نورك إذ كنت أنت السّماوات. وقد صحّ عند أهل النّقل يا محمد بن جندب أنّ «كلّ سماء سلسل» فلمّا قال له الله نور السّماوات، وضع الباب نفسه وصار من دون ذلك تعظيماً، إذ أوجده لذّة الخطاب، وأجرى له مادّة النّطق فقال: هو يجد الإقرار والأرض وما بينهما ولم يكن أبدى تكوين أرضٍ ولا حدوثها في الإيجاد، فكان ذلك النّطق تصغيراً من سلمان لمحلّه، وحيثه، وحيثه في المحلّ، وإنّك أنت السّماء إذ أنت نورها، فكانت الشّهادة من الباب للإسم، كما كانت الشّهادة من الإسم للأزل.

ثمّ حبس عنه الخطاب فلم يبد إليه مخاطبة نطقٍ مائة ألف كورٍ، فلمّا أكمل به ذلك أهبطه إلى السماء الّتي دونها وأوقفه في ذلك الموقف الّذي كان أوقفه فيه مائة ألف كورٍ، ثمّ بدا له بالظّهور الّذي أظهره له في المحلّ الأوّل، وأوجده معاودة الخطاب ولذّة النّطق فقال له: « ولِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ[1]» فردّ بالنّطق:«ومَنْ فِي الأَرْضِ».

[1] الحج ١٥.

فكانت إرادة الاسم إيجاد الباب بأنّ السّجود لله وهو الأزل **وكان النّصّ منه بقوله: من في السموات إشارة منه إلى ذاته من بابه**، فشهد الباب فصدق مراد الإسم وأبان عن من في الأرض، فقال:«ومَنْ فِي الأَرْضِ»، فأزال الإسم وجوده عنه ولم يعاوده بخطابٍ مائة ألف كورٍ، فلمّا أكمل به ذلك أهبط إلى الّتي دونها فكان له في كل سماء موقفٌ مثل الموقف الأول، وخطابٌ مثل الخطاب الأوّل وإجابة مثل الإجابة وشهادة مثل الشّهادة، وأمدٌ مثل الأمد حتّى أكمل به تلك السّبع على كمال الوجود والعيان والمخاطبة، فلمّا أكمله بها أمدّ بإيجاد الأكوار ذاته وأبدى النّطق لها وإيجادها ما هي طالبةٌ وجوده من حقيقة مكوّنها، وممّ تكوينها فملكه ما أنحله، وحكّمه فيما كوّنه بإرادته فيه، **فسما عند ذلك وصحّ له عند سموّه الإسم السّماويّ فطاف بالحيث والكون إطافة مأمور تبديه إرادته، فكان إذا مرّ بكونٍ أوقفه موقفه الّذي أوقفه فيه الإسم، وأحلّه المحلّ الّذي أحلّه**، وظهر له بالظّهور الّذي ظهر له حتّى أتمّ فيهما مواقفه وظهوراته، وكان ذلك بأمر الإسم له وتمليكه ذلك.

تمكين الاسم للباب (خبر النوروز)

ثمّ قال لي سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه: يا محمد بن جندب، هل علمت أنّي دخلت في يوم نيروزٍ على مولاي، فلمّا بصر بي قال لي: يا محمد بن نصير.

فقلت: لبّيك يا مولاي.

فقال: إنّ لي وليّاً ببيضاء الصّين هلك منذ ألف عامٍ. وهذا يوم نوروز فاذهب فأحيه.

فأردت أن أقول له: يا مولاي كيف أحييه أنا وإليك حياته ومماته، فأمسك عليّ معاودته، وخرجت وأنا مفكّر كيف أصنع بأمري وقد قال لي وليٌّ ببيضاء الصّين، وهذا يوم نوروز فامض فأحيه، فأنا أقول ببيضاء الصين ويوم نوروز ويريد مولاي أن أحييه. حتّى لقيني رجلٌ آدمٌ طوله كالنّخلة السّحوق عليه حلّة خضراء

وعلى رأسه إكليلٌ منضّدٌ بالأذريون يقدّ في جبهته فقال لي: يا محمد بن نصير، أما هذا يوم نوروز؟

فقلت: بلى.

فقال: فما لي لا أراك تهنئني فيه؟

فقلت له: إنّي دخلت على مولاي في هذا الوقت فأمرني بأمرٍ أنا به مشغولٌ عن حال تهنئتك هذه.

فقال: وما ذلك؟

فقلت له: أمرٌ أمرني به وحالٌ بعثني إليه لأتّجه إلى وجه الوصول إلى حيث أمرني.

فقال: أتقوله لي؟

فقلت له: لمّا بصرني قال: يا محمد بن نصير.

فقلت: لبّيك يا مولاي.

فقال: إنّ لي وليّاً ببيضاء الصّين هلك منذ ألف عامٍ وهذا يوم نيروز فاذهب فأحيه، فأردت أن أقول له: يا مولاي كيف أحييه أنا وإليك حياته وموته، وأمسك عليّ معاودته، وقد خرجت لأتّجه إلى الوصول إلى بلوغ ما أمرني به وقدّمه إليّ وهذا العسكر[1]، وبيضاء الصّين منه على مدى طويل بالمسافة وهو يريد أن يحييه بهذا اليوم الّذي هو يوم نوروز.

فقال لي: يا محمد بن نصير، ألست بابه ومقصد طلاّبه؟

فقلت: بلى.

فقال: كيف يسعك القعود عن أمره وما يريده.

فقلت له: إنّه ما يسعني القعود ولا قعدت، وإنّما أنا حائرٌ.

فقال: إنّي أقول لك قولاً لا بأس به.

[1] العسكر هي سامرّاء وإليها ينسب الأئمّة الثّلاثة الأواخر في المذهب الاثني عشري.

فقلت: قل.

فقال: إنّي سمعت منه خبراً إن قبلته فأنا آتٍ به بوقت حينه فأجد حقيقته.

فقلت: وما هو؟

فقال: إنّي سمعت عنه أنّه قال: من تكلّل في هذا اليوم بإكليل آذريون ثم سأل قضاء حاجته قضيت، ولا قصد أمراً إلاّ سهّل له مقصده، وإنّي رجلٌ من (بلقاء الهند) إذا كان في كلّ يومٍ مثل هذا اليوم تكللت بإكليل آذريون وقلت: أريد حيث مولاي من العسكر، فما يكون بأسرع وقتٍ حتّى أصير بحضرته، فأجدّد به عهداً وأقضي وطراً وأرجع إلى بلقاء الهند.

فهل لك أن أدفعه إليك حتّى تفعل كفعلي؟ وتمضي فيما أمرك به وتعود إليه؟

فقلت له: ذكّرتني الخبر وإن كنت ما نسيته، فحصلته، فنزعه عن رأسه ودفعه إليّ، فتكلّلت به ثمّ قلت: بيضاء الصّين حيث وليّ مولاي، فما كانت إلاّ خطوات يسيرة حتّى أشرفت على بيضاء الصّين فرأيت فيها عجائب من صنوف خلق مولاي، ومرّت بي الخطوات إلى مغارةٍ في حيث الوادي يمدّ إلى البحر فدخلتها، فإذا أنا برجل مسجّى كأنّه قد رقد لوقته، وإنّ ثيابه لحريرٌ أبيض حتّى كأنّه الوقت صنعه صانعه. فوقفت به طويلاً أنظر إليه وأقول كيف أحييه؟

فناداني الوليّ المسجّى: بالماء.

فذكرت صبّ الماء على الّذين أحيوا به بمثل ذلك اليوم فعدلت إلى الوادي وأخذت ملء كفّي ماءً وأتيت فرششته عليه فاستوى جالساً، وقال: يا محمد بن نصير أبطأت بي عن حضرة مولاي بمعاودتك الفكرة حتّى وفّق لك مولاك بلقاء الهنديّ، فهلمّ بالإكليل إليّ.

فقلت له: أنّه أمرني أن أحيّيك وأعود إليه.

فقال: أنت تعود فلا تزد عليّ بأمد القرب من مولاي، فعمدت إلى الإكليل فدفعته له، فوضعه على رأسه وقال بملء صوته وهو عَجِلٌ: حضرة مولاي بالعسكر، ونهض مع قوله فما صار بباب المغارة حتّى غاب عنّي فلم أدر إلى سماءٍ علا أم إلى أرضٍ ذهب، وبقيت بباب المغارة أطلبه بنظري وأخذ قومٌ من الهند

عجائب يخاطبني قوم أعاجم بالهند وأردّ عليهم بالعربيّة، فكنت أنا أفهم منهم بالهنديّة ويفهمون منّي بالعربيّة، وأنا مع ذلك أقول: ترى إنّ مولاي أحلّني هذا الموضع لحالٍ أرادها بي، فإني على ذلك حتّى دخل عليّ ذلك الوليّ، وعليه حلّة كنت رأيتها على مولاي بوقت دخولي عليه قد خلعها على ذلك الوليّ، وإذا ذلك الإكليل الأذريون على رأسه، فأقبل حتّى جلس بحيثه الّذي كان مسجّى فيه، فأقبل عليّ، وقال: يا محمد بن نصير إنّ مولاي يبعثني في كلّ يوم مثل هذا فأحضره وأشاهده فيتحفني ويحبوني ويخلع عليّ ما يكون لابسه، ثمّ إنّي أعود فأرقد رقدتي إلى وقته ويومه، فقد أذهب عنّي التّعب والوصب ولذّة المطعم والمشرب، طعامي منه نظري إليه في هذا اليوم، وشربي محاورته إيّاي ومخاطبته لي فهو غذائي إلى يوم مثله.

فخذ إكليلك عن رأسي والحق بالهنديّ فهو ينتظرك بحيث أوقفته فيه، فمددت يدي وأخذت الإكليل، وتوسّد بحيثه على هيئتهِ الّتي عاينته بها حيث وافيته حتّى كأنّه ما زال عن كيانه ولا غاب عن عيني ولا خاطبني.

فقلت: يا مولاي لك الأمر تفعل ما تريد، ثمّ إنّي وضعت الإكليل على رأسي وقلت: عسكر مولاي وحيث الهندي، فما كانت إلاّ خطواتُ يسيرة حتّى وفدت حيث الهنديّ.

فقال: يا محمد بن نصير أطلت.

فقلت له: إنّه كان كيت وكيت، وأعدت عليه ما كان من الولي، فقال: يا ليتني كهو.

ثمّ قال: يا محمد بن نصير أنا في كلّ يوم مثل هذا أكون بالعسكر فألقني في هذا الموضع أقرب منك فيه.

فقلت له: أفعل وأخذت الإكليل عن رأسي فدفعته له فأخذ ووضعه على رأسه وجعل يمشي معي ويحدّثني إلى أن صرنا بالقرب من دارِ مولاي فودّعني وعانقني وقال: بلقاء الهند، فو الله ما أدري السّماء أخِذته أم أرضٌ مرّت به، فدخلت على مولاي وأنا أرعد ممّا عاينته وما بدا لي من قدرة إرادته بأوليائه، وتمكين أهل صفوته، فلمّا مثلت بين يديه خررت لوجهي ساداً لعظمته.

فقال: ارفع رأسك يا محمد بن نصير فرفعت رأسي وقلت له: يا سيّدي أيّ حال سبق من محمد بن نصير حتّى استوجب بها هذه المحنة؟

فقال: بإغفاله تعريف أولياء الله فضل هذا اليوم وأمره لهم باستعماله وإيجاده فيه من الاجتماع والزيادة واتّخاذ المنابت والزّهر أكلةً، وممازجة عبد النّور، وصبّ الماء، والتّخلّق بالخلوق، وغفران ما بينهم بعضهم لبعضٍ، والتّواهب والاستعطاف والتّواصل، والفضل فيه للمبتديء والسّاعي إلى قضاء حقّ الله فيمن افترضه الله وإن كان قد قتله ألف قتلة، وقطع يده ألف قطعة، فإنّه يكون له بذلك سرعة التّخلّص من المزاج، ووجود معرفة القبول، ويعجّل به في دنياه ما يملكه في رقاب عالمٍ من مخالفيه، فيحكم فيهم بإرادته، ويستحقّ من مولاه الزّيادة في بصيرته حتّى لا يكون بينه وبين مولاه قيد الفتر والشّبر لا بل الظّفر يكنفه ويشمله ولا يحلّه محل الفاقة لإنفاقه في ذلك اليوم بذخره له على التضاعف المذكور بقوله: « فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً» والكثيرة عنده ما لا حدّ يقع عليه ولا وصف له، أليس يا محمد بن نصير قد قلت أنّه من مرّ به يوم من هذه الأيّام وعليه في قلبه على أحدٍ من أهل الإقرار بوحدانيّة الله شيءٌ من الغيظ الّذي نهيت عنه وأمرت بكظمه فقلت:«والْكاظِمِينَ الْغَيْظَ والْعافِينَ عَنِ النّاسِ»، أفلا تحبّون يا محمد بن نصير أن تكونوا من المفلحين؟

فقلت: يا مولاي، هذا اليوم أي شيء غيره؟

فقال: **يوم غدير خمّ ويوم المهرجان ويوم تسعة من شهر ربيع الأوّل وليلة الميلاد.** هذه لا وسع فيها لعارفٍ بي مقرّ بأحديّتي أن يتخلف عن قضاء حقّي بجميع من أقرّ لي بما هو لي من صغيرٍ وكبيرٍ، وإن هو لم ينزل فيهم صغيرهم مثل كبيرهم، وأجلّهم مثل دنيّهم محلاً واحداً ضاعفت له المحنة وانتقمت منه. وإن ساوى بينهم في حال ضاعفت له الجزاء وعجّلت عليه الخلف، أليس قد قدّمت هذا في أوقاتٍ ولم يخالف ما أمرت به ويعدل عنّي، وأنا مرتقبٌ بإمضاء ما أمرتهم به في هذا اليوم أعد لهم فيه واستعيد وأرتقب استزارتي، فإذا هم أعرضوا عن أمري وما قدّمت به فإنّما يعرضون لإعراضي عنهم.

قم يا محمد بن نصير، فلو أنّك جمعت من في العسكر في يومك هذا وأوعزت إليهم ما فيه ودخلت عليّ وقد أخذ منك عبد النور ما أخذ الفرج والتّرويح وعلى

رأسك إكليل الورد والزهر والأذريون فيه لما منحك مولاك ما منحك به أما علمت انّما نمكّن القبول والمنزلة عندنا للّذين اصطفيناهم واستخصصناهم بأن يرزقوا وأن يحيوا ويميتوا بأمرنا، تبدي إرادتنا فيهم فتجري الأفعال منهم بمرادنا وأمرنا للأمر لهم، وكذلك نمكّن لهم أن يعلوا في السّموات وأن يأتوا المشرق والمغرب حيث شاؤوا بحسب الإجابة لأمرنا والقبول منّا، لا يذهب عنده لعاملٍ عمله، ولا لأجير أجره وذلك سابقٌ لك بدي ولهم مزيدٌ، وكون الحيث الّذي كوّنه بإرادة أزله، وذلك سابقٌ.

فقم يا محمد بن نصير فأمر من بالعسكر من العارفين أن يوفوا الله بما أمرهم له ورغّبهم فيه، وحثّهم عليه ومكّنهم في فعله، وخوّلهم ما حظره على غيرهم، وأبسط لهم فيما قبضته عن اشكالهم.

قال محمد بن جندب: فما أتمّ لي سيّدي أبو شعيب هذا الشّرح الّذي شرحه عن مولاي منه الرحمة، وما وعد به عند الوفاء به وما توعّد عليه عند الإعراض عنه حتّى كادت نفسي تخرج من بين جنبي، فقلت لسيّدي أبي شعيب إنّي لأعرف بالعسكر جماعة يسارعون إلى ما ذكرت، وجماعة يقعدون عنه.

فقال: من فعله فذلك مرزوقٌ، ومن قعد عنه فذلك محرومٌ لا بدّ من وقوع المحنة كما وقعت بمحمد بن نصير.

فقلت: أشهد أنّه كما تقول.

فقال: وما يحبّ الّذي يأتي هذا الأمر الّذي أمر به أن يكون بمحلٍّ يحلّه قريباً يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يريد ويكون الأمر له من مولاه، يفعل ذلك بأمره، وإن أحبّ عاجلاً عجل له ما يريده وأضعاف ما يريده، عاجله وآجله، وإنّ من عدل عن هذا فقد خسر الخسران المبين.

ثمّ إنّه قال: يا محمد بن جندب خذ إليك شرح ما كنت بادئه إليك من تمكين الإسم للباب.

فلمّا تمّت توقيفاته وظهوره في الحيث الأوّل والكون وأوجدهم أنّه يأمر مكوّنه له ظهوره فيهم ومطافه بهم في المواقف حسب ما أطافه الإسم وأوقفه واختبره لاذوا

عند ذلك به وجعلوه قبلتهم فحيث ما ذهب بهم ذهبوا، وحيث ما صمد بهم صمدوا، وأين ما أوردهم وردوا، فكانوا بذلك أمد مراده من الأكوار وهم به لائذون.

فبدا لهم بالظّهور الخاصّ الّذي أنحله الإسم وظهر الاسم به فيهم وأوجدهم ذاته بظهوره بما ظهر لهم به الباب، فلمّا أوقفهم وبدا لهم بالظّهور بإيجاده لهم الخطاب وإبداء النّطق منهم وهمّ بالتّجوهر النّوراني الخاصّ أبدا لهم الخطاب ببدو الإنفاء عن نفسه وكونه أنّه الله الّذي أوجدهم ذاته بالظّهور الّذي قد ظهر لهم[1] به لئلاّ تقولوا هو هو.

فقال: إنّي عبد الله فالتزم بالعبودية للإسم إذ كان مكوّنه وأن الله مراد التّسمية به المعنى فرجع بذلك إلى تعبّده للأزل، فأمدّها مكوّنها بالنّطق له حيث أبدى لها الإقرار له إن نطقت فقال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فكان ذلك تسليماً للتّعبّد له والاستعانة على بلوغ المراد الّذي هم مريدوه، فأوقفهم في ذلك الحيث بحال النّطق والإقرار والتّعبّد والاستعانة على البلوغ إلى المراد، لم يخرج بهم عنه إلى سواه، ثمّ بدا الاسم بذاته للباب فألقى إليه مرادات إرادته في تكوينه، فوعاه حفظاً وأتقنه علماً وجعل بيديه للسّؤال عمّا قد وعاه إليه وأودعه إيّاه من إرادته في تكوين ما قدّره **فكلّما أجاب عن السّؤال أنحله في حيث أحلّه من قرب ذاته نحلة أوجدها ذلك المكوّن حتّى رتّب له مراتب الأفلاك والبروج والمنازل والتّقارب والتّباعد، وحيّث له من أحياث ملكه تكوين من يختصّه من صفو التّكوين بها ويجري عليهم في سيره، ويحيطهم بضياء نوره ويسفر لهم عند حلوله،** فلمّا أكمل لهم فيه ذلك من إرادته ظهر لهم الاسم بذاته وأظهر بابه بذاته وأمدّه بما أنحله وأظهر لهم ظهور الوجود والعيان والنّطق، فكان يلقي إليهم ما ألقاه الإسم إليه ويؤدبهم بما أدّبه الإسم به ألف ألف كور.

ثمّ بدت قدرة الإسم بظهوره لهم وإيجاده ذاته، فلمّا بدا ما أوجده الباب بالعيان أوجدهم ما أوجده فقال:«اللَّهَ رَبِّي ورَبُّكُمْ» وأشار إليه أنّه خالقي وخالقكم، ومكوّني ومكوّنكم **عليٌّ هذا،** فكانت الإشارة منه إلى الإسم أنّه الخالق والمكوّن له

ولهم، وأنّه الله ثمّ أبان بإشارة الحقيقة إلى التّعبّد فقال:«فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ[1]» فصار التّعبّد للأزل، إذ هو الصّراط المستقيم.

و كذلك أبان أنّه هو الصّراط فقال: «صراط الله» فالله الإسم والأزل صراطه وهو غايته والمعنى الّذي إليه رجوع الغايات من الأكوان، فأمدّه بإيجاد الأكوان ذات الاسم وتعبّد الأزل، وإنّ الله اسم الأزل وإنّه بابه لهم وأنّ لهم موئلاً يرجعون إليه وكوناً يكوّنون به ومن أجله كوّنوا ألف ألف كور، ثمّ إنّ الإسم ظهر لهم بذات ظهور الباب لهم فدعاهم إلى ذاته فأجابت بأجمعها غير خارجة عن حدّ الإجابة أن قالت: «غُفْرانَكَ رَبَّنا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» وأقرّت أنّه ربّ تكوينهم ومبديء ذاتهم وإليه مصير ما يكوّنه به ممّا قد كوّنهم له، وذلك من حيث دحاهم الباب على وجوده ما سهوا عن ذلك ولا ذهب عن وجودهم. فأمدّهم بذلك ألف ألف كور يظهر الإسم فيهم بذات بابه إذ أوجدهم ظهوره لهم به ويدعوهم إلى ذاته فيجيبون تلك الإجابة لا يخرج بهم عنه.

فلمّا أكمل ذلك الأمد من الأكوان غيّب ظهوره بذات الباب، وأبدى ظهوره بذاته ودعاهم إلى تلك الدعوة، فكانت الإجابة بالدّعوتين سواءٌ لا فرق بينهما، فأمدّهم على ذلك في الدّعوات المختلفات ألف ألف كور، فلمّا أكمل ذلك فيهم وتمّ مراده من تكوينه أمر الباب بتجرية ما كان أجراه في الحيث عند بدو الكون للكيان وأمدّه بالاختصاص كما اختصّه الاسم في تكوينه، فظهر لهم الباب وأمدّ كونهم فيهم مائة ألف كور تتلو كونهم، فأمدّه مكوّنه بإيجاد خاصّة تكوينه في البدء بعد كونه، فلمّا أوجده أمره باختباره مائة ألف كور، يظهر له فيوجده في ظهوره الاقتدار ويوجده عليه في تكوينه، ثمّ يعدمه ذلك الاقتدار ويوجده العجز عن الاقتدار الّذي اقتدره حتّى اختبره في الحالين فوجده لا يحول عن الكيان والإجابة له فاستخصّه وأبداه بما أوجده إيّاه مكوّنه أن ينحله من حيثه الّذي أنحله إيّاه مكوّنه وسمّاه به، فأبدى له إرادة المادّة من الإسم بإرادته فأبداه بتأبيد الاقتدار على الّذي مكّن بالاقتدار عليه وأتيح الإجابة في الحيث والعلوّ والسّموّ على جميع الكون الّذي هو مكوّن تكوينه، فأجاله الإسم بمادة القدرة من إرادة الباب فيه، واختصاصه إيّاه، وسرعة إجابته، وبيانه على الاختبار في الظّهورات الّتي ظهرت له، وصحّة مراد مكوّنه فيه إذ أوجد الباب أنّه صفوة كون المكوّن بعد تكوينه، وأنّ علمه به كان سابقاً منه فيه باختصاصه له، وأنّه

[1] ال عمران ٤٧.

يحلّ بذلك الاختصاص المحلّ الّذي قدّره له ورتّبه فيه، فأطافه بتلك المكوّنات مائة ألف كورٍ لا يبعد عن تحصيل ما جاله وطاف به، وتناهى به المراد إليه حتّى إذا كمل به ذلك من مراده علم الإسم منه علم ما أكنّه في غيبه وأسرّه، وذلك أنّه لمّا تناهى به مجال المطاف بدا بغيب سرّه أن حيث تناهى به المجال بالمطاف هو غاية تكوين المكوّن.

فلمّا علم الإسم منه بعلم الأزل فيه أمر الأزل الإسم بإرادته بإظهار أحياث وأكوان تكوينٍ يقول الاسم لها كوني كما أبداه الأزل ببدوه، لإيجاد وقوع اسمه عليه بإيجاده كن فكان، كذلك مكّنه في ذلك عند وقوع الوهم من غيب سرّ الجّائل المطاف به في تكوين القادر، فلمّا أنحله ذلك أمدّه بإبداء الأكيان والأحياث بإرادته كوني فأبدى مراد المريد الأزل ذلك فأشار إلى تكوين ما أراده مريده، وقد أحصاه عدداً وعلمه أمداً وحيثاً، وكوناً بعلم مبديء الإرادة له وعلمه به فقال لها كوني فكانت بكيانها في أحياثها وآمادها كائنة بتلك الإرادة، فسبقت إلى قول كوني فكانت، ثمّ أمّد الأزل الظّهور للإسم بها وإيجاده ذاته إيّاها قبل ظهور الأزل بها في كوني إيجاد الوجود، فذهب بها سبعين ألف ألف كورٍ من أكوار ما قبلها، وبقي في هذا الحيث والكون ينوب عن الاسم في تكوين مكوّنات حيثه الّذي أنحله وملكه ذلك المطاق به في مجال الحيث والكون حين استخصّه الباب، بحيث أوقفه فيه من وهم غيب سرّه في مدى بلوغه غاية الحيث والكون. فكان الباب ينوب بالحيث والكون يوجد ظهوره لسائر الكون والحيث، وكذلك المستخصّ الّذي استخصّه وهو مع ذلك لا يزيله عن موضع وقوفه في الحيث إلى حيث غيره ولا يبدي إليه مراد السّير والمجال إذ أوجد علم توقيفه في حيث أنّ التّوقيف له هو مكوّنه وأنّ توقيفه هو لأمره ومراده فيه.

فكان الباب ينوب في الحيث والكون أمد السّبعين ألف ألف كورٍ الّتي هي مشروحةٌ ببيانها، وهي الّتي بدا بها الإسم بالظّهور في أحياثه وتكويناته الّتي كوّنها لوقتها بإبداء الإرادة بكوني. فكانت إلى كونها مسرعة بلا توقيف، ولم يكن بكونه في تلك الأحياث والتّكوينات بغائبٍ عن هذا الحيث الّذي فيه البابُ والكون، بل كان الحيث والكون محجوبين عن وجوده كما كان في بدوه له عند إرادته للإيجاد يوجد ذاته لكونه، بل كان الباب يجده ولا يوجده الأحياث الّتي حيّثها والأكوان الّتي كوّنها لأن مكوّنه ما أوجده غير تكوين كونه وحيثه.

فلمّا أتمّ المدى الّذي أمّده والأجل الّذي أجّله مرّ بسبعين ألف ألف كورٍ من أكوار الأحياث في تضاعفها، وأوجد ذاته لمكوّنات كون إرادته فيها أبدى الظّهور في الحيث والكون الّذي أجلّه الباب، وأنحله للمطاف بها، والإجالة فيها. وملّكه مداومة ما أبداه من تكوينه بإيضاح الدّعوة وإيجاد القدرة. وأبدى له ما اصطفاه واستخصّه وأختبره، فكان اختباره له وعلمه له فوق علم من اختبره واصطفاه واستخصّه لأن ذلك كان علم مكوّنه الّذي كوّنه وأبداه، وعلم الباب علمٌ مضافٌ إليه من علم مكوّنه. فليس يعلم إلاّ ما أوجده علمه، ولا يدرك إلاّ ما بلغه إدراكه.

فلمّا ظهر للإسم في الحيث وأوجد ذاته الكون أبدى إلى الباب علمه بما كان من وهم غيب سرّ المستخصّ الّذي استخصّه، واصطفاه واختبره وأعلمه أنّه أوقفه في الحيث لعلمه منه ما علمه، وأن الأزل لمّا أوجدني ما علمته من علمه الّذي علمته ولولا تعليمه إيّاي لا علمته أمدّني بتكوين أحياثٍ وأكوانٍ بلا توقيفٍ ولا توقيتٍ بل بإرادته في التكوين كما أبداني بها حين أوجدني ذاتي بقوله لي في وجودي: كن، فكنت عند ابتدائه كون مكوّن الكيان ماثلاً بحيث قدر كوني، وكذلك أمدّني بتلك الإرادة وأنحلني أن أبدأت الأحياث والأكوان بما أوجدني أن أبديت لها كوني، فكانت لكون إرادته وقدرته بكيان مراده وبكيان مراد مكوّنه كاملةً، فلمّا أوجد الاسم الباب علم ذلك وألقاه إليه زاد في تعظيم مكوّنه وأمال عن المستخصّ المصطفى المختبر بالمطاف به، وظنّ أن ذلك منه وجود وخروج عن كمال الطّاعة والانقياد.

فأوجده الاسم أنه ليس هو في ذلك بداخل في حال مخالفة، وإنّما حدّه وقوع نفاد الملك ومنتهاه، حيث بلغ به المطاف إلى تناهي الحيث والكون وإن ذلك كان كائناً منه بتكوين الأزل فيه لتكوين الأحياث والأكوان. ليبدي من تناهي القدرة الّتي أنحلها اسمه ما يبهر بها للكون الّذي كوّنه على التّوقيت والتّوقيف، فلمّا أوجد الاسم ذلك للباب أطاف به واختبره بعلم ما أعمله القديم المكوّن له فوجده بحقيقة ذلك، فحبس عليه تعليم ما أعلمه مكوّنه من علمه بما وهمه من غيب سرّ ظنه لم يبديه له حتى يؤذن له فيه، واستشرف الباب إلى معاينة وجود ما عرفه الاسم من الأحياث والتكوين، فجعل يترقب إنعام مولاه عليه بإيجاده ذلك الكون والحيث الّذي قد نعته له بالأوصاف الّتي كوّنها به، فأمدّ الإسم الباب على ذلك ألف ألف كورٍ وأثبت

المصطفى المستخصّ المختبر بالحيث بمدى ذلك ما أبداه بسير ولا أجاله عن موقفه الّذي هو فيه فأنحله ولاشاه حتّى أخفاه في عيان الوجود، فصار يجد الألف في العيان فأنحله ذلك أن يكون عند تكوينه فيما يكوّنه **فلمّا أبدى تكوين الأحرف أحلّه ذلك المحلّ وأقامه منها مقاماً سمّاه فيه الألف لذلك السّابق منه في النورانية.**

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير قال: يا محمد بن جندب: ثمّ إنّ عبد الله بن غالب أقبل على من بحضرته للسّؤال فقال لهم:

و كذلك جرى فيكم ومنكم ما جرى من المستخصّ المصطفى المختبر، وأحلّ ما أحلّه وعانى ما عاناه. بل أعظم وأعظم وما من محلّ حللتموه في جميع الظّهورات إلاّ وهو بما تقدّم منكم في النّورانيّ والتكوين رتّب لكم ذلك مع التكوين وأجّل لكم إلى تناهي الحين وزن بوزن وحال بحال لم يسبق إليكم كون قبل حين تكوينه، ولم يتأخر عنكم كون عند تكوينه، **رتّبكم في إبداء تكوينكم في كلّ ظهور وجوده لذاته في تكوينه بألف ألف رتبة من إرادته يبديكم فيها وينحلكم إيّاها سبقاً سبق به علمه وكوناً كوّن به إرادته بعلمه** ولا يعلمونه ووروده حين يستحقونه أكمل لكم وأكمل بكم وأدام قدرته بحيث أدامكم فهل.

فيكم من عرف ما سلف فيه من تكوينات مكوّنه وتقديرات مقدّره وما أبداه له وبه؟ عجز أهل الكون عن إدراك بلوغ علم تكوينهم، فأنّى لهم بعلم تقدير قدرة مكوّنهم وعلم إرادة أكمن ما أكمنه من إرادته إلى وقت حين مراده. فهو بذاته في حيث أكمنه فيه موجود كوجوده، وعند إبدائه الوجود والعيان وذلك كله في محله بالتقدير غير زائل عن ذات تقدير مقدره يبديء منه ما يبدئه ويعيد منه ما يعيده، فهو في ذلك كله بغير مدفوع إلى إيجاد مراد قبل حين إرادته في بدو تكويناته.

فهل وعيتم ذلك علماً، وتيقنتموه فهماً؟

فقالت الجماعة: يا محمد بن جندب، فلا تخش مع ذلك فوات ما أجّل ولا تقعد عن حلول ما عجّل.

فقال: هو ذلك إذا سلّمتم برضا مراده وإرادته في حال العاجل والآجل، ثمّ قال لي سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير: يا محمد بن جندب وكذلك جرى بك الكون في

بدء تكوينك كما جرى على أهل المخاطبة وأبداك بذاك وله كوّنك في بدوك، فاعلم ذلك وعِهِ كما علموه ووعوه وسلّم له.

فقلت: سلّمت لإرادة المريد ما أرادني له وكوّنني به لأحلّل فيه عليّ فعاد بي إلى كون ذلك الشّرح.

فقال: يا محمد بن جندب، ثمّ عاد بهم عبد الله بن غالب إلى شرحه فقال لهم:

ثمّ إنّ الإسم أبدى إلى الباب إيجاد المصطفى المستخصّ المختبر ما أوجده من حاله الّذي أوجده، فبدا الباب بإظهاره على حاله ووقوفه في حيثه، **فلمّا أوجده انعطف ساجداً فصار في انعطافه بعد اللاّم الّتي هي بعد الألف في تسمية الاسم الّذي هو الله ألف لام**، فمكث في انعطافه وحنوة السّجود ألف ألف كور، وأمدّ القديم الّذي هو مكوّن المراد إلى الباب مراعاة ذلك المراد المستخصّ المصطفى المختبر، فراعاه في أمد تلك الألف ألف كور يحوطه ويبدي له عظمةً قادرة، وإنّه لا تناهي لقدرته في وصف واصف عند وصف الواصفين، وأنّ عظمة الإسم مداومةً بمادّة الأزل له، **فلمّا أكمل ذلك من مدى أجل التّكوينات والأحياث بدا الأزل لها بذات وجوده بالظّهور باسمه**، فأوجدهم الإسم أزله ومكوّنه وأنّ كلّ مكوّن موجودٌ من مكوّنات أزله ومكوّنه، إذ كان تكوينه بإرادته ومادّتِهِ وقدرته، فأوجدهم الإسم ذات الأزل بظهوره فيهم باسمه في سبعة آلاف ألف أكرّها الأزل بالظّهور لهم، **ثمّ بدا الإسم بما بدا الأزل به من كيانه وهو المُهلّ المبدر المقمر**، فرتّب في تلك الأحياث والأكوان وجود ذلك على انفراده لا تبدو الشّمس بظهورها فيها لأنه ما أمد بذلك ولا أذن له فثبت في الأحياث كلّها والتّكوين وجود الإسم وأوجد الاسم ظهور الأزل بعد وجودهم الاسم، فلمّا أكمله الأزل بمراده الّذي أمّد به الاسم أمّد الاسم بمادة الباب بعلم ذلك وتسييره في الأحياث والكون، وأبّده الاسم بالحيث الّذي فيه وقوف المستخصّ المصطفى المختبر، **فظهر الاسم في الأحياث والأكوان كلّها بذات الباب وشخص وجوده وهو الشمس فتناكر الوجود على الأحياث والتكوينات، فمارت غيوبها في وجود مكوّنها بظهوره فيهم بما لم يبده لهم**، فلمّا علم من غيوبها بدا لها بظهوره بكونه وأوقف كون بابه بالحيث من مكوّناته الّتي مارت غيوبها فيه فعاينت وجود الحالين من مكوّنها، فأمّدها بعلمها أنّ الّذي أبداه لهم وظهر فيهم بعد ظهوره

بذاته الّتي أوجدهم عند تكوينه لهم أنّه من تكوينه وأنّه أراد إيجادهم ذاته ليعرفوه إذا بدا لهم وظهر فيهم.

ثمّ إنّ الاسم أثبت ذات بابه بالأحياث كلّها وغيّب ذاته عن الأحياث لأنّه غيّبها غيبة عدم الحيث، بل حجب الحيث والكون عن وجود عيانه، وأوجدها وجود عيان الباب. وكان ذلك بغير تسيير ولا إطافة ولا إجالة، فأمّده في أمد الأحياث في كلّ حيث منها مائة ألف كور بأكوار تلك الأحياث والكور، ثمّ أمّده بالتّسيير والإجالة في الأحياث، فسار في كلّ حيث وكون ألف ألف كور، بحيث وقوفه أوّلاً في الحيث.

فلمّا سار بإرادة القديم وجال في الأحياث والكون كلاً أعاد إلى حيث كان وقوفه فيه فأوقفه وهو عامٌ في جميع الأحياث موجودٌ قد أوجد في كلّ حيث وكون ذاته بالظّهور للوجود ألف ألف كور، ثمّ أمّده بالمعاودة للسّير والإجالة، فسار وجال مثل الّذي سار أوّلاً، وجال.

فقامت الأحياث بحيثها في ذات كونها شملها معرفة الأزل والاسم والباب بوجود الظّهور فيها وراجع مراد الاسم إلى مراجعة الباب المستخصّ المصطفى المختبر، فعاود وهو بحيثه فأوجده أنّ مكوّنه ومكوّن حيثه ليس لأحياثه وكونه نهاية حدّ البلوغ وهم لا تحصيل تناهي غاية. وإنّ الحيث الّذي هو فيه والكون الّذي هو منه إنّما هو في ذات أحياثه وتكوينات أكوانه كهيئاته يجول بها الحيث في ذهاب هبوبها يديرها بتخالف هبوبها لا يقرّ بها سكونٌ ولا يحلّ بها محلاً، فزاد في ذلك عند ذات خشوعه وتسليم أمر مكوّن ذاته، **فكان في ذلك من محلّ الخشوع والتسليم مائة ألف كور**، فلمّا أكمل له ذلك من الإمادة أبدى له الاسم ذات قدرته وامتنانه عليه وقبوله.

فأمّد الباب بإبدائه بالأحياث والأكوان الّتي يبدو فيها فسيّره بمسيره فناهى به تلك الأحياث وأوجده الأكوان وأبدى له جميع ما أوجده الإسم من ذات قدرته فصار في محلّ اصطفائه واختصاصه، وكان وجود ذلك تناهي اختباره فظهر له في الأحياث كلّها الإسم فدعاه بذاته إلى ذلك المعنى الّذي دعاه الباب إليه وأظهر له ذاته حتّى أوجده حقيقة ذاته. فأجاب بأخلص إجابة، وقبل بأكمل قبول وأقرّ به بالتّسمية باسم بابه وأنحله أن أبداه بذكره ووجود ما أنحله في النّطق الّذي نطق به وجمع بين

اسمه ونعته الّذي نعته به واسم بابه ونعته، فقال:«السّماء والطّارق» فالسّماء تسمّى بها بابه وجعلها نعته، ثمّ قال: «النّجْمُ الثّاقِبُ» فسمّى بالنّجم المستخصّ المصطفى المختبر وقدّه من بابه قدداً، فسمّاه بالنّجم الثّاقب حين ثقبه جميع أحياثه وأكوانه.

فصار في منزلته من الباب والاسم بمنزلة الباب من الاسم والمعنى **وذلك أنّه ما أنحل الأزل الباب منزلة ولا رتّبه برتبة إلاّ وقدّم وجود ذلك إلى الاسم**، فإذا وجد ذلك الاسم أنحله النّجم الثّاقب منزلةً كهاتيك المنزلة، ولا رتّبه رتبةً إلاّ رتّبه مثلها حين أقامه الإسم المقام الّذي أقام الأزل الباب فيها بأمره ويشير إليه ويمدّه بجميع إرادته كما أمّد الأزل للباب بجميع إرادته حتّى أبانه ورتّبه أنّه الواسطة بين الأزل والإسم وأنّه صاحب الوحي، إنّه كان الاسم إذا أتى بشيء من نطقه وإرادة أزله يقول: هذا جبريل أتاني به عن ربّي، وإذا سئل عن كامنٍ من السّؤال يقول: حتّى يجيئني به جبريل من عند ربّي.

خبر تأليه قوم لسلمان

ثمّ قال لي: يا محمد بن جندب، وهل علمت أنّ سلمان اتّخذه قومٌ إلهاً وأشاروا إليه بالمعنويّة وعدلوا عن الإسم والأزل وجعلوه الغاية؟

فقلت: يا سيّدي قد سمعت به ولم أعاين أهله، ولا تلوت مقالتهم.

فقال: إنّي أعرّفك ذلك يا محمد بن جندب: إنّ السّيّد محمد استخصّ سلمان في قدمه **كما استخصّ الأزل الإسم في أزله**، فلمّا جعل الأزل أمر الذّات والتّكوين والإرادة والحدوث إلى الإسم، كوّن وأبدى، وعاد وأظهر، وغيّب وشهد ولم يغب. وطلب وغلب، وقدّر واقتدر، حتّى صار ذات الملك كلّه وصمد التّفكير إلى صحّة الرّبوبيّة له وفيه، وأنحل الّذي أنحله أزله لبابه فجعل له أن يأتي ذلك كلّه عند ابدائه مراد ما يريده الإسم، فإذا أبداه له أمره بفعل مراده لا أنّ الإسم كان علم ذلك غائباً عنه ولا أنّه علّمه منه.

بل علّمه بمراده من قبل ورود الإرادة إليه، ولكن أراد بذلك الفرق بين المنزلتين منزلة الإسم ومنزلة الباب، وذلك أنّ الإسم يبدي إرادة الأزل بما يريد على

ذات اسمه، فيريد بذلك الورود إرادة الأزل، فيبدي الإرادة وهو غير مبدي الإرادة إلى أزله يطلب الإذن له في تكوين المراد، فكان ذلك بحدّ الاختراع والباب يبدي إرادته للإسم فيأذن له فيه بما قد مكّنه فيه من الاقتدار على تكوينه، فكان الفرق بين المنزلتين هذا الوصف وأمدّه بإيجاده لذاته لأنّه كوّنه، وأنّه قد أمدّه بتدبير الكون. كما أمدّ الأزل الإسم بتكوين الكون، فهو موجودٌ في جميع معاينة النورانية إلى حيث تناهى به الترتيب من التكوين إلى محلّ النّطق والإقرار والشّخص، فمن ذلك أوّل تكوينِ مراتبه الّتي أنحله وسمّاه بها وأظهر تكوينها سماءً ثمّ شمساً، ثمّ ماءً، ثمّ أظهره للنّطق فسمّاه «جبريل» وكلّ هذه عند العالم موجودة الكيان والحيث والبقاء لا عدم فيها، وكذلك أمّده الإسم بوجوده في ظهور البشريّة بكونٍ غير مفقودٍ عند أهل التحقيق.

فلمّا أوجد السّيّد محمد عند ظهوره وظهور أزله في سلمان ما أوجد ظاهراً وباطناً رغب العالم إليه وفيه من باطن ما أوجده أنّه قال: جبريل أتاني بالنّبوّة من عند الله وهو نزل عليّ بوحيه، وهو كان يأتيني بأمره، إذا أمرني ونهيه إذا نهاني، وهو كان ينصرني وينصر من ينصرني على عدوّي، وهو كان يتحفني بما يتحفني به ربّي، وكان من إشارته إليه ظاهراً أن قال: سلمان منّا أهل البيت، وقال: سلمان مازج الحقّ ومازجه الحقّ فهو لا يحول، وقال: إنّ لسلمان من الله منزلة لم ينلها ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، فقال أهل الحيرة: دخل تحت هذا القول من محمد جبريل وميكال إذ كانا هما المقرّبين من الملائكة، ودخل آدم ونوح وإبراهيم ومحمد إذ كانوا أنبياء مرسلين، وقال: إنّ سلمان ليغضب لغضب الله، وإنّ الله ليغضب لغضب سلمان، وقال: لولا سلمان لما نجبت الفرس، وقال سيّد العرب: أنا وسيّد الفرس سلمان، فقالوا عند هذا القول من السّيّد محمد: إنّ محمّداً أفصح لكم عن قول الله في كتابه حين قال: «وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» وقال: «كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[1]» وقال: «لولا فصّلت آياته أعجميٌّ وعربيٌّ[2]» ومحمد عربيّ وليس بأعجمي فقد أوجدنا أنّه سيد العرب، وأنّه نبيّها والمبعوث إليها، وقال: «سلمان سيّد الفرس من أنزله منزلته فإنّه النّبيّ إلى الفرس» ثمّ قال في

[1] فصلت ٣.
[2] فصلت ٤٢.

الملأ: «إنّ سلمان شهد حواريّ عيسى بن مريم حتّى لو أنّي قلت لكم إنّه قد سلك حيث سلك ذو القرنين ومرّ في الظّلمات ووقف على ياجوج وماجوج وبلغ مطلع الشّمس ومغربها واختراقها لقلت حقّاً وإنّه عمّر أعمار قرونٍ كثيرةٍ كلّ ذلك يطلب مبعثي» فقال قومٌ وهم أهل الإفك والحيرة: إنّما أراد السّيّد محمد بقوله: «كلّ ذلك يطلب مبعثي أي يريد ينبئني ويبعثني، وإنّي لمّا بعثت جاءني فآمن بي ونصرني» فلمّا أكمل له السّيّد محمد هذه الأوصاف والنّعوت أشاروا إليه بالمعنوية وجعلوا محمّداً دونه بالمنزلة، واحتجوا بقول أمير المؤمنين يوم السّقيفة وقد دخل عليه سلمان وتكلّم بما تكلّم به بالفارسيّة، فقال له لمّا دخل عليه: ما تقول يا سلمان؟

فقال له: أكون كما كان محمّداً، ألين لهم وأسالمهم وأغضّ عنهم. فقال: أفعل يا سلمان، وبذلك عهد إليّ محمد فقالوا: إنّ محمّداً قال لأمير المؤمنين ما قاله له سلمان، فلمّا سأل أمير المؤمنين سلمان قال له: ما تقول يا سلمان؟

فقال: أكون كما كان محمد ألين لهم وأسالمهم وأغضّ عنهم، كان ذلك من سلمان أكون كما كان محمّد أي كما وفقت محمداً وقدّمت إليه وأَمَرتُه، وكان قول أمير المؤمنين له بذلك عهداً إلى محمّد أن يقول: أمرك وتوفيقك. ومثل هذا كثيرٌ يا محمد بن جندب.

وعندهم أنّ محمداً قضى بالموت، وأنّ عليّاً اغتيل فقُتل ووجد ذلك وعُيّنَ وأنّ سلمان كان جالساً على بساطه وبين يديه زادان وشاذان وهما جبريل وميكائيل فقال لهما: إنّي أريد أن أرقى إلى السّماء، فما تقولان لمن سأل عنّي؟

فقال زادان: أقول إنّك في بعض أسفارك، وإنّك تعود بعد وقت، فقال: رأياً أصبته. وقال شاذان: بل أبدي لهم أنّك قد مللت دخولهم عليك، وإنّك قد أهّلتني لهم فأكون مقيماً ذلك فيهم أجري أمورهم على بدوك فيهم حتّى يسكنوا إلى أمري ويرضوا عدلي ويرغبوا عنك فيتناسوك.

فقال: وذلك رأياً أصبته، فخلفهما بما عهد إليهما، ورقي به البساط وزادان وشاذان ينظران إليه حتّى انفتحت له السّماء ودخل فيها وخرجا إلى من سأل عنه بما قالاه له فثبت الأمر لشاذان وكان زادان عونه على ذلك، ولم يطلبوا منهما لسلمان خبراً بعد ذلك، وقد قالت طائفة منهم إنّ سلمان ظهر يوم البصرة، فكفى

علي ما كفاه ولو ظهر لهم بصفّين لما تطاولت به المدّة ولا حكم عليه أهل نصرته ولكنّه جعل ذلك في عقب الّذين خرجوا عن أمره، وقعدوا عن نصرته وسألوا التحكيم عليه، فلمّا كان يوم النّهروان ظهر فكفاه ما كفاه يوم البصرة وأوجده من حيث كان إذ أخرجه محمّد في غزواته إلى مبادرة أعدائه بقوله له: يا عليّ امض فهذا جبريل عن يمينك ومعك يردّ عنك كيد عدوّك، وقال: وقد أجمعهم معاشر أهل التّوحيد على أنّ سلمان هو جبريل، نعم.

و قولهم: يا محمد بن جندب هو الكفر عينه وأين هم عن قول محمّد يوم قال: «هذا جبريل ينادي في عنان السّماء: لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي» وذلك في تفسير الباطن الّذي بطن عن الوجود إنّ قول جبريل لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي أي إنّه لا إله إلاّ عليّ وحده جلّت قدرته، وقول سلمان لمر يوم وجده بوادي التّسنيم وهو خبر الصّنم.

خبر الصّنم

قول سلمان لدلام يوم وجده بوادي التّسنيم وتحته ناقة له حمراء وعليها عيبةٌ فيها صنمٌ من نحاسٍ وهو يريد أن يقصد موضعاً في الوادي يخلو فيه بالصّنم لحالٍ كان قد أضمرها.

فقال له سلمان: إليّ يا دلام؟

فقال له: إنّي أريد ركب بني فلانٍ (وفد من الشّام) ولي فيه تجارةٌ.

فقال له سلمان: يا دلام، إنّ ربّك معك يعلم أين مقصدك وما تريده في نفسك، فسُرّ دلام وظنّ أنّه يعني الصّنم أنّه معه وأنّ الصّنم يعلم أين يريد وأيّ شيءٍ في نفسه ممّا يريد أن يسأل عنه.

فقال له: يا أبا عبد الله أسرّك إلهك كما أسررتني الآن علمت أنّك معنا على ما نحن عليه، فأين إلهك أنت يا أبا عبد الله؟

فقال له سلمان: ها هو أمامي وأمامك يراني ويراك ويسمع منّي ومنك، فمدّ دلام عينيه أمامه، فإذا هو بأمير المؤمنين راكباً على فرسه وبيده ذو الفقار، فأرعد عن الناقة وسقط على الأرض لوجهه ميتاً لا تحرك فيه.

فقال أمير المؤمنين: يا سلمان إنّك تحاوره ويحاورك وأنت تقول: إنّ إلهك معك يعلم مقصدك ويطّلع على سرّك فظنّ أنّك تشير إلى صنمه الّذي معه الّذي هو إلهه وأنّك قد عظّمته حين قلت له يعلم مقصدك ويطّلع على سرّك فقال لك: سررتني يا أبا عبد الله حيث علمت أنّك معنا على هذا الأمر، فأين إلهك؟ أراد بأنّك معه على كفره، أي فأين صنمك أنت يا أبا عبد الله؟

فقال سلمان: يا سيّدي أومعه صنمٌ يعبده؟

فقال: نعم يا سلمان، هلمّ العيبة، فأتاه بها.

فقال: حلّها، وأخرجه، فحلّها وأخرج الصّنم النّحاسيّ.

فقال: يا سلمان أراد أن يمضي به إلى موضع كذا وكذا ويسأله عن كذا وكذا.

فعرّفه أمير المؤمنين بما كان مضمراً دلام له من السّؤال. ثمّ قال له:

خذ الصّنم وخلّه بحيثه، فأخذ سلمان الصّنم وترك دلام لوجهه يخور، فلمّا كان بعد مدّة طالت عبر بوادي التّسنيم ركب فرأوه مكبّاً لوجهه يخور، فعدلوا إليه والنّاقة واقفةٌ، فلمّا رأوه قالوا: هذا دلام فرفعوه عن الأرض وقالوا له: ما شأنك؟

ففتح عينيع وجعل يجيلهما فيهم فقالوا له: ما شأنك وما دهاك؟

فقال لهم: هل رأيتم في الوادي أحداً؟

قالوا: لا.

قال: فهل لقيكم في طريقكم أحدٌ استخبركم أو استخبرتموه؟

فقالوا لا.

فقال: إنّي لمّا انحدرت إلى الوادي وتبطّنته ذُعرت النّاقة فرمتني عن كورها فأوهتني، فوطّوا له النّاقة ورفعوه على كورها وجعل يسير معهم وهو ذاهلُ العقل طائر اللّبّ إلى أن دخل المدينة وأتى إلى منزله فنزل وقال لخادمته هلمّي العيبة،

فأتته بها ففتحها وطلب الصّنم فلم يجده، فغشي عليه، وارتكبه نفضةٌ ورعدةٌ فقال: لا يدخل عليّ أحدٌ ما دمت بحالي هذه، فمكث بها شهراً فطال ذلك على جماعةٍ من أصحابه، فأتوه ودخلوا عليه وسألوه عن حاله فقال مثل القول الّذي قاله للرّكب حين سألوه عن حاله فقال مثل القول الّي قاله للرّكب حين سألوه عن حاله عند معاينتهم له بالوادي.

وكان ذلك في خلافة حبتر عليه وقال له: لتصدقني عن حالك وما الّذي دهاك؟

فقال له: قد اجتهدت أن لا أبدي ذلك لأحدٍ، ولست كغيرك. وأخذ يقصّ عليه قصّته بالوادي وما جرى بينه وبين سلمان وما خاطبه سلمان به، وما ظنّه سلمان بنفسه، وظهور أمير المؤمنين له على فرسٍ وذو الفقار بيده. وأنّه لمّا رآه صعق لوجهه عن النّاقة فلم يدر بما كان بعد ذلك حتّى مرّ به الرّكب فأيقظوه من سكرته وإنّه سألهم عن من رأوه في الوادي، وهل عاينوا في طريقهم أحداً فذكروا أنّهم ما رأوا لأحدٍ أثراً، وإنّما بدت لهم النّاقة وهو ملقى على وجه الأرض بين يديها.

فقال له حبتر: ويحك يا دلام ما عهدتك بهذا الوصف من العجز وقلّة الحزم وإنّي لأعرفك أنّك ثاقب الرّأي مشيد الحكمة يستدلّ بك إلى موارد الأمور ومصادرها، فأين ذهب رأيك بك حتّى أبديت إلى سلمان ما أبديته بسرعة المحاورة. وإنّك لتعلم كعلمي أنّ عليّ بن أبي طالبٍ يعلم منّا ما نسرّه وما نعلنه ونجمع عليه ونعرفه في سرّ أنفسنا دون إظهاره بأفواهنا، فيجنّ علمه بنا حيث أجنّا، ونغدو فيغدوا بغدونا، وإنّه وإن أمهل، وأنظر كما أبداه به في مخاطبته بالوحي، فهو لكمال استحكام الشّقوة فينا وتضاعف العذاب علينا، وقد علمت أنّ علياً لا يخفى على جميع خواصّه شيءٌ من علمه بما يجري في هذا الخلق. وقد أبان أنّه بهم يهلكنا ويهلك الخلق كما بعث بمن بعثه على مدائن قوم لوطٍ فجعل عاليها سافلها، وكما بعث به على فرعون حين أدركه الغرق، وقد همّ أن يبدي له بالإقرار فألقمه طينة خبالٍ وأهلكه بها، وكثيرٌ مثل ذلك حواه به وقد علمت من هو المخصوص بما عرّفتك وهو صاحبك في الوادي والمخاطب لك، وإنّما بعثه عليٌّ عليك حيث علم منك ما علمه ولو أمره فيك بأمرٍ لأمضاه ولكنّه أتى بما أمره به ثمّ ظهر هو لك فأوجدك بذلك أنّ

سلمان إنّما أشار بقوله عند مخاطبتك إنّ ربّك معك يعلم أين مقصدك ويطّلع على سرّك إلى عليّ بن أبي طالب.

فقال له دلام: يا حبتر إنّ أعظم ما عليّ في هذا الأمر أنّ الصّنم قد فُقد من العيبة. ولا أدري أين ذهب به وأظنّ أنّ الرّكب أخذوه من العيبة، وأخاف أن يحضروه في مسجد رسول الله ويقولوا هذا أصبناه في عيبة دلام.

فقال له حبتر: طوباك يا دلام إن كان الأمر على ما ذكرت وذلك أنّه إن كان ما تقول وجاؤوا به كذّبوهم النّاس وقتلوهم بقولهم فيك وقالوا إنّ ذلك منهم حسدٌ لك، وإنّما أخاف عليك يا دلام ما هو أعظم من هذا، لأنّي أعلم أنّ الرّكب ما كانوا بالّذين يفتّشون عيبتك بعد أن عرفوك لعظم خطرك عندهم، ومنزلتك منّي ومن رسول الله.

فقال له دلام: فما الّذي تخافه عليّ مما هو أعظم من هذا؟

فقال حبتر: إنّي أخاف أن يكون عليٌّ قد أمر سلمان أن يأخذه وأن يكون عنده، وأخاف أن يأمره بإظهاره في محافل قريشٍ والمهاجرين والأنصار، وليس يمكن إن كان ذلك على ما ذكرته لك أن ينتزعه من يده ولا يغالبه عليه أحدٌ بل نخاف أن يكون بفعلنا ما هو أعظم، فهل الصّنم معروفٌ يعرفه أحدٌ من المهاجرين؟

فقال له دلام: نبّهتني والله يا حبتر حتّى كأنّي كنت راقداً عن خطابك مذ ذلك الوقت، إي والله معروفٌ تعرفه قريش بأسرها، وذلك أنّه كان صنم الخطّاب، وهو خلّفه عليّ وأوصاني بعبادته وعرّفني أنّه إله من سلف من آبائه، وأنّ له في وجوده فيهم خمسمائة عامٍ.

فقال له حبتر: قطعت ظهري فيك يا بن الخطّاب.

فقال له دلام: يا حبتر، قد علمت ما تقدّم لي إليك في مقامٍ بعد مقامٍ من يدٍ بذلت مهجتي دونك، وأهّلتك لكلّ كبيرةٍ حمدت عنك، فإن كنت يوماً مجازياً على إحداهنّ فأجمعهنّ كلّهنّ وجاز عليهنّ بتخليصي من هذه الورطة العظمى والنّازلة الكبرى.

فقال له حبتر: طب نفساً، فإنّي لا أدع بذل جهدي في سرّ أمرك، ولو سلمت هذا لطالبه، فجزاه دلام خيراً وقام إلى رأسه فقبّله، ونهض حبتر، واتّبعه دلام يشيّعه

بنفسه وهو في جهده إلى أن خرج إلى شارع الدّار واللّيل هادىء فأتى إلى منزله، فلم يضطجع على فراشه بل جلس عليه يجيل فكره كيف تكون حيلته فيما قد وعد به دلام حتّى أسفر الفجر فأذّن مؤذّنُ مسجد رسول الله، فقام حبتر فتأهّب للصّلاة وارتدى بردائه واحتذى حتّى دخل المسجد وجلس بموضع جلوسه من المحراب فما استقرّ به الجلوس حتّى دخل داخلٌ إلى المسجد.

فقال حبتر: من الدّاخل؟

قال: أنا سلمان يا حبتر، أرّقك البارحة دلام بمحادثتك ما دمت عنده، فلمّا صرت إلى منزلك اشتدّ أرقك وفكرك، فلم ترقد في فراشك وقد غدوت مستقيماً.

فقال له: يا سلمان قد كان ذلك، فمن أين لك علمه؟

فقال له: إنّي رأيتكما، فعلم حبتر أنّ سلمان قد شاهد جميع ما كانا فيه من الخطاب، وأنّه لا يمكنه جحد ذلك، فقال: كان ما ذكرت.

فقال سلمان: اعلم أنّه قد أمرني أن أنصب الصّنم بباب المسجد عند دخول المهاجرين والأنصار إلى الصّلاة مقابل مدخل النّاس، وإنّه قد تقدّم إلى الصّنم أن ينطق ويخبر الجّميع بما أبداه إليه، فلمّا سمع حبتر ذلك من سلمان غشي عليه في المحراب ومدّ يده فعلّق بسلمان وجعل يضرب برجله وهو يقول:

يا سلمان بحقّ صاحب هذه الرّوضة إلاّ أجبتني إلى ما أسألك.

فقال له: ما تقول وما تسأل؟

فقال: تمضي إلى مولاك وتسأله إقالتي من هذا الأمر الّذي قد تلبسته بغير حقّ، وأن يعود بفضله عليّ كما لم يزل يعود به في كلّ مرّة بعد أخرى، فقد علمت أنّه يعلم أنّي لم أطلع من أمر دلام على شيء ممّا أطلعك عليه عليّ بن أبي طالب؟

فقال له سلمان: يا حبتر أنظر أين يذهب قولك هذا.

فقال له حبتر: لم أقل إنّي لم أعلم أنّ ما له صنمٌ عنده هو منعكفٌ عليه، وإنّما قلت لك إنّه يعلم أنّه ما أطلعني دلام على خروجه إلى وادي التّسنيم بالصّنم ولا ما كان مراده بذلك حتّى عاد بما عاد عليه فلمّا دخلت عليه عرّفني بما كان منه.

فقال: الآن قلت حقّاً، اعلم يا أبا بكر أنّه يعلم منك مثل الّذي يعلمه ومن دلام، وقد أوعز إليّ بأن أجمع بين صنمه وصنمك الّذي هو في ربعتك الّتي دفنتها في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا تحت وسادة مرقدك. فإن أتيت أنت به وإلاّ مضيت أنا وأتيت به، فسقط عندها حبتر يبحث بيده ورجله وقال: يا أبا عبد الله سألتك بحقه إلاّ أمهلت عليّ.

فقال له: قد أمهلت وذلك عن أمره فما تشاء؟

فقال: سألتك بحقه هل أوعز إليك غير ذلك بشيء؟

قال: نعم إنّه أمرني أن أنصبها بباب المسجد عند دخول المهاجرين والأنصار للصّلاة، وأبدى إليّ أنّه ينطقها بلسان عربيّ مبين، يبيّنان للنّاس ما ينطقان به، وذلك أنّه يبدأ بصنم دلام فيقول: معاشر المهاجرين والأنصار أنا فلان بن فلان، من بلد كذا وكذا أرسخني الله في هذا النّعت الّذي أنا به معروفٌ وأنّ الجّاهليّة من عديّ صنعتني إلهاً عبدتني من دون الله، وإنّي لم أزل معظّماً عندهم عقباً بعد عقب إلى أن صرت إلى الخطّاب، وإنّه عند هلاكه أوصى ابنه دلام أن يكون على ما كان عليه من تعظيمي والتّعبّد لي، فما هل إلهٌ غيري، وإنّه ما خرج إلى سفر إلاّ وكنت معه فيه كي أحوطه في سفره وأنصره على عدوّه، وما قدّمت له نفسه أمراً إلاّ ونصّبني للمشاورة فيما يريد أن يأتيه، فكنت أجد لي من يمنعني على أن أبيّن له أنّه قد ضلّ فيّ وأنّه غير مصيب فيما قد أقام عليه من عبادتي فامتنع عن ذلك من موضع كنت أجد ما أجد من النّهي له، وإنّ الله جلّ وعزّ قد أبدى ما كان يخفيه على يدي سلمان الفارسي ويسكت، ثمّ ينطق الصّنم الّذي هو لك مثل ذلك حرفاً حرفاً.

فقال له حبتر: يا سلمان، فقم بنا إليه حتّى أسأله.

فقال له: إنّه أمرني أن لا أجيبك إلى هذا السؤال إذا أنت سألت عنه.

فقال له حبتر: فقم بنا إلى دلام حتّى أعرّفه أنا وتُعرّفه أنت وأستخرج لك الصّنم من حيث ذكرته.

فقال له سلمان: أما المضيّ إلى دلام فإنّي أجيبك إليه، وأنّ استخراجك للصّنم من حيث هو فيه فقد استخرجه من هو أعلم بالموضع منك، فقم فها هما مع سلمان منذ يوم وادي التّسنيم، فحار حبتر من قول سلمان وظنّ أنّه هزلٌ منه.

فقال: وأين هما يا أبا عبد الله؟

فأخرجهما من ردائه، فلمّا أبداهما خرّوا لوجهه يلطم على رأسه وهو يقول: يا لها من فضيحة ما أعظمها وداهيةٍ ما أكبرها لا كاشف لها إلاّ منزلها، يا أبا عبد الله من أين لعبد الله بن عثمان الخلاص من هذه الفادحة، وكان وقت إقامة الصّلاة.

فخشي حبتر من مجيء النّاس للصّلاة وأن يأتي سلمان بما أمر به، فقام مسرعاً وقال: قم يا أبا عبد الله إلى حيث أجبت إليه، فقام سلمان وجعل حبتر يسعى ويكبو لوجهه حتّى سقط من المسجد إلى أن وصل إلى دار دلام في سبعة عشر موضعاً، وكلّما سقط يقول: يا سيلمان ارفق بي، وإنّ بين سلمان وبينه خطوات كثيرة حتّى أتى الباب فطرقه، فقيل له: من بالباب؟

فقال: أنا سلمان وحبتر معي، فلمّا سمع دلام بذكر سلمان من قبل أن يسمع بذكر أبي بكر غشي عليه كوقت سقط عن النّاقة بوادي التّسنيم، فخرجت الخادمة إليه، فقالت: إنّه موعوكٌ والسّاعة رقد. وما فيه موضعٌ للدّخول عليه، فقال لها حبتر: ويلك قولي له هذا حبتر بالباب، وقد دهي بما دُهيت به وما عنده أعظم ممّا عندك وأجلّ.

فدخلت إليه الخادمة فعرّفته، فتجلّد للجّلوس وأذن لهما، فلمّا دخلا قام قائماً إلى سلمان، فقبّله بين عينيه ويده وقال له: الحمد لله الّذي كانت لك المنّة والنّعمة، فقد يكون وما يكون هذا الكرم إلاّ في الفرس. يا أبا عبد الله إنّي لذاكر ما كان منّي إليك بوادي التّسنيم من المداعبة، وذلك أنّي كنت ثملاً من خمرة أخذتها لعلّة تعرض لي وخرجت إلى الوادي لئلاّ تتمّ على حالها، فزادت عليّ فداعبتك بشيء ما أعقله الآن، فقد عفوت إذ قدرت وسترت إذ علمت، فالمنّة لله ولك، فاجمع بذلك يا أبا عبد الله جميل الأمور بموادعة عبد الله بن عثمان ومنّك عليه كما مننت عليّ. فلن يضيع جميل صنيعك في شيخي المهاجرين والأنصار وأنا أعدو إلى مولاي ومولاك أمير المؤمنين فأبدي له شكري إيّاك بما يحسن موقعه عندك. وقد أمرت عبد الله بن

عثمان أن يقضي لك في كلّ يوم عشر حوائج لا يردّك بواحدة منها، ولو أومأت إلى إزالته عن هذا الأمر وأن يحمل إليك في كلّ شهر عشرة آلاف درهم تصرفها في أصحاب عليّ ليتوفر عطاؤك عليك.

و أنا فقد ملّكتك الحائط الّذي لي بالغرقد وما يليه من بسط الأرض وأحمل من عطائي إليك في كلّ شهر ألف درهمٍ تكون لبعض مفترضاتك.

ثمّ قال للخادمة: هلمّي العيبة، فأتته بعيبة مملوءة برداً تخميّة وحللاً عدنيّة، فدفع إليه عشر بُردٍ وثلاث حلل وكيساً فيه خمسة آلاف درهم، وقال: يا أبا عبد الله قد جعلتك وسيلتي إلى صاحبك المقداد بن الأسود وأبي ذرّ الغفاريّ في قبول هذا منّي، وهي جائزةٌ لهما منّي في كلّ حول، ومن عبد الله بن عثمان مثلها.

ثمّ إنّه التفت إلى أبي بكر فقال: ألا فعلت هذا أنت وأرسلت إلى أن أبعث إليك بما تريد.

قم فابعث إلى أبي عبد الله بمثل ما أبدأته به وإلى المقداد وأبي ذرٍّ بمثل ذلك.

قال محمد بن جندب: قال سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير: فبقي حبتر لا يرد جواباً ولا يورد كلاماً، وظنّ أنّه قد كان بين سلمان وبين دلام موافقةٌ لذلك الخطاب الّذي خاطبه به، فخرج حبتر مبادراً إلى داره فحمل ما أمره به دلام لوقته وقام سلمان ليخرج، فقام دلام لقيامه وخرج بخروجه وأمر بحمل ما كان بحضرته إلى دار سلمان وأتيا حتّى دخلا المسجد وأقبل حبتر حتّى أقيمت الصّلاة وصلّى بالنّاس، ثمّ أقبل على دلام وقال: يا أبا حفص: هل كان بينك وبين سلمان بما بدأته به مراسلةٌ قبل دخوله عليك؟

فقال : ويحك يا أبا بكر هذه الأشياء فرضٌ، فمن افترضها ظفر بها، وإلاّ افترضته ولولا ما أبديته به لكان حول لك فيما أتيت فيه رأياً عطباً ولكنّي جمعت الحزم كلّه وأبديت الرّأي في وقت دخوله لأنّي أعددت له ذلك، ولقد كنت أشدّ خوفاً منك وأعظم جزعاً.

فقال له حبتر لا تظن ذلك يا دلام، لو سمعت من سلمان ما سمعت أو خرج إليك بما أراده لاعتراك الطّيش حتّى لا تحصل على شيءٍ من عقلك أنّه قال كيت

وكيت وأراد أن يفعل كذا وكذا ولو أتمّ هذا يا دلام لكانت الفضيحة العظمى والدّاهية الكبرى.

فقال له دلام: أفلم أكفيك ذلك؟

فقال: بلى ما برام مرام مكايدك ولا مصادرك ومواردك.

فقال له: واعلم يا حبتر، لو لم يأمره عليّ بن أبي طالب بما بدأته به لما قبله منّي ولكان منه ما عرّفك أنّه يريد أن يفعله، فسله تجد ما أقول لك حقّاً.

فقام حبتر حتّى وافى منزل سلمان وقد حمل معه ما قدّمه إليه دلام، فأذن له فدخل عليه وجلس فقال له: يا حبتر: إنّ في دلام خللاً وشيطنةً وتداهي وفرعنةً ليست فيك، أما رأيت ما بدرني به وأبداه إليّ من مداهنته وحيله وزخرف كلامه وعمله حتّى أوهمك أنّي له جئت ولذلك طلبت وعليه عقدت.

فقال له حبتر: ما ظننت إلاّ ما وصفت، ولقد سألته عن ذلك فقال: ما كان ذلك إلاّ بادرة بدرت سلمان بها، وقد قال قولاً ثانياً، قال لي: اعلم يا حبتر لو لم يتقدّم إليه عليّ بن أبي طالب بما كان منّي إليه لما قبله منّي سلمان ولا أمضاه ولكان منه جميع ما أشرحه لك.

فقال سلمان: صدق والله يا حبتر ما كان شيءٌ جرى بيني وبينك إلاّ عرّفنيه ولا شيء جرى من دلام إلاّ أخبرنيه وأمرني بأخذه منك ومنه وإنّي لا أعيد على دلام شيئاً ممّا كان منّي إليه ومنه إليّ بوادي التّسنيم وامتثلت ما أمرني به، إنّه قال لي: يا سلمان إنّي لو فعلت ما كشفته لك من نصب الصّنمين بباب المسجد ونطقهما بما ينطقان به وأضعافه لما قالوا إلاّ إنّ هذا من سحر عبد المطّلب، ولكانوا عليّ دون أن يكونوا معي وذلك من حيث كوّنوا به وجبلوا عليه لأنهم وحزبهم كما ذكرهم الله عزّ وجلّ فقال: «أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ» فقدّم إليّ بجميع ما ذكرته وأضعافه، ولكن اعلم يا حبتر أنّ هذا كلّه يجري بإرادته ومراده بإتمام الحجّة عليك وعلى صاحبك ومن بايعكم، فلا تغترّ بذلك من إمهاله، فلو أذن فيك بإذنه وفي جميع من في الأرض لذهب بهم سلمان ولكانوا كشيءٍ لم يكن.

ثمّ إنّ سلمان أمال الجدار الّذي كان حبتر جالساً تحته حتّى لحق رأسه العالي إلى الأرض، فصار علوّه مع أساسه وحبتر تحته، فوثب ليقوم فوطيء على ذيله، فلم يطق خلاصه.

فصاح: يا سلمان سقط الجّدار عليّ.

فقال له سلمان: لو سقط أو أذن له بالسّقوط لكنت قد ذهبت حيث يذهب أوان ذهابك.

ثمّ إنّ الجّدار عاد إلى حاله، وزال عن ذيل أبي بكر.

فقال: يا سلمان أيّ شيءٍ كان هذا الّذي رأيته؟

فقال: إنّه أمرني أن أبديه لك وأوجدك إيّاه، وأعلمك أنّه متى أعدت شيئاً ممّا أبديته إليك ممّا أبداه إليّ أمير المؤمنين أمال عليك الجدار الّذي تكون جالساً إليه، ولو يكون الجدار من أمامك أو عن يمينك أو شمالك أماله عليك حتّى تهلك به، نعم ولو أنّ بينك وبين الجدار فرسخاً أماله حتّى يلطمه عليك، وقد نصحت لك والسّلام.

فقام حبتر وخرج من عند سلمان وأتى منزله فوافاه دلام فاستأذن عليه فقال: إنّي خارجٌ إليك، وخرج إليه.

فقال له دلام: يا حبتر: ما هذه الحال الّتي ظهرت لي منك في هذا اليوم؟

فقال: وما هي؟

فقال: إنّي ما عهدتك تحتشمني، ولا طرقت بابك في وقتٍ من الأوقات، فلم تأذن لي، وما احتشمت دخولي عليك، وفي هذا اليوم أوقفتني حتّى خرجت.

فقال له ما ذلك إلاّ لخيرٍ، إنّي أحببت أن أخلو أنا وأنت بالبقيع للمحادثة وبثّ ما نجده.

فقال له دلام: لأستمع هذا منك ونفسي لبيبت بالرّاكنة إليه ولكن كما ذكرت، وجعلا يمشيان حتّى خرجا إلى البقيع وجلسا في فيحاء البقيع.

فقال له: كيف أبديتنا في هذا الموضع لا يوارينا عن أحدٍ من النّاس شيءٌ؟

فقال: هو أوقع بقلبي من أن نتوارى بموضعٍ نفاجأ فيه من حَيث لا نعلم ويظنّ بنا من يفاجئنا أنا في حالٍ نسرّها ولا نبديها.

فقال له دلام: وهذا أيضاً تقوله ولست أثق منك بصدقه، أعد عليّ ما بدا منك إلى سلمان وما كان من سلمان إليك.

فقال له: يا دلام، ما قال ولا قلت وكما دخلت خرجت، فلا تعد ذلك سؤالاً.

فقال له دلام: والله يا حبتر إنّي لأعلمك قطع ركبك عنك وأدعك بحسرتك لأنّك ما أتيت قط بخير ولا ذللت إليه ولا عرفت حيث وجه مسلكه، فيالها ندامة حلّت بدلامٍ فيما قدّمك إليه وأهّلك له ووثب فلم يجلس مع أبي بكر ووافى منزله، فأقام شهراً لا يحضر مسجد الرّسول للصّلاة مع أبي بكر حتّى جميع حبترٍ إليه جمعاً واستعانه لهم فرجع إليه وهو مضمرٌ غيظه عليه وأقام حبتر حولاً كاملاً لا يجلس إلى جدارٍ ولا يرافقه إذا كان في جمعٍ من أصحاب رسول الله إلاّ حيث يكون في منزله، وفي خلوةٍ من جليسٍ يجلس معه، وكان إذا حضر في مجتمعٍ قد أخذوا بذكر عليٍّ وسلمان نهض وتركهم يخوضون فيه كلّ ذلك حذاراً من أن يبدر منه بادرة كلمةٍ فيحلّ به ما توعّده به سلمان وأوجده عيان ذلك.

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير قال لي: وإنّ سلمان لمّا كان من دلام وأبي بكر جمع جميع ذلك وأتى به إلى أمير المؤمنين، فلما بصر به قال له: يا سلمان وفقت وفقك الله وسددك، اصرف ما أفاء الله به على المؤمنين، ففرقه سلمان بالقسط وكان كذلك يجري في جميع ما كان يحمله إليه حبتر ودلام وما يرتفع من غلّة الحائط والبسط الّذي ملّكه إيّاه دلام، لا يفضل نفسه على أحد من المؤمنين بحبّة واحدة، كلّ ذلك بتوفيق مولاه واستخصاصه إيّاه، ثمّ قال لي:

يا محمد بن جندب، لو شاء محمد بن نصير لقال لك إنّه قد حضر ذلك وشهده وعاينه وأمضاه وقسم منه قسمه، وأصرف إليك منه، غير أنّه لم يوجدك من أين كان أتاه حتّى السّاعة، وإنّ بالعسكر جميع من وصل إليك.

قال محمد بن جندب: فقلت: يا سيّدي، وأنا أشهد بذلك وأسلمه إليك ولو أتيت بأضعافه، ثمّ قال:

يا محمد بن جندب، فقلت: يا سيّدي وأنا أشهد لك بذلك وأسلّمه إليك ولو أتيت من منازل الباب عند الأزل في هذا الظهور، وله ما هو أكثر وأكثر عنده، فكيف تدرك منزلة الباب عند الأزل في النورانية وهي أجلّ وأعلى وأرفع وأعظم؟

فقلت: يا سيّدي: أنت بالمنزلين عليمٌ، وبتكوينهم خبيرٌ.

فقال: يا محمد بن جندب، كذلك منزلة المستخصّ المصطفى المختبر الّذي هو النجم الثاقب الّذي قدّه الإسم من الباب واحتذاه من ذاته وأنحله منه المنازل الّتي أنحل الأزل الباب، وكان يقدمه الاسم إلى الباب فيه كتقدمة الأزل إلى الإسم في الباب، فأظهر الإسم للنجم على قدره وقدّره أن قدّر بقدرته كما أوجد الأزل الإسم أن يُظهر الباب على قدر الأزل وقدّره أن قدّر بقدرته، واستخصّه الإسم كاستخصاص الأزل للباب بظهوره بحيثه ويبديء إليه بأمره.

إظهار محمد بن أبي زينب الكشف

فمن ذلك يا محمد بن جندب ما رواه النّاقلون عن أبي الخطاب محمد بن أبي زينب في مقام الجيم، وقد ظهر محمد الأكبر بمحمد بن أبي زينب والأزل الغاية بالجيم وأمدّه الأزل بإظهار الدّعوة والكشف.

فقال إسماعيل بن أبي الطيّب، فقال له لبّيك.

فقال: قم يا مقداد مقام سلمان في هذا اليوم، وأعلن ما أمر به مولاك ولا تكتمه ولا تستر منه شيئاً، فإنّي معك بحيث كنت، وهذا أبو ذرّ الكاتب الصّادق يصدّق قولك ويبدي إنذارك إلى أهل صفوة الله وأحبائه، قم يا عبدي، فقام أبو محمد العبديّ حتّى وضع يده بيد إسماعيل بن أبي الطيب، فقاما بين يدي محمد بن أبي زينب، وقال له: قد أمرت ولك الأمر، ونحن نمضي أمرك، فإن أمر الله حتمٌ وأنت الله الّذي لك الأمر والمشيئة.

فقال: إذا علوت مأذنة الكوفة وأعلنت فأعلنوا بما أعلن، فلمّا كان أذان الفجر علا السيّد محمد بن أبي زينب المأذنة وكان ذلك منه كما كان يعلو بمكّة جبل أبي قبيس فينادي بأهل مكّة إلى توحيد الأزل ويصرّح باسمه ولا يخفيه، وكما علا يوم

غدير خمّ وجهر بما جهر به وفيه وأقامه للعيان وأشار بإصبعيه، فلمّا رقي مأذنة الجامع بالكوفة فنادى برفيع صوته حتّى بلغ به في شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها وأرضها وسمائها حتّى أعمّ بصوته جميع خلائق الله من الملأ الأعلى وهم الملائكة المقرّبون ومن الثقلين الجن والإنس، ووعى ذلك الحيتان في قعر الأبحر السبعة والطير في الأوكار والهوام والدّبيب والوحش في الغياض والآكام والآجام فكانوا وعاةً كأذنٍ واحدة وكانت الدعوة: معاشر الخلائق من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والإنس والجن والهوام والدبيب وكلّ ذي روحٍ ناطقٍ وحسٍّ، أنا محمد بن عبد الله رسول الله إليكم أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً أبلّغكم رسالة ربّكم وأنصح لكم، ألا إنّ ربّكم وخالقكم ظاهرٌ بينكم حالٌّ بين أظهركم يمشي في أسواقكم ويحلّ في آفاقكم ويجلس في محافلكم يشافهكم خطاباً ويعيد إلى سؤلكم جواباً لا حجاب يواريه عن مشاهدتكم ولا حيث يكنّه عن ملاحظتكم أمرني فقلت، وأرسلني فبلّغت، ألا فاقصدوه، فهو جعفر بن محمد، هو ربّكم الأزل والسّابق قبل قدم الأول، وهوغاية كلّ طالب وأمل كلّ راغب، ألا وهو عليّ بن أبي طالب، وأمل كلّ راغب، ألا وهو عليّ بن أبي طالب، فلمّا نادى محمد بن أبي زينب بهذا النداء وجهر به، جعل اسماعيل بن أبي الطيب وأبو محمد العبدي يديهما في يدي بعضٍ وجعلا يقولان: صدق رسول الله، حتّى لم يدعا في الكوفة قبيلةً إلاّ ونادیا فيها كذلك، وإنّ صوتيهما ليمرّا مع صوت محمّد ويبلغا حيث بلغ، فضجّت الكوفة وارتجّت وخرج النّاس يهرعون إلى مأذنة الجامع يطلبون المنادي، فلم يروا بها أحداً، وإنّ الصّوت ليخرج منها على خاله، وكذلك صوتا إسماعيل بن أبي الطيب وأبي محمد العبدي يسمعان في قبائل الكوفة، فيسمع في هذه القبيلة، فيطلب الصّوت أهلها فلا يجدون فيها أحداً، ويُسمع في القبيلة الأخرى، فكان كذلك إلى أن بزغت الشّمس، وإنّ الصّوت تناهى في مسامع أبي جعفر الدّوانيقي وهو بمأذنة بغداد في حضرته الّتي كان اتّخذها له في المدينة وهو في فراشه فارتاع لذلك وجلس وضجّت المدينة بجميع من فيها وخرج الجّواري والخدم من المقاصير يهرعون إليه، وقالوا: قد قامت القيامة؟ فقال: لا علم لي بذلك.

فما زال جميع أهل مملكته يدخلون ويقولون: يا سيّدنا ما هذه الدّاهية؟ فقال: يقع لي أنّها من دواهي هذه الحجازيّ الّذي بالكوفة، قد استغوى أهلها وصار يدعي

فيهم إمام الشيعة وهو من قومٍ هم أصل السّحر والكهانة والتمويه والحيلة، فإن كان الأمر قد وقع لي بصحّة الحقيقة فإني أرسل إليه أحضره بحضرتي وأسأله عن هذا السّحر الّذي أظهره في هذه الليلة، فإن أصدقني حبسته بحيث لا ينفعه سحره، وإن هو لم يصدقني قتلته واتبعت بقتله جميع من قد جعله إمامه.

فلمّا أصبح وجّه إليه بالخيل والرّجال إلى الكوفة حتّى أحضره بحضرته.

فلمّا دخل عليه قام إليه إلى باب إيوانه وعانقه وقبّل بين عينيه ورفعه فأجلسه في موضعه وجلس من دونه، وقال له: يا ابن العم لم أزل مشتاقاً إليك وإنّما أنفذت إليك لشوقي، وقد بلغني أنّ شيعتك ومواليك قد أرجفوا بي أنّي أريد بك حالاً، وأنا أسألك أن تعود إلى الكوفة، وقام قائماً فخلع لما كان عليه من لباسٍ وجعله عليه، وقد كان المولى قال لهم – وقد خرج عن الكوفة وهو بالدّساكر – وشيعته ومواليه حوله وقد تداخلهم كلّ على قدر مرتبته في معرفته، فقال لهم: لا ترتاعوا فإنّي أمضي وأدخل عليه فيقوم لي ويستقبلني ويجلسني في موضعه من سريره ويعتذر لي ويقول: إنّه تشوّقني فأرسل إليّ وإنّه يخلع عليّ ما عليه من لباسٍ، وفيما يخلع عليّ مبطّنه مصمتة مورّدة مبطّنة بمصمتٍ أبيض طرازيّ الطّهارة أحمر وطرازيّ البطانة أسود، فطابت بذلك قلوب الشّيعة والموالي.

ثمّ إنّه أمر له بعشر تخوتٍ من أفاخر مصمّت خراسان وراختجةٍ ومثلها من دقّ مصر، وثلاثمائة ألف درهمٍ، وما يحمل ذلك عليه، وظهر بركبه من عدده الّتي هي له، وأذن له بالخروج من يومه ولم يلبثه فخرج وورد الكوفة في اليوم العاشر من خروجه منها إلى أن عاد إليها، فجاؤوا يهنؤونه.

فقال رجلٌ من كبراء الشّيعة، ووجوه أهل الكوفة، يقال له وهب بن سليمان السّكونيّ: إنّي قد سمعت من جعفر بن محمد كلاماً يوم ودّعناه إلى الدّساكر حصّلته عليه، وإنّي أريد أن أتبيّن ذلك، فأتى حتّى دخل والمجلس حافلاً غاصّاً بشيعته ومواليه، فجعل يتخطّى النّاس حتّى جلس إلى جانب مصلاّه الّذي هو جالسٌ عليه وسلّم وهنّأه بقدومه وبما أنعم الله عليه من السّلامة من الطّاغي، فردّ عليه وكانت المبطّنة عليه وعليها من فوقها ثوبٌ قد غطّاها، فجعل وهب بن سليمان يجيل نظره في ثيابه، فعلم ما في نفسه، فدعا بالخادم وقال له: هلمّ فخذ هذا الثّوب عنّي، فقد

تأذى به وهب بن سليمان، فأتى الخادم وأخذا الثّوب من فوق المبطنة عندما نزعه وظهرت المبطنة فتأمّلها فوجدها بصفة ما ذكر، إلاّ أنّ الباطنة ليس يعاين منها ما يعاين من الظّهارة، فدعا بالخادم إليه وقال: خذ المبطنة عنّي وائتني بغيرها، فنزعها، فلمّا أن أخذها الخادم، قال له وهب بن سليمان: هلمها، فدفعها الخادم إليه، فقبلها بحضرة من في المجلس من الجمع، وجعل يقلب البطانة مرّة والظّهارة أخرى حتّى اكتفى من النّظر إليها ودفعها للخادم، وقال له: صدقت يا سيّدي، قد وجدت ما وصفته كما ذكرته.

فقال له: وكذلك علمت أنا منك ما أسررته فأبديته أنا لك حتّى عاينته.

و كان من محمد بن أبي زينب أقاصيصُ أظهرها وأبداها بأمر مولاه مع عيسى بن موسى الهاشميّ، ثمّ إنّ مولاه قال له: أجد انّك مغلوبٌ ومقتولٌ كما كان منك في السّالف حين قلت: « فَدَعا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ، وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ [1]» فأظهر محمد بن أبي زينب ما أمره وكان ما قدّمه إليه وورد بعد ذلك على أثر قدومه الكوفة الكتب إليه أن يخرج إلى الحجاز، وكان إسماعيل بن أبي الطيب يدعى بالكوفة بالمقداد وأبو محمد العبدي بأبي الذرّ مذ وقت سمّاها محمد بن أبي زينب وقالَ في ذلك الوقت الّذي كان منه ما شرحته لك، قد كنت أدعى بابن أبي كبشة وأنا الآن أدعى بابن أبي زينب.

يا محمد، ومن اختصاص الإسم للنّجم الثّاقب وهو المقداد وإنّ عمّار بن ياسر دوى وعنه جاء الخبر أنّه قال: دخلت على السّيّد الأكبر والاسم الأعظم محمد وإذا عنده المقداد وهو يحادثه وأراه يضحك إليه في حديثه.

فقلت: ما رأيت رسول الله مولاي فهل مثل هذا بأحد، وإنّي لمتعجّبٌ من ذلك، حتّى قال: أدن يا مقداد، فدنا منه، فمدّ يده فكشف عن رأس المقداد، وكانت له وفرةٌ تنزل على كتفيه، فجعل مولاي محمد يفتح شعره بيده، وأراه كأنه يصفّفها على منكبيه، فعجبت لذلك أكثر من عجبي أولاً.

[1] القمر ٩ – ١١.

فقال لي: يا عمّار، أنا الله وأنا نور السموات والسّماوات سلمان وأنا نوره، وإنّي قددت المقداد من نوري.

فأنا أضحك إليه لأنه نوري، والمشيئة بيدي لأنه نوري، وأحادثه لأنه نوري، أنظر إليه وتبيّنه، فنظرت إليه وتبينته فوجدته في عيان سلمان، فقلت: هذا سلمان وأنت تقول لي إنّه المقداد.

فقال: يا عمّار من سلمان قددته ولا خير فيما لا يشبه ما قُدّ منه، إنّ سلمان يظهر بالمقداد عند إرادته كما أظهر أنا به عند إرادتي، نعم وإن أردت أن أظهر لمن قسمته من المقداد عند رضائه به إن قسمت منه ظهرت، ألا وإنّي أبدي إرادتي إلى المقداد كما يبديء الأزل إرادته إلى سلمان وأظهر له كما يظهر له وأحادثه كما يحادثه، وأسرّ إليه كما يسرّ إليه كلّ ذلك بإرادة الأزل فيه واختصاصه له، ولولا اختصاصه لما استخصّه كلّ ذلك يا عمّار مادّةٌ مورودةٌ وقدرةٌ موجودةٌ منّي فيه، أعرفه ولا تذهب عنه.

فقال عمّار: ما رأيت المقداد بعد ذلك اليّوم إلاّ بصورة سلمان الّتي أوجدنيها مولاي، ما حال عن عيانٍ، ولا تغيرّ في كيانٍ شهدته عنده فأوجدنيه بحالةٍ بعده.

ثمّ قال لي: يا محمد بن جندب إنّ سلمان ما غاب عن إعادة ما شرحته لك من قصّة عمّار ولا غيرها وإن قلت لك إنّ النّطق منه خارجٌ إليكَ هل كنت قائلاً ذلك من محمد بن نصير أنّه هو النّاطق لك بالشّرح، وإنّه نطق سلمان؟

فقلت: يا سيّدي قد عرفتك من حيث عرّفتني إيّاك، ووجدتك من حيث أوجدتني ذاتك، فلا تردّني إلى الشّكّ فيما أنعمت.

فقال: لا يا محمد بن جندب، ثبت لك الاختصاص فثق من مولاك ببيانك فيما استخصّك به وزد من حمده وشكره، ثمّ قال لي: يا محمد بن جندب، وقد أوضحت لك منزلة الاسم من الأزل، ومنزلة الباب منه بعده، وكذلك أثبتّ لك منزلة الباب من الاسم، ومنزلة النجم الثّاقب وهو المقداد منه، وأنّ كلّ محلٍّ أكمله الأزل للباب مثله أكمل الاسم للمقداد الّذي قده من الباب، وأنّه لمّا أبداه في الأحياث بمراد الاسم وأظهره على جميع مكوّنات الأحياث وعوالمها من حيث هو اسم للمكان وأوجده إذ لم يجدها بعد تكوين الإسم وبعد إيجاده إيّاه لها غيره، وإنّه أوجده إيّاها عن إرادة

مكوّنه واستخصاصه إيّاه بوجودها وأنّ جميع مكوّنات المكوّن لم يجد شيئاً من وجوده ولا حلّ في شيءٍ ممّا حلّ فيه فعلاً محلّه بذلك، ثمّ إنّ الأزل أبدى إرادة الإسم له واختصاصه بأن أوجده المعنوية وظهر له بذات الإسم حتّى عرّفه حقّ معرفته، وأنحله رتبة العلوّ والسّموّ من محلّ الأزلية، فأمدّه بإيجاد ذاته يمرّ في الكون فهوى في الكون كلّه يمرّ بالأحياث والأكوان ويوجد ذاته لها بوجود التّجوهر وإبداء الدّعوة الّتي دعا إليها وعرّف الظّهور الّذي أظهر له، وعيان ما عاين فسمت إليه جميع المكوّنات فطلبت حيثه فأبداه الإسم بإظهار النّطق، فنطق على لسان سلمان وهو الباب الموجود بهذا الإسم في ظهورات البشريّة، فلم يزل بدوام ذلك مائة ألف كورٍ لا يجاوز به الرّتبة عن هذا المحل والحيث والنّحلة.

ثمّ بدا له الباب بمراد الإسم فاختبره هل يتناهى ما أنحله الإسم، عدلاً عن البابيّة فوجده عند ظهوره له بأكمل طاعة، وأسرع إنقياد، وأوفر إقراراً، إنّه محلّ شرفه، ومعدن نوره، وقسيم ذاته، فلمّا أوجده الباب بهذه المنزلة عظّمه ورفع درجته وأبداه بحيث بدا وأحلّه بحيث أحلّ وسيّره معه حيث سار فكان بحيثه حيث كان يجده كلّ مكوّن مع الباب إذا وجدوا الباب لا يعدمونه وصارت مادّة المنزلة فيه جاريةٌ وإرادته منه بادية، **وهو يا محمد بن جندب النّجم الّذي يظهر بظهور الشّمس ويرى في الأفق مقابل عين الشّمس،** فأراد الأزل أن يعلم الإسم حقيقة علمه بالنّجم، وأنّه علم منه ما لم يعلموه حين اختبر الاسم بالتّوقّف في الحيث حتّى كوّن من أجل غيبته وهي غايته، وإنّ ذلك عند تناهي غاية كون المكوّن فأوقفه الإسم بإرادة الأزل ومادّة علمه به منه إليه، حتّى حيّث الأحياث وكوّن الأكوان الّتي شرحتها لك، فلمّا كوّنها الاسم بإرادة الأزل وظهر فيها لأكوان ما كوّن بإرادة الأزل، ثمّ أزاله الأزل عن وجود الظّهور بذاته، وظهر هو بما كان الإسم ظاهراً به، في جميع الحيث والكون والعوالم الّتي كوّنت، فأوجد الأزل ظهوره باسمه الّذي كوّنهم وظهر فيهم أمدّ ما أمدّه من موارده، ثمّ أزال الأزل عنهم وجود ما أوجدهم وأمدّ الاسم بمادة الظّهور في تلك الأحياث والأكوان، فظهر الباب بذاته الّتي كوّن بها من حيث لم يجدها حيثٌ ولا كونٌ قبل ذلك الظّهور فأبهرهم بظهوره لما عاينوه ما لم يجدوه قبل ذلك ولا عرفوا تكوينه، **فرتّبه فيهم مرتبته في الحيث الأول والكون الأول وأمدّهم بوجود ذاته فوجدوه حقيقة، ثمّ أزاله الاسم وظهر به فيهم لاختبارٍ لهم هل يفرّقون بين ظهوره**

وظهور بابه، إذ أوجدهم ظهوره بظهور بابه بحال واحدة في الوجود، فثبتوا على الوجود الأول أنّه هو المبديء لكلّ كونٍ، وأنّه لمّا أبدى ما أراد وإن كان المراد الّذي أظهر من مكوّنات تكوينه، فلمّا صحّ لهم بالاختبار ثبت الحقيقة عندهم أبدى الباب بذاته الّتي أوجدها في الظّهورين في محلّ واحدٍ وحيثٍ واحد، فثبتوا على وجودهم ما أوجدوا أولاً وآخراً أنّه واحدٌ في الأرادة وأنّه يبدي ما يريد عند إرادته لأنّه مالك القدرة القادرة على القدر المقدورة المقتدرة، فلمّا ثبت ذلك لهم عند الأزل، وأثبته الاسم عند الباب في مدى ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، أمّد الاسم بالدّنوّ من النّجم وإظهاره له علّة التّوقيف في الحيث الّذي وقف فيه، وإنّها من حيث وهم غيبه الّذي أوجده سرّه من تناهي حيث كون المكوّن، فدنا منه وأبدى إليه فأنحله وأحلّه المحلّ الّذي كسته التّسمية بالألف عند تكوين ذات الحروف ووقوع الأسماء عليها، فلمّا تناهى في أمد ذلك وأتمّه أمّد الإسم الباب أن يبدي له الذّهاب في تلك الأحياث والأكوان، فمرّ فيها فحارت عند وجودها وعيانها ورجع وعلا وله الاستقالة من علم ما علمه الاسم من وهم غيب سرّه أمدّه المدّة الّتي أمدّها فيها، ثمّ سيّره حتّى أوجده جميع مكوّنات أكوانها وكيان أحيائها وأبدى له النّطق فنطق فيها على نطق الباب حين نطق الاسم، فأوجد المكوّن الّذي هو مكوّن تلك المكوّنات جميع أكوانه ومكوّناته محلّه ومنزلته وحيث رتبته من مكوّنه كما أوجد ذلك منه والحيث الأوّل والكون الأول، وحين ظهر له الباب ليختبره باختصاص الاسم له وعظم منزلته منه وعظم محلّه عنده وما قد أحلّه وأنحله زال عن تعظيم البابيّة فوجده له عند ظهوره أشدّ تعظيماً وأسرع إنقياداً وأكمل إقبالاً، فرتّبه منه المنزلة الّتي أبديتها لك من حلوله معه حيث حلّ وظهوره حيث ظهر، وأبان الأزل ما أبداه ممّا كان ذات إبانة بالنطق فقال: «والنَّجْمِ إِذا هَوى، ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوى [1]».

وكان هذا من الأزل إشارة وإعظاماً للإسم والباب، إنّ النّجم الّذي ذهب في جميع الأحياث والأكوان ما ضلّ كما ظننتم به ولا غوى في كون شيءٍ من مكونات المكوّن، وإن علمي به فوق علمكم، فكان علم الأزل به العلم الحقيقي، وأراد بصاحبكم أنّه ثالث اثنين في التكوين والظّهور، ولم يكن في وقت هذا الخطاب مكوّن غير الاسم والباب والنجم صاحب الباب والاسم وقد أبانه باسمه الّذي أثبته له في

[1] النجم ١ – ٢.

شرح كتاب الجواهر حين أبان عن الإسم والباب والنّجم فقال: «إنّ السمعَ والسمعُ هو الاسم والبصر، فالبصر هو الباب والفؤاد، فالفؤاد هو المِقداد وهو النجم»، فأبانه باسمه الموجود في كتابه فقال: «ما كذب الفؤاد ما رأى» أراد أنّه ما شكّ في جميع ما عاينه من الأحياث والأكوان، فكانت هذه المنزلة من الأزل ما زاد بها عند الاسم والباب، فاصطفاه واستخصّه فبدت إرادة الإسم فيه للباب أنّه أشدّ اصطفاءً له واستخصاصاً، فسلّم ذلك إلى إرادة مكوّنه، فلم يكن يبدي الإسم إلى الباب بداءة أمرٍ وإرادة كونٍ إلاّ وأمر الإسم للباب أن يبديه إليه كما أبداه هو إليه، ثمّ يبديه الإسم إليه بعد إبداء الباب ذلك له فكانت المادّة ثابتةً من الإسم والباب وكذلك كان إذا أمدّ الأزل إلى الاسم بمادّة أمره أن يمدّ الباب بها، ثمّ يبديها الأزل للباب، فكانت المادّة إليه من الأزل والاسم وكذلك من الاسم والباب للمقداد إيجاد المنزلة العالية، فكان على تداوم ذلك في الأحياث والأكوان سبعة آلافِ ألف كورٍ من أكوار الأحياث والأكيان المكوّنة بعد الحيث والكون الأول لا يوجد في جميع ذاتها بذات مكوّنٍ ولا ظهور كيانٍ غير الإسم والباب والنجم.

فالإسم ظهوره فيها بالمهل المقمر المبدر والباب بالشمس والمستخصّ المختبر بالنجم، لا يوجد في حيثٍ ما ولا كونٍ ما غير ظهوره هذه الثلاث، وهي بكونها في كون واحدٍ وفي جميع الأكوان والأحياث موجودةٌ بذلك الكون لأنها لا تزول من حيثٍ إلى حيثٍ ولا من كونٍ إلى كونٍ بل هي عامّة شاملةٌ محبوكةٌ محدقةٌ بالأحياث والأكوان لا يدرك وصف تكوين كون ظهورها ولا حيث تناهي حدّ وجودها ما دامت فيه بدوام إدامة القدرة فيها، ثمّ أمّد الأزل الإسم ببثّ الكون الأوّل في جميع الأحياث فأبدى لها الاسم بمادّة الأزل في الأحياث وأحلّها بالأكوان والعوالم النورانية وجمع الحيث بالأحياث فأدّمها أديماً واحداً ودكّها دكّاً واحداً ومدّها مدّاً واحداً، فصارت من حيث كانت تأتي المادّة إليها بإعادة المطاف والسّير في الحيث والكون ثانيةً وإيجاد ما أوجدت للكون وإظهار ما أظهرت، فأبدت المطاف والسّير ثانيةً حتّى سيّرت ما أطافت وسارت أولاً توجد ما أوجدت وتظهر ما أظهرت به وكوّنت له، فكانت كذلك وعلى ذلك في المطاف والسّير خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودت إلى موقفها من الحيث فوقفت فيه مثل الوقوف الأوّل وهو خمسون ألف كورٍ، **فلمّا أكمل لها ذلك من الأجل أتت المادّة من حيثها إلى الثّمانية وعشرين**

بالمعاودة إلى المطاف والسّير، فأبدته الثمانية والعشرون إليها فطافت وسارت في الكون والحيث حتّى كمل لها في ذلك ثمانية وعشرون مطافاً وثمانية وعشرون موقفاً، كلّ مكافٍ خمسون ألف كورٍ، وكلّ وقفةٍ خمسون ألف كورٍ، فتمّ ذلك ألفي ألف كورٍ، وثماني مائة ألف كورٍ بحسب ما طافت الثمانية وعشرون ووقفت في عدد أشخاص ترتيبها في السّبق.

فلمّا أن كمل ذلك لها من إرادة المكوّن وعمرت الحيث والكون بالمطاف والسّير والإيجاد لذاتها وتجوهرها حجبها المكوّن بإرادة ذاته في التكوين، وأبدى الثمانية وعشرين بذاتها في الوجود والتجوهر فبدت في الحيث والكون وأوجدت كمال الصّفا والاصطفاء والاختصاص الّذي خصّت به وأكمل لها فوجدت من تكوين ظهور الثمانية وعشرين ما هو أكمل ضياءً وأعظم تجوهراً واختصاصاً وصفاءً من المحلّ المخلص الّذي طاف بها ألفي ألف كورٍ، وثماني مائة ألف كورٍ، فكان ذلك من الثمانية وعشرين خمسين ألف كورٍ، فلمّا أتمّ ذلك حجبها المكوّن بإرادة ذاته في التكوين وأبدى ظهور الاثني عشر بذاتها في كونها وتجوهرها ووجود ذات صفائها واصطفائها واختصاصها فبدت بذلك وأظهرت من ضياء نورها وعلوّ سناها وتناهي كمالها ما ذهبت بإيجاد ما أوجدت الثمانية وعشرون، فصارت هذه أسنى وأعلى وأرفع منها في الحيث عند الكون، فكان ذلك من إبداء وجودها وظهورها ففي الحيث والكون خمسين ألف كورٍ، **ثمّ حجبها المكوّن بإرادة ذاته في التكوين وأبدى الظهور الثلاثة بذاتها في الكون، والتجوهر، والضّياء، والنور، والاصطفاء، والصفاء، والاختصاص**، فطافت الثلاثة في الحيث والكون، توجد ذات محلها في السناء والنور والرفعة في محل الاصطفاء والاختصاص والصفاء، فأبدت وأوجدت في ظهورها ما أدحضت به عندها ما تقدّم من قبلها فأعظم الكون محلّ الثلاثة في منزلة الاصطفاء والصفاء.

فكانت على ذلك خمسين ألف كورٍ، **ثمّ حجبها المكوّن بإرادة ذاته في التكوين وأبدى ظهور النجمين العظيمين في كمال ذاتهما في الضياء والنور والتجوهر والاصطفاء والصفاء والاختصاص**، فأبدت في الحيث والكون من عظم المنزلة الرفيعة والرّتبة المنيعة التي لا يسمو إليها سامٍ ممّن تقدّم ظهوره ووجوده في الكون والحيث، فتناهت بذلك في المنزلة عند الكون وحلّت منها في تناهي محل التعظيم،

فكانت بذلك الإيجاد والظهور في الحيث والكون خمسين ألف كورٍ، ثمّ حجبها المكوّن بإرادة ذاته في التكوين، فأبدى ظهور الباب بذات كونه وتناهي تجوهره وضياء نوره على جميع الأنوار المتقدمة في ظهورها وإيجادها لذاتها، فصار يوجده ذلك بإظهاره في محلّ الكلّ ومعدنه وبهائه، فذهب في الحيث والكون في السير والمطاف مدى ما يريده من ذاته ويعيد ما يخفيه من وجوده، فكان كذلك خمسين ألف كورٍ، ثمّ حجبه المكوّن بإرادة ذاته في التكوين وبَدائه في ظهوره، فأوجد فيه ومنه قدرة كون المكوّنات كلها واقتداره عليها، وذهب في حدّ تكوينها سرعة السير حتى أوقفها عن إدراكه ووجوده فأثبتت المكوّنات التي في الحيث عند إيجاده ما أوجد أنّه مكوّن كلّ كائنٍ كوّن من قبل وجود ظهوره وأنّه به تكوّن الكون عند إرادته للتكوين، فثبت لها ذلك من رتبة الإجابة والقبول، فلما رتب لها ذلك من مراد المكوّن احتجب عن وجوده بذلك الظّهور الّذي ظهر به، وبدت إرادة الأزل لظهور ذات القديم في الحيث والكون وإيجاد القدرة المقتدرة، **فظهرت إرادة الأزل بالمحل الّذي أحلّه القديم وهو المهلّ المقمر المبدر، فظهر وذهب بظهوره وجود كل بدو ظهور ظهر واشتمل بقدرة الوجود على كون كل موجودٍ وجد،** فثبت للكون الّذي في الحيث حدّ التسليم أنّه غاية كل غاية بدت لها بظهور وجود، وأن ذلك الوجود والنور والضياء والتجوهر محلّ نوره وضيائه وتجوهره، فثبت لها بذلك حدّ التسليم والاختصاص والقبول أن استخصّها المكوّن بإرادة الأزل فيها، فأنحلها تلك المنزلة في التسمية عند تجوهرها إذ أحلها التجوهر، **فلمّا أكمل لها وفيها ذلك خمسين ألف كورٍ، حجب ذات وجوده بالإسم وأبداه به وأبدى الباب بذاته وأبدى النجمين بكونهما وذاتهما وأبدى الثلاثة بذاتها في التجوهر والكون، وكذلك الإثني عشر بذاتها في كونها وتجوهرها وضيائها ونورها وكذلك الثمانية وعشرون بذاتها في التجوهر والكون والنور والضياء، فأكمل ظهور هذه الموجودت بالرّتب والدّرج والمنازل وأكملها في الحيث وأبداها للكون بإبداء ظهور المحل المخلص بذاته في كونه وتجوهره والمنزلة التي أنحله وصفّاه واستخصّه واصطفاه بها** فظهر في الحيث للكون وأبدى ذاته للكون وأوجدها أنه تابعٌ غير متبوعٍ وأن اقتداءه بالثمانية وعشرين. كما أوجدت الثمانية وعشرون أنها مقتدية متّبعة الاثني عشرٍ، فطافت الأشخاص بالسّير في الدّرج والمراتب والمنازل الّتي رتبت فيه كلٌ يتبع سببه في الصفاء والاختصاص، فكان لها ذلك المطاف في الاجتماع بظهور القديم المكون في ذات إرادته في وجود الكون

خاصّية الذّات وإيجاد رتب الاصطفاء والصّفاء والاختصاص بعَود الظّهور بعد الظهور، فكانت جميع الموجودات تابعةً للباب الّذي هو الشمس في مسيره ومطافه ودرجه وترتيبه الّذي رتّبه المكوّن القديم، ولم يكن في جميع من يدانيه ويقرب منه أو يحل محله بل يحل هو بحيثها ومراتبها ودرجها، فجاوز قدر الادراك بعلو الرتبة فيه، وكان هو في السير تداوم الحيث والاجتهاد في الحيث والكون ليدرك محل القديم الّذي هو مكوّن جميع المكونات، فلا يجاوز في اجتهاده وحثّه وسرعته أكمله من حيث هو به وفيه مسيره، فبيّن الكون بمنزلة القديم إدراك ذلك المتبوع لدى موجودات جمع اتبعه له ولأيده به ومقتبسه منه تابعٌ لما لا يدركه ولا يدانيه ولا يقاربه ولا يحلّ حيث حلّه، **فلمّا أكمل لها ذلك كلّه في أمد خمسين ألف كور حجب الموجودات كلّها عن وجود ذاتها في الحيث والكون وأثبت في الحيث والكون وجود المحل المخلّص الّذي كان بدو مبتداها في وجودها، وهو أنارها وأبدى تجوهره بذات الاختصاص والاصطفاء والصّفاء،** فدنت من المحلّ الّذي قد بدا بوجود الاصطفاء والاختصاص، فأقامت في موقف الدّنوّ منها خمسين ألف كورٍ، فلم يجد عندها تراجعاً عن حيث يثبت عليه من وجودها الّذي أوجدها المكوّن القديم في ظهوره في جميع ذات الظهور والوجود.

فلمّا اختبرت المخلصة للمحل بذلك من الأمد رتّبها في محلّها ومنزلتها بحيثها من الحيث والكون، فأبدت الصفاء إرادة المريد فيها وكونه الّذي كوّنه لها واستخصّه وقبلته وأسرعت إليه بغير معاودة من المخلصة، **فتجوهرت عند قبولها بالتجوهر** الّذي المخلصة متجوهرةٌ به، وأنحلها عند ذلك المكوّن الإسم الّذي استحقّته وهو رتبة المستخصّ، **فصار المحل بجمعه في التسمية المختصّين، كما صاروا تبعاً للمخلصين،** فذهب بها التجوهر عند وقوع الاسم بها في محل الباب وهو السماء الّذي أنحله القديم للباب، فصار اسمه ومحلّه يحلّ هو فيه ويحلّ معه فيه أهل مراتبه ودرجه التي رتّبها ودرّجها في الاصطفاء والاختصاص والصّفاء، فوقفت في ذلك المحلّ خمسين ألف كورٍ، ثمّ أبدت إرادة المكوّن بمراد فيهم إلى الباب أن يبدي فيها الإرادة بالمادّة من سببٍ إلى سببٍ، بحسب ما جرت الرّتب في الّذي صفا واصطفى، واستخصّ فامتدّت الموادّ من سببٍ إلى سببٍ حتّى أمدّ بها المخلصين، فأبدوا بذلك إلى المختصّ وكان ذلك إبداء المطاف والسير في الحيث والكون الّذي كان محلها

قبل الاصطفاء والاختصاص، فذهبت فيه بإذن المراد منها فيما أمرت به فصارت في الحيث وطافت خمسين ألف كور حتّى عادت إلى حيث كان بدو مطافها وسيرها، فوقفت به بإذنه المرتبة المخلصة إذ ليس يجد معها في المحلّ ما يعظّمه غيرها، فوقفت مقابلةً لها خمسين ألف كور.

ثمّ إن المعاودة بدت للمريد المكوّن إلى سببه وأمدّه سببه إلى الأسباب سبباً بعد سببٍ في مراجعة السّير والمطاف في الحيث والكون، فأبدت ذلك وعادت حيث السير والمطاف خمسين ألف كور حتّى عاودت حيث كان بدوها في المطاف والسّير، **وهي في كلّ ذلك في مطافها في الحيث والكون تهدي تجوهر اختصاصها وصفائها وضيائها ومحلّها الّذي حلت بوجود الإجابة والقبول والمسارعة**، فلمّا عاودت إلى حيث كان بدو السّير والمطاف وقفت **مقابلة الرّتبة المخلصة** تعظّمها في محلّ وجودها خمسين ألف كور، وتداوم بها السّير والمطاف والوقوف كلّ مطاف وسير خمسون ألف كور وكلّ موقف خمسون ألف كور فكان أمد ذلك ثلاثة آلاف ألف كور وخمسمائة ألف كور مطافاً وسيراً وثلاثة آلاف ألف كور وخمسمائة ألف كور وقوفاً، فصارت الجّميع لها في المطاف والوقوف سبعة آلاف ألف كور لمّا أن صارت **هي الرّتبة السّابعة من الوجود والكون والظّهور والتّجوهر، وذلك أنّ أوّلها رتبة كون ذات المكوّن، وهو القديم، ثمّ كونه الّذي كوّنه، وهو كون الباب، ثمّ كون الأيتام، ثمّ كون النّقباء، ثمّ كون النّجباء، ثمّ كون المختصّين، ثمّ كون المخلصين.**

و ذلك أنّه ما وقع في الأكوار والنّورانية الّتي تقدّم شرحها في التّسمية إلاّ عليها، وذلك أنّ أوّل وجود الاسم وبدوه حتّى وقعت ببدوه ووجوده التّسمية على كلّ مكوّن، **ثمّ سمّي الباب غير وجود التّسمية وجرت التّسمية في رتب الاصطفاء والاختصاص في هذه المنزلة السّابعة، الّتي هي محلّ المختصّين**، وعليهم وقع هذا الاسم، وهذه كانت تناهي ما صفا من الكون النّوراني.

الامتحان

ثمّ بدت رتبة الامتحان، وهي أوّل رتب التّعظيم في التّكاوين النّورانيّة حتّى رتّب من رتّب منها في النّورانيّة بسرعة الإجابة بعد وقفات امتحان وكرٍّ، ووقف من وقف عن الإجابة فاستحقّ لإبداءه في نشأة أخرى.

و أنا يا محمد بن جندب أبدي لك من شرح ذلك وعظمه وشدّة اختباره وتداوم المحنة به في **أكوار نورانية**، وبعدها في **أكوار جوهريّة** ما يصغر جميع ما شرحته لك من الأكوار النورانية عندك، فإن المعاناة الآن وقعت عند خلاص الصّفوة واختصاص الخيرة، وذلك أنّ الكون الّذي بقي بالحيث الّذي صفا منه أهل هذه المراتب والدّرج والتّسمية والتّجوهر كان جميعه برتبة الامتحان على رتب شتّى ومنازل متدانية ومتباعدة، كما كانت رتب من صفا من الكون المختار، كلّ فعلت به الرتبة إلى حيث اوجدها فيه المكوّن في بدو التّكوين، لم تسبق منها واحدةٌ الأخرى، ولم يجاوز حدّ توقيته وأجلها من التّعب والنّصب في السّير والمطاف، ووجود التّجوهر بعض لبعضٍ بحسب ما استوجبت من تكوين المكوّن.

فإذا كانت يا محمد بن جندب هذه وهي في رتبة بدو ذاتها وكونها صفوةً مختارة مصطفاة مستخصّة غاية ما شرحته لك، وداومت ما أبديته إليك في تطاول الأكوار النّورانية، وتداومت ما أبديته إليك في تطاول الأكوار النّورانية، وتداوم المطاف والسّير، ورتبت به فهي على حالها إلى أن تبدو إرادة المكوّن لها بكونٍ ثانٍ إذ كأنها فيه، فكيف تكون منزلة أهل رتبة الامتحان في المنزلة الّتي هي به مكوّنة له، مقدّرة مع ما أنّه يا محمد بن جندب قد غابت رتبة المستخصّين في مطافها وسيرها وظهورها وإيجادها لذاتها وكونها وتجوهرها في حيث كون الامتحان ما يعظم وصفه عليك إذا وصفته وشرحه إذا شرحته، وتعلم أنّ كلاًّ لزم ما ألزمه برتبة الكون في التّكوين، وما من أحد دعا أحداً إلى وجود هذه الحقيقة إلاّ ومن ثمّ كان ترتيب ذلك فيه، فهو معجّلٌ ومؤجّلٌ إلى حين وقوع التّوقيت للمبدي والمبدا إليه، لا بدّ لكلّ منقادٍ إلى وجود هذه الحقيقة إلاّ ومن ثمّ كان ترتيب ذلك فيه، فهو معجّل

ومؤجّل، إلى حينٍ وقوع التوقيت للمبدي والمبدا إليه، لا بدّ لكلّ منقادٍ إلى هذا الوجود من قائدٍ يقوده، وهادٍ يهديه، وذلك القائد والهادي قد رُتّب في بدو التّكوين.

وكذلك جرت الرّتبة من المرتب في بدو التكوين في الأكوار النورّانية، وعليها أجرى وجود أهل مراتب النّورانية في الأكوار النّورانية، وعليها أجرى وجود أهل مراتب النّورانية، ويوجد مراتب ما بعدهم من رتب الممتحنين، وما تجري عليهم به قدرة المكوّن في إرادة التّصفية، وما يمتحنهم به بإبداء الظّهورات والوجود حتّى يتناهى بهم أن يصفو منهم شخصٌ واحدٌ في كلّ مائة ألف كورٍ، وذلك يردّ إلى عودة تصفيةٍ ثانيةٍ وثالثةٍ ورابعةٍ وخامسةٍ وسادسةٍ وسابعةٍ، يكون في كلّ ردٍّ مائة ألف كورٍ حتّى يحلّ بعد ذلك المحلّ وجود التجوهر بغير مطافٍ في الحيث والمحلّ والسّير، بل تكون مرتبة المبتدا فيه بالعيان والوجود، إلى أن يبدي القديم إرادة الأزل بالظّهور وإبدءا الممازجة بكون الغضب الّذي أخفاه في هذا المدد والأمد عن الوجود والحسّ والحين والظّهور، فإذا أبدى فيه وأظهره وأوجده بدا له حزبه الّذي كان في بدو كونه في إرادة البدا وانحازت إليها، **فكانت لذلك في الحيث والكون واقفةً لا يدانيها شيءٌ من الظّهورات النورانية ولا يلمّ بها لأنها كانت غير مشاكلة لها ولا مجانسة، وذلك أنّه ما ظهر لها شخص الغضب إلاّ في درجة الامتحان**، فإنّ المكوّن أبداه لحزبه وأوجده لبقيّة الكون في الحيث.

فنظرت بقيّة الكون الّذي صفا عامّة كونه، واصطفى واستخصّ إلى انقياد حرف الغضب إليه عند ظهوره واتباعها لمحلّه الّذي قد أحلّه في الحيث، وذلك أنّ حزبه لمّا بدا بوجوده الّذي وجدوه في بدو كون مبدي إرادته إيجاده مع الرّحمة عرفوه ولم يشيروا إليه، ولم يثبتوا للكون الّذي هم به مجانسته ومشاكلته، وجوهرته، وكان حزبه جمّاً غفيراً وكوناً عظيماً، وكذلك وصفهم بالكثرة في الذّمّ وحمد القلّة، فوصفهم به فأبدت بقيّة الكون الّذي رتّب برتبة الامتحان ملاحظة الحزب وما أعظمته من ظهور الغضب في الحيث ووجوده، فأعقبها ذلك الأبد الّذي أبداه من الملاحظة أن منحها بالممازجة وأعمّها بدوام الكرّ في إرادة المكوّن للقدرة، وكان ذلك تقدمة التّكوين كائناً بعلم المكوّن بذات التّرتيب، فخلصا ما صفا من الكون ممّن اصطفى واختصّ من السّبعة الّتي سمّيتها لك أنّها تجوهرت بقبول بدو ذاتها في كون مكوّنها، فالمراتب السّبع بلا ممازجةٍ غير النّورانيّة الّتي هي ذاتها وكونها وهي به

في كلّ حينٍ وأوانٍ وحين ظهورٍ وكشفٍ وإن بدت بكون البشرية والوجود بذات الجّسميّة، **فإنّ ذلك إيجاد الكون الّذي هو بالبشريّة والجّسميّة.**

كون البشريّة والجّسميّة

فوجده من ذاته ذلك الوجود، فيجد حال ما هو به مكوّن في جميع معاينة تكوين ما يجد، وقد أبداه به وإليه يعيده وفيه يردّه، فقد ثبت عنده أنّ الأكوان والوجود غير البشريّة والجّسميّة.

ثمّ قال لي: يا محمد بن جندب، فلمّا أبدى ذات الغضب في الحيث والكون وانحاز إليه حزبه أفرده عن بقيّة الكون بذاته وحزبه قبل الممازجة ليبدي ظهور المستخصّ في الحيث والكون الممتحنين بالإيجاد والظهور والتجوهر لإقامة الحجّة وإثبات العدل كما أبدى ظهور المخلصين للمستخصّين، **فكان له وقفةٌ وهي الّتي تسمّى عند هذا العالم الفترة.**

فيقولون: إنّ بين كلّ مقامٍ إلى مقامٍ فترة، ثمّ يجدونها فيقولون: هي أربعمائة سنةٍ، فكانت الوقفة أربعمائة ألف كورٍ من تلك الأكوار أوقف فيها المستخصّين بعد أمد السّير والمطاف والوقوف الأوّل الّذي أمدّها به من إرادة القديم بموجب الأسباب، فرتّب المستخصّون في ذلك الموقف أربعمائة ألف كورٍ لا تبدي إلى السبب الّذي هي متبعةٌ له حال سؤال ولا تألّم للوقوف، ولا تسأم منه وهي مع ذلك معظّمةٌ للمخلصين إذ كانت المنزلة المخلصة هي سببها في وجودها بجوهر ذاتها، وهي أحلّتها ذلك المحلّ وأنحلتها تلك النّحلة بإرادة المريد المكوّن لها.

فلمّا أكمل لها الوقوف والكون الّذي هو بحدّ الامتحان منفرداً بذاته في الحيث لا هو مداومٌ للغضب وحزبه، ولا هو مرتقبٌ لظهور موجوداتٍ ما كان يظهرها في بدوها إلى حيث تناهى بها المطاف والسّير عليها وبها من وجود تلك الرّتب الّتي ظهرت بالاصطفاء والاختصاص والصّفاء، ولم يكن منها شيءٌ في إبداء ما أبدى به غير الملاحظة للحزب حين انحازت إلى الغضب ووقفت هي في الحيث، **فكان الحيث على ثلاثة أصنافٍ من الكون:**

➢ فوجده محلّ المستخصّين ووقوفهم فيه لا يدانيه شيءٌ من الكون.

➢ و الثّانية محلّ رتبة الامتحان ووقوفها على هفوة الفترة.

➢ و الثّالثة محلّ الغضب وحزبه.

فاسمهه الجّميع بذلك بعد أن رتّبها في الحيث هذا التّرتيب، وبعد وقوف المستخصّين أربعمائة ألف كورٍ، ثمّ أمدّت الإرادة من الأزل إلى اسمه إبداء مراده، فأوجده ذلك، فعلمه فأبداه الإسم وأمدّه إلى الباب، وأمره أن يأمر كلّ سببٍ أن يمدّ تابعه بما قد أمدّه به حتّى تناهى إلى المستخصّين، فأبدت الإرادة على التّرتيب السّابق حتّى تناهت إلى المخلصين فأوجدت إن الإرادة منها وفيها حالّةٌ وإنّها تبعث في السّير والمطاف في الحيث، ما سادت أولاً وطافت على الكون، ولم تكن أوجدت محلّ الغضب وحزبه في الحيث، فوقفت بعلم ذلك المراد الّذي علمته من المريد لا تبدي السّير ولا المطاف حتّى يوقع لها الإذن، فكانت كذلك مائة ألف كورٍ، فأبدت المخلصة للمختصّة الإذن بالسّير والمطاف، فسارت في الحيث على الكون الّذي هو برتبة الامتحان خمسين ألف كورٍ.

فلمّا تناهى بها المطاف والسّير في الحيث إلى نهاية الكون الّذي هو برتبة كون الامتحان، بدا لها محلّ الغضب وحزبه في الحيث، فأنكرت ما عاينت من ذاته ووجدته مكوّناً بغير كونٍ ما أطافت به وسارت فيه، فوقفت عن المطاف به والسّير عليه خمسين ألف كورٍ قبالة الّذي هو برتبة الامتحان لا يجاوزه ولا يخرج عنه ولا يمرّ في الحيث إلى غيره عند تناكرها معاينة ذلك الموجود الّذي أوجدته ولم تعهده قبل ذلك في الحيث، فلمّا أتمّ بها الوقوف خمسين ألف كورٍ عاودت في السّير راجعة إلى أن حلّت المحلّ الّذي بدت منه بالسّير والمطاف، فصارت بإزاء حيث التكوين، فوقفت بموضعها الّذي منه سارت وجعلت تلوذ بالمختصّين وتبدي إليها ما عاينته في الحيث من ظهور الكون الّذي تناكرته، فلا تعرف المخلصة المختصّة بشيء من اعتراف ما وجدت ولا ظهرت على وجوده ولا عاينت حيثه ولا كونه، فوقفت المختصّة في ذلك الموقف خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدت تلك الإرادة على ذلك التّرتيب، فأبدت المخلصة إلى المختصّة بمعاودة السّير والمطاف، فسارت في الحيث وطافت في الكون الّذي طافت به خمسين ألف كورٍ حتّى انتهت إلى ذلك المحلّ الّذي بدا لها

فيه محلّ حيث الغضب وحزبه، فوقفت وجعلت تحصّل وجود ما طافت به وسارت فيه من الحيث والكون الّذي قد حلّه، فلم تجد فيه ما زاد ضياؤه ولا ظهر نوره في المطاف الأول والسّير والعود عليه في الرّجوع والمطاف الثّاني والسّير، ووجدته بحياله فأنكرت ذلك من حال رتبة محلّ فراجعت المطاف والسّير راجعةً إلى الحيث الّذي كان محلّ وقوفها فيه في بدو السّير.

النّجوم السّيّارة

و من ثمّ يا محمد بن جندب ترى النّجوم السّيّارة الجّائلة في محلّ العلويّ تمرّ مشرقةً وتعود مغربةً، وتمرّ مغربة وتعود مشرقة، من حيث طافت وسارت المختصّة على الممتحنة في ذهابها ورجوعها مشرقةً ومغربةً، فوقفت في ذلك المحلّ بحال الوقوف الأوّل والثّاني خمسين ألف كورٍ، وتداوم ذلك بها مائة مطافٍ ومائة رجوعٍ، وكان مدى المطاف خمسة آلاف ألف كورٍ، ومثل ذلك مبدا الرّجوع، ومثله وقوفها في المحلّ الّذي كان بدو المطاف والسّير منه، وكلّ ذلك لا تجد المختصّة في الكون الّذي تسير فيه وتطوف به صفاءً يُراد بل هي بكونها في حيثها، فأكلّها السّير والمطاف بذلك الكون على التّرتيب في المادّة إلى المخلصة.

فسارت وطافت في الكون الّذي هو رتبة الامتحان في الحيث خمسين ألف كورٍ مثلما أمدّ مطاف المختصّة إلى أن تناهى بها السّير والمطاف إلى الحيث الّذي هو محلّ الغضب وحزبه، فعاينت المخلصة ما أبدته المختصة من أوصاف ذلك الكون والحيث الّذي هو محلّ الغضب وحزبه، فوقفت المخلصة عن السّير فيه بحيث وقفت المختصّة خمسين ألف كورٍ، ثمّ إنّها راجعت السّير والمطاف بالرّجوع على الكون الّذي سارت فيه، وطافت به، فرجعت إلى حيثها في مدى خمسين ألف كورٍ، وهي في سيرها ومطافها في الكون الّذي هو برتبة الامتحان تبدي ذاتها ومحلّ ضيائها، فصفا نورها وتجوهرها على ما تقدّم له السّير فيها والمطاف بها، فلمّا وقفت بالمحلّ الّذي كان بدو سيرها منه وقفت فيه خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودت بالسّير والمطاف ثانيةً، فطافت وسارت في الحيث على الكون يبدي ما أبدته أولاً خمسين ألف كورٍ حتّى تناهى بها المطاف إلى ذلك المحلّ الّذي وقفت به أوّلاً عند

معاينة محلّ الغضب وحزبه والحيث الّذي هي حالّةٌ فيه، فوقفت بحيث وقوفها خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودت في المطاف راجعة إلى حيث كان بدو وقوفها فيه ومنه، وسارت فوقفت فيه خمسين ألف كورٍ وتداوم بها ذلك السير والمطاف والوقوف خمسين مطافاً وخمسين وقوفاً في آخر الكون والحيث الّذي فيه محلّ رتبة الامتحان وخمسين وقوفاً في محلّ الوقوف الأول الّذي هو بدو سيرها، فكان المطاف للمخلصة ألفي ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، والوقوف في آخر الحيث والكون ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وقدّمها في وقوفها حيث محلّها للوقوف الّذي هي مرتبةٌ به حتّى تبدو بها مادّة إرادة المريد في الإذن في السّير والمطاف ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ.

وكان جميع ذلك من أمد اجتهاد المخلصين في مداومة أبد الاصطفاء والاختصاص والصّفاء، والتّجوهر للممتحنة سبعة آلاف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، وكانت بكونها الّذي هي فيه من أوّل مطاف طيف بها وسيرٍ سير بها لم يزد عليه ولا بدتٍ بضياء نورٍ في ذلك كلّه، فلمّا أكملٍ لها ذلك من مطاف المخلصين أوقفها المريد لكون ذاتها فوقفت المخلصة بحيث محلّها من المحلّ العلويّ وأبدت الإرادة من مراد الكون إلى الباب، فأبدى المادّة إلى السّبب الّذي هو مادٌّ بسببه إلى الأسباب أن يوجد كلّ سببٍ تابعه، حتّى تناهى إلى رتبة النّجباء.

رتبة النّجباء

و هم الثّمانية وعشرون، فبدا الموجود يجري على تنزيل التّرتيب في الكون حتّى تناهت إلى رتبة النّجباء فأمدّت وبدتٍ بوجود السّير والطاف بالحيث والكون، فوقفت الثّمانية وعشرون مرتقبةً الإذنِ بالسّير خمسين ألف كورٍ، فلمّا أتمّ لها ذلك المدى أذن لها، فكانت الإذن من الإثني عشر الّتي هي رتبة النّقباء.

رتبة النقباء

فسارت في الحيث على الكون خمسين ألف كورٍ بوجود ذات الاصطفاء والاختصاص والصّفاء، والتّجوهر إلى أن تناهى بها المطاف والسّير إلى حيث كان موقف المختصّة والمخلصة عند وجود حيث الغضب وحزبه وكونه، فعاينت النّجباء ذلك الكون والحيث، فوقفت عن السّير فيه والمطاف به خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودت الرّجوع في السّير والمطاف في الحيث والكون إلى أن أعادتها تلك إلى حيث محلّ وقوفها في محلّ العلويّ ومنه كان مبدأ مسيرها، فوقفت بحيثها ذلك خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودتها مادّة الإرادة بالسّير والمطاف ثانيةً، فسارت وطافت في الحيث والكون بوجود ذلك الوجود وبظهور ذلك الظّهور خمسين ألف كورٍ، حتّى تناهى بها السّير والمطاف إلى ذلك المحلّ، فوقفت فيه خمسين ألف كورٍ، وعاودت الرّجوع إلى حيث محلّها الّذي هي مرتّبةٌ به ومنه كان مبدأ سيرها ومطافها، فوقفت خمسين ألف كورٍ وتداوم بها ذلك من السّير والمطاف والوقوف في المحلّين خمس مطافات.

وكان مدى تلك من مطافها ووقوفها في المحلّين سبعمائة ألف كورٍ، وخمسين ألف كورٍ، في كلّ ذلك لا يزيد ضياء نور رتبة الممتحنة على بدو وجود كونها في الحيث في التكوين، فوقفت الثمانية وعشرون وهي رتبة النّجباء بحيثها من المحلّ الّذي هي مرتبةٌ به وكائنةٌ فيه، وبدت الإرادة من المريد إلى المكوّن بمادة إرادته، فأمدّها القديم إلى الباب وأوجده إبدائها إلى السّبب الّذي هو مادّة المراد منه، وإبداء كلّ سبب إلى تابعه، **فكانت المادّة مرادها بالإرادة إلى الاثني عشر الّذين هم النّقباء، فثبتت المادّة فيها أنّها ترد للسّير والمطاف بالحيث والكون الّذي طاف بها المخلصة والمختصّة والممتحنة**، فوقفت في محلّها بعد إيجادها ما أوجدت خمسين ألف كورٍ ترتقب الإذن فلمّا أكمل لها أذن لها بالسّير، وكان الإذن لها من الثّلاثة، فسارت وطافت في الحيث والكون على ترتيب النّجباء ومطافهم ووقوفهم في حيث متناهي الكون عند ظهور حيث محلّ الغضب وحزبه، والمراجعة منه إلى محلّ حيثها والوقوف فيه، فكان ذلك بمدى ما جرى عليه سير النّجباء بالسّير والمطاف والوقوف، فكان مبلغ ذلك سبعمائة ألف كورٍ وخمسين ألف كورٍ، يوجد بجميعها

الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والتّجوهر والضّياء والنّور والرّفعة في سموّ المنزلة، فكانت في جميع ذلك بحالٍ واحدة لا يزيد ضياؤها ولا نورها ولا يحول عن كيان تكوينها، فلمّا أكمل ذلك فيها من الإرادة وقفت إرادة المريد المكوّن بالمادّة إلى بابه بإبداء المراد في الكون إلى السّبب الّذي هو مادّة إرادته، **فأمدّ الباب إلى النّجمين، فأبدى النّجمين بمادّة الإرادة إلى الثّلاثة، فثبّت المادّة فيها أنّها ترد للسّير والمطاف في الحيث والكون، فوقفت في محلّها بعد إيجادها ما أوجدت خمسين ألف كورٍ، ترتقب الإذن، فلمّا أكمل لها ذلك أذن لها بالسّير، وكان الإذن من النّجمين، فسارت وطافت في الحيث والكون حتّى تناهى بها المطاف إلى حيث الوقوف الّذي وقفت فيه سائر الظّهورات بالسّير والمطاف،** فلمّا تناهى بهم المطاف إلى ذلك المحلّ ووجدوا حيث كون الغضب وحزبه وكونه وقفت فيه خمسين ألف كورٍ.

ثمّ عاودت الرّجوع في الحيث على الكون تبدي ما أبدت بمسيرها من محلّ الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء، والنّور والتّجوهر، إلى أن عاد بها الرّجوع إلى حيثها الّذي بدت فيه للسّير والمطاف، فوقفت فيه خمسين ألف كورٍ، ثمّ تداوم بها السّير والمطاف والوقوف في الحيثين من المحلّ أربع مطافاتٍ وأربع وقفاتٍ، في كلّ محلٍّ، فكان مدى الأمد بسير الثّلاثة بالحيث والكون والوقوف ستمائة ألف كورٍ، **فلمّا تناهى بها مراد المريد إلى حيث وقوفها أوقفها فيه وبدت إرادة المريد المكوّن بالمادّة إلى بابه، فأبدءا المراد في الكون إلى السّبب الّذي هو مادّة إرادته، فأمدّ الباب إلى النّجم الأوّل وهو اليتيم الأكبر لليتيم الأصغر وهو النّجم الثّاني، فظهرا بظهورٍ واحدٍ وذلك لاقترابهما عند التّكوين** وقفا بحيثهما خمسين ألف كورٍ، يرتقبان إذن الباب لهما بالسّير، فلمّا أمدّه القديم بإرادة الإذن أذن لهما فسارا في الحيث والكون وطافا به وفيه حتّى تناهى بهما المطاف إلى حيث الوقوف الّذي وقف به سائر الظّهورات بالسّير والمطاف، فلمّا تناهى لهما المطاف إلى ذلك المحلّ ووجدا حيث كون الغضب وحزبه وكونه وقفا فيه خمسين ألف كورٍ.

ثمّ عادا بالرّجوع في الحيث على الكون يبديان ما أبديا في مسيرهما من محلّ الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء، والنّور والتّجوهر إلى أن عاد بهما الرّجوع إلى حيثهما الّذي بديا منه للسّير والمطاف، فوقفا فيه خمسين ألف كورٍ، ثمّ تداوم بهما السير والمطاف والوقوف في الحيثين من المحلّ ثلاثة مطافاتٍ وثلاث

وقفاتٍ في كلّ محلّ مدىً، فكان مدى الأمد وسير اليتيمين في الحيث والكون والوقوف أربعمائة ألف كورٍ، وخمسين ألف كورٍ، فلمّا تناهى بهما المراد إلى حيث وقوفهما الّذي وقفا فيه وبدت إرادة القديم المكوّن بإرادة الأزل إلى الباب بمادّة وجود ظهوره في الحيث والكون.

فظهر بذاته وهي جوهرة الشّمس المنيرة ووقف بحيثه من المحلّ خمسين ألف كورٍ ثمّ أذن له القديم بالسّير والمطاف في الحيث والكون، فسار وطاف خمسين ألف كورٍ، إلى أن تناهى به المطاف والسّير إلى المحلّ الّذي فيه وجود ذات الغضب وكونه وحزبه، فوجده وثبّته وعرّفه، **فأمّد القديم بوجود علمه أن المحنة واقعةٌ بمن في الحيث من الكون، وأنّه غاية الاصطفاء والاختصاص والصّفاء وأعرض عنه، وأقبل على الكون الّذي برُتبة الامتحان،** فجعل يبدي لها ذات الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر، فلم يبد منها بادٍ بقبول ذلك ولا إجابة، فعاود الرّجوع إلى حيثه ووقف في محلّه خمسين ألف كورٍ.

ثمّ عاود السّير والمطاف ثانيةً يبدي ذلك ويظهره ويدعو إليه إلى حيث وقوفه الأوّل من الحيث والكون، ثمّ أعاد بالرّجوع إلى حيثه، فكان له في المطاف والسّير مطافان، وفي كلّ محلّ ووقوف وقفتان، **فكان مدى أمد ذلك ثلاثمائة ألف كورٍ، فلمّا تناهى به ذلك المدا أوقف في محلّه بذات إرادة القديم المكوّن بإبداء الظّهور والسّير والمطاف في الحيث والكون، فبدا بذات بابه الّتي ظهر بها في الحيث والكون، فسار فيه وطاف خمسين ألف كورٍ،** وعاد فيه مثل ذلك، يُوجد في ذلك الكون المرتّب برتبة الامتحان ذاته بوجود الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر.

فلم يبد بدوام ذلك من جميع الكون لدى الحيث بادٍ قبول ما أبدى فيه وأظهر له ودعا إليه، فكان ذلك من القديم ذهاباً وسيراً ومطافاً وعوداً بلا موقف، فكان مبلغ الأمد مائة ألف كورٍ، **ثمّ إنّ القديم بدت فيه وله إرادة الأزل بإيجاد الظّهور، فظهر بوجود الأزل بذات القديم الّتي هي محلّه وكونه، فأوجد الظّهور بالمهلّ المبدر المقمر، وظهر بظهوره جميع مكوّنات قدرة المكوّن،** فأبدى في الحيث والكون وجود الكلّ برتبة الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر، حتّى أنار الحيث والكون وأضاء واتّقد وأعمّه بكمال وجود أشخاص المراتب والدّرج،

فكان ذلك من إرادة الأزل في إبداء ذلك وكونه في الحيث والكون خمسين ألف كورٍ فلمّا أتمّ ذلك الأمد حجب جميع تلك الظهورات الموجودات باحتجابه، وأخلى الحيث والكون من وجود شيءٍ منها، فإذا هي على حال كونها بذاتها لم ينر منها نيرٌ ولم يحيّث فيها محيّثٌ.

فأمدّها القديم بحال التّوقيف في الحيث والامتحان، وأعدمها وجود ما أوجدها وظهور ما أظهره فيها وأوقفها بإزاء ذلك الكون الّذي أبدت الملاحظة له في وقت ظهوره كون الغضب فيهم وتحزّبهم إليه، **فكان حيث الغضب محلّه وكونه وحزبه ينادي لهم يجدونه بالعيان، لم يقع لهم وجود معرفة اختباره واختبار كونه، ولم يقع وجود معرفة ذلك إليهم إلاّ عند الامتزاج**، فلمّا وقعت الممازجة عرف كلّ ذات ذاته، فظهر النّدم ودامت الحسرة، وهو قولهم في ذلك الوقت عند انكشاف المزاج لهم ما قاله مخبراً عنهم: «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»، وذلك أنّ الغضب وحزبه ليس يكون منه اعترافٌ بهذه الآية بكون ذاته، لا يدخل في تفريطٍ وإنّما يدخل في التّفريط من تأخّر، فلمّا دخل إليه وصار إليه بعد تفريطه والغضب وحزبه، فما يدخل إلى هذا ولا يصير إليه، وإنّما هذه القول هو من قول رتبة الامتحان عند وجود المزاج وكشف ما مازجته من غير شكلها، فتقول: يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله. من إبداء ظهوره وظهوراته في قدمه في حيث النّور والكون النّورانيّ، فيقع بها الاعتراف بما سلف عند هذا القول، وكذلك كان وقع برتبة الامتحان هذا القول عند الاعتراف بصفاء ما ظهر لها في تكرار الظّهور في السّير والمطاف.

فأدامها القديم في كونها بحيثها بحال اعدامها ما كان أوجدها من ذاته وذات اختصاصه ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ لا يطوف بها طائفٌ ولا يسير فيها سائرٌ ولا يضيء له نورٌ بجوهرٍ ولا يعاين إلاّ حيث الغضب وكونه ومحلّه.

فلمّا أتمّ لها ذلك الأمد والمدا أبدى الإرادة من الأزل إلى الكون بإبداء مراده إعادة ما كان أبداه أولاً بإطافة المراتب في الكون والحيث لإعادة إيجاد الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر حالاً بحالٍ كما كان أبدى ذلك بالمطاف والسّير الأوّل.

فأبدى القديم إلى الباب وأكّد عليه بالمادّة أن يؤكد مثل ما أكّد القديم إليه وإلى سببه الّذي منه تبدو مادّته، فظهر الباب في جميع المراتب بحيثها بذاته وألقى هو التّأكيد إليها بالاجتهاد بإمضاء المراد الّتي أبداه المكوّن، فلاذت جميع المراتب به وسمعت الأمر منه ثمّ اتّبعت اليتيمين، فظهرت في المراتب كلّها كظهور الباب وأعادت تأكيد الباب بالإرادة المقدّمة من إرادة القديم وإلزام الاجتهاد، ثمّ ظهرت الثّلاثة، فأوجدت ذلك الإثني عشر والثّمانية وعشرين دون المخلصين والمختصين، وأكّدت على المرتبتين بإلزام التّأكيد إلى المراتب الّتي يمدّها بالسّير.

ثمّ أظهرت الاتباع للثمانية وعشرين النّجباء والمخلصين دون مرتبة المختصّين، فأبدت إليها التّأكيد فيما أمرت به والاجتهاد وظهرت الثمانية وعشرون النّجباء والمخلصين والمختصين، فأبدت إليها التّأكيد فيما أمرت به من إرادة القديم في الكون والاجتهاد، ثمّ أبدت المخلصة للمختصّة مثل ذلك بالتّأكيد، **فلمّا رأت سائر المراتب انبعاث القديم وشدّة الزام الاجتهاد، همّت أن تبعث أنفسها كلّها لوقت واحدٍ** ليكون ذلك من فعلها رضا القديم وامتثال أمره وقبول طاعته، واحتسبها عن ذلك وأعدّ لها ما قدّمته من المراد لرضاه فردّها في الضّياء والنّور والصّفاء واختصاص الاصطفاء والنّور والتّجوهر سبعين ضعفاً ممّا كانت به وعليه واستوجبت هذه الزّيادة بالاجتهاد بقبول أمر المريد والتزام الجّهاد للكون الّذي هو برتبة المحنة حتّى يصفو ويتخلّص، فكانت مفضّلةً بذلك كما أوجد في النّطق، فقال: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى».

فكان تفضيل الجّهاد الّذي جاهدت بالمطاف الأوّل والسّير الأوّل الّذي سارت في الكون والحيث مكتسبةً تلك المنزلة من الزّيادة وعاد ما أراد أن يكون محلّه وكونه في الكون الممتحن إليها، وصارت هي حتّى أحقّ المداومة للقبول والطّاعة والأجابة، فلمّا أكمل فيها ولها تلك الزّيادة وهي سبعون ضعفاً ممّا كانت به وجوداً تشعشع في المحلّ الّذي هي فيه **ووجود ذلك يا محمد بن جندب أنّك تجد في حين من الأحيان إذا أنت أحببت النّظر إلى السّماء عند هدوء اللّيل ترى ضياء نورٍ والتماعاً وتشعشعاً وسراجاً وتوقّداً لم تكن عهدتها بمثله** حتّى تظنّ بذلك أنّه قد تزايد فيها نجومٌ غيرها كثيرة، فتعجب لذلك وتستحسنه وتطيل الفكر فيه، ثمّ يأتي عليك حينٌ وحينٌ لا تجدها بذلك الوصف، وذلك إذا ظهرت في ذلك الحين بالزّيادة

الّتي أنحلها القديم في بدو اجتهادها بالجّهاد لذات رتبة الامتحان بالتّخلّص والاصطفاء والاختصاص.

فإذا ظهرت بذلك الزّائد الّذي أنحلت كانت بوصف ما وصفتُ لك منها، فلمّا بدا ذلك التّشعشع في الحيث في الكون بعد تداوم تلك الفترة ذُعرت له وارتاعت لضيائه، ولم تجد أين محلّه، ومن أين كونه، فجعلت تلتمسه بوهم العقل الّذي وجدته به، فأبدى ذلك التّشعشع في الحيث والمحلّ بحاله بادياً للكون لا يزول عن مكانه ولا يحول عن كيانه خمسين ألف كورٍ وهي مداومة النّظر إليه والفكر فيه، والطّلب لوجوده، فلمّا أكمل لها ذلك أعاد التّشعشع والضّياء كلّ جزءٍ منه إلى محلّ رتبته حتّى كسته تلك المرتبة والدّرجة وبلبسه إعدام ذلك الكون الموجود الّذي أوجده، فطال منها الفكر في بدوه بغير وجودٍ وأعدمها إيّاه بغير وجود العدم، فكانت بذلك من الحال خمسين ألف كورٍ، **ثمّ بدت إرادة القديم إلى الباب بإمضاء ما أكّده، فأمدّت المواد إلى الأسباب بعضاً إلى بعضٍ حتّى انتهت المادّة إلى المختصّة، فأبدت ذاتها ووقفت للإذن**، فكان وقوفها في حيث للإذن خمسين ألف كورٍ، ثمّ أذن لها بالمطاف والسّير في الحيث والكون، فطافت وسارت خمسين ألف كورٍ حتّى تناهى بها المطاف إلى الموقف الّذي وقفت عند معاينة حيث الغضب وكونه وحزبه.

فلمّا بدا لها ذلك المحلّ سارعت الرّجوع ولم تقف، فكان برجوعها مداومة الجّهاد بالاجتهاد والايجاد لذات الاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر، فلاحظت الرّتبة الممتحنة للمختصّة بسرعة رجوعها بغير وقوفٍ وقفت بالحيث الّذي وقفت فيه بالمطاف الأوّل، والسّير الأوّل، فعجبت لتلك السّرعة بالرّجوع، فمدّ إليها وجوداً فهو في الضّياء الّذي كوّنها به مكوّن أن ليس ذلك إلاّ اشراكها للحيث الّذي فيه الغضب وكونه وحزبه، فزاد في ضيائها بهذا المقدار مثل انحراف الضّياء من سمّ الخياط، فرتّب ذلك الضّياء فيها وعادت المختصّة إلى حيث كان محلّ وقوفها في بدو السير والمطاف، فوقفت فيه خمسين ألف كورٍ.

ثمّ عاودتها المادّة بالمراجعة للسّير والمطاف، فراجعت ذلك بالإرادة منها له وللإذن لها فيه، فكانت على ذلك سبع مطافات كلّ مطافٍ خمسون ألف كورٍ، وسبع مراجعاتٍ، كلّ مراجعةٍ خمسون ألف كورٍ وخمسون وقفةٍ، في محلّ وقوفها الأوّل، كلّ وقفةٍ خمسون ألف كورٍ، وفي كلّ ذلك تسارع الرّجوع إذا وصلت إلى حيث محلّ الغضب وكونه، وحزبه.

فلم تجد المستّخصّة من تأديب الله وهذا أقلّ رتب المزاج وما فوقه في الشّرح من المزاج أعظم وأكبر، وأجلّ في رتب شتّى يكون في البشر، فإذا كان خلص لمن شرحت لك ذلك المقدار في تداوم ذلك الكرّ من العالم النوراني، فكيف يخلص للبشريّ ضياء نور من ترادف الظّلم والعتم والقتم والسّدم هلك من لم يتنبّه لما شرحته لك من كتاب الأكوار.

فلمّا بدا لها ذلك الضّياء من إيجاد القديم عاودها بالكرّ والمطاف في رتب أهل الدّرج والمراتب، فأكرّها وأكرّ فيها وسيّراه وأطافها على ترتيب هذا العدد والأكوار في أهل كلّ رتبةٍ ودرجةٍ سبعين كرّاً يوجد فيها في كلّ استكمال كرٍّ عند وجود ظهورٍ مثل الّذي أوجده أوّلاً حتّى أكمل لها سبعين ضياءً من ذلك الضّياء الّذي مقداره مثل انخزاف الضّوء من سمّ الخياط، وكان ذلك في محلّ الوجود كدارة الظّفر، فكانت بذلك المقدار من الضّياء والنّور ناظرة لكون القدرة في الحيث والكون، **وهو يا محمد بن جندب البؤبؤ الّذي في وسط الحدقة، به يعاين الخلائق الملكوت من السّماء وما حلّها من مراتبها** وبه يحلّ إلينا جميع ما يقع عليه ومعاينتهم عليه تعويل المذاهب والتّداني والتّباعد والحذر والإقدام والقبض والبسط والتّحصيل والتّفصيل والجّمع والتّفرقة في جميع الأكوان الكائنات.

لا يعرف أحدٌ شيئاً ولا يحصّله إلاّ به، **وهو في كونه ملتبسٌ بسوادٍ يحتويه ويعمّه وهو المزاج الظّلميّ بحاله وبذهاب البؤبؤ وبعدمه يقع بها عدم كلّ موجودٍ ومعاينٍ**، فأوجد ذلك القديم في البشريّة وجعله دليلاً يستدلّ به أهل الوجود إذا وجدوا شرح ذلك وكشفه، وأمّا من لم يكشف له ذلك ولا وقف على شرح كتاب الأكوار فلا يعرف شيئاً منه ولا يعقله ولا يعمله.

و كثير يا محمد بن جندب ممّن يشرح له هذا الشّرح، فلا يدري معانيه، ولا يعرف ذات الإرادة به، فلمّا رتّب لها ذلك وأوجده فيها، وكان ذلك ثبات عدم الغضب وكونه وحزبه في جميع الكرّ، فلمّا تناهت السّبعون وكمل فيها ذلك الظّفر من الضّياء وأبداه القديم للرّتبة الّتي أبداها بمراده أن يكون ذاتها في ظهور البشر بؤبؤ العين،

أبدى الغضب بحيثه الّذي كان فيه، وكونه وحزبه، وأظهره وأوجده وأبدى كون الامتحان بحال ما أوجد فيها من ذلك الضّياء، وحجب ذاته وأكوان رتبه من الكون النّوراني، فلمّا بدت رتبة الامتحان وأبدى لها الحيث وفيه الغضب وحزبه وكونه أبدت الملاحظة نحوه بخفيّ المراد من المعاينة.

فذهب بذلك الضّياء عنها حتّى لم يوجد فيها منه شيءٌ وصارت بحاله قبل الإطافة بها والسّير والجّهاد لها والاجتهاد فيها، فكانوا كما أبان بالقول: «ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ» فأوقفها في ذلك الموقف على تلك الحال لا يعاين غير حيث الغضب وكونه، وحزبه مائة ألف كورٍ، فلمّا أكمل لها ذلك بدت الإرادة بإيجاد الظّهور والمطاف والسّير، فأمدّ إلى مبدي إرادته وهو الباب بتجديد ما سلف من ظهوره وظهور أهل مرتبة الكون والحيث، فأبدى ذلك وجرت الرّتبة من المبدي المريد المكوّن بما جرت في مبتدأ إرادته بالمطاف، **فطافت المختصّة أمدها ثمّ طافت المخلصة أمدها ثمّ طافت الممتحنة أمدها، ثمّ طافت النّقباء أمدهم، ثمّ طافت الأيتام أمدهم، وطاف الباب وقرنه بمطاف الأيتام أمدهم**، فلمّا أكمل لها ذلك أمدّها بالأكوار برتبة المطاف الأوّل الّذي مضى نوره أبدى ظهور ذاته وبابه على نهج ما أبداه في ذات بدو إرادة المطاف والسّير والإيجاد والاجتهاد والجّهاد، فطاف بالكون الباب بقدم ظهوره وبوجود ذات كون قدرته في كون رتبة الممتحنة، حتّى تناهى إلى مدى أجل التّرتيب من محلّ الغضب وكونه وحزبه وحيثه، فلمّا بدا للحيث ذهب بالغضب وكونه وحزبه حتّى اضمحلّ.

ثمّ بدا الكون محنة الوجود فأوجدها عدم ما كان موجوداً في الحيث وكانت أبدت إليه ملاحظة العيان، وأبدى ذاته بذات وجود تكوين البدو، فأوجدها كلّ كون كانت حلّته وكلّ مطاف طافت فيه، وطاف بها فذهلت عند ذلك وحارت، فلاذت توجد عقد الاستغفار، **فأوجدها في وقتها ما أعدمها وزادها من الضّياء مثله، فتضاعف لها النّور، فصارت ضعفين وجعلها عند وجود الظّهور بالبشريّة وأنشأ لها البؤبؤين الّذين في العينين، وجعل الرّتبة في التّكوين أنّه لا يبدي كون من يحلّ في البشريّة إلاّ بعينين**، واعلم أنّه يحتجّ أهل الجّهل على أهل الوجود بجهلهم عند هذا البيان والشّرح بأن يقولوا: إنّا نجد كلّ مكوّن من هوامٍ ووحشٍ وطيرٍ وغيرهم من البهائم والنّعم أنّها تولد بذلك الوصف بعينين.

والحجّة عليهم باحتجاجهم على أهل الوجود وذلك أنّ كلّ هذه الأوصاف بالبشريّة بدت وإليها تعود بعد كونها في تلك الموجودات، وأمّا من بدا في البشريّة بظهور فرد عينٍ فإنّ ذلك مذمومٌ ونعته في كتاب الحمد والذّمّ الكبير[1] الّذي هو خزانة السّرّ الأعظم الّذي من وصل إلى معرفته ووجوده أكمل ما يريد من مكتوم سرّ الله وهو من سنح الرّجال الّذي قال فيه حين أبان فقال:«وإنّه الأعور وإنّ ربّكم ليس بأعور»، فاعقل هذا واطلبه من كتاب الحمد والذّمّ الكبير الّذي خزن الله سرّه الأعظم فيه.

فجعل ذلك الضّعفين من الضّياء والنّور في العينين ثابتةً للوجود عند الظّهور بالبشريّة، فثبت لها ذلك باقٍ لها وفيها غير معدومٍ ولا مفقودٍ وثبت في الحيث والكون لها، فكانت في الحيث الّذي هي به ثابتةٌ في ذلك الضّياء موجودةٌ تجد ذاتها وتعرف ما فضّلت به مائة ألف كورٍ لا تجد في حيثها غير كونها ولا بحيث الغضب وكونه وحزبه شيئاً من كيانه، فلمّا أتمّ لها ذلك الأمد وتناهى بها المراد من القديم أبدت إرادته الغضب في كونه وحزبه في حيثه الّذي كان يحلّه، فلمّا أبدى فيه وظهر وبان بذاته لكون الامتحان أعرض الكون عنه فرقاً، ففرقةٌ أعرضت بذاتها وفرقةٌ أعرضت بذاتها وعيانها وفرقةٌ أعرضت بعيانها، وفرقةٌ أعرضت بعيانها ووجودها وذاتها، وفرقةٌ أعرضت بمرادها وودّها وذاتها وفرقةٌ أعرضت بعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، وفرقةٌ أعرضت بحسّها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، وفرقةٌ أعرضت بسرّها وحسّها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، **فكانت على سبع درجٍ بالتّفرّق، وكانت الأخيرة من الفرق أعلى رتبةٍ وأقرب إلى التّخليص والصّفاء فكوّنها في سبع أحياثٍ لم تختلط فرقةٌ بأخرى** وهي جمعٌ محدقةٌ في الحيث الّذي هي فيه بالحيث الّذي يحلّه منه محلّ إعراضه، فمن حيث بدا يفرق رتبه الممتحنة بوصف ما شرحته أبدت إرادة القديم بإبداء كلّ فرقةٍ منها في البشريّة بآدم وكونٍ وظهورٍ ووجودٍ، فأدامها سبعة آدمٍ، وهي كون واحدٌ وإنّما كساها ذلك التّفرّق على الرّتب.

فلمّا أحلّها في الحيث والعلم سبعة أحياثٍ متفرّقة بعضها عن بعضٍ أمدّها فيه مدى إرادته وهي سبع مائة ألف كورٍ لكلّ فرقةٍ منها مائة ألف كورٍ، وأثبت لها

[1] لم يصلنا هذا الكتاب ولعلّه هو بعينه كتاب السّبعين الّذي يحتوي على الوصف المحمود والوصف المذموم.

وجود الغضب وكونه وحزبه الّذي من أجله نزلت هذه المنزلة وحلّت هذا المحلّ وعظمت بها المحنة، فكانت بِجدِه وتِجِقّه كلّ فرقةٍ برتبةِ الإعراض الّذي أعرضت به عنه، فلمّا أكمل لها ذلك المدى **أبدى إرادة المطاف والظّهور والسّير والجّهاد والاجتهاد والإيجاد**، فأبدى المراد إلى الباب بتقدمةِ إرادته إلى الأسباب الّتي هي مادّة الإرادة، فأبدى كلّ سببٍ مادّته إلى من دونه حتّى تناهت المادّة إلى المختصّة وأذن لها بالمطاف والسّير فطافت وسارت فوجدت الكون فرقاً في أحياثٍ متفرّقة في الحيث بعدما كانت بكونٍ واحدٍ في حيثٍ واحد، فوقفت عن المطاف والسّير لأنها طلبت علم الابتداء بأيّ الفرق يكون بدو مطافها، فأوجدها قصد أشدّها ضياء وأظهرها نوراً وأقربها من تجوهر الجّوهر الّذي هي به إذ هي بعيدةٌ في الكون عن حلول التّجوهر، ثمّ بمن بعده يدانيه حتّى يكون آخر المطاف والسّير والجّهاد لأقلّها ضياءً نوراً.

وكذلك رتّب يا محمد بن جندب في ظهور البشريّة وإظهار الدّعوة وإبداء النّذارة كما رتّبها في العالم العلويّ النورانيّ في بدو الكون والتّكوين، فقال عند إبانة ذلك: «وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ» من الإجابة لك والقبول منك، فألزم ذلك من وقع عليه الإلزام في النّورانيّة.

فبدت المختصّة عند ذلك الأمر والوجود بالمطاف بالفرقة المضيئة الّتي أعرضت سيرها وحسّها وعزيمتها ومرادها وعيانها ووجودها وذاتها، فبدت ذات الصّفاء والاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر فيها، فكانت إليها ساميةً ولها واعيةً ومرّت كذلك في جميع الفرق حتّى تناهت إلى الفرقة السّابعة، فلم يكن فيها وجودٌ هو أوجد من وجود الفرقة الأولى بقبول ما أوجدت به من الرّتب المصطفاة وكلّ فرقة تعلو دون الأخرى إلى تناهي القلّة في الفرقة الأخيرة للوجود، فكان مدى مطاف المختصّة في تلك الأحياث والفرق سبعمائة ألف كورٍ في كلّ فرقةٍ مائة ألف كورٍ.

حتّى أعادها المطاف إلى حيثها من محلّ وقوفها في درج التّرتيب، فثبت فيه وبدا لها الإذن، فطافت مثل ذلك، وأبدت مثل ما أبدت ثلاثة مطافاتٍ في الفرق كلّ مطافٍ منها سبعمائة ألف كورٍ، ثمّ وقفت المختصّة عن المطاف والسّير والجّهاد والاجتهاد والايجاد **وبدت الإرادة من المريد بمادّة الأسباب إلى المخلصة، وأذن لها**

بالمطاف والسّير والجّهاد والاجتهاد والإيجاد، فمرّت بالسّير والجّهاد والاجتهاد والإيجاد، فمرّت بالسّير والمطاف فبدا لها تفرّقُ الكون في الحيث، فوقفت كوقوف المختصّة تطلب الإذن في الابتداء بالمطاف بأيّ الفرق يكون بدوها فأوجدت ما أوجدته المختصّة، فبدت بحيث كان بدو المختصّة في مطافها وسيرها، فأوجدت وجاهدت واجتهدت وأظهرت محلّ الصّفاء والاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر، فسمت نحوها الفرقة الّتي سمت نحو المختصّة وداومت ملاحظتها والاستماع منها وسرت على الفرق، **فكانت كلّ فرقةٍ أدنى من صاحبتها في الرّتبة حتّى أتت على آخر الفرق.**

فكان مدى مطافها وسيرها في الفرق والأحياث مدى المختصّة وهي ثلاثة مطافات، وكلّ مطافٍ سبعمائة ألف كورٍ بلا أمد وقوفٍ إلاّ مداومة في السّير والمطاف، فتمّ لها بذلك ألف ألف كورٍ ومائة ألف كورٍ، ثمّ وقفت المخلصة وبدت إرادة المريد بإبداء مراده إلى الأسباب، وأمدّ كلّ سببٍ إلى من دونه حتّى تناهت المادّة إلى رتبة النّجباء فبدا لها الإذن بالمطاف والسّير والجّهاد والاجتهاد والإيجاد بذلك المحلّ من الصّفاء والاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر، فبدت للمطاف والسّير، فلمّا بدت ما عاينت المخلصة والمختصّة، فوقفت عن السّير للإذن لها بالابتداء، فبدا لها ما بدا للمخلصة والمختصّة، فسارت وطافت وبدت بما كان بدو المخلصة والمختصّة من الفرق، فأوجدت ذلك الوجود ومرّت في فرقةٍ بعد فرقة، فلم يكن في الفرق ممّن سما وأقبل وصفا إلى الموجود الّذي أوجدته النّجباء غير الفرقة الأولى وكلٌّ علا في رتبته في التّعلّل إلى آخر الفرق. **فلمّا أكمل لها المطاف والسّير كما أكمله للمخلصة والمختصّة وهي ثلاث مطافات كلّ مطافٍ سبعمائة ألف كورٍ بلا وقوفٍ إلى مداومة السّير والمطاف والاجتهاد والإيجاد كمل لها حين أذن لها ألف ألف كورٍ ومائة ألف كورٍ، فلمّا تمّ لها ذلك الأمد أوقفها وأبدى المادّة إلى مبدي إرادته بإبداء ما أمدّه به إلى الأسباب فأمدّ كلّ سببٍ إلى من هو دونه حتّى تناهت المادّة إلى النّقباء وأذن لها بالمطاف والسّير في الحيث والكون** وإبداء الإيجاد والجّهاد والاجتهاد لمحلّ الصّفاء والاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر.

فبدت للسّير والمطاف، فعاينت بفرق الكون في الحيث، فوقفت كوقوف من تقدّم حتّى أذن لها بالابتداء كما أذن لمن سبق ووجدت ذلك فطافت بالفرقة الّتي طافت بها النّجباء والمخلصون والمختصّون، فكانت إليها ساميةً وعليها مقبلة، ومنها واعيةً تطلب في كلّ مطافٍ يطوف بها ويسير فيها ما هو الموجود الّذي أوجدته حين أضعف لها النور والضّياء، **فمرّت النّقباء على الفرق ممرّ من تقدّم في المطاف والسّير والإيجاد والاجتهاد والجّهاد، توجد محلّ الصّفاء والاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر، فكلّ فرقةٍ كانت دون الأخرى في وجود ذلك حتّى أتت على آخر الفرق**، فكان ذلك مدى أمدٍ من تقدّم من المطاف والسّير مثلٌ بمثلٍ ألفي ألف كورٍ ومائة ألف كورٍ، ثمّ وقفت بحيث محلّها.

إرادة الظّهور

و بدت إرادة المريد بالإرادة إلى الباب بالظّهور بذاته وأيتامه الخمسة فبدا بالأذن وبدت الخمسة بذاتها بظهوره، فلمّا بدا وبدت للحيث والكون **وبدا له تفرّق الكون في الحيث أمدّ بالتّبيين فتبيّن لها القريب من الضّياء والنّور**، فبدا به وطاف بها وطافت الخمسة بمطافه، فأوجد وأوجدت وجود ما سبق إليها فتلهّفت على الدّنوّ من المطاف بها والكون بحيثه والقرب من ذاته مقرّب بذلك من محلّ الصّفاء، وممرّ الباب، ومرّت الخمسة بممرّه بالسّير والمطاف في الفرق، فلم يكن فيها من ساوى واحدةً للأخرى في الوجود إلاّ كلّ وجوده على قدر ترتيبه في الإعراض عن الغضب وكونه وحزبه، فكان مدى مطاف الباب والأيتام سبعمائة ألف كورٍ على ترتيب مريد الإرادة في الكون، وكان ذلك مطافاً واحداً لا غير وهو سبعمائة ألف كورٍ، فلمّا تناهى ذلك الأمد من الباب والأيتام وبدت إرادة القديم بالظّهور في الحيث والمطاف والسّير الّذي أطاف به سائر ذوي المراتب والدّرج، **فبدا وجوده وظهوره بذاته بالمهلّ المبدر المقمر وأظهر بابه بذاته** فمرّ في الحيث والفرق المطاف بها وبابه بقدمه في المطاف والسّير يُبدي ذات وجوده وقدرته ومحلّ عظمته وتناهي ذات غايته.

فسمَت الفرقة الّتي قد خصّها بالقبول والضّياء نحو القبول والإجابة، وأبدت الخضوع والإنابة، فلمّا بدا القديم بظهوره ووجوده بعد إيجاب الباب ما أوجده من ذاته خرّت هفوة لعظمته وذهبت في ذات حيثها ذهاب الرّيح بمواده فيهم واصطفائه لهم وتصفيته إيّاه حتّى كانت في الحيث من الفرقة الّتي كانت مدانيةً لها مائة ألف كورٍ، فكانت بذلك الذّهاب عن الفرق ولبسها بضياء نور الإجابة، فغشيها عن وجود الفرق لها وذهب في الحيث والفرق، فأعظمته الفرقة الثّانية تعظيم طاعة، **فلمّا تناهى الظّهور إلى محلّ الحيث الّذي أنحله الغضب وكونه وحزبه ذهب به في الحيث وأدحضه إدحاض عدم الوجود، وكان مدى الظّهور مائة ألف كورٍ وذلك بوجود الفرقة المستخصّة بالصّفاء**، فلمّا أتمّ الأمد حجب الوجود وأعاد الغضب إلى حيثه عند احتجاب الوجود، **فظهر الغضب وكونه وحزبه في الحيث.**

وكذلك يا محمد بن جندب نفوا ظهور الضّدّ عند الغيبة وتمكينه وسلطانه وحزبه وكونه ويضمحلّ عند وجود الظّهور، فلمّا ظهر الغضب بالحيث وحزبه وكونه وأوقف الفرق بحيثها في التفرّق وأبرز عنها الفرقة المختصّة المصطفاة في الحيث في مدى مائة ألف كورٍ من الفرق الّتي كانت مقاربتها وحالّةً معها بحيث كانت حالّةً ثابتةً أمّد لها الوقوف في ذلك مائة ألف كورٍ.

ثمّ عاودها عند تكامل ذلك بالمطاف والسّير بمراتب أهل الدّرج، فكان مطاف كلّ أهل درجةٍ خمسين ألف كورٍ، حتّى طافت بها المختصّة والمخلصة والممتحنة والنّقباء والأيتام والباب، **ثمّ أبدى إرادته للظّهور، فظهر ببابه الّذي أبانه وأوجده الظّهور به**، فأطاف ذلك بها وهي على الانفراد والحيث الّذي هي فيه لا يلمّ بها فرقةٌ من الفرق ولا أطاف بالفرق شيءٌ من أهل المراتب والدّرج، ولا كان المطاف إلاّ على هذه الفرقة المصطفاة للصّفاء، ووقفت باقي الفرق بإزاء حيث الغضب وكونه وحزبه لا يبدو لها ظهورٌ موجودٌ ولا عيانه، فكان المدد في الأمد خمسة مطافات كلّ مطاف مائة ألف كورٍ، يرجع أهل كلّ رتبةٍ مُرتّبةٍ في مطافها إلى محلّ درجتها، فتقف فيه وتعود الأخرى حتّى تتمّ المطاف والسّير، ثمّ تعود أولاً فأولاً.

فلمّا أكمل لها المدى والأمد وهو خمسمائة ألف كورٍ أدنى منها المختصّة فوقفت معها بحيثها ومحلّها، فأوجد بها ذاتها في الصّفاء والتّجوهر عياناً ووجوداً، **فذهبت بالمحلّ العلويّ وهو السّماء وهو محلّ الشّمس الّذي هو محلّ الباب ونعته،**

فلمّا ذهبت بالمحلّ العلويّ تجوهرت بجوهريّة المختصّة، وصارت بذاتها في المحلّ تجد ما تجد، فكمل هذا الصّفاء لهذه الفرقة من السّبع فرق من كون الممتحنة بعد هذا المدى والأمد من تطاول الأكوار ومعاودة الظّهورات والمطافات والسّير والإيجاد والجّهاد والاجتهاد من سائر رتب أصحاب الدّرج والمراتب وظهور القديم بإرادة الأزل، وهذه الفرقة لا تداخلها الممازجة ولا يسكنها غشاء الظّلمة.

فأنظر يا محمد بن جندب واحص مبلغ ذلك واجمله عدّاً وأيقنه كمالاً، فإذا كمل لك مبلغ ذلك عدّاً فاعلم أنّه يؤوّل الامتحان بهذه الفرق الّتي لا تحصى عدّها أن يصفو منها شخصٌ واحدٌ في كلّ أمدٍ مثل هذا الأمد الّذي صفت به هذه الفرقة هُدى وهم أهل رتبة الامتحان، فكيف يكون حال من رتبته الاعتراف والاقرار إذا دخل عليه الأعراض بالشُبه وتذهب به الأهواء مذاهبها ويتبع كلّ ناعقٍ ويصبو إلى كلّ داعٍ ويخوض مع كلّ خائضٍ ويسلك في كلّ وعرٍ ويقتدي بكلّ ضالٍّ ويسمع فيعدل، ويؤمر فيترك، يُضيّع فرصته ويحفظ عرضه.

خبر عالم الإقرار

يا محمد بن جندب دقّت بهم المحنة حتّى لا يعرفوا أحدها إلاّ بالإسم، وبعد إليك من شرح المحنة ما هو أكثر وأجلّ وأعظم يصغر جميع ما سلف من الشّرح عند بلوغك إليه حتّى لا تقوم لك به قائمةٌ ولا تثبت لك به عزيمةٌ، ويظنّ أن ليس بعد نهايته نهايةٌ ولو أبدي لك اختيارُ العالم في بدو كون البشريّة، وتناهى حلول الظّهور فيهم ولهم بعقب ذلك لذهب عنك عظم ما أعظمته وهول ما أكبرته ولوجدت أنّ يوماً من أيّام الأكوان البشريّة الّتي عاناه أهلها أعظم وأهول وأجلّ وأكبر وأشدّ وأصعب، لأن هذا أشرح معاناة وحلول أدوات ونزول درجات من نزل منها درجةً أجهل في إصعادها خمسين ألف فوزٍ والفوز ألفَ ألف كورٍ من أكوار البشريّة.

فكيف يكون حال من يكون على درجةٍ حتّى يحطّ عنها إلى محلٍّ يحتاج أن يرقى منه حتّى يعود إلى حيثه الّذي كان فيه في هذا المدى من الأمد وإنّ ذلك لكائنٌ بما هو أخفى من دبيب النّملة، وكذا قال إنّ الكفر بالله أخفى من دبيب النّملة السّوداء على المسح الأسود في اللّيلة المظلمة الدّهماء المعتمة، وربّما كان بكلمةٍ أو توهّمٍ أو

شكٍّ أو شبهةٍ أو بترك فريضةٍ مفترضةٍ فرض فيها، فبذلك يكون أشدّ امتحاناً في الرّدّة والكرّ في تكوين أكوان البشريّة ومعاناة ذوات الجّسميّة وترتيب نقلها إذ هي عند الله أشدّ وأوجب لإلزامه إيّاها في إبداء ذاتها بالنّطق وإيجاد البشريّة في ذات وجوده والمحلّ الّذي وصفه بها ونعته بذاتها وأوجده بأوصافها فقال: «إنِ أَنْتَ إلاّ بَشَرٌ مثْلنا [1]» ثمّ قالوا: «وإنّا لَنَراكَ فينا ضَعيفاً ولَو لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وما أَنْتَ عَلَيْنا بعَزيز [2]» وقالوا: «ما هذا إلاّ بَشَرٌ مثْلُكَمْ يَأْكُلُ ممَّا تَأْكُلُونَ منْهُ ويَشْرَبُ ممَّا تَشْرَبُونَ» وأوصاف كثيرةٌ وصفوه بها ونسبوه إلى أن لا يُفضل عليهم وكلّ ذلك من أوجد وأوكد حجّة في تكامل القدرة في محنة التّمازج في بدو ظهور البشريّة وكشف ما كان من قبل النّورانيّة، وكرّهم فيها بتضاعف ورودهم، وتداوم حلولهم بحسب ممازجتهم للظّلمة الّتي كوّنها الغضب ومداومتها فيه إلى حين أوان الصّفاء من الكدر والتّخلّص من الظّلمة والمفارقة للمزاج ومجانسة الكون الأوّل بالرّجوع إليه.

فعند ذلك يصير في درجة الصّفاء من المزاج ويؤوّل من بعد الصّفاء إلى درجة الاصطفاء ومنها إلى درجة الضّياء، ثمّ فيها إلى درجة النّور، فعند كمال ذلك لها وفيها يصير إلى التّجوهر، فإذا تجوهرت صارت في المحلّ العلويّ جائلةً مع أشكالها في درج التّرتيب الّذي رتّبها في الوصف فقال: اللاّحقون والمسبّحون، والرّوحانيّون والكروبيّون والمستمعون، والمقدّسون والسّائحون.

فهذه الدّرج في درج السّبع فرق الّتي تفرّقت في رتبة الامتحان، وكلّما صفت منها فرقةٌ نزلت درجةً من هذه الدّرج وصارت محلّه ووصفت به وحلّته حتّى تخلص إلى بدو الكون الأوّل من كيان المكوّن في بدو التّكوين، ويرجع بدو كون الغضب إلى كونه الأوّل وحزبه لا ممازجة فيها بشيءٍ من مرتبة الامتحان الّذين هذه أوصافهم ومراتبهم عند إرادة عودة الموجود والكشف وإيجادهم الكون الأوّل وإعادتهم إلى بدو البشريّة الّتي هي تناهي مرتبة الامتحان.

[1] جاءت الآية في القرآن في سورة الشعراء آية ١٨٦.

[2] الآية هنا وردت في القرآن بذكر لوط وأمّا ربط هذه الآية بالآيات السّابقة ينبع من العقيدة العلويّة الّتي تقول بأنّ الأنبياء كلّهم هم شخص واحد تعدّدت أسماؤه وهو شخص الحجاب.

الفرقة الثانية من فرق الامتحان

قال محمد بن جندب: ثمّ إنّ سيّدي أبا شعيب محمد بن نصير صلعم عاد إلى شرح الفرقة الثّانية من فرق الامتحان فقال: وقد أنحلها من النّور في المطاف والسّير وإعادة كرّ أصحاب المراتب والدّرج النّورانيّة مثلما أنحل الفرقة النّورانيّة الأولى الّتي خلصت وصفت وأضاءت وأنارت وتجوهرت، فلمّا أنحلها ذلك النّور أطاف بها الفرقة الأولى الّتي كانت معها في محلّها من الحيث وتكوينها في التكوين، فمرّت عليها الطائفة بها وساير عليها توجّدها ذات كونها الّذي قد كونت عند القبول والإجابة، فكانت كذلك في المطاف والسّير خمسين ألف كورٍ قبل مطاف المختصّين والمخلصين، ثمّ طاف بها المختصّون مثل ذلك، ثمّ المخلصون، فطاف هذه الثّلاث مائة ألف كورٍ وخمسين ألف كورٍ، **ثمّ أبدى إرادة الظّهور للباب، فظهر الباب وأظهر بظهوره الثّلاث مراتب الأخرى وهي رتبة الأيتام ورتبة النّقباء ورتبة النّجباء، فكانت هؤلاء الثّلاث مراتب ظاهرةً بظهور الباب في المطاف والسّير والإيجاد والجّهاد والاجتهاد ووجود ذات الصّفاء والاصطفاء والضّياء والنّور والتّجوهر، فطاف وطافت المراتب بمطافه خمسين ألف كورٍ، ثمّ عادت المراتب إلى محلّها بعودة الباب إلى محلّه، ثمّ بدت إرادة القديم بالظّهور، فظهر بذات كونه للظّهور وهو المهلّ المقمر المبدر، وأظهر الباب بظهوره بكونه الّذي هو الكون الّذي ظهر به في ظهوره الأوّل مع الأيتام والنّقباء والنّجباء.**

فكان الباب يمرّ في المطاف والسّير على سائر الفرق بوجود ذات القدر من القديم، وكانت الفرق بحيثها في الكون، فكان إيجاده لها أنّه هو المكوّن القديم ويبدي بالإشارة إليه، فكانت في ذلك المطاف والسّير بها معرضةً عن الوجود، وحيث الغضب وكونه، وحزبه موجودٌ لها عيانه، فإذا تناهى المطاف والسّير للباب والقديم وبدت قدرةٌ قادرةٌ مكوّنةٌ أُسحقَ وذهب في الحيث حتّى لا يوجد، فإذا عاينت الفرق ذلك من هلاك الغضب وحزبه وكونه وما ذهب به راجعت الفكر وقالت: إنّ هذا الّذي يجري على هذا الحيث والكون والحزب عند ظهور هذه المراتب العظيمة ليس

يكون إلاّ من مالكٍ تملّك ذلك الكون والحيث، وإنّه هو المبدي له في بدو كونه وكنّا يذهب به إذا شاء ويعيده إذا شاء، فيكون ذلك من وجودها في فكرها عند الظّهور.

فإذا عادت المرتبة إلى حيث بدت للوجود عاد حيث الغضب وكونه وحزبه فثبت في محلّه وعاد بكيانه فيكون من الفرق وعند ذلك بالفكر للوجود الّذي قد أوجد به لو كان ما ذهب بها وإنّ لها عند ظهوره هو غايته ما عاد إلى كيانه ولا ظهر بحيثه، وذلك أنّه يحول وقتاً، ثمّ يعود بكماله، ويثبت فلا يحول، فكان ذلك يا محمد بن جندب من إرادة المريد في فرقةٍ من الفرق وهي الفرقة السّادسة، وقد أنحلها من النّور في سبعين مطافاً وسيراً مثل إرادة الظّفر ووقف لها ذلك فما زادت عليه، ثمّ طاف بها أهل المراتب والدّرج وظهر هو لها وأوجدها ذاته وأبدى لها هلاك حيث الغضب وكونه وحزبه بعد السّبعين مطافاً وداومها بإيجاد القدر وظهورها ووجود أهل المراتب والدّرج في ألف مطافٍ كلّ مطافٍ منها خمسون ألف كورٍ، وكلٌّ لا يزيد على ضياء ذلك النّور، فلمّا تمّ لها الألف مطاف الثّاني أمّد الحيث الّذي فيه الغضب وحزبه وكونه، وذهب به في أحياث السّت فصار مشارفاً لأحيائها يقف عند وقوفها ويحلّ عند حلولها وعظمة وجودها حين أحلّه أنّه يحلّ من الكون والحيث برتب أهل الدّرج والمراتب، **فلمّا أنزلها هذه المنزلة ورتّبها هذه المرتبة أعكسها فردّها إلى كون الفرق الأوّل وسلبها ذلك الضّياء والنّور ومرّ بها في حيثها حتّى لاشاها ونفى كون الغضب وحزبه في حيثه بحالةٍ لم يوجدها فيه ما كان يوجدها أولاً من ذهابه واضمحلاله وتلاشيه**، فلمّا عدمت ذلك الضّياء والنّور الّذي كانت به تجد موجودات القدر حارت في التماس ما كانت به ففضّلت على الفرق الباقية، فأمّدها في تلك الحيرة والارتباك ألف ألف كورٍ لا يطوف بها طائفٌ في حيثها من أهل المراتب والدّرج، ولا يوجد فيهم ظهوره ولا يعاين في الكون النّورانيّ شيءٌ من منازل أهل الصّفاء والاصطفاء.

فردّها بوجود حيث الغضب وحزبه وكونه حتّى كانوا في التّرتيب بوصف التّقارن والتّقارب والعيان والمشاهدة **وذهب عنها لذّة وجود مراتب النّورانيّة وظهور القدرة، واشتملت على ملابسة الغضب وحزبه وأقبلت عليه، فلمّا تمّ ذلك الأمد بدت إرادته بإظهار القدرة من حيث إيجادها في القدم**، فظهر القديم، ثمّ الّذي هو بدو كون التكوين وختمه مجمع الفرق وأدناها من محلّ الغضب بكونه وحزبه

حتّى أحلّها فيه وإنّه جعل لها محلاً اجتمعت فيه لتقارب تشاكلها وتجانسها وليست بذلك الجال والمزاج واستولت عليه وهو المزاج الأوّل الّذي هو من أشكال المجانسة والمؤانسة، فكان ذلك من الممازجة بخفيّ الإرادة من إبداء تكوين ذات المكوّن، فبدت بذلك، ثمّ إنّه أثبتها عليه ولم يحلّها عن الحال الّتي قد ألبسها بها وأوجدها ذاتها وكونها وإنّها من حزب الغضب وكونه شيءٌ هي به مكوّنة الكون وأخرج عنها وجود ما كان أوجدها إنّها بذاته خارجةٌ عن حلول هذا الحيث والغضب والكون والحزب وإن كانت متفرّقةٌ فرقاً تقارب هذا الحيث وتدور بها في فرقها فليست كهي في كون ذاتها.

فكانت يا محمد بن جندب توجد ذلك ذاتها من حيث كان لها سابق كون النّور، فلمّا سلبها إيّاه وأغشاها عنه بغشي المزاج الّذي قد التبسها والاختلاط بالظّلمة الّتي قد أبداه لها للدّخول فيه جعلت تقارب هذه الأشياء وتدانيها منها وتروم ضياءً وتخلّصاً وترجّعاً إلى المحلّ الّذي هي مكوّنةٌ به وهي مع ذلك لا تعلم ما قد أوجبه عليها من الخروج عن إرادة المريد فمكثت تحت هذا الوصف من الخلف والدّخول إلى المزاج الّذي هو حزب الغضب وكونه مذبذبين كما قال: «لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» خمسمائة ألف كور قد اشتمل عليها **وألبسها ذلّ الدّخول إلى ما قد قدمت قبوله عند الاختلاط به** فلمّا تمّ ذلك المدى من الخمسمائة ألف كور بدت إرادة المريد، كلّ ذلك بالإيجاد لمراد من الحيث الّذي قد أحلّه الغضب وكونه وحزبه، **فأبدت القدرة فيه رتبة الفرق السّتّ بحيث قد ترتبت منها فجعلت تتحيل وتدبّر وتبدي وتعيد هل لها في الحيث محلٌ يجتمع عليها ويحويها كما أنّ سائر حزب الغضب وكونه لها فيه محلٌ يجتمع عليها ويحويها فلا تجد ذلك ولا توجده وذلك أنّها لم يحلّ منه محلّ الاختلاط الكلّي الّذي عند تمامه يكون**، فكان ذلك بمداومة المريد والمكوّن للمراد في الحيث والكون والحزب والفرق الّذي قد أهمله وأمدّه وأملى للحزبين في الحالتين بما فيه يبدي حيث الغضب وحزبه وكونه وتمكينه للفرق السّتّ ويبدي الفرق بذات كونها ووجودها ملاومة مدانيةً مجانسةً لا يشتكل شيءٌ منها على شيءٍ، ولا يجد حدّ مصاداةً.

فكان كذلك خمسمائة ألف كور بغير تباعد شيءٍ من الفرق عن كيان كونها ولا خروج عن حال وجودها، وكذلك كانت في حيث الغضب وحزبه وكيانه، لم

يدخل على ذلك حال تغيير ولا يكون كما لم يدخل على هذه إلاّ أنّ هذه مع حال كونها أنّها خارجةٌ عن كون ذات أبدانها وحال تكوين كون مرادها له في بدو إرادة المريد، فبمشاركة القبول وملازمة الخلاف ومراجعة الظّلمة والاختلاط بها تمازجت أشكال كلّ ضدٍّ بضدّه واستوجب كلّ فرق أن يحلّ بحيث ما وقعت عليه تسمية المكان الّذي إليه يدعى وبه يكون حتّى يختلط الغضب وحزبه وكونه، ثمّ يصير عليها في نار جهنّم، فإذا صار عليها في نار جهنّم واختلط بها المزاج على حسب الدّرج الّذي يجري عليها المزاج في كونٍ بعد كونٍ وبدوٍ بعد بدوٍ وعودٍ بعد عودٍ وردٍّ بعد ردٍّ في هذا العالم النّورانيّ هل يكون لها بعد ذلك رجوعٌ إلى صفائها وخروجها عن ركوب ما التبسها من غشاء ظلم المزاج والكدر الّذي قد استولى عليها وخلطها في هذا المزاج الأوّل الّذي لم يجر فيه عليها عكر الفتر ولا عتم الظّلم والقتم فإنّ ذلك باقٍ بحاله إلى أن تبدي إرادة المريد الأبدي ذلك وإظهاره مع الإرادة إذا جرت الإرادة بكون بدو المزاج الأوّل.

وذلك يا محمد بن جندب أنّ المزاج ثبت في هذه الفرق وتقرّب كونها به في مبتدا إظهار الغضب والرّحمة، فحين وقعت المعاينة والوجود بإرادة المريد القديم الّذي أظهر وجود ذلك في قدم أمره وجعله محنةً واختباراً، أجراه في تكوين الكيان والحدوث وأرسبه يجري مع القدرة الجارية مع الكون، فلمّا ثبت ذلك في الإرادة وأجراه في تكوين المكوّنات الّتي كوّنها عليه وهي كانت تناهي الفرقة الممتحنة الّتي جرت عليها إدالات المطاف والسّير يطوف بها كلّ ذي رتبة ودرجة من أوّل المراتب إلى آخرها، كلّ ذلك بإرادة القديم لصفائها وإزالة المزاج عنها، وقد تلبّسها من ذلك ما يطول بها فيه للبدو والكرّ بحسب ذلك المزاج الّذي قد اشتملها وهي بدو كون الأظلّة والأشباح في درج التّرتيب حتّى تثبت الأظلّة بأصلها والأشباح بفرعها ومنها تكون أشخاص المخاطبة والّتي يقع عليها الاعتراض في تكوين أشخاص المنازل المنيرة ليس يجانس مع ذات أدواتِ مزاجها في كونها شيءٌ من البشريّة لأنها بكون العالم النّورانيّ **وإن كانت المحنة والمزاج قد خالطها فإنّها بالكون عند تناهي ذات الصّفوة. وإن صفا منها في كلّ خمسمائة ألف كورٍ كلّ شخصٍ من فرقة مبلغ عددها مائة ألف ألف شخص، ثمّ إنّه من بعد الصّفاء الّذي يقع به التّخلّص يكون عكوسٌ هو أشدّ من بدو معاناة تلك الصّفوة ما دامت تلك المنزلة قائمةً ثابتةً**

بذاتها لأنّها ليست تخلو ولو خلت لقرب ما بعد من أمد الكون الّذي هي مكوّنةٌ بكيانه وبحيثه، فهي دائمةٌ بدوام ذلك الحيث والكون والحزب الّذي نعته بها، وكذلك الفرق الّتي تلاومت وتدانت من حزب الغضب وكونه وحلّت بالحيث الّذي هو موضع بدو الغضب، **فليس يخلص من تلك الفرق ما مازجها من كون الغضب وحزبه، فهي محتبسةٌ في كلّ هيكلٍ ضيّقٍ وكلّ جنسٍ ذميمٍ متعسٍ حتّى يكون خلاص المزاج وأن يكون ذلك بعد تعبٍ ووصبٍ ونصبٍ وردٍّ كلّ ما قَرُب منها ما آن خلاصها وأشرفت على نور ضياء الكون الأوّل في مبتدأ القديم وتكوين مراده الّذي كان خصّها فيه رتبة القبول حالاً بينها وبين ذلك مخالطة المزاج الظلمي الّذي ذهبت نحوه وداومت حيثه وقاربت كونه وحلّت حيثه حتّى صارت ملتبسةً مشتملةً بكون ذلك الضّياء، لا ضياء يحلّ فيها ولا نورٌ فيضيٌّ لها.** تذهب في تيه الحيرة وتعود في مهاوي غضب الخلف الّذي قصدت له وصمدت نحوه وأنارته على بيان الضّياء والنّور، حتّى استوجبت به نقلها وكرّها في كلّ نعتٍ ونصبٍ من مكوّنات ذوات الهياكل والأجسام الّتي نسخت بها في بدو كون المخالفة والعناء وطلب حيث الضدّ والغضب وميلها إليه وإسراعها نحوه، فهي في ذلك على أمد النّهي الّذي يبديه المراد ألف ألف كورٍ لا تعاين فيه معاودة مطافٍ ولا سيرٍ ولا إيجاد شيءٍ من تلك الرّتب والظّهور والاجتهاد والجّهاد في خلاصها من الحيث الّذي حلّت فيه والكون الّذي تفرّقت في كون حزبه وهو حيث الغضب وكونه. فصار محلّ ذلك في امتزاجها به.

ثمّ تفرّع حيث الغضب وكونه وحزبه واتّسع في حيثه وأثبت في ظلمه وانفرد عن كيان النّور وصار ظلميّاً قد أقتم وأعتم على ما أحلّه وأكنّ إليه وركن فيه، فليس بمتخلّص من الحيث والكون والحرب، يجري على كون المزاج كلّما زاد عليها ممازجة الحيث والكون والحزب، فهي في تفرّقها مجتمعةٌ وفي تجمّعها متفرّقةٌ، يذهب بها المزاج عند الاختلاط بها في مهاوي ذلك الحيث، فإذا رجع المزاج إلى معدن الكون الّذي هو حيثه وكونه وحزبه زال عن الفرق المتفرقة في كرّ الامتحان حتّى تجد أنّ المزاج الّذي غشي عليها وكونها وحالها عن حيث إرادة المريد بمثلها إلى حيث كون الغضب وحزبه وكونه، وبذلك الجاري منها إلى ذلك الحيث بكون مخالطة المزاج من كون الغضب وحزبه، فالفرق بذات التّفرّد عند مباينة المزاج

والملابسة له وهي بحدّ الاختلاط به عند الدّخول فيه والاجتماع على حال الميل والمقاربة والقرب.

فيكون ذلك في التّرتيب على هذا الوصف في مباينة الفرق لما هي موصوفةٌ به وخارجةٌ عنه، ولما أنّ مزاج الغضب في كونه وحزبه مختلطاً به قد صار في حالٍ وكونٍ وذاتٍ تجد كلّ ذاتٍ في الحيث الّذي ضدّه فيه، فقد اجتمع لها وعليها أوصاف كلّ نعتٍ ووجد بها معنى كلّ حدٍّ من معلومات تلك الأوصاف.

فهذا يا محمد بن جندب معنىً من معانٍ شتّى من أوصاف بدو المزاج والاختلاط الّذي تكون به ممازجة الظّلمة بالنّورانيّة من حيث لم يقع عليه تحصيل، وذلك بأنّ الظّلمة قائمةٌ بذاتها والنّورانيّة ثابتةٌ بحيثها، وإنّما هي مراقبة ومرامقةٌ واستطلاعٌ ومشاهدةٌ ووجود عيان الاختبار، فكان ذلك كله من إرادة القديم في قدم كونه للتّكوين ليجري العالم فيه على درج المنازل والاختبار يجري عليهم المحن في كونٍ بعد كونٍ وحدوثٍ بعد حدوثٍ وحينٍ بعد حينٍ، وأوانٍ بعد أوانٍ، لأنّ أمره لا يسبق وحكمه لا يغلب وإرادته لا تبعد، فلمّا دبّر المراد منه على كون إرادته أوقت كلاًّ في حيث ما استوجبه سبقت الإرادة منه للمريد، فحظي لديه وأزلف عنده بلا ارتياب من أحبّ به كون الردّ والكرّ في كرورٍ دائرةٍ وأعصارٍ سائرةٍ، فجرت على كونها في التّرتيب لا تقدم ما يقدمه متقدّمٌ، ولا يؤخره عن حيثه متأخّرٌ، يبلغ بذلك أمداً وينتهي به مدىً، ثمّ يعيده إلى بدوه حتّى يؤول كأن لم يكن، ويغرب علم ذلك عن علم من علمه وفهم من فمه، ويكون في كيانه وكائن كائن من قبل كونٍ، فعلى هذا جرى منه ترتيب إرادته في كونه الّذي كوّنه وإرادته الّتي أرادها وهي على هذه الحال إلى حيث قال: «وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» وإلى حيث قال: «وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها»، فنعمته وإرادته لا يدركان ولا يحصيان ولا يحدّان، يجريان بأمد مراده في خلقه وعباده، يأتي علمه عليهما ولا يأتي على علمه شيءٌ ممّا خلق.

وإذا أراد أن يزيل ذلك رآه كما ينفر اللّيل من النّهار والضّياء من الظّلمة حتّى يعود كلّ حالٍ إلى حاله الّتي كوّنها به وينهى عليه، يديم بذلك ديمومة القديم في بدو إرادة الأزل حتّى لو أراد أن يعيد نوراً بلا ظلامٍ كالكون الأوّل لأبداه وأعاده ولكان ذلك في تكوينه كما أبداه عند بدو كونه، ولو أراد أن يكون ظلامٌ بلا نورٍ لكان ذلك

منه كائناً بالإرادة والقدرة المقتدرة على تكوين الأشياء عند الاقتدار على كلّ ذي تجزئةٍ وجملةٍ من مكوّنات الكيان الخاصّيّ دون مكوّنات التّعارف.

فالكون يحلّ في محلّ ذات التأييد والبسطة والاقتدار على معلومات إرادته في تكوين ذاته الّتي عليها أبدى ذاتها في قديم حدوث الكون النّورانيّ الّذي تفرّع في معادن نور الملكوت في بدا بدو التكوين والموادّ.

فكلّ قد حلّ في محلّ ذات القدم من الخير الخاصيّ الّذي هو غاية رغبة كلّ راغب وأمنية كلّ طالب فيثبت فيه ويرسب اختبار المختار المنتخب عند دعوة الإنابة والإجابة، فإن ألمّ به شيءٌ من السّرّ المظلم الّذي محلّه الغضب والسّخط فيه يحلّ محلّ الامتحان والاختبار الّذي يدور على قطب معالي السّموّ والرّفعة. فإن هو قاربه التّعب في وصب ضنك الاقتصاص فقد وكّل ذلك بمعاناة الجّهد والاجتهاد حتّى يخلص عند بلوغ ذلك الأمد والأبد والمحلّ والحدّ الّذي يتناهى إليه حدّ المريد، فإذا أكمل ذلك اسلم الأمر وأورده حدّ التّناهي حتّى لا يكون بينه وبين بدو كونه الّذي كون به فرقٌ، ولا خلفٌ، ولا مباينةٌ، ولا مفاصلةٌ، ولا حال عدم وجود ذلك بترتيب ذلك الحظّ الّذي قد سما به وطال وعلا في مبتدأ كون ذلك الكيان.

فجرت بمكونات ذات القدم في بدو حكم القدر الّتي جرت على تدبير الكون في قدم البدو والحدوث، **فإن تمّ ذلك للمريد مع كون المراد صادف ساعة السّعود فسعد فيها أهل القبول والإجابة فقالوا بذلك السّعد زلفة الرّضا** وحبوة الإنابة وقرب عليهم ما قد كان يتبع وتقاربت أفعال كون الخير من محلّ إرادته حتّى يكون بها مسارعاً إلى رضا مريده الّذي يريده لقصد رضاه **وإن هو هفت عن موافقة السّعود لوقته وفرط في طلب ذلك وقصّر عنه خرج بذلك من حدّ القبول والأجابة وصار بحدّ المعاندة** وذوي الأضداد والولائج الّذين يتّخذون من دون الأزل القديم، فعند ذلك يكون من الخاسرين ويعود مع أهل النّدم والحسرة، فهو غارقٌ في مهاوي الحيرة سارحٌ في مهالك التّيه يظنّ أنّه ينجو بمراده إذ هو إرادةٌ ليست له ولا بل هي ثابتةٌ بحيث أنبتها مكوّنها لوقت إبداء تكوينها في كونه وإظهاره بها عند ظهور تكوين كيانها، فذلك الحكم والعدل سابقٌ متقدّمٌ وثابتٌ بحيثه ويجري عليه حكمه في تدبيره وإرادته.

وذلك يا محمد بن جندب مثل الفرق الّتي تفرّقت والأحزاب الّتي تحزّبت بالخلف على طاعة المطاع وتركها من حكمته لما ذاع وشاع، فصارت إلى حيثٍ مظلمٍ ومكانٍ معتمٍ وكونٍ مقتمٍ، وحزبٍ مدلهمٍّ، فتاهت في ظلمٍ متراكباتٍ وحنادس معتمات، فحارت في الذّهاب وانحسرت في الانقلاب، فعلقت بحيث الخسارة وأقامت بمكان النّدم تطلب الموجود عند العدم والمفقود بعد السّدم، قد أكلها الطّمع إلى ترجّي التّعطّف وليس إلى ذلك سبيلٌ لأنّ مخالفة القبول مستوليةٌ مشتملةٌ على جوانح عقد التّحصيل والتّفضيل، **فهي تمور فيه مور السّفينة في لجّة قد غلب الماء سكّانها، تذهب بها الأهواء والحيرة في مهاوي اهلاك، لا يعلق منها متعلّقٌ بما ينجيه من تلك الهلكة الّتي قد استولت عليها وأغمرتها، فهي مدوخةٌ مستدوخةٌ ترسب مرّةً وتطفو أخرى، تعوم في مراسب الغرق، ليس لها خلاصٌ ولا حين مناصٍ، قد تجلّى عليها انعكاس الحيرة واشتملها سربال التّيه**، حيث ما ولّت اختطف منها ما بدر وإن قامت افترس منها ما حذر.

فالقدرة محدقةٌ بها لا خروج لها عن محلّ إرادة المقتدر القادر، وإن كانت ثابتةً على انعكاس التّيه والحيرة والسّفينة، تمرّ في مسالكها ممرّ الرّيح في عصوف الهبوب، تظنّ أنّها ناجيةٌ متخلّصةٌ، وليس إلى ذلك من سبيلٍ ولا عليه تعويلٌ، لأنّ الخلف قد صار بطباع حال الشّكّ، وزال عن حقيقة اليقين، عزمه البصيرة، فهي كذلك في التّيه والحيرة حتّى يظهر لها بدو الظّهور الّذي أوجدها قدم الكون وأثبت عندها إرادة الحقيقة وحثّها على طلب خلاص الجّوهرة الّتي أبداها منها وكوّنها عليها وأجراها على سنن الاستبصار.

كلّ ذلك في بدو نشأتها وذات كونها، إذ هي نورٌ لا ظلمةٌ، فيها وضياءٌ لا قتم يخالطها لمن يلمّ بالشكّ، ولا حلّت محلّه ولا عاينت حيث محلّ الغضب وأحزابه، فلمّا أدارها في إدارة الأكوار المتداومة والأجوار المختبرة وأوجدها رتب الصّفوة في محلّ السّنا العلويّ واختصاصه كوناً بعد كونٍ وثبوته على كون الرّضا بإرادة، وأعلمها أنّ الاختبار واقعٌ بها كما أوقعه بمن تقدّمها حتّى خلص لها الصّفاء والاصطفاء والضّياء والنّور وخلصت من الأتعاب والأنصاب ووضعت عنه الأغلال والآصار.

وصارت روحانيّة القُدُس تجري بجري تلك الأفلاك ومدبّرةٌ بروح الأملاك تعلم سرّ أنفسها في مرادها، وتعلم سرّ مرادها الغاية فيها ومنها لها علم ذلك لا يغرب عنها ولا تعدمه، تحلّ من قدرة القادر حيث أستت وبقدرة من قدرته على ما هملت به، وإرادته أن تكون في الوجود بين العالمين النّورانيّ والبشريّ، إذ صارت إليه بمعنى واحد إن أحبّت أوجدت ذاتها وعيانها، وإن أحبّت غيّبت حيثها وكيانها، وقد أعطيت حظّاً من القدرة ومنزلةً من المراد، وذلك كلّه يبدو السّبق في قديم كون الكيان عند تكوين المكان الّذي هو قديم الأشياء ومدبّرها ومجريها في ذات إرادته السّابقة وحتمه اللاّزم وأمره المبرم وقضائه النّافذ يجري ذلك على كونه أولاً وآخراً بوجود الغيبة والعدم والمداومة والقدم، يجري ذلك كذلك في عالمٍ بعد عالمٍ وكونٍ بعد كونٍ وقرنٍ بعد قرنٍ، وجيلٍ بعد جيلٍ، يصمت في الخطاب ويفصح في الجواب، يُجري الأمور مصادرٌ وموارِدٌ حتّى يقول ذوو الفهم: إنّ القادر ليس بمقدورة قدرته ولا بمدروكة عظمته، وإنّه يوجد في سنا نوره ولا يوجد عند تظاهر ضِدّه الّذي هو مبديه فيهلك بذلك عوالم الارتياب والظّنّ والشّكّ والحيرة أوليّته وآخريّته وإرادته بوجود ذلك في ذاتها وكونها، لأنّه ذو أولى مبتدأة ولا ذو أخرى منتهية خفي عن وهم فكر التّدبير في مراده، ويظنّ [بطن] عن إدراك التّحصيل في وجوده، فهو قائمٌ بذات العزّة بانفراده، ليس له في ذلك مشاركٌ ولا مناويءٌ، ولا ضدٌّ ولا ندٌّ علمه علم معلومات العالم، ليس للعالم من علمٍ بمعلوماتِ علمه رتّب ذلك فيها وقدّره من غير تقدير مقدّرٍ إلاّ بإرادته، فالقدرة من المقتدر ليست كالقدرة من المقدَّر عليه.

ثمّ قال: يا محمد بن جندب: إنّي مبديك ومخرجٌ إليك من علوم ملكوت القديم بما أهّلك الله له ووفّقك لسماعه ووعيه، فإذا طرقك منه علمٌ أبهرك فأدم الحمد لترزق الثّبات وتعطى البلوغ وتستحقّ الزّيادة من علم الله وفضله، فإنّ لله عطاءً يمنحه في وقته، ويمنعه في آخر من أقلّ شكره له فيه فسلبه، ومن زاد حمده عليه خوّله وزادره واتّسع عليه، فكن عند بثّ ذلك إليك مستيقظاً وعنده متيقّظاً، فإنّما جعلتك حجّةً على غيرك تُبدي إليه ما يبدى إليك كما جعل غيرك حجّةً عليك يُخرج إليك ما تخرج إليه من غايةِ علمٍ لا نهاية له ولا آخر لمداه، يزيد في بصيرتك، فإذا استبصرت به ويُزيل عنك شكّك إذا تبيّنت حقيقة ذلك وصرت إلى عزيمة الانقياد في طاعة ما أمر به ونهى عنه.

وحظيت بوفور تكامل المذخور لك عند الله مولاك ربا وعند وليّه وسببه وسبيله الّذي جعله لك سبباً وسبيلاً، يقصد بك مسلك قصده، ويحلّك حيث محلّ نهجه، يفرض عليك ما افترضه عليه ويلزمك ما ألزمه، يأخذ بك حيث أخذ ويعدل بك حيث عدل ويدلّك على نجاتك ويوضح لك نهج هداك.

وقد شاهد منك ما غاب عنك، وقد اتّضح لك فيه ما ذهب عليك، وذلك أنّ الله وكّله وألزمه الاجتهاد في طلب نجاتك وخلاص ذاتك حتّى تكون من فوز عطائه راغباً إليه ومن نيل نعمائه طالباً لديه، قد أفرد ذاته عن حلول شيءٍ من شبهات الأمور لا حدّ من ذلك بالأمر وميسّر فيه للصّبر يكون في مجرى أموره بحسب توفيق موفقه إيّاك لما قد ارتضاك له واختصّك به وأرادك له.

فسمت نفسك إليه ورتّبت عليه ووفقت عنده ليحقّ لك الحقّ ويبطل منك الباطل وينزع النّزغ والزّيغ عنك إذ خصك بالمكان العالي من العلم.

فقال محمد بن جندب: فأبهرني ما أبداني به مولاي أبو شعيبٍ محمد بن نصير صلوات الله عليه من تفضيل اللهِ مولاي عليّ وإكرامه إيّاي واختصاصي به إذ كنت في غير منزلة الاستحقاق لذلك كلّه من تفضّله ونعمائه لم أعدم ذات الشّكر والحمد، وأقصر عن نعت وجوب حقّ الله الّذي أوجبه عليّ. وكيف وقد جعلني سبباً ألزمني الحجّة فيه في الدّعوة إلى حقيقة معرفته، وإن كنت قد وعيت من ذلك ما وعيت وأيقنت من ذلك ما أيقنت، فإنّ ذلك عندي أدلّ مفترضٍ واجبه تعجز عنه الأوهام والأفهام، ولا تقوم به حجّةٌ ولا بيانٌ لعظم خطرٍ وجسيم قدرٍ، فجعلت ألوذ بعاقبة السّلامة وموادعة الكفاية.

فقال لي: يا محمد بن جندب: كن عند موادعة التّسليم واحذر من زلّة التّوهيم، فإنّ من ذلك يكون الكفر العظيم والخروج عن الصّراط المستقيم، فاتّق الله في هلاك حظّك وذهاب أجرك، فإنّ الخاسر لا يربح بعد خسرانه إلاّ ما عليه إثمه.

فقلت: مولاي قد جلّيتني وغمرتني سوابغ النّعم وكوامل الإحسان، فأنا راتعٌ في بسائط نور بصيرتك ومعادن خزائن ذخيرتك، أنعم عليّ من أنعمت عليه وأحسن إليّ من أحسنت إليه إذ جعلتني سبباً وحمّلتني نسباً أذخر فخرك على سائر الذّخائر، وأحتسب فضلك على جميع أياديك، فكلّ ما مننت به عليّ أنت أهله.

فقال: يا محمد بن جُندب ثبُت عندك وأيقنت علم معرفة ذلك حيث صرت من أهله، فقبل ما سلف كنت طالباً وراغباً، والآن فأنت مطلوبٌ إليه راغبٌ فيما لديه، إذ صرت من خزّان علم ملكوت الله الباطنة وأسراره الغامضة، حملت كتاب الأكوار في البدء والنّورانيّة وتكوين كون الكيان في تكوينات الأحياث وعرفت تناهي أمد الأكوار والأدوار والأجوار في ذوات ترتيبها في البداء والكون القديم حتّى صغر عندك جميع كون من كلّ تكوينٍ، وإذا خضت بحجّتك فيه وبصيرتك به دعوة كلّ مدّعٍ ونقل كلّ منقولٍ يزوّر، وسمعت ممّن لم يع ونقلت عن من لم يف حتّى خصّك الله بوليّه وبابه وسببه، كما خصّ أهل السّؤال الّذي سبق إليك شرحه وبيانه بأبي خالدٍ، وإن كنت أنا هو وأنت أحد السّائلين والمستمعين والواعين، شهدت ذلك الوقت، وحضرت هذا العفر، تعلم ذلك من هذا كما علمت هذا من ذلك، وكذلك تجري رتبتك في التّقديرات السّالفة المرتّبة المقدّمة، وقد احتطت بعلم ذلك إلى منتهى السّبع رتبٍ من مراتب الدّرج والمنازل إلى محلّ الباب والأيتام والنّقباء والنّجباء والمختصّين والمخلصين ورتبة الممتحنين الّذين قد ثبت عندك كونهم في رتب الاصطفاء، والصّفاء، والضّياء، والنّور، والتّجوهر عند كلّ مطافٍ وسيرٍ لأهل كلّ رتبةٍ وظهور القديم بكون بابه وبدو إرادة ظهور الأزل القديم بكون قدمه الّذي خصّه به وما أوجده في كلّ كونٍ وحيثٍ من أكوانه وأحياثه الّتي قدّمها وسبق فيها إلى حيث تناهى بكل أوصاف ذلك ونعوته، ووقفت على محلّ غضبه وسخطه وكون ذلك وحزبه ومعدن ذاته وحيثه الّذي تجري عليه تراكيب البشريّة وحلول مزاج الظّلمية وكلّما قاربها فهو كائنٌ بكونها ما دام في ذات الحيث والحزب والكون لا يخرج عن ذلك إلاّ بعد اجتهادٍ عظيمٍ ومعاناةٍ كثيرةٍ يتلف في كلّ درجةٍ منها مائة ألف تلف، ويدوّن فيه مائة ألف نوعٍ من العذاب الشّديد يذوب في كلّ درجةٍ وينحلّ فيها حتّى يصير كخيال الحسّ من أدوات المعاني الّتي عانت بدوام الامتحان لا تحسّ تلك بمحسٍّ بل تكون شبحاً مشبّحاً وروحاً تروح وتمرّ على معادن العذاب ومصارع المصاب وشرب الصّاب من الحميم والزّقوم في أجناسٍ شتّى كلٌّ قد غمره أليم العذاب في قالب الهيولات الّتي هي أدوات التّصفية.

و اعلم يا محمد بن جندب أنّ طول تلك الفرق الّتي تفرّقت وتحزّبت وتكوّنت في حيث الغضب والظّلمة واختلطت به وامتزجت وتفرّست واغترست في المقام

الّذي هي ذاهبةٌ فيه وراسيةٌ عليه. في كلّ درجةٍ يصفو منها شخصٌ إن صفا إلى رجوعه إلى حدّ الامتزاج مائة ألف كورٍ من تلك الأكوار، يعاني فيها قاذورات البشريّة وعكر الجسميّة وذهاب النّور وكون الظّلميّة، ثمّ يعود إلى أشرّ من تلك الحال بأسرع من طرف العين، يكون دأبه فيه وحلوله به ما دام مراقباً لحيث الغضب وحزبه وكونه، ترجع كلّ فرقةٍ من الفرق إلى محلّها الّذي رتّبت فيه في بدو عيان الحيث وحزبه وكونه في كلّ ألف ألف كورٍ من الأكوار النورانيّة.

فإذا وافق قران التّخلّص عن تلك الدّرجة والرّتبة عاودها كدر الحيث والحزب والكون والغضب الظّلمي، ثمّ يردّها إلى بدو الكون من ذاتها الأوّل في الكرّ والردّ بهم، ويرجع بهم، فهي كذلك وعليه مداومةٌ للمزاج في حال الاختلاط بها في مفارقة حالٍ مقارنةٍ في حالٍ تجري على غيوب مكوّناتها في بدو تكوين ذات كيانها لا يتقدّم عن تأخيرٍ ولا يتأخّر عن تقادمٍ يجري بحسب رتب التّدبير بالقدرة السّابقة الأولى الّتي عليها بدو ذات كونها في القدم الغابرة والأكوار الدّائرة الّتي هي في تناهي كيان الحدوث الّتي سبقت إليه بالتّرتيب الأوّل عند تدبير المريد للإرادة في كونه الّذي كوّنه على إرادةٍ في سبق حلية العوالم الخاصيّة الّتي هي في تقدمة الحدوث والكيان يجري ذلك بمجرى القدرة من القادر المقتدر على اقتدار المقتدر حتّى ترجع القدرة إلى معدن ذاتها الأوّل وحيثها القديم، فهو معها حيث أقامت ومعها حيث طافت، لا تعدم وجود غياب ذاتها وقدرتها في موجودات كونها وحيثها وتدبيرها به متحكّمٌ، أحكم الحكمة قبل استحكام التّحكم في تدبير تكوين ذات العوالم السّالفة القديمة، فعلم أنّ ذلك غير خارجٍ عن مراده في طول آماده ومدده الّتي أمدّها بعلمه على عوالمه في لطائف أمره وآخره وظاهر ذاته وباطنه، يعجز الخلق عن إدراكه.

و اعلم يا محمد بن جندب أنّ القديم في قدم كون الاقتدار أبدى كلّ ذي خاصيّةٍ من كونٍ وحدوثٍ بمادّة اقتداره عليها بحسب طاعته وانقياده إلى الإجابة والثّبات، فجعل كلّ رتبةٍ عاليةٍ ساميةٍ تعرف كلّ رتبةٍ تبعتها، وأنحلها درج الارتقاء والحلول حتّى صارت مشاهير المحلّ وأعلامه وأنواره، يقصد القاصد بما يريد من الإشارة إليه ويعظّم محلّه، ويكون له عند وجود الظّهور من الأزل الّذي هو المعنى القديم وظهور القديم وإيجاد ذات الرّتب بظهور الأزل القديم حتّى يتبيّن فضل رتبة رتبة ودرجة درجة، ومنزلة منزلة، يشرق بذلك أهل الدّرج والمراتب والمنازل

العاليةِ عند ظهوره وإيجاده لهم بظهوره في كونه وحيثه، يبدي إرادته في الحدوث والتّكوين باستطاعة المادّة الّتي أمدّها أهل المراتب، فيجعل لهم بذلك قدرةً تجري بقدرته عند إرادته ومشيئته، ثمّ يحتجب وتبدو وهي بتلك القدرة والاستطاعة، كلّ ذلك تفضيلٌ واختصاصٌ كوّنه بتكوين كيانهم عند عيانهم، ووجوده وظهوره بين عوالمه يجري النّور في ذات ملكه وسلطانه دائماً غير منفصلٍ ولا متجزّيء ولا متبعّض، ولا معاناً على حال الاستعارة الدّائمة، بل تجري بإرادته في البريّة من العالمين النّورانيّ والبشريّ اللّذين عليهما جرت الرّتب في كون الحدوث بإيجاد ما أوجدها وجوده عند ظهوره مع موجودات مقابته، فداوم الموافقة لها في ذلك المحلّ من الدّنوّ خمسين ألف كورٍ.

ثمّ أبدى ذاته لها بوجود التّجوهر الّذي هو به متجوهرٌ، فأوجدها أنّها بالانقياد والقبول تتجوهر بذلك التّجوهر الّذي هو به متجوهرٌ، فسارعت إلى الانقياد عند ذلك الوجود، وأكملت بذلك القبول واستوجبت الاصطفاء والاختصاص، **فلمّا أبدت ذلك إليه أوجده للنّجم الأوّل، وأوجده النّجم الباب، فأبدى الاسم بعلمه لهما وأوجدهما أنّه أعلم بتكوينه من علم تكوينه بذات كونه وأبدى إلى الباب مبادرة المراد منه بالاصطفاء، فبدا لها الباب فأوجدها قبولها الّي قبله من النّجم الثّاني وأنّه سبّبها إلى الاختصاص والاصطفاء، فجوهرها بإرادة مكوّنها وأبداها بالتّجوهر في الحيث للكون كلّه جمعاً، وأوقفها للعيان** فكانت مراعاة الكون خمسين ألف كورٍ بحيث محلّ تجوهرها، فلمّا أكمل لها مدى ذلك سيّرها في الحيث والكون، فجالت بذاتها خمسين ألف كورٍ، **ثمّ أقرنها بالنّجمين فضمّها ضمّاً واحداً وأحلّها محلاً واحداً وكوناً واحداً وأوجدها لذّة الاصطفاء ورتبة الاختصاص، فصارت خمس متجوهرات بجوهر واحدٍ وصار المقمر المبدر المهلّ بذاته في تجوهره الخاصّيّ الّذي أنحل كلّ متجوهر وأبداه كما أنحل النّور كلّ نورانيٍّ وأبداه به في كونه، وصارت الشّمس المتجوهرة بالسّماء بذاتِ كونها موجودةً بإيجاد ذاتها أنّها مكوّنة كلّ كيانٍ ومجوهرة كلّ متجوهرٍ، وغاية ذلك ونهايته،** فأمّد الأزلِ ذلك لنفس إرادته وقدرته ألف ألف كورٍ، وأمد الإسم ذلك لنفس إرادة أزله وقدرته الّتي قدرت بها حتّى قدّرها خمسمائة ألف كورٍ. وأمدّ الباب ذلك لنفس إرادة مكوّنه وهو الإسم مائة ألف كورٍ، وأمدّ النّجم الأوّل ذلك لنفس إرادة النّجم الأوّل مَدَى أَمَدِ النّجم الأوّل، وهو خمسون ألف كورٍ،

فكانت في اقتراب الاجتماع ألف ألف كورٍ وسبعمائة ألف كورٍ، لا زائلة إلى حيث ولا مبدية في كونٍ ولا ذاهبة بأينٍ.

فلمّا أكمل لها ذلك المدى من الأمد اتبعت سيرها فسارت بسير النّجمين حيث سارت وحلولها حيث حلّت، فأدامها في سيرها ومطافها تابعةً في ذلك غير متبوعة، وذلك أنّها تابعةٌ للنّجمين الأوّل والثّاني، كما أنّ النّجمين تابعان للتّجوهر بالشّمس، وكما أنّ التّجوهر بالشّمس تابعٌ للتّجوهر المبدر المقمر المهلّ، فكان يكون تابعاً حتّى إذا أكمل في تناهي صفوة أمد الاصطفاء والاختصاص، فاصطفى واستخصّ بمادّة المراد فيه فيصير عند ذلك تابعاً متبوعاً، وذلك أنّه يكون تابعاً لمصطفيه ومختصّيه ومختبره ويكون من اصطفاه واختصّه واختبره بمادّة المراد منه تابعه، فكانت الثّلاثة الأنجم المتجوهرة تابعةً للنّجمين غير متبوعة، لأنّها ما أكمل لها الّذي أكمل للنّجمين ولا حلّ محلّهما، فتداوم مدى ذلك السّير بالاتّباع مدى ألف ألف كورٍ وسبعمائة ألف كورٍ، بإزاء الأوّل من الأمد في التّرتيب.

فلمّا أكمل ذلك لهم أبدى الظّهور بذات الأزل للكون جمعاً، **فأبدى ما أبدى وأظهر ما أظهر من الوجود** مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى الاسم بوجود ما أوجد وإبداء ما أبدى وإظهار ما أظهر مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى الباب بوجود ما أوجد الإسم، وإبداء ما أبدى وظهور ما أظهر مائة ألف كورٍ، **ثمّ أبدى النّجمين بوجود ما أوجد الباب،** وإبداء ما أبدى وإظهار ما أظهر خمسين ألف كورٍ، **ثمّ إنّه أبدى الثّلاثة بإبداء ما أبداه النّجمان وإظهاره ووجوده،** فطافوا بالحيث والكون على ما بديا به ونعتا له خمسين ألف كورٍ، وصار بذلك في خاصيّة الباب وأدوات إرادته كما رتب المكوّن تكوينه فيهم، **فصارت مادّة هؤلاء الثّلاثة المتجوهرة من جوهرة النّجم الثّاني، وهو يا محمد بن جندب أبو ذرٍّ في ظهوره بالبشريّة وله منزلةٌ كبيرةٌ أوجدها الإسم من سلمان بأبي ذرٍّ.**

تفضيل نجم على نجم

وذلك يا محمد بن جندب أنّ السّيّد الأكبر الأجلّ الأعظم داع يوماً بالمقداد، فقال له: إنّي قد أهّلتك لأمرٍ أبيّن به منزلتك منّي ومحلّك عندي واختصاصي لك دون كلّ تكوينٍ كوّنت بعد تكوينك.

فقال له: وما ذلك يا مولاي؟

فقال: إنّي أبعثك مع سلمان إلى أرض اليمن لتبدي هنالك ما أريد.

فقال: يا مولاي: وهل للمقداد غير امتثال ما قدّمته إليه وأمرته به ومسارعة إمضائه !

فقال: إنّي أمدّك بالقبض والبسط.

فقال له: ذلك بتفضّلك عليّ.

ثمّ دعا سلمان من حيث لم يوجده المقداد، فقال له: إنّي أبعثك إلى أرض اليمن لتبدي هنالك ما أريد.

فقال له سلمان: أنا أمضيه بإرادتك على وجودِ أمرك ونهيك.

فقال له: وإنّي قد أبعث معك المقداد وإنّه موفّقٌ لإمضائه على حقيقة توفيقي له بإرادتي.

فقال: يا مولاي، وهل تدفع سلمان إلى معاونةِ كونٍ من أكوانك وأنت عونه ومكوّنه.

فقال: يا سلمان إنّي أشرّقه وأعلى منزلته فَأَعلّهَا بحسب إرادتي في علوّها، وإنّي أنحله جميع ما أنحلك مولاك.

فقال: يا مولاي، وذلك كلّه لك أن تُخرج سلمان عن قدر قدرتك.

فقال له: كن كما قدّمت فيك له، فخرج سلمان وعاود المقداد مقالاً ثانياً، وقال له: إنّ سلمان ذو إرادةٍ حقيقيّةٍ، وعزيمةٍ صحيحةٍ، فكن له من حيث هو به.

فقال: يا مولاي، طاعةً لازمةً، وأمراً نافذاً أَفِدُ إليهِ في البُكُورِ.

فقال المقداد: أنا أبْكِّرُعلى سلمان.

و قال سلمان: أنا أُبَكِّرُ على المقداد.

فلمّا بدا الفجر لاتّجاه الضّحى، بكّر سلكان إلى المقداد فوجده راقداً فأراد أن يوقظه، فتداركه ما قدّمه إليه مولاه، فأمسك عن إيقاظه وجلس يرقبه، فرقد سلمان واستيقظ المقداد.

فقال: بكَّرَ سلمان ولم أُبكّر عليه، وقد رقد، وما ذاك إلاّ من أرقٍ أرقه في ليلته فأوقظه، فلمّا همّ بإيقاظه تداركه ما تقدّمهُ من أمر مولاه إليه. فأمسك عن إيقاظه، فكانا في قبولهما بمنزلةٍ وأنّ المقداد دخل إلى مخدعٍ له فوجده فيه نجيبين قد أُعدّا برجلٍ وزادٍ وآلةٍ لا يعدم المسافر عليهما ممّا يُريد له ولراحلته.

فقال المقداد: إنّ سلمان أعدّ واستعدّ للرّحيل والمقداد راقدٌ، فإنّه لعلى ذلك حتّى استيقظ سلمان مسرعاً وقال: هي الآن يا مقداد.

فقال: رحباً وحبّاً يا سلمان، هلمّ الرّاحلتين من المخدع، فقال ذلك المقداد لسلمان مقال من يقول هاتِ ما وضعته في موضع كذا وكذا، فبادر سلمان إلى المخدع فاستخرج النّجمين وهما بكمالهما فقال: منهما رقد المقداد لأنّه كان أعدَّ واستعدّ للسّفر، وسلمان راقدٌ و ما استعدَّ، فكان الظنّ بعضهما ببعضٍ واحداً يبديا ذلك ولم يعاوداه ولا سأل أحدٌ صاحبه عن حال ما بدا له، فأناخا النّجيبين وعلوا على كوريهما، ثمّ سيّراهما، فسارا، فكانا بسيرهما في أرض اليمن، فأناخا ونزلا.

فقال سلمان: هذه أرض اليمن وإليها بعثني ولم يبد لي مولاي ما أقدمه من أمره، ولست أشكّ أنّ تقدمته بمراده الّذي بعثني به قد عهده إلى المقداد، فهو يبديه، وأقبل المقداد يرتقب ما يأمره به سلمان ويقول: إنّ مولاي بعثني لأمره إلى أرض اليمن، ولم يبد لي ما أتاه، ولست أشكّ أنّ تقدمته بذلك إلى سلمان فهو يبديها لي عند إرادته، وكان سلمان يبدي سؤال المقداد فيردُّه عن ذلك ما قدّمه إليه مولاه في المقداد، وكذلك كان المقداد في حال سلمان، فكانا في حالٍ واحدةٍ بالظنّ بعضهما ببعضٍ، فإنّهما على ذلك يا محمد بن جندب حتّى ظهر السّيّدُ الأكبرُ للمقداد واحتجب

عن سلمان لإرادته في المقداد واختصاصه له، فلمّا رآه المقداد همّ بالسّجود، فأشار إليه بحبس ذلك، فوقف بحيثه، فجعل السّيّد الأكبر يخاطب المقداد والمقداد يخاطبه، وسلمان واقفاً قد حجبه عن وجود ذلك ومعاينة ذاته، ثمّ قال له:

يا مقداد اركض [أركل] برجلك في هذا الموضع، فركض المقداد برجله، فأنبع عن بحرٍ عجاجٍ ما مرّ نظر سلمان، فقال سلمان للمقداد: ما هذا؟ فقال: بهذا أمرني وعن أمره فعلت، فلم يعد سلمان على المقداد، وجعل يتأمّل البحر وعظمه والمقداد واقفٌ ينظر ما يأمره به مولاه فيمتثله حتّى ظهر في ذلك البحر مركبٌ بآلةٍ معدّة ما فيه أحدٌ، فقال السّيّد الأكبر للمقداد: اركب أنت وسلمان في هذا المركب وامضيا إلى حيث أريد، وقل لسلمان إنّ مولاي قد أمرني أن آمرك أن تدبّر هذا المركب حتّى يصل إلى حيث أمرني، فإنّ سلمان لينظر إلى البحر حتّى بدا المركب بعدّته وصار إلى جانب البحر الّذي فيه سلمان والمقداد وقوفٌ عليه.

فقال سلمان للمقداد: أما ترى إلى هذا المركب قد أقبل حتّى وقف بحيث نحن وقوفٌ؟

فقال له المقداد: فإنّه أمرني أن أركب أنا وأنت فيه وأن تكون أنت مدبّره، حتّى يصير بنا إلى حيث أمرني.

فقال سلمان: أوقد أمرك بذلك؟

فقال: نعم.

فقام سلمان وسارع إلى أمره، فارتقيا إلى المركب، وجلس المقداد وجعل سلمان يصيح ما يحتاج إليه من أمور المركب، وكلّما مدّ يده ليصلح منه حالاً وجدها مصلحةً وقد فرغ من إصلاحها، فأقبل إلى قلع المركب، فسيّره، ثمّ مدّ يده، فجعل يعلو بغير ألمٍ من سلمان حتّى تناهى به إلى عُلوِّ المركب، وجعل يمرُّ كالرّيح العاصفة، فأقبل سلمان على المقداد، وقال: أين يقصد بنا هذا المركب، ولا نعرف مسلك هذا البحر، ولا ما عليه!

فقال له المقداد: إنّه إذا وصل إلى حيث يريد وقف فيه، وبذلك أخبرني، فما كان إلاّ طرفة عينٍ حتّى وقف المركب على جزيرة في وسط ذلك البحر كثيرة

الغياض والشّجر والنّبات، فلمّا وقف بهما المركب صعد المقداد وخلّف سلمان في المركب، فلمّا توسّط المقداد الجّزيرة ظهر له السّيّد محمّد وقال: يا مقداد، إذا وصلت إلى موضع كذا وكذا من هذه الجّزيرة، فإنّه يظهر لك فيها خلائق من خلقي ليس لهم بمعاينة مثلك عادةٌ فسيذهلون عنك، فقل عندما يولّون «كركر كنكر» فجعل المقداد مارّاً في تلك الجزيرة حتّى ظهر له فيها خلائق وأممٌ لا يحصيهم إلاّ الله، فلمّا عاينوا شخص المقداد مرّوا عنه هاربين ذعراً، وفزعاً، فناداهم بما قاله مولاه، فما أتى على آخر الكلام حتّى تراجعوا نحوه ولاذوا به، وجعلوا يمرّغون خدودهم على التّراب ما فيهم أحدٌ قائماً على قدمٍ، ثمّ أقبل لهم جمعٌ عظيمٌ في وسطهم شابٌّ من أحسن النّاس صورةً وأتمّهم حُسناً، وإذا عليه ثيابُ حريرٍ أخضرَ وعلى رأسه تاجٌ من الجّواهر وما من أحدٍ من الجّماعة المحدقين به إلاّ وعليه تاجٌ من ذهب وفضّة مرصّعٌ بالجّواهر، فجعل ذلك الشّابّ والجّماعة يلوذون بالمقداد ويتضرّعون إليه، وهو مع ذلك لا يبدي بنطق كلمة، فظهر له مولاه وقال له: يا مقداد: إنّ مولاي بعثني على أن أسألكم عن المعبود والمحمود.

فقالوا بأجمعهم: المعبود هو ربّ المحمود، والمحمود ربّ كلّ مخلوقٍ في السّماء والأرض، ونحن بذلك مقرّون هي فطرة فطرنا عليها المحمود.

فقال له: اسألهم أين محلّ المعبود والمحمود؟

فسألهم، فقالوا: هما بحيث كلّ حيثٍ، وبحيث ليس بحيث، لم يحوهما محلّ حيث فيقال هو حيثهما، فالمعبود حيث المحمود، وهو ما لا وصف له ولا نعت يقع عليه، والمحمود هو بحيث أنت واقفٌ، وبحيث يريده من الأرض، وبحيث حيث منه، وفي جميع أحياث الأرض والسّماء، وأقطارهما يعمّهما جمعاً بذاته كما يعمّما بعلمه بعثك إلينا وحاضرٌ فينا، تسأل أنت وهو السّائل لنا ويردّ عليك وهو المسمع منّا، أراد بذلك تفضيلك واختبارك، لأنّه علم منّا، فلمّا أتوا على آخر هذا الكلام ظهر مولاه فحجبهم عنه حتّى لم تبد له منهم نسمةٌ واحدةٌ، وكأنّه كان لم يعاين منهم أحداً.

فقال له: يا مقداد اعرف فضلي عليك وما خصصتك به، فخرّ عند ذلك المقداد لوجهه ساجداً يبدي حمداً وشكراً.

فقال له: ارفع يا مقداد، وخذ ما أتيتك بقوّة، فلمّا رفع المقداد رأسه ظهر له ذلك الشّابّ الّذي كانت تلك الخلائق لائذةً به، وليس معه غيره، فخلع عليه ما كان عليه من لباس الحرير، وتوجّه بذلك التّاج، وانصرف عنه، فظهر له مولاه، وقال: يا مقداد ارجع إلى سلمان، وقل له يدبّر المركب حتّى أصير بك إلى حيث أريد، فرجع المقداد إلى حيث سلمان، فلمّا أشرف عليه بتلك الحال استعظمها، وقال: من أين لك هذا اللّباس يا مقداد؟

فقال: هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر.

فلم يُعد عليه سلمان شيئاً آخر.

فقال له: قم يا سلمان دبّر المركب حتّى يصير إلى حيث يريد للأمر الّذي قد أتى فيه، فقام سلمان وأخذ فيما أخذ فيه أولاً وسار بهما المركب.

يا محمد بن جندب، فطاف سلمان والمقداد في تناهي السّبعة أبحر وأحلّها أقطار الأرض كلّها وعنان السّماوات كلّها، فأطاف سبعين ألف أمّة مثل الأمّة الأولى، وخاطبهم المقداد بما خاطب به من قبل وأجابوا كما أجابوه أولئك، وكلّ ذلك يعاينه المقداد وحده لا يجده سلمان يخاطب فيه، فلمّا تمّت إرادة المولى في تشريف المقداد واستخصاصه له وما أنحله من فضله وأمره قال له: قل لسلمان يدبّر المركب، فعاد في آخر عوداته وقال: يا سلمان دبّر المركب.

فقال له سلمان: يا مقداد قد أجهدت فيما أنت له وأخذ بتدبيره، وقد خطف عليّ ولوى بهما المركب، فما كان إلاّ طرفة عينٍ حتّى وافى بهما المركب إلى الحيث من أرض اليمن بحيث النجيبين واقفين، فارتقيا من المركب، وظهر له مولاه وقال له: اركض برجلك في البحر، فركض برجله على وجه ذلك البحر، فذهب من حيث بدا منه حتّى كأنّه لم يبد، وجعل سلمان ينظر إلى المقداد ويقول له: أين البحر الّذي كنّا فيه، فقال المقداد: ذهب به مبديه إلى حيث أبداه، وبذلك أمرني.

ثمّ قال له: اركب يا سلمان، فركب سلمان نجيبه والمقداد نجيبه، وأثارهما، فما ثارا حتّى أنيخا بباب المقداد، فنزلا عن كوريهما، وقال المقداد لسلمان: خُذ النّجيبين إلى المخدع الّذي كانا فيه، فأخذهما إليه وسمعا إقامة الصّلاة، صلاة الفجر، فبادرا

إلى المسجد وصلّيا مع النّبيّ صلعم، فلمّا انفتل النّبيّ من صلاته أقبل على سلمان وقال له: كيف كنتما فيما أمرتكما به؟

فقال سلمان: يا رسول الله، قد أمضى المقداد ما أمرته وامتثل سلمان ما قدّمته، فسل المقداد تجده بذلك أخبر من سلمان، أراد بذلك أنّ المقداد كان المعاين لما أمضيته له وفضّلته به، فقال: صدق سلمان، ذخرت ذلك للمقداد مذ حين بدو كونه ووجوده كما ذخر لك مولاك ما استخصّك به حين بدو تكوينك ووجودك، وكان ذلك المطاف والتناهي الّذي تناهى بهما ومعاينته تلك الأمم فيما بين الأذان أذان الفجر إلى أن أقيمت الصّلاة.

يا محمد بن جندب وللمقداد من السّيّد محمد أوصافٌ مثل هذه الأوصاف كثيرة فأنا أبدي لك منها ما ينسق بها الأخبار عند وجود الشّرح، وكذلك لسلمان من الأزل أوصافٌ استخصّه بها وشرّفه وأوجده وبعثه فيها وشرّفه وأوجده وبعثه فيها من حيث لم يوجدها محمد لسلمان ولا أبداها له، فلمّا بدت لسلمان من إرادة الأزل أبداها سلمان لمحمد، وكان علمه بذلك بكونه ثابتاً موجوداً، فلمّا أبداها سلمان إلى محمد علم أنّ ذلك اختصاصٌ منه له وتفضيلٌ وعلوّ منزلةٍ، وأنا أبدي لك من ذلك عند موافقة الشّرح لما يوجب إظهاره لك، فاحمد مولاك على ما حباك واسأله الزّيادة من تفضيله عليك.

قال محمد بن جندب: ثمّ أعادني سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير صلوات الله عليه إلى الشّرح الّذي كان شرحه، فقال: فكانت موادّ الإرادة تبدو من الأزل إلى الاسم، ويمدّها الاسم إلى الباب، **فيظهر الباب إلى النّجم الأوّل عليها، فيكشف النّجم الأوّل ذلك إلى النّجم الثّاني، فيعمّ النّجم الثّاني بعلم ذلك الثّلاثة الّتي تجوهرت بجوهره**، فكان ذلك فيهم بحدّ الكمال إلاّ أنّها مواردةٌ بعضها يمدّ إلى بعضٍ، ويوجد بعضها بعضاً، فكانت كذلك مائة ألف كور، فبدت الإرادة والتّكوين من الاصطفاء إلى النّجوم الخمسة، فظهرت في الحيث كلّه والأكوان كلّها بظهورٍ واحدٍ في الوجود إلاّ أنّها يتقدّم بعضها على بعضٍ، بعضها يقتفي أثر بعضٍ كما جرت رتبة الاصطفاء والاختصاص، فطافت في الحيث والأكوان بذاتها بغير ظهور الباب والاسم ولا وجودهما إلاّ أنّهما حالا عن الكون والكيان والحيث بل أوقعا الاحتجاب على الحيث والكون، فطافت مائة ألف كورٍ يبدي فيه كون قدرة المقتدر عليها ومنزلة اصطفائها

واختصاصها في المنزلة، فكان ذلك منها على سبيل الإيجاد للكون ذات التكوين أنّها منذرة لها بكونها وداعية لها إلى الرّتبة الّتي خلّتها، فمرّت في الحيث والكون ذلك المدى تظهر ذلك وتبديه في كلّ محلّ يحلّه من الحيث والكون، فأبدت إرادة التكوين حين تناهي بها مراد المكوّن إلى حيث أبدى تكوين ما كوّنه وأوجد ظهوره وتجوهره بعدما أن حلّت في محلّ ظهر لها في اثني عشر كوناً بنور واحد وذات واحدة، فوقفت الخمسة نجوم مقابلة تلك الاثني عشر ووقفت عن السّير والإطافة بالحيث والكون، بحيث وقوّة الاثني عشر إذ كانت غير مسيّرة، ولا مطاف بها في الحيث، فكان مبلغ وقوفها بإزائها مائة ألف كور تبدي لها ما اختصّت به من إرادة المكوّن لها فيها وما أنحلها، وأنّه ليس في الحيث والكون سابقٌ سبقها ولا متقدّمٌ تقدّمها، فكانت الاثني عشر توجد أنّ كونها وإن كانت في صفاء تكوينها منفردة عن كيان مثلها المكوّن كونها كما أنها هي في ذلك الحيث والكون أعلى منزلة وأكمل صفاء وأصفى ضياء وأعم نوراً.

وأنّ تكوينها بذلك من مكوّن ذلك الكون الّذي في الحيث الذي في الحيث، فلمّا أتمّ لها مائة ألف كور من الوقوف، وبث في الحيث من المحل حتى قربت من الاجتماع معها وقفت فيه كوقوف الأول وهو مائة ألف كور، تبدي ما يبديه وتظهر ما يظهره لها ويجدها بحال وجود ذلك ثابتة على الاعتراف والتّسليم للمكوّن الذي هو غاية كون تكوينها، فلمّا أكمل لها ذلك المدى حجبه الاسم عن الوجود وأظهر لها الباب بذات الشمس، فأشرق عليها وغمرها بنوره وأبدى ذاته بقدرة السّير والمطاف بها يحلّ بها في محلّها وفي جميع الحيث والكون محلاً واحداً لا يتجزّأ في مسيره ولا يتبعض في حلوله، فأكبرته الإثني عشر وأوجدت ذاتها أنه مكوّن ما كان بدا لها من الخمسة التي ألمّت بها وأظهرت لها ما أبدته من تعظيم محلّها في الحيث والكون وأوجدت أن المبتديء لها هو المبتديء لكون الظّاهر لها وأنّه مكوّن من تكوين مكوّن وأنّ الغاية لا تدرك وإنّما ظهر لها من المكوّنات موجودة فبقيت تلك في سيرها، فكان الباب مبديا ذاته لها يطوف بها في سيره، ويحلّ عندها في محلّها مائة ألف كور، وهي بذلك الاعتراف غير خارجة منه ولا زائدة عليه، فلمّا كمل ذلك من الباب مائة ألف كور حجبه الإسم عن ذات وجوده في الحيث والكون وظهر هو به، فأمدّ بظهوره ما كان قبضه الباب في مسيره، وقبض ما كان بسطه وغمره بنور ذاته

جميع أنوار الكون والحيث حتّى لم يوجد في الكون نورٌ وغشيت هي في النّور حتّى اضمحل عند وجود ذلك النّور نورها، فلمّا أبدى الإسم ذلك من إرادته أوجدها أنّه مكوّن ذلك الكون الّذي ظهر به وأوجده أنّ جميع المكوّنات هو مكوّنها وإليه تكوينها، فكان ذلك من ظهور الإسم لها مائة ألف كور، وهو على وجود ذات القدرة المقتدرة، فلمّا أتمّ بها ذلك من مراد الإسم وإيجاده بذات إرادة الأزل بالإسم بوجود ذاته الّتي أوجد أنّها ذات اسمه ظهر بالمهل المبدء المقمر، وهي ذات الإسم الّذي أظهرته بوجودها، وأبداها عند الوجود لها بظهوره بذات كونها فأبدى الأزل ذات الظّهور من إرادة إيجاده لها أنّه غاية كلّ موجود وحدثه وأزاله، **فلمّا بدا لها دلّت كونه بإرادة الظّهور وخرّت كلّها ساجدةً، قد حلّت في السّجود عندما أنحلّها التّشخيص بالأحرف الّتي أبانها للتّعريف والتّرجمة والاختيار، ولكلّ نطقٍ وإشارة، وعليها** دائرة كلّ موجود وبها يُعراف ولا يُنسب، **فصارت بذلك السّجود في الأحرف ساجدة ما فيها حرفٌ منتصباً وسلّمت بذلك السّجود أنّ الظّاهر لها ليس هو كمن ظهر من قبله**، وأنّ كلّ ظاهر ظهر لها أوجدته بحدّ تكوين، ولم تجد لمبدي هذا الظهور تكوين كيان، فثبت لها أنّه الأزل، فأسعدها بذلك وأسرع لها التّجوهر، فأبدى إلى الإسم إبداء تجوهرها وأبداه بكونه الّذي ظهره هو به لها وأظهر بابه بظهوره. وأظهر الخمسة بظهور بابه، فوجدت المكوّنات كلّها بحيث ظهوراً واحداً، فثبت على وجودها بأنّ المبدي لها ولكونها ليس إلّا بقدرة قادر من مقدوراته وأنّ المكوّن لها هو الظّاهر لها وبوجودها أوجدت عند ظهور الغاية لها، فأبدى لها الإسم ذاته بحقيقة الوجود وأبدى الباب ذاته بحقيقة الوجود، وأبدت الخمسة ذاتها بحقيقة الوجود، فأجابت الإثني عشر بإجابة واحدة، وقبول واحد، لم يتأخر فيهم متأخرٌ، ولم يتقدّم منهم متقدّمٌ.

فرتّب لها محلّ العلو، فجعلها بروج ذلك المحل الّذي أنحل الباب التّسمية به وهو السّماء وأدارها به وجعلها منازله الّتي نزل بها ويحلّها في الظّهورين بالإسم والباب، وجعل الخمسة نيّرة بها والشّمس الّتي هي الباب قطبها محلّ شرفها ونهى حيثها، فتسامت في ذلك من المحلّ والمنزلة العالية والرّتبة الجليلة مائة ألف كور، وأبداها للكون في الحيث بوجود التّجوهر الّذي الخمسة متجوهر به وهي ثابتة في الحيث بغير تسيير ولا إطافة في الحيث والخمسة طائفةٌ بها، وكذلك الشّمس، فلمّا أتمّ لها ذلك وأكمل لها نعت التّسمية أوجدها ذات النّطق من نطق ما سبق لها بإذن

السّير، فسارت في الحيث والكون، فأوجدت ذاتها في جميع الحيث لجميع الكون، فكانت سائرةً في تقديرات ترتيبها من الحيث **والخمسة الّتي هي نيّرةٌ بها تسير بسير الباب الّذي هو الشّمس في الحيث كلّه الّذي هو محلّه واسمه السّماء تعمّها في مسيره وتسير الخمسة معه، فتحلّ بحيث حلّ وتكون بحيث لا تعدم في حيث حلّه ولا كونٍ كان فيه**، فكانت على ذلك من التّرتيب مائة ألف كورٍ تعاينها مكوّنات الحيث بما قد أحلّها فيه المكّن وما أمادها إليها، وتمرّ بأحيات التّكوينات، فتحلّ فيه على حسب ترتيبها من السّير والمطاف مائة ألف كورٍ فنقّب بها الأحيات بوجودها وأبدى تجوهرها في جميع الكون بعد أن كانت غير متجوهرةٍ، فأوجدها الكون بوجودها بالتّجوهر أنّها تؤوّل جميعاً إلى التّجوهر عند استكمال ما رتّبت له في التكوين كما استكملت فتجوهرت، **فلمّا بدا فيها ذلك من مراد الوجود والتّكوين أبدا إلى الباب فاستخصّها في رتبة المنازل والتّقديرات، وجعلها مبدآت إرادة المريد في مكوّنات الحيث**، فأبداه وألمّ بها وبثّها في الحيث والكون ومعدن القصد الّي يراد بدأه في تكوين كيانه الّذي قد كمل تكوينه، فأمّدها بذلك مائة ألف كورٍ، ثمّ أمّدها بإيجاد ما أوجدت، فطافت بالحيث بجمعها في محلّ الأكوان يبدي ما أمدّت به من مراد المكوّن والمنزلة الّتي أنحلها إيّاها والتّجوهر الّذي جوهرها به، وكان ذلك منها إلى الأكوان نطقاً وإيجاداً، **وذلك أنّ النّطق كمل بإجابة الإثني عشر ترتيب إحصاء الدّهور والأيّام والشّهور والظّهور والمواقيت** واجتمعت على أحرف الاسم والباب والأيتام وأحرفها، وكانت بالخمسة الّتي انضافت هي إليها بدو الظّهورات والمقامات في الأكوار النّورانيّة وعليها رتّبت أكوار البشريّة وظهوراتها ومقاماتها، ودلّ على عدّها في البشريّة بتوقيت الصّلاة وهي ظهورات المقامات لا توجد إلاّ عند إظهار وجود هذه المنزلة الاثني عشر والخمسة، فبانت عن الباب وعن الخمسة في جميع الحيث والكون، فأبدت للكون الظّهور بذلك الحال مائة ألف كورٍ حتّى أكمل لها المطاف والسّير إلى حيث محلّ الانبحاث من الكون في الحيث، فبدا لها ضياء نورها وتكامل ذاتها في حيثها وتساوي كيانها، فوقفت بحيث وجدت ذلك الكون بذلك الوصف في الحيث، فأبدت لها ذاتها في تكوين التّجوهر وعلوّ المنزلة وضياء النّور ومحلّ السّنا، فكانت كذلك خمسين ألف كورٍ.

فلمّا كمل ذلك من إبداء ما أبدت وجدتها بكون الثّبات عن تداخل التّوهّم فيما كوّنها الكون به في بدو التّكوين، **فلمّا تمّ ذلك المدى دنت الإثني عشر من ذلك المحلّ، فوجدت عنده ما حلّ في ذلك الحيث من الكون، فإذا هي ثمانية وعشرون كوناً بحالٍ واحدةٍ ومنزلةٍ واحدة**، فلمّت بها وقاربتها في المحلّ، فداومت بثّ ذلك الوجود الّذي أوجدته والمنزلة الّتي أنحلتها خمسين ألف كورٍ، فكانت مع ذلك على بيانها في وجود ما أوجدوا، فلمّا كمل بذلك حجبت ذات الإثني عشر عن كونها وذات وجودها وظهرت لها الخمسة في المحلّ الّذي كانت حلّته الإثني عشر، فأبدت إليها وجود ذاتها وتجوهرها إذ كانت أعلى نوراً وأصفى تجوهراً خمسين ألف كورٍ، فوجدتها الخمسة في حال ثباتها أوكدَ رُتبَةً وأعظم ثباتاً ما يداخلها فيها وهمّ كما لا يداخلها في الإثني عشر وإن كانت هذه أعلى وأعظم وأرفع وأجلّ وأكبر، فلمّا أكمل ذلك لها حجب ذات الخمسة عنها وبدا لها الباب في ذات كونه الموجود به وهو الشّمس محلّ المحلّ الّذي كان حلّه الإثني عشر والخمسة، فأبدى وجود ذاته وضياء نوره وتجوهره وعلوّه وسموّه على كلّ موجودٍ وجدته.

فثبت لها وعندها أنّه كون مكوّن ما تقدّم عندها من التّكوين الأوّل وأنّ المنزلة الّتي أبداها وحلّها هي تقدمة سبق تكوين مكوّنٍ، فلمّا ثبت لها ذلك في وجود كون الباب ذاته حجب الاسم الباب عن وجوده وظهر هو بذاته الّتي ظهر فيها وكونه الّذي أوجده، فأبدى ذات قدرته في تكوينه الّذي بدا ظهوره به أن سوى ذات التكوين كيان كلّ موجود في الكون الّذي هو برتبة المحنة غير ذلك الضّياء الّذي مقداره ما شرحته لك ما يريد عليها ولا فيها في سائر تلك المطافات والسّير شيءً من النّور وذلك أنّها كانت بعد المرّة الأولى الّتي رجعت فيها المستخصّة وثبت لها فيه ما ثبت بوجود ذاتها في تتابع الكرّات والرّجوع، **إنّ هذا الرّجوع مثل الرّجوع الأوّل لم يوجد ذاتها زيادةً في وجودها، فكان يكون بتلك الزّيادة زيادة الضّياء والنّور بهما، فلمّا أكملت المستخصّة ذلك الأمد في السّير والمطاف والجّهاد والاجتهاد والوجود وهو ألف ألف كورٍ وخمسون ألف كورٍ، أوقفها القديم بحيثها عن الجّهاد والمطاف، فوقفت هي برتبة الانتظار للإذن لتجد في الإرادة خمسين ألف كورٍ**، فتمّ لها بذلك ألف ألف كورٍ، ومائة ألف كورٍ، فلمّا أكمل لها أمد الخمسين ألف كورٍ ولم يبدها الإذن خشعت ولاذت جزعاً أن لا يكون قد علم القديم منها تقصيراً وإفراطاً

وأنّها لم تأت مراد الإرادة من مراد المريد، فأوجدها بذات علم الوجود منزلة الرّضا والقبول، فزادت خشوعاً وتضرّعاً، ثمّ بدت المادّة على ترتيب الرّتبة الأولى إلى المخلصين بإيجادها ما أوجدته المختصّة، فوقفت في مواقف سرعة الإجابة مراقبة للإذن في إمضاء ما أكّد عندها وتقدّم به إليها في الجهاد والاجتهاد والإيجاد خمسين ألف كور، فلمّا أكمل لها ذلك جرت به الرّتبة بالإذن في السّير والمطاف في الحيث والكون وإيجاد الاصطفاء والاختصاص والضّياء والنّور والتّجوهر.

فمرّت مسرعة في الحيث والكون توجد ذوات الصّفاء، حتّى تناهى بها المطاف والسّير إلى حيث محلّ ذات الغضب وحزبه وكونه وإنّه باق في الحيث بكونه، فسارعت ولم تقف كوقوفها في المطاف الأوّل والسّير الأوّل، فمرّت على الكون في الحيث بوجود ما أوجدته في ذهابها، فنزل ذلك الكون الّذي هو برتبة الامتحان أنّ ذلك منها كفعل من سبق به وتقدّم، فما زادت ذاتها على ذلك الوجود الأوّل ولا زاد لها من الضّياء والنّور غير الزّيادة الأولى وكان ذهابها في الحيث والكون في المطاف والسّير خمسين ألف كور، ورجوعها إلى الحيث الّذي كانت فيه خمسين ألف كور، فأدام لها ذلك في المطاف والسّير مثل مطاف المختصّة وسيرها واجتهادها وإيجاد محلّ الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والنّور والتّجوهر، **فلم يزد لها بذلك في الضّياء الأوّل الّذي قد اقتدحه من المختصّة في أوّل رجوعها عند تركها للوقوف في المحلّ الّذي فيه حيث كون الغضب وحزبه، وكان ذلك سبعة مطافات وسبع رجعات وسبعة مواقف في محلّ حيثها، فأكملت بذلك ألف ألف كور** وخمسين ألف كور، فكان بذلك الخمسين ألف كور تتمّة الألف كور ومائة ألف كور، **فلمّا أكمل لها ذلك من الاجتهاد والجهاد والإيجاد كما أكمله للمختصّة، أوقفها بحيثها ولم يبد لها الإذن، فخشعت ولاذت كخشوع المختصّة حذراً وخوفاً من أن تكون قصّدت عن مراد إرادة المريد، فأوجدا بضياء علم القبول وإيجاد الرّضا ومحلّ السّنا بإمضاء ما أمدّت به وحسن اجتهادها وجهادها، فزادت خشوعاً لذلك،** وبدت المادّة بإمضاء المراد المؤكّد به إلى النّجباء وهي الثّمانية وعشرون، فأبدت ذاتها إلى موقف الإذن، فوقفت فيه خمسين ألف كور كوقوف من سبق له الإذن في المطاف والسّير

فلمّا أكمل لها الأمد بدا لها الإذن، فسارت وطافت مجدّة مجتهدة في الكون بإيجاد ذات الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر، فكان أمد مطافها في الكون الممتحن والحيث خمسين ألف كور إلى حيث تناهى بها المطاف إلى حيث محلّ كون الغضب وكونه وحزبه، فلم يقف ذلك الوقف وبادرت الرّجوع، توجد ما أوجدته في بدو سيرها ومطافها إلى أن وقف بالحيث الّذي كانت به واقفة، فلم يبد للكون الممتحن بذلك من فعل النّجباء إلاّ أنّه كفعل من سبق بفعله، فلم يزد لها في وجود ذلك شيء غير ما وجدته من المختصّة، فبذلك لم يزد لها في ضياء نورها، وكانت بحالها، فداوم لها المراجعة بالمطاف والسّير والحيث، كما داوم للمختصّة سبع مراجعات في السّير والمطاف وسبع درجات إلى المحلّ الّذي منه بدا سيرها ومطافها.

كلّ مطاف خمسون ألف كور، وكلّ رجعة خمسون ألف كور، وكلّ وقفة خمسون ألف كور، حتّى أكمل لها من الأكوار ما أكمله للمختصّة والمخلصة وهي ألف ألف كور وخمسون ألف كور، ثمّ وقفت وقفة الانتظار للإذن مثل وقوف من تقدّم وهو خمسين ألف كور، فتمّ لها ما تمّ للمتقدّم ألف ألف كور ومائة ألف كور، فلمّا كمل لها ذلك على كمال ما سلف لم تحد بالإذن، فخشعت ولاذت خشية من التّقصير والتّفريط بإرادة مراد المريد، فأوجدها بضياء ذات وجود الفهم ووجود القبول والرّضا، فزادت خشوعاً وتضرّعاً.

ثمّ بدت المادّة بإمضاء مراد المريد فيما أكّده وقدّم به إلى الاثني عشر، وهم النّقباء، فبدت إلى موقف الإذن في المطاف والسّير، فوقفت فيه خمسين ألف كور حتّى أمرت والسّير في الكون والحيث، وإيجاد الاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر للكون الّذي هو برتبة الممتحنة، فسارت وطافت تبدي الاجتهاد والجهاد والإيجاد للكون خمسين ألف كور حتّى تناهى بها السّير إلى الحيث الّذي يحلّه الغضب وكونه وحزبه، فأبدت الرّجوع من غير وقوف كما أبداه من تقدّم في السّير والمطاف والإيجاد.

فلم تجد الممتحنة بإبداء ذلك من الاثني عشر إلاّ إنّه كما بدا من المختصّة الأولى ولا زادها وجودها فيه شيء غير ذلك، ولا زاد لها من النّور غير ما أبداها له، فداومت الاثني عشر وهي النّقباء تلك المراجعة للمطاف والسّير والوقوف في

الحيث سبعاً على ما مضت به مداومة النّجباء والمخلصين والمختصّين، فكان كمال ما أكمل لها عند تناهي الوقوف الّذي هو وقوف الانتظار للإذن ألف ألف كور، ومائة ألف كور، فلمّا أكمل لها ذلك لم تمدّ بالإذن، فخشعت ولاذت خشيةً ممّا خشيه من كان تقدّم بالخشوع، فأوجدها القديم بذات بصيرة الفهم وذات القبول والرّضا، فزادت خشوعاً وكانت بحيثها من موقف محلّها، ثمّ بدت إرادة المريد بإمضاء ما أكّد، فمدّت المادّة بالمراد إلى الثّلاثة، فبدت إلى موقف الإذن، فوقفت فيه كوقوف الاثني عشر، ومن تقدّم من رتب أهل المراتب النّورانيّة حتّى بدا لها الإذن في السّير والمطاف، فطافت وسارت سير من سبق وجرت بها الإمادة الّتي جرت.

ثمّ طافوا وساروا واجتهدوا وجاهدوا ووجدوا، فأتوا من ذلك كلّه كمال ما أكمله من سبق إيجاد الاصطفاء، والاختصاص، والصّفاء، والضّياء، والنّور، والتّجوهر. فلم يبد بذلك كلّه لكون المرتب بالامتحان زيادةً هو كوجود البدو الأوّل، وأنّ جميع الظّهورات بحدٍّ واحدٍ، ذلك وثانيه إذ كانت في المبدية له، **فلمّا كمل للثّلاثة ذلك من أمر المدى وقفت بعد تناهي الجّهاد بموقف الإذن، فلم يبد لها الإذن، فخشعت ولاذت، فأوجدت وجود القبول والرّضا وزادت خشوعاً، وبدت المادّة بإمضاء ما أكّده القديم، وألزمه إلى الباب، فظهر الباب بموقف الإذن، فظهر بظهوره في موقف اليتيمين وهم النّجمان المقترنان، وذلك أنّه أبداهما بظهوره بمادّة القديم إلى الباب** وأنّه يظهر هما بظهوره إذا ظهر وأوجدهما معه بحيث أوجد ذاته، ويشهد أنّه حيث شهد من كونه وحيثه، فظهر اليتيمان بظهوره ليبديهما بحيث بدا ويحلاّ بحيث حلّ ويوجدهما بحيث وجد. كلّ ذلك تشريفٌ لهما بمادّة القديم إلى الباب بتشريفه له بظهوره بذاته وإيجاده في الحيث والكون.

وكان ذلك ليبدي ظهور الباب بذاته مع القديم في الكون والحيث، فوقف الباب واليتيمان لموقف الإذن وقوف التّرتيب الّذي رتّبه القديم في هذا المطاف الثّاني والسّير الثّاني. حتّى بدا إذن القديم إلى الباب واليتيمين بالسّير والمطاف، فسار الباب وسار اليتيمان بسيره وطافا بمطافه وجاهدا بجهاده وأوجدا بوجوده في جميع الكون والحيث، فأوجد الكون الامتحان وأبديا فيه ما كان أكّده القديم من إبداء إرادته بالاصطفاء والاختصاص والصّفاء والضّياء والنّور والتّجوهر.

وعاد ذلك بالمطاف والرّجوع إلى تناهي الكمال من الوقوف الأوّل، فكان ذلك بأمد ما سبق من الأكوار لمن سبق له المطاف والسّير فيهم، وكان مدى ألف ألف كورٍ ومائة ألف كورٍ، ثمّ بدت إرادة القديم بالظّهور لها بذاته ووجوده إيّاها كنه قدرته فظهر بالمهلّ المبدر المقمر الّذي هو كنهه ونعته وذات ظهوره، وأظهر الباب بظهوره بذاته وكونه الّذي كان يظهر به القديم في بدو ظهوره في الحيث والكون، فبدا الباب بقدم ظهوره بين يدي ظهور القديم ويُوجده في الحيث والسّير إليه محلّ القدرة والتّكوين، فكان السّير والمطاف في الحيث والكون خمسين ألف كورٍ حتّى تناهى المطاف والسّير إلى حيث محلّ الغضب وحزبه وكونه، فأبدى القديم ذاته لكون الغضب وحزبه، فلمّا بدت ذات المكوّن القديم لكونه الّي كوّنه ووجد به وأوجده الغضب في الحيث ذهب عن الحيث هو وحزبه حتّى بدا كونه من الحيث وخلا المكان من كائنٍ وأبدى ذاته بوجود التّكوين للكون الّذي هو برتبة المحنة، فأوجدها ذاته بحقيقة كون وجوده بالقدم في الأكوان، وأبداها لمعاينة حيث الغضب وكونه وحزبه الّذي أبدى الملاحظة له، فمحنت بهذه المدّة بطول هذا الأمد والوقوف به على ما يحلّ به، ثمّ يحلّ المزاج بكون الغضب وحزبه حتّى يخلص من الممازجة، ثمّ يزول عن الممازجة إلى رتبة التّوفيق، ثمّ يدفع إلى إبداء ما أبدى لها ومعاناة ما عوينت به حتّى تبدي من كونها، وعند صفاء المزاج منها يوجد خلاصها لمن هو دونها فيقضي بذلك منها من طاف بها ويسير من سار فيها ويطوف لهم ويّسير ويبدي ويجاهد من دونها كما جاهدت، وتكون داعيةً من دونها كلاًّ فكلاًّ من رتبةٍ بعد رتبةٍ، وذلك أنّها في الامتحان على رتب مرتّبةٍ تسبق كلّ رتبةٍ من هي دونها وتكون السّابقة داعياً للّتي هي لاحقةٌ بها، فلذلك وقعت به رتبة الامتحان.

فاعلم ذلك يا محمد بن جندب، وثبّته وقف عليه واعلم أنّ كلّ سببٍ حتّى أنّه ليكون سببه بإبداء كلمةٍ واحدةٍ من هذا العلم فيودعه في قلب المستمع، فيطلب بتلك الكلمة غاية هذا العلم ويحييه عند ذلك حتّى يتكامل له عند معرفة ما أبدى له سببه في ذلك كلّه، ذلك المبتديء إليه الكلمة الأولى.

فلو أنّه زاد في علمه ووجوده على سببه ما كان له سببٌ سيّد من أوّل الدّهر إلى آخره، **فإن أردت أن تعرف حقيقة سيّدك فلا دليل إلاّ هو، وذلك كان موقفاً لإيجاده، وتلك الكلمة في بدو التّكوين ففضله بذلك ثابتٌ وحقّه لازمٌ وطاعته**

مفترضة مقرونة بطاعة القديم، وقد أوجب الله عليه شكره ومن قصّر عن معرفة حقّ السّبب وطاعته وتعظيمه فعن معرفة الله قصّر، ومن كان كذلك تزايد به الامتحان، فليلق له وليّاً يأخذ بأمره وينقاد إلى تأديبه فقد أحسن بالتّأديب وأوضح بالتّرغيب.

القول في التّناسخ

يا محمد بن جندب، فلمّا أبدا كون الرّتبة الممتحنة للحيث الذي قد كان فيه محلّ الغضب وكونه فعاينه خلوا من الموجود الذي كانت تجده فيه بدا لها بمحل الحيث بذات القديم المكوّن ووجدت ذاته أنه القادر على كون ما بدا لها وأوجدها، فخرّت على هفوة الإطراق من الملاحظة لعظمة القادر على ما أبدى وسلمت نفسها بأنها ذاهبة كدرها بالغضب وكونه وحزبه وهو المزاج، فزاد بذلك التّسليم فيها أن بدا لها من الضّياء والنور مثل الأوّل، وهو مثل إنخراط الضّوء في سمّ الخياط، فكان ذلك يا محمد بن جندب بعد تطاول تلك الأكوار والجهاد والاجتهاد والظهور والإيجاد والمعاناة في بدو الكون قبل المزاج والاختلاط بالظلمة، فكيف يكون من هو مداوم في المزاج والظلمة والرّدّ والكرّ في **تناسخ الأجسام** وأكبرها محنة في الممازجة وهو من غرائب علم الباطن ودقيقه أكل لحم المسوخيّات.

فإنّه إذا مازج ذلك السّنح معترفاً أسهكه وأخبثه فيحتاج أن يذبّ بما أكسبه ذلك المطعم من المسوخيّة عن السّنح الخاصيّ حتى يعود إلى حاله ويذهب عنه السّهك والخبث، وذلك مثله كمثل الثّوب الذي يلبسه الإنسان وهو بجدّته، ويغسله نظيفاً بمنظره ورائحته وملمسه، فلا يزال يلمّ به الأدناس حتى يوسّخه ويدنسه، فيحول عن حال ما كان عليه وبه من منظره ورائحته وملمسه، فإن عاجله لابسه بالمعاودة إلى غسله وتنظيفه جدّده وعاد إلى حاله الأوّل بالمنظر والرّائحة والملمس، وإن أدامه بملابسة الأدناس والأوساخ أتلفه وذهب به، فاعقل هذا وتبيّنه وأمر به فإنّه بلا عوج فيه ولا أمت، وتدانت الأكوار بعد تباعدها، وتجمّعت بعد تفرّقها، فأدامها كذلك مائة ألف كور، ثمّ أمدّ الأزل الإسم بإيجاد الأكوان الثّانية قبل تكوين بدئها وحيثها فأبدى الإسم إلى الباب أن يثير الكون الأوّل ويبديه باحتجابه عند غيبته

فسيّرها الباب بسيره وأحلّها بما أبداه إليه الإسم والكون الأوّل سائرة مخصوصة بالسّير والرّتب والمنازل والدّرج وغيرها من الأكوان المحدثة بعدها غير سائرة ولا جائلة بل رتّبها عند تكوينها بأسمائها به وكوّنها له وهو قوله بالنّطق: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» والنّجوم **الّتي تنقضّ لا يعرف لها اسم ولا محلّ ولا حيث ولا تنزل منازل غيرها، وهي من الأكوان الثّانية والكون الأوّل هي السّيّارة الّتي رتّبت في المنازل والأسماء والنّعوت وهي الّتي تحلّ بحيث يقع سعد ونحس في هذا العالم البشراي بحسب بسطتها فيه وقدرتها عليه، وهي الّتي تظهر بظهور المعنى والاسم والباب في العالم البشري**، وتقع بهم التّسمية والمراتب والدّرج والتّفضيل منزلة بعد منزلة بحسب ما رتّبها في السّبق عند بدو الكون فوجد بها الأكوان بالسّير والأحياث كلّها ووجدت ذاتها بحيث التّوقيف من السّير إلا أنها بادية موجودة العيان والتجوهر والنور في كيان ذات واحدة في التكوين النوراني، فوجدت بذلك فضل الكون الأوّل على كونها بحلولها مع الاسم والباب بحيث خلا من كون أحياث قدرة المقتدر على الملك، فتسلمت الرّضا بإرادة المريد إلى ما أرادها له، **فذهب بذلك عنها التعب والنصب والوسخ والدّنس والممازجة وعكر البشريّة، فوصفهم بالصّابرين والحافين والمسبّحين والكروبيين والرّوحانيّين**، فكل كون حيث خصّه بنعت وسمّاه الكون الأوّل باسم فقال الملائكة المقرّبون من المعنى الأزل والاسم والباب هو الرّتب العالية وهي التي غصّها بإيجادها معه في جميع أحياثه وظهوراته في النورانيّة، وعند وجوده في البشريّة.

فهذه إدامية دام بها الكون الأوّل والكون الثّاني، فلمّا **جمع الأحياث وأخلط الأكوان** وأبان **فضل الكون الأوّل على الكون الثّاني** بما شرحته لك من السّير والحلول بحيث حلّ الأزل والاسم والباب أمدّ لذلك أمداً أمداه له سبعة آلاف ألف كور لا تبدي في شيء من التّكوين إرادة وليس في ذلك كلّه متجوهر موجود الجوهر بالعيان غير الإسم والباب المستخصّ المصطفى المختبر وهو النّجم في نعت التّسمية للوجود، فلمّا أتمّ مراده الّذي أمدّ الإرادة إلى الإسم بإيجاد أن يبدي من صفوة الكون الأوّل ذاتاً تكون للنّجم فيه إرادة كإرادته وهو النّجم، فأبدى الاسم ذلك إلى الباب، فلمّا أتقنه من علم مكوّنه وأنّه قد أمدّه بإبداء ما يقد كونه وأنّه يختبره به ويدلّ به

عليه، طاف الباب بالكون مائة ألف كورٍ بدوام ملاحظة المنازل والدّرج والرّتب، فلا يحلّ بمحلٍّ يبدو له فيه فضل وجودٍ يبديه، إذ كوّنها بكونٍ لا خلل فيه ولا تناقض، وأمّا النّور فهو ذاتٌ واحدةٌ لم يبد من حالٍ إلى حالٍ، ولا دخلت عليها علّة الاختبار، فهي صفاء ذاتها بذاتها، فعاد بحال العود إلى البدو من مكوّنه، فعلم ما أمر له وقصد فيه ما أمدّه بالإطاف كذلك على دوام الأمد مائة ألف كورٍ، وعاد العودة الأولى على البدو من مكوّنه، فعلمه كعله الأوّل، فأمدّه بالإطافة، والثّالثة فطاف ثلاثةً، كذلك على دوام الأمدِ مائة ألف كورٍ وعاد كعود الثّالثة على بدوٍ من مكوّنه، فعلم مراده، فأوقفه عن وجود ما أمدّه يبدئه مائة ألف كورٍ، ثمّ نعته على إيجاد مدى الإسم به للنّجم بإبدائه الباب إلى النّجم، فعلمه النّجم من الباب.

ثمّ إنّ الاسم أمدّه بمراده، فكانتِ المادّة إليه من الاسم والباب في المراد وهو وجه ما شرحته لكِ من اختصاص الإسم له كاختصاص المعنى للباب، فلمّا تمّ فيه وجودِ المراد منه ومن الباب أوجد السّير والمطاف في الكون كلّه، فطاف الباب يرتقيه في سيره ومطافه لا يخلو منه عند كلّ حلولٍ به يحلّهِ حتّى طاف كإطافة الباب في بدو ما أمدّه الإسم بإبداء صفوه من الكون، ثمّ وقف به الأمد على ضياء نور ذلك الكون كلّه، فلاحظه بمداومة الفكر فيه دِرّ الكون مائةِ الف كورٍ، ثمّ قرب من تدانيه إليه بملاحظة وجوده إيّاه مائةِ ألف كورٍ، ثمّ لامسه ملامسة المؤانسة له مائة ألف كورٍ، ثمّ قاربه بحيثه، فحلّ معه في درجته مائة ألف كورٍ، فوجده في جميع ذلك غير بائنٍ عن كيانه ولا متناكرٍ لما يورده عليه، بل يزيد بكلّ ذلك ضياءً ونوراً، وذلك من قرب الاصطفاء الواقع به والاختصاص الّذي قد استوجبه، **فلمّا ثبت له عند النّجم ما ثبت له من علوّه في جميع تدانيه منه أراد أن يوقع إليه نطقاً ويظهر له بجوهرٍ، فأمدّه الإسم، فعلم أنّ ذلك الباب بدوه، فرجع عن ذهاب ما أهمّ به، وقصد محلّه الّذي أوجده الإسم وهو الباب بجوهرة الذّات، فأمدّ إليه وجود موجوده، ونعت ما بلغ به في ترتيب الإرادة، فظهر له الباب بجوهرة الذّات الّتي تجوهر لها، فلمّا بدا له وظهر أكبره وأعظمه ولاذ به وأشار إليه، وخفض له كما خفض للنّجم الأوّل، لا بل أراد بخفضه لو يظهر تناكر ما أبدياه إليه وأظهراه له، فعند ذلك خوطب بخطاب الوجود بالنّطق حين قال: «واخفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً»** وهو الصّغير نعت به مذ حين هذا

الخطال، فصار في وجود الظّهور بالبشريّة معرفة نعته اليتيم الأصغر لأنّه أمر أن يبدي ذلك منه فيه ويقرّبه له، فكانت إرادة الأمد له والوجود له في هذا النّطق الإسم على لسان الباب إذ نطق على لسان نطقه وأمره، فكان هو الرّبّ المسؤول. واللّذان أمر بالخفض لهما هما والداه اللّذان ربّياه إلى وجود ذات المراد، واصطفياه بمداومة الإيجاد وهما الباب الّذي هو الشّمس والنّجم الّذي أقرن إليهما وهما سلمان والمقداد، فأمره الاسم إذ كانِ هو ربّه بتعظيمهما والقبول منهما حين قال: «فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما» فأكّد بهذا النّهي وألزم الطّاعة، فقبل ذلك وصار إليه، ولم يخرج به عنه ظنٌّ ولا وهمٌ، فأجاب إجابةً واحدةً وانقاد انقياداً واحداً حتّى حلّ بحيث النّجم وبدا يلوذ بالباب، فأثبته في ذلك المحلّ من المنزلة مائة ألف كورٍ، ثمّ أبدى له وجود تجوهره، فتجوهر بمائة ألف كورٍ، وحلّ محلّ النّجم يبدي معه قبل أن يبدو بدء كونه مكوّن من الأكوان النّورانيّة، فإذا أبدى وقارب النّجم الأوّل وأوجد ذاته وعيانه وأعاد وأبدى بوجوده، **وذلك أنّ الإسم أنحله من الباب والنّجم ما أنحله الإسم من الباب، فجعله في مواقيت الظّهور باطناً وجعلته البشريّة المقصّرة ظاهراً في مواقيت الصّلاة الّتي هي المغرب، فقالوا: لا نصلّي المغرب، إلاّ أن يظهر لنا ثلاثة أنجمٍ في الأفق، ويغيب الشّفق**، ولم يعلموا قول من أشار بهذا لهم إلى ما أشاروا أين كانت الإرادة منه، ولكن عقله قومٌ وأنكره آخرون، فذهبوا منه إلى جيث بهم الوهم، فأنحله الاقتران مع النّجم، فأعظم ما يتواعد به هذا العالم وأكثر ما يعظّمون وصفه إذ قالوا إذا اقترن النّجمان يكون كذا وكذا، ويصفون ما يبدو عند ذلك الاقتران، يعظّمونه حتّى يذهل الخلائق ويفزعون من اقترانهما، وهما مذ حيث اقترنا في بدو الاختصاص ما افترقا، ولكنه إذا ظهر بذاتهما بين يدي ظهور الباب يذهل أهل الشّكّ، ويتحقق أهل الإخلاص أنّ الموجود قد قرب عيانه، لأنه يكون بدو ظهور اليتيميّة والباب، ثمّ ظهور الاسم، **ثمّ أرى ذات الأزل بإيجاد الظّهور بما يبديه في العالم، وكذلك أبدى ظهوره في الأكوان النّورانيّة عند اقتران النّجمين، وذلك لمّا تكاملت موجودات الأكوان كلّها على ظهور خمسة موجودات، فكان من ذلك ظهور الأزل وظهور الاسم وظهور الباب وظهور النجمين**، فلمّا كمل لها ذلك من وجود ظهورها بالنور والتّجوهر وأوجدت من بعد ذلك ظهورات الدّعوة بالذّات كانت الدّعوة من الاسم وهو الله كما قال إنّ الله دعا نفسه إلى نفسه، **فكان الاسم الله والدّعوة إلى الأزل**، فلم يكن يبدي الدّعوة إلاّ بنفسه في جميع الأكوان عند اقتران

النّجمين المستخصّين، وكذا رتب الدّعوة في الظّهور في البشريّة بنفسه يدعو إلى الإقرار بالوحدانية، لم يدعها له بالرسالة ذات دعوة لا يبدي إلى الإقرار بالوحدانية لم يدّعها له بالرّسالة ذات دعوة لا يبدي عوناً على الإنذار والتّبليغ.

فإذا أبدى الدّعوتين رتبهما وأوجد وجود الإجابة إليهما ممن يسرع الإجابة والقبول أبدى ذلك من مجيب القائل إلى من قد أسمعه الدّعوة، فيبدي إليه حدّ القبول ووجود الإجابة وأوضح ما أجابه إليه فيكون بذلك بمنزلة الاختصاص والاختبار كما كان في بدو الكون في النورانية مستخصاً مصطفياً مختبراً أبداه في كونه للوجود وأمدّه بقدرته إلى جميع تكويناته وإظهاره بتجوهره عند ظهوره بالتّجوهر الّذي أبداه عند وجود التّجوهر لمراده وإظهاره واختصاصه واصطفائه بالتّجوهر، **فلمّا أكمل وجود الخمسة المتجوهرة في جميع الكون والحيث حين أدمه وأخلطه وبثّ كونه فيه بذات المهل المقمر المبدر لدعوة الأكوان وإيجادها ذات ما استخصّه من تكويناته التي قدر كونها وأنها صفو تكويناته المبتدأة في الحيث الأوّل والكون الأوّل فعظمتها ونزلت ذاتها كلها دون ذات صفوة المختصة المصطفاة**، فلمّا أمدّ وجود ذلك جميع الأكوان أمدّ الباب والنجمان للحيث بإبداء ما أبداه وإظهار ما دعا إليه ووجود ما أوجد لجميع الكون الأوّل والثاني، فأظهر بالتّجوهر وإبداء كل جوهر مادّته في النور في الكون، فكان الباب مبدياً قدماً يوجد ثم المستخصّون تعيد على جميع مكونات المكون في الحيث، فكان أمدّ ظهور الاسم في ظهور إيجاد التكوينات مائة ألف كور، وأمدّ الباب والنجمين خمسين ألف كور لأنه أمدّ أمدّ التّداني للدّعوة ووجود التّجوهر فأقام ذات الكرّ والكون بهذا الأمد ليبدي فيه زيادة إلى أن كمل مراده في صفوتها واصطفاه في من لحق بالنجمين، فكانت المائة ألف كور من الأكوار والأحيات الثانية والكون الثاني فكانت خمسين ألف كور من الأكوار والحيث الأوّل والكور الأوّل لإبداء الثالثة بالتّجوهر والوجود، فلمّا أكمل ظهور الباب واليتيمين اللذين هما النجمان بإبداء ما أبداه وظهور ما أظهره جوهره وأعلن ما دعا بذاته إليه وحقّقه بجميع مكونات كونه أمدّ الباب **باختصاصه النجم الثاني كما اختص هو النجم الأول واصطفاه بأن يبدي إليه إرادة ما أمدّه بكونه من تكويناته أن يبدي إلى النجم الأول أن يبديه باصطفاء من يصطفي واختصاص من يختصّ واختبار من يختبر حيث بدا مراد إبداء الله في مراده الذي أراده له وكونه الذي كوّنه به،**

فأبدى الباب ما أمدّه به الإسم إلى النّجم الثّاني وأبدى مراد الاسم فيه إلى النّجم الأول وأمره أن يبدي إليه كما بدا هو إليه عند مراد الإسم له بما أمر، فطاف النّجم الأوّل مراد الباب وما أبداه إليه وأمدّه بعلمه كما قيل، وأطاع الباب مراد الإسم وأمره، فأمدّ الباب النّجم الأوّل والنّجم الثّاني بإيجاده ما أوجده ورتّباه لما أمر به، فبعثاه في الحيث والكون جمعاً بالمطاف فيه والسّبق، فطاف وسار في الحيث خمسين ألف كور كما كان بدو ظهوره مع الباب والنّجم الأوّل لا يحلّ بحيثه كرتبته من تكوين كيان المكوّن إلاّ وجده في تناهي الضّياء والنّور والمنزلة سواءً كما كان وجوده حين وجد النّجم الأوّل في مطافه بالحيث والكون، **فلمّا أكمل له أمد الخمسين ألف كور حلّ بمحلٍّ من الحيث فوجد به ثلاثة أكوانٍ بذات التّناهي جميعها في الضّياء والنّور ووجودها متقاربة متقابلة متعاطفة الضّياء والنّور بعضها على بعضٍ حتّى أنّها من شدّة ضياء نورها وكمال ذاتها لا تبين لناظراه أنّها مختلطة الكيان جمعاً، فوقف مقابل المحلّ الّذي قد حلّه ورتّب فيه خمسين ألف كورٍ يرتقب الملاحظة لكونها والاختبار لحيثها من محلٍّ** ثمّ إنّه دنا لوجود ذاته أتاها إلى حيث تجامع ضياؤه بضيائها، فوجدها ثابتة الكيان جميعاً، فوقف مقابل المحلّ الّذي قد حلت ورتبت به خمسين ألف كورٍ يرتقب الملاحظة لكونها واختباراً لحيثها من محل.

ثمّ إنّه دنا لوجود ذاته أتاها إلى حيث تجامع ضياؤه بضيائها، فوجدها ثابتة الكيان جمعاً واقفةً في محلٍّ لم يخرجها عن وجوده دنوّ ذلك المبتديء لها بظهوره ووجوده عن حال إحلال ما وجدته أوّلاً من ظهور الأزل له، وإثبات ذلك عندها، وظهور الإسم لها، وإثبات ذلك عندها، وظهور الإسم لها، وظهور الباب والنّجمين لها، وإثبات ذاتها عندها، فوجدت القدر كلّ قدرة حقيقة إيجادها لما بدا لها بحقيقة إيجادها، فلمّا بدا لها ظهور النّجم الثّاني وعلا تفرّده وأوجدت ذاتها ذاته على حقيقته

خبر أبي الذرّ

دخل أبو ذرٍّ على سلمان وعنده المقداد جالساً يحدّثه، فلمّا دخل أبو الذّرّ أقبل عليه سلمان وقال له: يا أبا الذّرّ، إنّ لي إليك حاجةً، وقد أردت أن أبديها إلى المقداد وأسأله إمضاءها، فهل أن تبلغ ما أريده منها؟

فقال له أبو الذّرّ: كيف يسعني أن أفرّط في أمرك ولا تنتهي إلى بغيتك، إذ قد أهّلتني لتفضّلك؟

فقال له: أن تأخذ كتابي هذا إلى ملك الحبشة، فإنّ مراد مولاك في وصوله إليه، وتعود منه بجوابه عمّا ضمّنته.

فقال له: سمعاً وطاعةً، فهلمّه إليّ.

فاستخرج كاتباً كاد أن يكون كسيرٍ من سير أديم الطّائف، فدفعه إليه، فقال عند ذلك المقداد: يا سيّدي يا سلمان، قد ذكرت أنّك تبديني بذلك وأنّه لمّا دخل عليك أبو الذّرّ ملت إليه عنّي، فأشركني معه.

فقال: يا أبا الذّرّ: خذ المقداد معك بحيث تريد.

فقال أبو الذّرّ: الأمر لك يا سيّدي.

قال أبو الذّرّ، فخرجنا جميعاً من حضرة سيّدي سلمان، فلمّا صرنا بالباب قال المقداد لأبي الذّرّ: متى تجدّ بالمضيّ إلى حيث أمرنا به سيّدي سلمان؟

فقال: وقتاً تراه.

فقال له: إنّي أمضي وأقضي وأكدّ حالاً، وآتيك به.

فقال له أبو الذّرّ: إنّي فارغٌ من وطرٍ وتأكيد حال، وإنّما حيث أمر به سيّدي هو وطري وتأكيد حالي.

فقال له المقداد: إنّ المسافة طويلةٌ ولا بدّ من العدّة.

فقال له أبو الذّرّ: فذاك إليك، فمضى المقداد بحيث أمره من مقصده، وخرج أبو الذّرّ عن جدران المدينة، فإذا بفارسٍ على فرسٍ أشهبٍ، بيده كتابٌ مدرجٌ، فلمّا بصر به أبو الذّرّ قال له: من الرّجل؟

فقال له: أنا ملك الحبشة، وهذه بلادي.

فقال له أبو الذّرّ: إنّ المدينة من أرض الحجاز، والسّاعة خرجت عن جدرانها وتقول إنّه بلاد الحبشة وإليه مقصدي وإلى ملكه موفدي؟

فقال له الفارس: تبيّن حيث أنت تجد حقيقة ما قلته لك صحيحاً، فنظر أبو الذّرّ وتبيّن أين هو، فإذا هو بين شواهقٍ وبحارٍ دوافقٍ، وجزائر لواحق، وعالمٍ غواسقٍ لا يعدّهم ولا يحصيهم إلاّ مبديهم.

فقال عند ذلك: غفل أبو الذّرّ عن المراد به، فهلك.

فأخرج أبو الذّرّ الكتاب، ودفعه إليه، ففضّه الفارس، وجعل كلّما مرّ في بسطة تلك الأرض والجّزائر معه، وأبو الذّرّ معه، حتّى عاين جميع تلك الجّزائر والأمكنة والبقاع، ثمّ قال له الفارس: يا أبا الذّرّ قد حملت شيئاً عظيماً وأعطيت أمراً جسيماً، وهذا من نعم مبديه إليك وعليك، وإنّ الّذي أتيت به لا يحمل إلاّ من حمله أولاً ولا يورده إلاّ من أورده أوّلاً، يا أبا الذّرّ: هل تعرف ما أبديته إليك بنطقي هذا؟

فقال: إنّك لتقول عرّفني ذلك وقل حتّى أسمع.

فقال الفارس: إنّ الهدهد حمل هذا الكتاب وأورده إليّ في هذا الموضع، وهو الّذي أهّلك وحمّلك إيّاه، وأنا كنت بالأوّل، وأنّ الّذي أورده إليّ الهدهد بهذا الوصف الّذي وصفت الهدهد حين قال تعالى: «أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ[١]» فأنا كنت تلك المرأة، ولهم ملكت كما ملكتهم في هذا الوقت، وإنّي كنت أسجد للشّمس تعظيماً، وهي شخص من أوردت كتابه حتّى بدت له فيّ إرادة القبول فقال: «نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا» أي نكّروا لي ذلك الوجود حتّى وجدت غاية الشّمس وكون ذاتها، فبدت الحقيقة حين أبان في كتابه:

---

[١] سورة سبأ آية ٢٢ ـ ٢٤ .

«إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» فوجدت بالحقيقة أنّ الشّمس من ذات تكوينه، فأجبت بقولي: «رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» فكان ذلك إقراراً منّي أنّي عرفت غاية سليمان وسلمان وأنّه ربّهما، وأنا في هذا الحين ملك الحبشة أملكهم كما ملكتهم أولاً، فخذ جواب كتابك وارجع به إلى مولاك (سلمان) المانّ -أمان الله عليك-، فإنّه لمّا أراد أن يبيّن منزلتك على منزلة المقداد بأنّك ستعود جوابي ذلك الكتاب إلى سلمان والمقداد ما قضى بعد وطره وأكّد حاله، ثمّ دفع إليه الكتاب الّذي كان بيده، فأخذه منه، وأثنى الفارس رأس الفرس وعطف أبو الذرّ بوجهه إلى وراء، فإذا هو بين جدران المدينة، فأكثر من حمد مولاه وجعل يسعى حتّى دخل على سلمان وهو جالسٌ بموضعه الّذي خلّفه فيه، فدفع إليه الكتاب وقال له: يا سيّدي أوردت على أبيّ الذرّ شيئاً عظيماً وحمّلته أمراً جسيماً من أياديك ونعمك ومنّك وإحسانك.

فقال له سلمان: لذلك استخصصتك وله انتخبتك، فأين المقداد، هل قضى وطره وأكّد حاله؟

فقال أبو الذرّ: لا علم لي به وأنت أعلم، فبينما هما بالكلام حتّى طرق المقداد الباب ودخل فنظر إلى الكتاب في يد سلمان فقال: يا أبا الذرّ ورد كتاب ملك الحبشة قبل وصول كتاب سلمان إليه، فقال له سلمان: كلاّ ولكنّه لمّا وصل أبو الذرّ بالكتاب إليه عاد بجوابه إليّ.

فقال المقداد: ففي أيّ مدّةٍ كان ما تقوله؟

فقال سلمان: في مدّة ما قضى المقداد فيها وطره وأكّد حاله، فعلم المقداد أنّ أبا الذرّ استخصّه سلمان من دونه بهذه المنزلة، وفضّله بها كما كان السيّد الأكبر استخصّه بالمنزلة بعد المنزلة، وفضّله به السيّد محمد صلعم من حيث لا يوجدها سلمان إلاّ بعد كونها، فكانت هذه من رتبة الاختصاص لما اختصّ بها الباب لأبي الذرّ، وذلك في سبق كون النّورانيّة، وكان الاستخصاص له بما أمدّه به ممّا شرحته وأوقفتك عليه.

قال محمد بن جندب، فلمّا أكمل له الأزل ذلك الأمد وصارت جميع المصطفيات ذات كون طاعته أمدّ الباب بإرادة المريد في مكونات الحيث، فمدّ إلى

الثّلاثة بعلم ما قد أوجده وأوجدها أن توجد تلك الاثني عشر وأمدّ الإثني عشر بإيجاد الثّمانية وعشرين مراد التّأييد الّذي أمدّت له، فأمدّت الإثني عشر ذات الإطافة والسّير الثّمانية وعشرون في جميع الكون والحيث وإظهارها للكون محلّ ذاتها بالاصطفاء والاختصاص، فسارت وطافت بذات الحيث والكون جميعاً وأوجدت بجوهرها وحلوها في منازل التّرتيب الّذي رتّبت به خمسين ألف كورٍ، ثمّ عاودت فوقفت بإزاء الإثني عشر ترتقب منها الإذن فيما تأتيه بعد بمطافها ذلك وتسيّرها، فوقفت خمسين ألف كورٍ، فلمّا كمل ذلك وقوفها أمدّت إليها الإثني عشر بالمطاف والسّير بحيث طاف من الحيث ثانيةً وأبدى ما أبدت، وإيجاد ما أوجدت وإظهار ما أظهرت، فسارت وطافت بالحيث والكون على تلك الحال الأوّل من التّرتيب خمسين ألف كورٍ توجد مجانستها وتجوهرها في الحيث للكون المكوّن فيه جمعاً حتّى عاد بها السّير والمطاف إلى حيث الوقوف الّذي وقفته أولاً، فلمّا حلّت فيه وقفت ذلك الموقف الأوّل خمسين ألف كورٍ بإزاء الاثني عشرة ترتقب إبداء ما يراد بها من الإرادة، ثمّ أمدّها أمد الوقوف بما أمدّت الإثني عشر من كون مادّتها بإيجادها السّير والمطاف في الحيث والكون على ترتيبها الأوّل والثّاني بالظّهور والإيجاد والتّجوهر، فسارت وطافت في الحيث والكون على كون مطافها وسيرها خمسين ألف كورٍ وتداوم ذلك فيها بإرادة المريد المكوّن سبع تسييرات وسبع وقفات، كلّ سيرٍ منها ومطافٍ خمسون ألف كورٍ وكلّ وقفةٍ خمسون ألف كورٍ، **فتمّ بذلك على تناهي الأمد ألف ألف كورٍ وأربعمائة ألف كورٍ، وكانت تلك بعدّة الإثني عشر والثّلاثمائة ألف ألف كورٍ الأولى حتّى تناهى السّير والمطاف، وهي وقفة الاصطفاء والاختصاص عند ظهور التّجوهر،** فكان مع المائة ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ لكلّ شخصٍ من أشخاص الإثني عشر والثّلاثمائة ألف كورٍ اختصّها الأزل بإرادة القديم في تكوينه حين رتّبهم الاصطفاء والاختصاص، فأنحلها بعد الثّمانية وعشرين لها في كلّ شخصٍ أوجدها محلّه بالتّجوهر قبل تجوهرها وخروجها عن رتبة إرادة التّكوين إلى حقيقة الكون الخاصّيّ فيعيدها برتبة الطّاعة والتّعظيم لكلّ شخصٍ مائة ألف كورٍ، حتّى يلحق لها الصّفاء والاصطفاء والاختصاص، فتحلّ محلّ الظّهور بالتّجوهر والمطاف والسّير والرّتب والدّرج والمحلّ والمنازل، ويوجد اعتراف ذاتها على ذات غيرها ممّن في الحيث والكون اللّذين كانا في وجودهما كهم، **فلمّا أكمل لهم ذلك المدى احتجبت الثّمانية وعشرون وظهرت الإثني عشر**

بذات جوهريّتها ووجود ذاتها، فأوجدت كنه عظمتها هي أكثر ممّا أوجدت الثّمانية وعشرون وأعلى نوراً في كون الحيث في وجود ذلك وتحصيله، فكان من ظهور الإثني عشر بذاتها في الحيث والكون بما ظهرت به لا تابع بتبعها في الكون والحيث ولا متبوع يتبعه خمسين ألف كور، فلمّا تمّ لها ذلك احتجب وبدت الثّلاثة بالظّهور بذاتها في الوجود والتّجوهر، فأوجدت من ذاتها بالعلوّ والسّموّ والضّياء والنّور ما صغرت عند مكوّنات الحيث ووجود ما وجدت من الإثني عشر ووجدت أنّ الثّلاثة أعظم وأكبر وأعلى ذات إرادة المريد في كونه الّذي كوّنه خمسين ألف كور، فلمّا تمّ لها ذلك احتجبت الثّلاثة عن وجودها، فظهر الإثنان بذات وجودها وجوهرها وضياء نورها وسنا علوّها ورتبة اصطفائها واختصاصها، فأوجدت من ذاتها ما لطف وجود ما أوجدت الثّلاثة من ذاتها في الظّهور والوجود والتّجوهر، وكان ذلك من مبدي المراد خمسين ألف كور، فلمّا تمّ لها ذلك احتجبت وظهرت الشّمس بذات جوهرها ووجود ذاتها من الضّياء العامّ الّذي به اكتناف كلّ ضياءٍ ونورٍ، فذهب جميع ما أوجده الكون من مختلف أشخاص الاختصاص والاصطفاء في عظم وجود ما أوجدت الشّمس في ظهورها ووجوده وهو الباب.

و وقف الكون كلّه في الحيث بإذنه له وأمدّت ذاتها أنّه منير جميع ما أظهره لها وأنّ ضياءها منه اقتبسته وهو حيثها، وأصلها، فأبدى الباب ذلك خمسين ألف كور، فلمّا تمّ ذلك من مراد الوجود احتجب وظهر به المكوّن الّذي كوّنه، فأحاله الوجود في الحيث وأبداه وأعاده، فأوجد كلّ نيّرٍ من كون أظهره الّذي ظهر به أولاً، وظهرت إرادة الأزل في كون كيان المكوّن الّذي كوّنه للظّهور به وهو المهلّ المبدر المقمر، وظهرت قدرة الإرادة كلّها بظهوره، فاوجدت الكون كلّه أنّ كلّ موجود وجدته وظهورٍ ظهر له مضمحلٌ عند هذا الظّهور والوجود وأنّه موجد تلك الموجودات بظهوره وكون ظهورها، فكانت عند ذلك الوجود مسلّمة بأنّه غاية الكون والمكوّن للكون، فكانت بذلك في المنزلة الثّانية من القبول والإجابة والثّبات، فاستوجبت بذلك الإخلاص بالّذي أخلصت له بالتكوين، **فأبدى احتجاب وجوده وأبدى الاسم به بذات ووجود وظهورٍ وظهر بظهور الباب والنّجمان والثّلاثة والاثني عشر والثّمانية وعشرون،** فاظهرت ظهوراً واحداً جمعاً، فأبدت ذاتها في ظهورٍ واحدٍ، كما أبدته بالظّهورات المتفرّقة، فكانت في الحيث والكون بحال المطاف والسّير،

وكلٌّ تابعٌ للّذي قد كان بسببه وإمامه بالاصطفاء والاختصاص يتبع الثّاني للأوّل والثّالث للثاني في الحيث والكون لا يفتر منها مفترٌ ولا يفقد عنها متأخّرٌ، خمسين ألف كور، **فلمّا تمّ ذلك من إرادة مريد التّكوين حجب جميع تلك الموجودات الّتي أبدت الظّهور، وأبدى الثّمانية وعشرون بالظّهور والوجود،** ونعتها بالحيث والكون وأمدّها بإيجادها ما أوجدت وبثّ ما أدركت من رتبة الاصطفاء والاختصاص، فطافت بالحيث والكون خمسين ألف كورٍ تجري في منازل التّرتيب ومحلّ الدّرج وحيث حلول المنازل، فلمّا كمل لها ذلك وحلّت بمحلٍّ من الكون وبدا لها بإرادة المريد كون من التكوين قد أنار وأضاء وتشعشع واستكمل في وجود ذاته وكيانه حتّى ما تغادر منه شيء بشيءٍ، قامت الثّمانية وعشرون نحو ذلك، فوقفت بإزائها ترامقها بمراد الوجود لها خمسين ألف كورٍ.

ثمّ إنّها دنت منه دنوّاً ثانياً حتّى حلّت منها في الحيث الّذي هي حالّةٌ فيه، فأبدت لها ذات وجودها وتجوهرها وعلوّ المنزلة فيما وجدته من الحقيقة بما ظهر لها من الوجود، فأجابت بكونٍ واحدٍ لم يتخلّف منها متخلّفٌ وأخلصت بمعنىً واحدً لم تمار فيه، فوقع بها من المكوّن اسم الاخلاص فيما أجابت إليه، فتجوهرت عند وقوع هذا الإسم عليها، وكان حين أكمل لها الاختصاص والاصطفاء ذهبت في الحيث حيث أمّت منه وزالت عن محلّها الّذي كانت حالّةً فيه وبعدت عن مكوّنات الحيث، فصار الحيث الّذي ذهبت فيه هو موضع رتبتها الّذي تحلّه وتنزيله من محلّ السّماء الّتي هي اسم الباب، واكتنفتها الثّمانية وعشرون تحوطها، فكانت بذلك الحيث خمسين ألف كورٍ، ثمّ أبدى لها كون الإثني عشر، فداومها بالسّير والمطاف عليها مع الثّمانية وعشرين خمسين ألف كورٍ.

ثمّ بدا لها ظهور الثّلاثة، فظهرت بحيثها ودامها بالمطاف والسّير بها مع الاثني عشر والثّمانية وعشرون خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدا لها ظهور النّجمين، فظهرت بحيثها ودوامها بالمطاف والسّير بها مع الاثني عشر والثّمانية وعشرين خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدا لها ظهور الشّمس وهي الباب، فظهر بحيثها وأدامها بالمطاف والسّير عليها وبها مع النّجمين والثّلاثة والاثني عشر والثّمانية وعشرين خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدا لها ظهور القديم بالمقمر المبدر المهلّ، فظهر بحيثها وأدامها بالمطاف والسّير بها وعليها خمسين ألف كورٍ، **فلمّا تكامل ذلك من إرادة**

المكوّن بإرادة الأزل أوقفها في ذلك المحلّ والحيث بعد تنقّل وجود الظّهورات والتّطواف والسّير خمسين ألف كور، ثمّ أمدّ المكوّن الباب بإيجاد النّجمين مراده، فأمدّه النّجمين إلى الثّلاثة مادّة الباب إليهما، وأوجد الثّلاثة أن يمدّ إلى الإثني عشر، فمدّت المادّة من الثّلاثة إلى الإثني عشر، وأمدّ الإثني عشر إلى الثّمانية وعشرين، ذلك إلى المخلّص والمستخصّ والمصطفى والمصفّى من الكون، فكان ذلك إيجاد المطاف والسّير في الحيث والكون بإرادة المكوّن ورتبة تكوينه خمسين ألف كورٍ وعادت بهذه المنزلة، فطافت في الحيث والكون بإرادة المكوّن ورتبة تكوينه خمسين ألف كورٍ، وعادت إلى الحيث الّذي أبدى لها السّير منه والمطاف وقد أبدت بمطافها وسيرها في الحيث والكون ظهور تجوهرها ومحلّ ضيائها ومنزلة اختصاصها واصطفائها وصفوها، فوقفت بالحيث خمسين ألف كورٍ، فلمّا كمل لها ذلك من رتبة الوقوف أمدّت الثّمانية وعشرين، فأوجد علوّ ذاته على تداني ما أظهره، فثبتت بحيث هي ثابتةٌ من وجود مكوّنها مكوّن مكوّنات الكيان الّذي بدا لها وأنّ لها نهاية تنتهي إليه وغاية تعوّل عليه، فأبدى ذلك في ظهوره والإيجاد لها خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدت إرادة الأزل بالظّهور وإيجاده ما أوجده ما سلف من المكوّنات الّتي قد صفا كونها، فأبدى إرادة الظّهور بكون الإسم الّذي كوّنه به وأوجده محلّه فظهر بالمبدر المهلّ المقمر، فأوجدت ذات قدرة المبدي ذلك في ظهوره والإيجاد لها خمسين ألف كورٍ.

ثمّ بدت إرادة الأزل بالظّهور وإيجاده ما أوجده ما سلف من المكوّنات الّتي قد صفا كونها، فأبدى إرادة الظّهور بكون الإسم الّذي كوّنه به وأوجده محلّه، فظهر بالمبدر المهلّ المقمر، فأوجدت ذات قدرة المبدي للكون من ذات جوهرته الّتي جوهره فثبت على وجودها أنّها الغاية الّتي هي بدو إرادة المريد بإرادة التّكوين من كون المكوّن تكوينات ما كوّن، وإنّ مراجع كلّ شيءٍ ممّا ظهر لها في الحيث في رتبة الوجود والظّهور إليه بأنّه غاية المحدث والمحدث، **فلمّا ثبت لها ذلك بظهوره الغاية وإيجاد علم الأزل فيها احتجب عن الوجود وأبدى لها الاسم بوجود ظهوره الّذي أظهره وهو المهلّ المبدر المقمر، وأبدى الباب بوجود ظهوره بالشّمس الّتي ظهر الإسم لها وأوجد ذاته منها وأبدى الخمسة بذاتها بالتّجوهر الّذي اختصّت به وأبدى الإثني عشر بكونها الّذي بدت به لها وبجوهرها الّذي تجوهرت به، فبدا**

بظهورات الكلّ بوقتٍ واحدٍ ووجودٍ واحدٍ كلّ ظاهرٌ منها بما كان أوجده في وقت ظهوره الأوّل، فأبدت ذلك وثبت لها في الحيث خمسين ألف كورٍ، ثمّ بدا لها نطق الباب، فعرفته فتجوهرت بجوهره عند إيجاد ذلك النّطق، وسمت محلّ السّماء لما تجوهرت السّماء والشّمس فصارت بمحلّ لها فيه مرتبة يجري عليها مراد الباب وهو الشّمس في مصاف سيره ويحلّ في المحلّ الّذي قد حلّته، وكذلك يطوف بها الخمسة والإثني عشر في سيرها بالمطاف، وتحلّ في أحياثها الّتي قد حلّت فيها، فأمدّ لها في ذلك خمسين ألف كورٍ، وصارت تابعةً الإثني عشر كما أنّ الإثني عشر تابعةٌ للخمسة والخمسة تابعةٌ للشّمس، لا تدرك المهلّ المبدر المقمر.

فلمّا أكمل لها التّوفيق في المحلّ الّذي حلّته خمسين ألف كورٍ أبدى الاسم إلى الباب أنّه يبدي إلى الخمسة إرادته بإبداء ما يبدي به إليهم إلى الإثني عشر بإبداء ما استحقّته الثّمانية وعشرون بسرعة الإجابة والثّبات على الحقيقة والمطاف والسّير بالحيث والكون وإبداء ذات تجوهرها ومحلّ ذاتها وظهورها، فسارت في الحيث والكون بمراد مريدها وتكوين ذات مكوّنها الّذي كوّنها واستخصّها له وأنحلها إيّاه خمسين ألف كورٍ يحلّ في أكوان تكوين المكوّنات في الكون، فيوجد ذاتها ويبدي تجوهرها حتّى تعود إلى حيثها الّذي أبدت منه المسير والمطاف حتّى كان ذلك منها في سبع كرّاتٍ كرّتها كلّ كرّةٍ منها خمسون ألف كورٍ، فلمّا كمل لها مراد الإسم والباب والخمسة كمل لكل ظهورٍ منها كرّةٌ، فلمّا كمل لها ذلك من إرادة المريد المؤيّد لها بوجود ذلك أنحلها بأنّه أكمل لها جميع الأحرف الّتي لا يدخل عليها حرفٌ ولا يخرج شيءٌ إلى الزّيادة بتسميته ووصفه ونطقه، وأنّها نهاية إيجاد كلّ موجودٍ بها يُعرف ما عرف ويثبت ما وجد، فرتّبها المكوّن بهذه الرّتبة وأنحلها هذه المنزلة وهي في كون النّورانيّة وإيجاد الجّوهريّة، فأبدت عند ذلك إجابة القبول وثبتت لها في الحيث رتبة المنازل والحلول من حيث سارت فيه وطافت به وبدت بذاتها وتبعت الإثني عشر، تسير بسيرها وتحلّ بحيث طافت به، تبدي إلى جميع الكون المكوّن في حيث وجودها وقبولها ومن أين كانت المادّة إليها وكيف رتبة الثّبات على وجود حقيقة الأزل والمكوّن وكذلك أوجدت الإثني عشر كنه ما كوّنت به ووجدته ومعدن المادّة إليها ووجود حقيقة الأزل والمكوّن لجميع المكوّنات، وأنّ مادّتها من الثّلاثة، ورجوعها في جميع ما يرد عليها إلى الثّلاثة الّتي تبع الإثنين اللّذين سبقا في الكون

إلى صفو الإجابة والاصطفاء، فإنّ ترتيب القديم على ما شرحته لك، **ثمّ إنّ الباب الّذي هو الشّمس والدّليل على العالم النّورانيّ هو دليل العالم البشريّ، أبداه الإسم فاصطفى النّجم الثّاني كما اصطفى الاسم النّجم الأوّل، فاصطفاه الباب وصيّره معدن مادّته ومبدي إرادته في جميع ما قدّره فيه مقدّره، فكان يمدّه ويبدي إليه إرادته في الكون والحيث الّي قد مكّنه مكونّه فيه وملّكه أن يبدي إرادته تلك إلى الثّلاثة، لأنّه استخصّهم واصطفاهم كما استخصّه هو الباب واصطفاه، وكانت الثّلاثة تبدي إرادة النّجم الثّاني بالمادّة من إرادة الباب الّتي أرادها له الاسم إلى الاثني عشر لأنّها كانت استخصاص الثّلاثة، وكانت الاثني عشر تمدّ ذلك إلى الثّمانية وعشرين،** فكانت هذه رتبة الجّميع بإبداء التّأديب الّذي الله صفوته في النّورانيّة لا يجاوز منزلةً ولا يبدي منها مبدئ إلاّ ما أمدّه به الّذي هو تابعٌ له، فيقبله منه التّابع الّذي هو دونه في الدّرجة والمنزلة، ويكون قبوله هو من المتبوع الّذي هو أوقفه في المنزلة وهو مادّته به، فأدام الأزل تلك المادّة بإرادة مراده القديم ألف ألف كورٍ وخمسمائة ألف كورٍ، لا يظهر في الحيث غير ما قد ظهر من مراتب الاختصاص في سبق التّكوين ولا يصفو من الكون غير من صفا، وفي ذلك الأمد كلّه النّجم الثّاني هو مبدي إرادة المريد من حيث اوجده الباب واستخصّه، فكانت الجّميع من الثّلاثة، والاثني عشر، والثّمانية وعشرين لائذة بالنّجم الثّاني، وناظرةً إليه وسائرةً بمسيره، وحالّةً بحلوله، تجري بالحيث بتقديره وإرادته بالمطاف والسّير وهو ظاهرٌ لها بوجودها بجميع إرادة المريد، **واحتجب النّجم الأوّل والشّمس والمهلّ المبدر المقمر عنها بأمد ذلك التّوقيف الّذي مقداره ألف ألف كورٍ، وخمسمائة ألف كورٍ، وكان ذلك بدو ما استخصّ به الباب للنّجم الثّاني بمادّة المكوّن له بذلك،** فأنحله هذه المنزلة ورتّبه في النّورانيّة، فلم يجد جميع الكون الّذي في الحيث ظهور متبوعٍ يتبعه جميع تكوينات المراتب المستخصّة المصطفاة المصفّاة غير النّجم الثّاني، فثبتت الأكوان الباقية الّتي في الحيث على وجوده، وذات كونه وإنّه نهاية موجودها في ألف ألف كورٍ، وخمسمائة ألف كورٍ، فثبَتَ على تعظيمٍ في المنزلة العالية والمحلّ الرّفيع في الحيث بغير تجوهرٍ ولا محلّ ترتيب منازل حلول في سيرٍ ولا مطاف، والسّائرة الّتي مكّنت في السّير والمطاف والحلول هي الثّلاثة والاثني عشر والثّمانية وعشرون بجميع الحيث والكون، **وإنّها بمدد الظّاهر فيها ووجود كون جميع ما هي به له مقدّرةً، وهو النّجم الثّاني، وهو أبو الذّرّ.**

ثمّ قال: وكذلك يا محمد بن جندب أبدى سلمان في الظّهور البشريّ لأبي الذّرّ في ظهور السّيّد الأكبر منزلته منه واصطفاه له وأبان أنّه خالصته، وأشار إلى جميع أهل المراتب والدّرج أنّه قصدهم، وحيث مرادهم من وجود علم الله وباطن سرّه، كما كان لهم في بدو ذات النّورانيّة عند إرادة المريد فيهم ومنهم إلى تعظيمه في المنزلة، وأمدّه بموادّ إرادته، وأظهره بوجوده، وتجوهره، فمن ذلك يا محمد بن جندب ما أبديه لك أنّ سلمان دخل ذات يومٍ على مولاه السّيّد محمد منه السّلام، فقال: يا سلمان، ما فعل أبو الذّرّ في هذا اليوم؟

فقال له: يا مولاي، فعل ما تقدّمت إلى سلمان به وإمضاءه كإمضاء سلمان له حتّى كأنّه علم مرادك من سلمان، فقصد له وأكمله، وذلك بإرادته فيه، فقال له: يا سلمان موضعه منك كموضعك منّي، فإنّي لذلك أهّلته إرادته، فقال: قد فعلت يا مولاي، وكان ذلك من السّيّد الأكبر بسؤال سلمان أنّه كان أمره أن يرقى إلى قطب السّماء ويظهر ذاته الّتي هو بها في البشريّة موجودةٌ لأهل المراتب العالية ويخاطبهم باللّسان الفارسيّ، ثمّ يعيد فيهم الخطاب باللّسان العربيّ، **ثمّ يبدي الخطاب بلسانٍ بعد لسانٍ، إلى سبعة ألسنٍ، ثمّ يصعد إلى المحلّ الثّاني من السّماء، فيفعل مثل ذلك، ثمّ إلى المحلّ الثّالث، ثمّ الرّابع، ثمّ الخامس، ثمّ السّادس، ثمّ السّابع، حتّى يأتي بما أتى به بأوّل القطب من الأوّل على كمالٍ وتمامٍ، ويهبط من المحلّ السّابع من مستقرّ الأرض،** فيبدي مثل ذلك في جميع عوالم التّرابية والظّلميّة، حتّى ينتهي إلى المحلّ الّذي هو فوقه، وهو الثّاني من محلّ الأرض، فيبدي مثل ذلك الّذي أبداه، ثمّ المحلّ الثّالث ثمّ الرّابع، ثمّ الخامس، ثمّ السّادس، ثمّ السّابع، وهو الوجه إلى القطب، فيكون في المحلّ العلويّ والسّفليّ عوالم التّكوين.

فخرج سلمان فلقيه أبو الذّر فقال له : يا باب الله ومعدن سرّ علمه لماذا أنت قاصدٌ؟

فقال: إنّ مولاي أمرني أن أفعل كذا وكذا.

فقال أبو الذّرّ: فإنّي معك ولك النّعمة عليّ بما استخصصتني به، فهل أهّلت أبا الذّرّ أن يكون معك في هذا المحلّ من إرادة المولى.

فقال له المولى: كن مع سلمان حيث كان، فلمّا صار إلى القطب من محلّ السّماء مدّت إرادة القديم إلى سلمان بالأمر لأبي الذّرّ بما كان أمره به.

فقال سلمان لأبي الذّرّ: ما يعيد سلمان أن يبديه من إرادة مولاه باللّسان الفارسيّ، فنطق بما لم يكن يعيه من سلمان ولا وعاه سلمان من مولاه، وإنّما كان أمره أن ينطق بالفارسيّة، فإنّي أجري على النّطق إرادتي الّتي أريد أن أبديها، فنطق أبو الذّرّ بلسان سلمان الفارسيّ يقول: معاشر أهل المراتب والدّرج والمنازل الخاصّة النّورانيّة العلويّة الّتي حلّت محلّ العلوّ: إنّ القديم الواحد محمّد الظّاهر في عالمه البشريّ بالبشريّة بوجود ذاته لهم بإيجاد ذاته لكم في النّورانيّة، وإنّ أزله غايته أبداه بذات أوجد ذاته من ذاته، وإنّه هو الدّاعي لخلقه إلى نفسه وهو غير قديمه الموجود، وإنّ محلّ ذات القديم ونوره وخاصّته وإرادته ومبدي قدرته سلمان الفارسيّ، وهو ذات شمسه وسمائه، أوجده في جميع عوالم كونه البشريّ بهذا النّعت والوصف ونطق بهذا اللّسان، فأوجده كما أوجدكم ذاته بالنّورانيّة، وكذلك أهل اصطفائه وصفوته فلان وفلان، وجعل يسمّي شخصاً شخصاً، من يتيم ونقيب ونجيب ومختصّ ومخلّص، وممتحن، وأهل المراتب العالية، فأبدى ذلك باللّسان الفارسيّ، ثمّ باللّسان العربي، ثمّ بلسانٍ بعد لسان حتّى أمضى ذلك بسبعة ألسنةٍ في ذلك القطب من المحلّ، **ثمّ علا إلى الثّاني، فأبدى مثل ذلك ونطق بما نطق به، ثمّ في المحلّ الثّالث والرّابع والخامس، حتّى أكمل ذلك النّطق بتلك الألسنة السّبعة، بجميع ما كان أبدى أولاً وفيه من أصناف عوالمه ومسوخه ورسوخه.**

فلمّا علا إلى وجه المحلّ الّذي رقي منه إلى القطب قال له سلمان: يا أبا الذّرّ ذريت العلم ذرواً ثانياً بإيجادك لهم ما أوجدت وتبليغك لهم ما حملت.

فقال أبو الذّرّ: لك عليّ منّه ذلك والتّفضّل، فرآه المقداد قد أحلّه سلمان منه محلاً عظيماً وأبداه أن ينطق بنطقه على لسانه، فأبدى ذلك إلى السّيّد الأكبر، فقال عند ذلك: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجةٍ أصدق من أبي الذّرّ.

فاستوجب بذلك النّطق والألسنة بما أفصح به في جميع العالم العلويّة والسّفليّة، إذ وصفه السّيّد محمد بهذا الوصف، إذ لم يحلّها أحدٌ ونطق بها كنطقه ولا وصف بها شرح ما شرحه أحدٌ غيره، ولا يتناهى المنزلة أحدٌ غيره، وإنّها منزلةٌ

خصّ بها أبو الذّرّ بإرادة المولى ذلك له وتقديره فيه، فكان هذا من اختصاص سلمان لأبي الذّرّ وتشريفه ورتبته كما رتبت الرّتب من المعنى والإسم، وهذا استخصاص أبي الذّرّ بما استحقّ من مكوّنه هذه المنزلة الّتي نزلها وحلّها، فهو بما جرت إليه من الانقياد إلى ما نهى عنه وحذّر منه، وتواعد عليه، فأثرت الخلق وعاينت القبول، فأبدى لها ما يشاكلها وما يليها إلى مجانسها، حتّى امتزجت بالتّراضي والقبول، واختلطت بالتّداني والميل إلى الهوى، وأشكلت بإشكال المجانسة، وحلّت محلّ المرادة، فاستسلمت بعضاً لبعضٍ إذ هي حال الأضداد الّذين يضدّ بعضهم عن بعضٍ الّذي أحلّها فيه ورتّبها به، **وهو منزل القبول ومتابعة الهوى، فداومت في المهالك دائماً، ورست في مهالك الغضب، أوجب عليها إيجادها في كلّ سيرٍ بحالٍ وفي كلّ أوانٍ بمثالٍ، حتّى يتخلّص من تلك الفرق، وتصير إلى وجود البشريّة، فتجد عند ذلك الوصب والغضب ويعمّها الغضب وتكون في أدوات غير تلك الفرق، وقوالب غير تلك الحرق في صنوف الكرّ، وترجع في أنواع الذّرّ، لا تفتر من العذاب ولا عن حمل العذاب ترى أولاً مهيلةً وترى آخراً ذليلةً مهينةً في تصاريف عذابٍ مقيمٍ في البشريّة الّتي تحلّ فيها، وهي العذاب الأليم والوصب المقيم.**

و طوبى يا محمد بن جندب لمن أسرع الخروج عن البشريّة، وعوجل منها بالوحيد، فإنّه إن لحق ذلك قاد ونجا وتخلّص ومضى، وإن داوم ذلك عليه عطب وهلك، وضاق عليه كلّ مسلك، **وهذا شرح ما بيّنته لك ممّا سألت عنه وسمعته من كتاب الأكوار النّورانيّة وفضله وبيانه وسبيله، فعه وإلى أهله أدّه، واعرفه، غطّه بسماعه، فإنّ الله عزّ وجلّ أمر أن لا يلقيه ولا يظهره إلّا لأهله ومستحقّيه.**

وإن سألك عنه سائلٌ فقل: الحمد لله الّذي أنعم عليّ وعلى أوليائه بمعرفته وبما حجبه عن أعدائه وأضداده وأهل العناد وأهل الشّقاوة الّذين تاهوا عن قصد السّبيل الّذي هو نجاة السّالك، وبه يلحق كلّ محقٍّ، وعظم خطره عند أولياء الله وعرّفهم عظم منزلته، ولا تبح به إلى أحد ممّن شكّ في الله، وضادّه، فإنّه عليه محرّمٌ محظورٌ، وإنّه به معاقبٌ مأخوذٌ، فأوص به أولياء الله ومرهم بحفظه وصيانته، فإنّه الأزلف لهم عند الله في دنياهم وآخرتهم.

و اعلم أنّ العقاب على إباحة ذلك لغير أولياء الله أسرع من طرفة العين وليس العقاب عليه هيّناً، ولا المطالبة صغيرةً، أقلّ ما يكون يحلّ في مائة ألف ذبحةٍ،

ومائة ألف قتلة، ومائة ألف غرقة، فعليك بصيانة ما سمعت، واعترف بما أنعم الله عليك، وكن من الشّاكرين، فقد أودعتك سرّ الله الأكبر، كما أمرني الله أن أستودعك إيّاه، فلا حجّة لك عليّ، بل الحجّة لي عليك، فتبيّن به، وكن حتضراً لا غائباً عن نجوانا، وما خاطبتك به وأبديت إليك من هذا، فإنّه أمانةٌ موجودةٌ، وعهدٌ معهودٌ لا خلاص منه إلاّ بوفائه وتوفيقه على سنن ما جرت به سنن ما وجد وسلف، فاستمع يا محمد بن جندب ولا تكن من الغافلين، وخذ ما استوجبت من علم كتاب الأكوار النّورانيّة، والأدوار الرّوحانيّة، واطلب ما بعد ذلك ممّا كوّن في البشريّ حتّى تستكمل إجادة علم ذلك واطلبه وابحث عنه وجد في طلبه، فإنّ من هذا العالم من وجب عليه أن يعلم كلّ علمٍ بعده لأنّه دليلٌ يوصله إلى نجاته، فاطلب علم أكوار البشريّة الّتي هي بقوى هذا ومنها تكوّنت وإليها تعود، وهي أسبابٌ يرتقى بها ويستدلّ حتّى ينسب منها دليلٌ لما بعده، ويوضح بيان شرح ذلك ويظهر.

و اعلم أنّ بمعرفة علم الأكوار البشريّة وكونها وترتيبها ودرجها ومنازلها بياناً أعظم وأجلّ وأخطر، وأقدم أثراً وأسهل سبباً ممّا جرى من علم ما سلف.

قال محمد بن جندب: فقمت إلى السّيّد أبي شعيب محمّد بن نصير صلوات الله عليه، وقبّلت رأسه، ويديه، ورجليه، وقلت: يا سيّدي، لك المنّة عليّ أوّلاً وآخراً، فلقد قدّمت إليّ ومنحتني معرفة هذا السّرّ العظيم، ومنك أسأل، فإن كنت أذنت لي بسؤالك سألت وأسرعت، ولا أمتنع عن طلب رضى الله في بريّته، وتجعلني سبباً.

فقال: يا محمد بن جندب، إذا تكامل لك الحمد والشّكر، فلا يردّك توهّمك ولا يخيب ظنّك.

فقلت: أحسنت ولك المزيد ممّا أعطاك وأولاك، إنّه وليّ ذلك، وقمت وقد امتلأت فرحاً وسروراً بتقدمة ما قدّمه إليّ من إجابتي إذا سألت عمّا حضّني عليه وأمرني وجدّ عليّ بطلبه، فلمّا صرت بالباب لقيني إسحاق بن محمد النّخعيّ فقال: يا محمد بن جندب أما مللت من سؤال محمد بن نصير؟

فقلت: ما مللت أنا ولا تركني من الأجوبة، وابتدأني بما لم أسأل، وأطلعني على ما لم أعلم.

فقال لي: فهل زادك على ما سمعت منّي؟

فقلت: أظنّ.

فقال: قولك والله – قلته زيادةً، وأخذ كتابه من يدي وسألني عنه، فأخبرته بما كان تقدّم به سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير.

فقال: صدقت وهو كما ذكرت، اعلم أنّي قد فقدت كتابي الّذي شرحته لك قبل دخولي على محمد بن نصير، واعلم يا محمد بن جندب أنّ أعظم الأشياء عليّ أنّ ماله عندي أصلٌ ولا أحفظه، فعساك تمنّ عليّ بإملائه في وقت آتيك.

فقلت: ذلك إن شاء الله، وأذن فيه، وخرج إليّ بجميع ما كان قدّمه إليّ سيّدي أبو شعيب محمد بن نصير أنّه يكون منه حتّى أنّه ينساه ولا يغادر منه حرفاً واحداً ولا ينقص.

ثمّ افترقنا وأخذ كلّ إنسانٍ منّا طريقه، ولقد لقيني بعد ذلك مراراً أحصيها ألوفاً وما عاد إلى ذكر كتاب الأكوار ولا سألني عنه، وقد دخلت على سيّدي أبي شعبٍ فأخبرته.

فقال: «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» حسرةً لا تنقص، وندامةً لا تبلى، فاحمد الله مولاك على ما أنعم به عليك وأعطاك الثّبات عليه وكن إليه من الرّاغبين وله من الطّالبين.

فقلت: ومن يقصّر عن الحمد والشّكر بعد هذه المنّة؟

فقال: زادك الله يقيناً وثباتاً وخرجت، فكنت أتغذّى بالحياة، ألذ مطعماً ومشرباً لما في نفسي ممّا وعدني به وأوعز إليّ من معرفة كتاب الأكوار النّورانيّة حتّى أذن الله مولاي لي بالإذن فيه، فحمدت الله وشكرت إليه ما أقاسيه من الاهتمام بما وعدني به **وأبدى إليّ شرح الكتابين على بيانٍ، وكان سمعي ذلك منه في مدّة سنةٍ وسبعة أشهرٍ الكتابين جميعاً**، واله مولاي يحفظ عليّ وعلى جماعة المؤمنين ويوفقنا للعمل به، وهو حسبي وحسب المؤمنين وصلى الله على محمد وعلى آله الطّاهرين.

كتاب المثال والصورة لمحمد بن نصير

كتاب المثال والصورة يُظهر لنا فكرة وجود الإله في التّجلّي، ذلك أنّ العقيدة العلويّة تشدّد على الفرق بين الاسم والمسمّى، ولا سيّما بين كلمة الله – التي هي اسم – وبين المعنى الدّال على الكلمة وهو معنى المعاني، ولمّا كان هذا المعنى هو الإمام بعد الإمام فقد بيّنت الحكمة العلوية تفسير وجود الإمام الّذي سيتلقى المعنويّة ويتجوهر بها ويكون هو هي بأنّه يكون قبل ذلك مثالٌ، ثمّ يتجلّى بالمعنويّة فيصبح هو الصّورة وهو المعنى.

الحمد لله الّذي بنفسه حمد نفسه ليحمد، وبنوره كان ظهوره ليوجد، الحمد لله فالق الحكمة من ذاتيّته، ومخترع الأسماء والصّفات من جوهريّته، الّتي بأقرب صفاته من القدر، المتجلّي لخلقه كخلقه حين ظهر، الّذي أبدع لطيفات العقول من لطيف ما أبدع، وتاهت أسرار الأفهام دون عظيم ما اخترع، المتجلّي للعقول بالحكمة، والسّابق قبل العذاب بالرحمة، الحمد لله الّذي هو مكان كيانه وعلّة حجابه، الآمر له بخلق بابه، حمداً يقتضي المزيد، ولا يبلغه التحديد، إنّه فعّال لما يريد عليٌّ عظيم.

قال أبو شعيب محمد بن نصير في الصّورة والمثال:

و إخلاص الايمان معرفة الله من محمد، ثمّ معرفة محمد ومنزلته من بارئه، وأنّه موقع أسمائه وصفاته، وأوّل كلّ شيء، وبعد كل شيء، ومعنى كل شيء، لا شيء بعده، ولا شيء أقرب إليه منه، ولا يقال له مخلوقٌ، ولكنّ الله المعنى فوقه، وهو الغاية، والمعنى فوق الغاية، والمعنى تعالى كونه ومثله في الأرض البيت

وفي السماء الشمس، وفي الكروبيين العرش، وفي الروحانيّين الكرسي، وكلّ ما وقع عليه اسمٌ أو صفةٌ ما خلا الله فهو مخلوقٌ.

و قال: كلّ اسمٍ من أسماء الأنبياء في القرآن مثل ابراهيم في قصّة، وإبراهيم في قصّة، وعيسى في قصّة، وموسى في قصّة، فكلّ واحد من هذه الأسماء غير صاحبه، هذا العيسى غير هذا العيسى، وذلك الإبراهيم غير هذا الإبراهيم، لأن الحكيم لا يوصف بإعادة الشيء مرّتين من اسمٍ أو صفة، وعد أو وعيد، وكلّ ما دلّ على الله به دلّ الله به الخلق على نفسه، وأراهم مثاله، فمثله قولهم: عينه ولسانه ورأسه، ويده ورجله.

فكلّ ما وقعت عليه الأبصار فهو من الله يره، وهو دليلٌ على نوره وصفة من صفاته، واسمٍ من أسمائه، وله صنعٌ ونطقٌ، وشخصٌ، وأمرٌ، ونهيٌ، فجميع الصّفات دليلةٌ على نورٍ من نوره، وخلق من خلقه، حتّى يصير إلى سبعمائة وعشرين عرقاً، وثلاثمائة وستّين ضاربةً، وهي الرسل الناطقة، وثلاثمائة وستين ساكنة، وهي الرسل الصّامتة، فكلّ نورٍ من نور الله، وكلّ اسمٍ من أسمائه، وصفةٍ من صفاته، وشيءٍ من صورته، فهو قائمٌ أبداً ظاهر وباطن غير زائلٍ، له شخصٌ موجودٌ يجب معرفته، ولا يسع جهله.

فإذا عرفت ذلك نفيت الصّفات، وهو قوله: «من عرف مواقع الصّفة بلغ قرار المعرفة، ومن أفرد الصّفات عن الذّات عرف حقيقة اللاّهوت»، فإذا شاء الله أن يكون شيئاً من ذلك أو صفّى من عباده أحداً أسكنه فيه، فدعي ذلك المسكون بالإسم الواقع على ذلك النّور السّاكن فيه، والإسم غير المسمّى، والسّاكن غير المسكون، بائنٌ منه، ظاهرٌ بكماله، وكذلك كلّ ما أظهره الله من الأسماء والحجب والأستار والفعل، كمثل قولك: أكل وشرب، وركب، ورخاء وضحك، وبكاء، وقام، وقعد... فهو دليلٌ من الله على صفةٍ من صفاته، وخلقٍ من خلقه، وهو تعالى لا يقضي عليه بحراكٍ.

و من ذلك قول المولى جعفر الصّادق (ع): «من زعم أن الله يسمع ببعضٍ دون بعضٍ فقد كفر»، وقال: «نحن صفة الله تقمّص بالرّحمة وائتزر بالعزّة، وارتدى بالكبرياء»، وقال: «تاجه العلم والعظمة، ورداؤه الكبرياء وإزاره الهدى» والقرآن

وهو الباب الّذي قرن بين الأشياء والفرقان هو الاسم الّذي فرّق بين الحقّ والباطل، والحجاب الحاجز بينهما، وهو محمّد، **وكلّ ما كان من هذه الأسماء ومن ذوات الهاء مثل العظمة، والمشيئة، والإرادة، فهو ما أظهره من الأنوار يدعوهم إناثاً، وما كان من اللّفظ مذكّراً فهو وهي الإسم الّذي إليه القصد، فكلّ لفظٍ وتسبيحٍ ممّا لا يجاوزه نعتٌ ولا صفةٌ، فالمعنى فوقه الّذي ليس كمثله شيءٌ، وهو خالق الأشياء.**

و روي عن الصّادق منه الرّحمة أنّه قال: «إنّ هذا الإقليم على ظفر ملك»، ولا يكون للملك ظفر، ولكن صفة ذلك تقع على غير الملك، ولذلك قال: «أوجب الله لرسوله ما أوجب لنفسه، وأوجب لوليّه ما أوجب لرسوله»، فمعناه إنّ الشّخص الّذي يدعى ظفر ذلك الملك هو الّذي له تدبير شؤوه هذا الإقليم.

ثمّ قال:«إنّ جميع ما وصف الواصفون خلقاً من خلق الله، لأن الله أضاف الأشياء كلها إليه، فهي غيره ولا هو غيرها، فأفعاله معروفةٌ به، وليس هو يعرف بأفعاله».

و قال المولى الصّادق (ع) في رسالة التوحيد:«إنّ الإرادة والمشيئة إسمان يجمعان معنىً واحداً، وذلك أنّك تقول: تريد وتشاء، وتعرف الحقّ من الباطل، وقد جمعهما اللفظ بالفعل، فلست تقدر على إفراد خصلةٍ منهما، وتفرّق بين أسمائهما، **فالخلق الأوّل** من الله، **الإرادة** بلا وزنٍ ولا لونٍ، ولا حركة، والله سابق الإرادة، **والخلق الثّاني الحروف** لا وزن لها ولا لون، **والثّالث ما كان ملموساً منظوراً إليه**، وإسم كلّ شيءٍ غير المسمّى، وصفة كلّ شيءٍ غير الموصوف، وحدّ كلّ شيءٍ غير المحدود، وتلك الأسماء والصّفات إنّما هي حروفٌ متقطّعةٌ، قائمةٌ بروؤسها، لا تدلّ إلاّ على أنفسها ما دامت منفردةً، فإذا اجتمعت تلك الحروف دلّت باجتماعها على غيرها، لأنّ الله لا يجمع منها شيئاً فيؤلّفه إلى معنى محدثٍ لم يكن من قبل شيئاً مذكوراً».

و اعلم أنّها لا تكون صفةٌ لغير موصوفٍ، ولا اسماً لغير مسمّى، ولا حدّاً لغير محدود.

والصّفات والأسماء تدلّ على الكمال والوجود الّذي هو التّثليث والتّربيع، وذلك من الله وحده، دون خلقه، لأنّ الله لا يدرك بالأسماء والصّفات، والطّول

والعرض والقلّة والكثرة، وليس يحلّ الله من ذلك شيءٌ، ولكن قد يدلّ على الله ما كان من الله، وتدرك صفاته بأسمائه، ويستدلّ عليه بخلقه، حتّى لا يحتاج الطّالب المريد إلى رؤيةٍ بعينٍ، أو لمسٍ بكفٍّ، أو إحاطةٍ بقلبٍ، ولو كانت صفاته لا تدلّ عليه، وأسماؤه لا تدعو إليه، كان المعبود غيره والمطلوب سواه، ويصعب على الرّاغب معرفته وعلى العالم وجوده، لأنّ صفاته وأسمائه غيره.

فإن سألت عن الإرادة: خلقٌ أم غير خلق؟

قلت: هو خلقٌ ساكنٌ يدرك بصفات السّكون، وإنّ ما صار خلقاً فإنّما هو خلقٌ لله، لأنّ الله وخلقه لا ثالث لهما، ولا ثالث غيرهما، فلمّا لم يخلق الله لم يقدر أنّ يكون خلقاً ساكناً ومختلفاً ومعلوماً، ومنظوراً إليه، وغير منظور إليه، بعد أن تدلّ عليه الحواسّ الخمس، فهو معنىً مدروك بحاسّةٍ من الحواس، محدودٌ موجودٌ، والعلم يجمع على ذلك.

قال محمد بن سنان في كتاب التوحيد – وقد تقدّم إسناده في باب التّوحيد – :«إنّ الأسماء والصّفات والنّعوت تقع على روح القدس وهي روح الغاية»، أي حجاب الغاية، والغاية هو المحتجب بالرّوح...

و حدّث صالح بن حمزة عن أبان بن مصعب عن أسد بن اسماعيل عن عبد الله المولى جعفر الصّادق في كتاب الأظلّة والأشباح أنّه قال: «كان الله ولا مكان، ثمّ خلق المكان، ففوّض إليه الأمر، فقلت: وما المكان؟ فقال: هو محمد صلعم».

و فيه روى أحمد بن محمد بن المفضل عن أبي حمزة الثمالي عن جعفر المولى الباقر منه الرحمة قال: قال رسول الله صلعم:«أنا آدم في باطن القرآن وأنا أوّل من خلق الله وأنا آخر من خلق الله».

و قال المولى الصّادق منه السّلام في كتاب الهفت والأظلّة:«فأحد أركانه العلم، والثاني القدرة، والثالث الرحمة، والرابع المشيئة» فأسكن في الأربعة أركانٍ أربع أرواحٍ هي: روح القدس وروح الأمر، وروح الأمين، وروح ذي المعارج، الرحمة طرفه، وروح الأمين المشيئة طرفه».

و قال في كتاب التنبيه لإسحاق الأحمر[1] في قوله: «ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ»: وهو العلم والقدرة، وكلّ شيءٍ خلق بعلمٍ وقدرةٍ، والمكان هو خالق الأشياء، وهو عبده، سامعٌ مطيعٌ لله الّذي خلقه خلقاً لا كخلق الآدميّين، لكنه خلق من نورٍ، وإنّما يظهر بصورة الآدمّيين حجّة على العباد، **ولو لم يزل العالم في الصّورة الّتي كون فيها في السّماء لافتتن جميع الخلق ولعبدوه من دون الله.**

و حدّثني محمد بن إبراهيم عن أبي علي البصري، عن محمد بن موسى الكرخي عن ابن صدقة عن محمد بن سنان قال: قال المولى الصّادق منه الرحمة: «إنّ الله خلق واحداً فجعله عينه الّتي يبصر بها، ويده الّتي يبطش بها، وأذنه الّتي يسمع بها، فلو كانوا مائة ألفٍ لكانوا واحداً».

و حدّث عنه الهمداني عن أبي سعيد، عن زيد بن طلحةٍ عن يونس بن ظبيان، قال: قال المولى الصّادق: «إنّ الله كان ولا مكان، ثمّ خلق المكان فجعله يحوي ولا يُحوى، وهو الميم»، وقال المولى الصّادق منه الرحمة: «كلّ ما أحلّه الله وحرمه فهو معرفة أشخاص، أوجب الله على العبد معرفتها واتباعها وأشخاصٍ أمر باجتنابها، فإنّ الله أكرم من أن يجعل فرائضه وأوامره ونواهيه وشرائعه في فرجٍ ومجرى بولٍ، ولحمٍ وأكلٍ وخبزٍ، يعود عذرةً وقذراً».

و حدّثني محمد بن ابراهيم عن أبي علي البصري عن عبد الله بن العلاء عن إدريس عن زيد بن طلحة عن المفضل قال: قال سيّدي الصّادق: «إنّ لكلا منّا ظاهراً وباطناً، فظاهره حكم أنيق، وباطنه عميقٌ، وحديثنا صعبٌ مستصعبٌ، وأمرنا سرٌّ مستترٌ، فمن عرفنا وعرف لحننا عرف ما أردنا ومن لم يعرف التّلويح لم ينتفع بالتصريح».

و بإسناده عن يزيد بن طلحة عن علي بن عبد الملك عن المفضل قال: قال سيّدي: «إنّ نزول القرآن له ظهورٌ وبطونٌ، ومحكمٌ ومنشابةٌ وناسخٌ ومنسوخٌ، وعامٌّ وخاصٌّ، وتشديدٌ، وترخيصٌ، وتلويحٌ، وتصريحٌ، وكذلك لكلامنا أهل البيت، وإنّا لنتكلّم بالكلمة لها سبعون وجهاً لنا من جميعها المخرج».

[1] يستند أبو شعيب إلى اسحاق الأحمر.

و بالإسناد عن عبد الله بن إدريس الكفرتوني عن محمد بن سنان قال: سألت الصّادق عن قول الله:«كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون» قال الصّادق منه الرحمة: «إنّا لنتكلّم الكلمة لها سبعون وجهاً، فقيل: سبعون وجهاً! قال: سبعمائة. فقيل سبعمائة !؟ فقال: سبعة آلاف، فأمسك السّائل، ولو استزاد لزاد».

وحدّث المبارك عن محمد عن الحسن بن محمد عن أيوب بن هشام، عن الحسن بن أيوب، عن محمد بن منصور عن أبيه عن الصادق، قال: قلت له: إنّ عالمكم يتكلّم الكلمة على سبعين وجهاً، قال: «يا أبا منصور، على سبعين لغة، وثلاثمائة وجهٍ ولنا من جميعها المخرج».

و حدّثني عنه البغدادي عن إسماعيل عن أيّوب القمّيّ عن محمد بن صدقة قال: قال الرّضا منه الرّحمة:«ليس في كتاب الله مأكولٌ ولا مشروبٌ، ولا ملبوسٌ، وإنّما هي أمثلةٌ مضروبةٌ، معنى كلّ واحد بمعنى ما استحقّه، وكذلك لا جوهر ولا فضّة ولا ذهب، ولا عطور ولا دوابّ، وإنّ كلّ ذلك أمثلةٌ». قال محمد بن صدقة: وقال المولى علي الرضا (ع): «ليس ذلك في كتاب الله وحده، بل وكلامنا أهل البيت، ليس فيه شيءٌ ممّا مضى، وإنّما ذلك أمثلةٌ مضروبةٌ وأشخاصٌ ومعاني وأشباح، وإنّه إشارةٌ إلى أنوار وظلمات، من الفرق الحائدة عن طريق الحقّ».

و حدّثني عنه قال: حدّثني محمد بن مسى عن عبد الله بن العلا عن ابن مهران الكرخي عن محمد بن سنان عن يونس بن ظبيان عن المفضّل قال: قال سيّدي:«**لولا التّلبيس ما جهل الله أحدٌ، ولولا التّصريح ما عرف الله أحدٌ، ولقد أخفى الله دينه حتّى ظنّ أنّه يُحبّ ألاّ يُعرف، وأظهره حتّى ظُنّ أنّه يحب ألاّ يُجهل**».

و حدّثني أيضاً عن أبي عبد الله بن العلاء عن إدريس بن زياد، عن زياد بن طلحة، عن المفضّل، عن جابر الجّعفي، قال: قال المولى الباقر:«لو وجدت ثلاثة رهطٍ مسلمين يلقى إليهم لاستودعتهم حديثاً لا يحتاجون معه إلى نظرٍ في حلالٍ أو حرامٍ، ولا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة».

ألا ترى أنّ هذه إشارة إلى علم التوحيد، وإنّه لو كان الحقّ فيما عليه الكثير من الشّيعة ما قال هذا القول، ومثله أخبارٌ في القلّة سنوردها مجتمعةً إن شاء الله تعالى...

و بالإسناد الأوّل عن إدريس عن محمد بن يحيى عن محمد بن سنان قال: قال الصّادق: «ما قلنا لكم ما في الله فهو فينا، وإن قلنا لكم ما فينا فهو فيكم».

و حدّثني الحسن بن محمد قال: حدّثني أبو القاسم الهمداني قال: حدّثني الحسن بن محمد رواه عن محمد بن الدّون عن عليّ بن الحسن التّغلبي عن محمد بن سنان قال: قال الصّادق:«إنّ الله كتم أربعاً في أربعٍ، فبدأ في عبيده الموحّدين، فكتمهم في خلقه، وكتم رضاه في طاعته، وفلا يدري العبد فيما يسخط عليه من ذنبه ومعصيته، وكتم اسمه بين أسمائه».

و بالإسناد عن إدريس عن زيد بن طلحة عن يونس بن ظبيان قال: قال الصّادق: «كلّ اسمٍ محمود فهو بعينه مذمومٌ، فمن ذلك الشّمس، محمودةٌ في موضع ومذمومةٌ في موضع، والقمر حمودٌ ومذمومٌ، وكذلك الجّبال والشّجر والنّخيل، والدّواب، كلّ ذلك محمودٌ ومذمومٌ، وكذلك آدم خاطيء وآدم زكيّ، وإبراهيم خاطيء وإبراهيم زكيّ على جميع ما سمعت في القرآن».

و روي أنّ ذكر موسى وفرعون مكرّراً في القرآن على حسب ما تقدّم من الآدميّين.

و روي أنّ أبا عبد الله قال: «إنّ في القرآن الكريم سبعة أمكنةٍ مختلفةٍ في مخاطبة آدم، ولكلّ آدم منهم موسى، وفرعون ستٌّ فعل الله بهم ما شاء، وسابعهم هو آدمنا يجعل الله له الخلود في الجنّة».

و قال أيضاً:«مضى من سبعة آدميّين ستّةٌ، وهو الدّور السّادس، ثمّ يدخلون في السّابع، وفي كلّ دورٍ موسى وفرعون»، ففي ذلك اختلفت المخاطبة في قصّتهما في سبعة مواطن في القرآن...

و روى جماعةٌ من الشّيعة ممّا نقلوه في تفسير القرآن عن الأئمّة قول الصّادق:«جهنّم المحمودة في الباطن هي القائم، فهو جهنّم الكافرين أي معذّبهم بالسّيف، وجهنّم المذمومة هي فرعون هذه الأمّة، وهو الّذي إذا وقع المؤمن في حبائله وقع في جهنّم الّتي ذكرها الله، وهي في الحقيقة المسوخيّة، والنّار المحمودة هي الباب، والنار المذمومة هي المسوخيّة، والحمد في النّار أكثر من الحمد في جهنّم، والحمد في جهنّم أقلّ من الحمد في النّار، لأنّ حمد النّار أصلٌ وحمد جهنّم

فرعٌ، وأمّا قوله:«مأواكم النّار هي مولاكم» فهذه للمقصّرة، يقول مأواكم عذاب القائم، الّذي كنتم تسمّونه مولانا، ثمّ تكفرون به وتعادون أولياءه»، وفي القرآن أشخاص محمودةٌ، ومذمومةٌ، فمنها ما قصّها الله بالحمد، ثمّ جعله مثلاً لأهل الذّمّة، وهو يحتمل الحمد والذّمّ معاً، وإنّ المقصود في الأصل الحمد، ثمّ فرّعه الله بالذّمّ، فهو يحتمل الحمد والذّمّ، وعلى هذا المثال ما جاء في القرآن الكريم: ملائكةٌ محمودة الأصل، وقد يحتمل هذا الاسم الكافرين والمحمود أحمد في هذا الإسم، لأن المحمود متّفق في الأصل والفرع، وأصلهم شيءٌ واحدٌ، وإن كانت صورهم في التّقلّب واحدة، والمذمومون صورهم مختلفةٌ في التّقلّب، وفي الفرع مختلفون، وإنّهم في الأصل شيءٌ واحدٌ، فالملائكة الّذين ملكوا من علم الله وعلوا في الملكوت هم ملائكة الله، وكذلك كلّ ما كان من علم الشّيطان الملعون، وقائماً به فقد ملك علم الشيطان، والدّليل على ذلك قول الصّادق: «إنّ الملائكة ليمرّون بالزّمرة من الملائكة وهم في فضلنا يتذاكرون، فيقول بعضهم لبعض : كفّوا حتّى يجوز هؤلاء... ثمّ قال: «إنّ من الملائكة من لا يساوي كشّة بقل» فقد دلّ هذا القول على أن الملائكة الّذين كانوا يتجاوزون فضل السّادات، إنّهم أهل الباطن من الملائكة، والّذين يمرّون بهم هم أهل الظّاهر، وقوله: لا يساوي كشّة بقل، يريد من كان يروي عن الصّادق ممّن كان قد لقيه وشافهه، ثمّ لم يحتمل علمه، وهو يتولاّه في الظّاهر، ويستر علم الظّاهر من المرجئة، فقد ملك علم الظاهر وصدّ عن علم الباطن.

و عن المبارك عن محمد عن أحمد بن محمد عن الحسين بن عبد الرحمن بن حمران بن أعين عن أبيه قال: قال أبو عبد الله الصّادق: «إنّ الملائكة يجلسون ويتحدّثون ويذكرون فضلنا، فإذا جاء من لم يحتمل أمسكوا. قلت: جعلت فداك، أمن الملائكة من لا يحتمل فضلكم؟ قال: أي والله، ومن الملائكة من لا ياوي كشّة بقل»، ثمّ قال: «الفقر فقران: فقرٌ محمودٌ وفقرٌ مذمومٌ، فالمحمود هو الزّهد في الدّنيا والتّخلّي عنها، والمذموم هو الجّهل، والجّهل هو الكفر، وعلم الضِدّ، وكذلك غنىً محمودٌ وغنىً مذمومٌ، فالمحمود هو علم الله، والمذموم هو المستغني بعلم الأضداد عن أهل الحقّ، والآلهة المذمومة هم المدّعون من دون الله، وهم أئمّة الجّور، وكذلك كلّ من عبد من غير الله، وأوى إلى إله غيره، وذلك أنّك ترى الواحد من الخلق وهو

يومي إلى الله ولم يعرف الله لقوله تعالى: «ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ».

فإن سألته وقلت له: الله الّذي رضي فعلك بالكفر، فقال نعم، فقد علمت أنّ ذلك إبليس الّذي جاء فيه قوله تعالى: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً والله لا يرضى لعباده الكفر[1]».

و منه قول أمير المؤمنين (ع) يوم النهروان وقد ضايقهم الحرب فقال: يا وهب، الّذي منحكم دماءنا هو الله، فقالوا بأجمعهم: نعم هو ذلك، فقال لأصحابه: نعم شدّوا عليهم، فقد عبدوا الشّيطان وكفروا بالرّحمن، والشّيطان محمودٌ بوجه، مذمومٌ بوجه، فالشّيطان المذموم هو الّذي طغى على الله، والمحمود هو الّذي يعذّب الإنسان لقوله تعالى:«ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ». والله لا يحفظ إلاّ مؤمناً، فهذه الشياطين المحمودة هم أهل مراتب العالم الكبير، وقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا»، والأزّ هو اللّعن، والشّياطين المذمومة هم العالم المذموم، وهم إبليس وجنوده.

و كذلك جنٌّ محمودٌ وجنٌّ مذمومٌ، فالجنّ المحمودون هم الّذين خفوا عن العالم بالمعرفة، فهم إرواحٌ بلا أبدان، والجنّ المذمومون هم المسوخ وهم أرواح وأبدان، ومارقٌ محمودٌ، ومارقٌ مذمومٌ، فالمحمود هو الّذي مرق من الحقّ، وخرج من الأنبياء والملائكة، وأتباع المقام الدّاعي بالتّصريح، والدّاعي بالرّسالة في كلّ وقتٍ، فإنّما تقع المخاطبة عليهم، وممّا يدلّنا على ذلك قول مولانا أمير المؤمنين علينا سلامه:«علمنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلاّ ملكٌ مقرّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان»، فأعلمك أنّ هؤلاء لا يحتملون الصّعب.

و قال الصّادق (ع): إنّ من علمنا ما لا يحمله إلاّ ملكٌ مقرّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو مؤمنٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان». فدلّ أنّ هؤلاء ليسوا هم أولئك الّذين ذكرهم أمير المؤمنين بالعلى على درجاتٍ ومراتب يسمّون بهذه الأسماء، لأنّ كلّ من ألقى الحجّة فسمع منه وأخذ عنه فهو ملكٌ، وكلّ من نبّأ بحقيقةٍ فهو نبيٌّ، وكلّ

[1] يورد الآية هنا على غير ما هي موجودة في القرآن والوارد في القرآن هو قوله تعالى: «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ»(فاطر - ٧).

من أرسل إلى قوم فهو رسولٌ، فالرّسول والنبيّ والمؤمن الّذين هم في الدّرجة الثّانية لا يحملون درجة الرّسول، والنّبيّ والمؤمن الّذين هم في الدّرجة الثّالثة والرّابعة وما فوقها.

و قوله: «اطّلع سلمان على علمٍ لو اطّلع عليه المقداد لكفر، واطّلع المقداد على علمٍ لو اطّلع عليه أبو ذرٍّ لكفر، واطّلع أبو ذرٍّ على علمٍ لو اطّلع عليه عبد الله بن رواحة لكفر، واطّلع عبد الله على علمٍ لو اطّلع عليه أهل الدّنيا لكفروا...» فدلّ هذا الحديث على أنّ قوله في المحكم: يا أيّها الرّسول، ويا أيّها النّبيّ والمعنى إثبات أو غيرها، فإنّما هو لهؤلاء، ولمن كان من دونهم.

و قال في كتاب الأشخاص وغيره: إنّ المنبّئين كانوا على عهد النّبيّ سبعة عشر رجلاً، ولكلّ واحدٍ منهم أخبارٌ في القرآن وتفسيرٌ يطول شرحه، وهم: زيد بن حارثة وسعد بن معاذ، وعمر بن تغلبة وخزيمة بن ثابت، وحارثة بن النّعمان، وأبو دجانة سماك بن خرشنة، وعمّار بن ياسر، وعبد الله بن حزام، وثابت بن أبي الأفلح، وأبيّ بن كعب، وتميم الدّاري، ومعاذ بن عمر، وثابت بن قيس، وسعد بن مالك، وأبو الهيثم مالك بن التّيهان، وحزام بن حيّان، وكنيته أبو لبانة، وعمر بن الجموح، وقد بعث هؤلاء رسلاً فما كان في القرآن من خطابٍ وعقابٍ فهو لهؤلاء السّبعة عشر.

و حدّث أبو عبد الله عن عبد الله بن أيّوب القمّي قال : أخبرني المثنّى عمر بن مختار الخزاعيّ عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله عن المولى الصّادق (ع) في كتاب المراتب والدّرج: ذكرنا منه ههنا هذا الفصل، قال بعد ذكر المراتب والدّرج وعدد من حلّها من الأولياء قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا كرّر الخلق بالمواليد والتّربيّة، ودعاهم إلى طاعته، وجعل لهم السّبيل والاستطاعة إلى الطّاعة، والمعصية، فمن آمن وأقرّ وأطاع آياته اتّخذه وليّاً، وألزمه الأسماء المحمودة ومدحه بكتابه وقرنه بنفسه، وأقسم به في مواضع القسم إجلالاً وإعظاماً وتبجيلاً منه لهم، وألزمه الكفّار الأسماء المذمومة، ولعنهم في كتابه، وبريء منهم ومن أفعالهم وأشياعهم وأتباعهم.

قلت: سيّدي جعلت فداك، وما هذه الأسماء المحمودة فسّرها لي؟

قال: هي على خمسة حدود.

الحدّ الأوّل: هو كلّ اسمٍ اختاره الله لنفسه واتّخذه وليّاً واصطفاه لنفسه، ولم يجعله لأحد سواه، وهو قوله: «ولَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّماوَاتِ والأرْضِ»، وقوله: «للَّه الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ»، وقوله: «ولِلَّهِ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى»، وقوله: «لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ».

الحدّ الثّاني: فهو كلّ اسمٍ أقرنه الله بنفسه وأضافه إليه، وأقامه مقامه، وهو قوله: «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ»، وقوله: «تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ والإكْرامِ»، وقوله: «إنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ورُسُلِه»، وقوله: «رَحْمَتُ اللَّهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، وقوله: «ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، وقوله: «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ»، وقوله: «كتب الله عليكم وأحلّ ما وراء ذلك [1]»، وقوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ»، وقوله: «ولكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ»، وقوله: «مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ ومَلائِكَتِه»، وقوله: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قائماً بِالْقِسْطِ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، وقوله: «يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ويَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ»، وقوله: «واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ واللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وأمّا الحدّ الثّالث: وهو كلّ اسمٍ افتتح الله به كتابه وأقسم به، وهو قوله: «الم»، «الر»، «طه»، «ص»، «حم»، «يس»، «ن»، «ق»، وقوله: «والنَّجْمِ إذا هَوى»، «والطُّورِ، وكِتابٍ مَسْطُورٍ»، وقوله: «والذَّارِياتِ ذَرْواً.فَالْحامِلاتِ وِقْراً، فَالْجارِياتِ يُسْراً، فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً»، وقوله: «والْعادِياتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِياتِ قَدْحاً، فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً»، وقوله: «والسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ، والْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وشاهِدٍ ومَشْهُودٍ»، وقوله: «والْفَجْرِ، ولَيالٍ عَشْرٍ، والشَّفْعِ والْوَتْرِ، واللَّيْلِ إذا يَسْرِ، هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ»، وقوله: «والشَّمْسِ وضُحاها، والْقَمَرِ إذا تَلاها»، وكلّ ما كان في القرآن من الأقسام فهي أشخاصٌ ومقاماتٌ معلوماتٌ.

---

[1] وردت الآية في كتاب الله على الشّكل التّالي: «كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وأُحِلَّ لَكُمْ ما وراءَ ذلِكُمْ» (النساء ٢٣).

و أمّا الحدّ الرّابع: فهو كلّ اسمٍ فرض الله طاعته، فعلى العباد قوله منه والقيام به والحفظ له، والسّعي إليه مثل قوله: «وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ»، وقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا»، وقوله: «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً»، وقوله: «فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً»، وقوله: «ولَو أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ»، وقوله: «اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُو الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وأَنْزَلَ التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وأَنْزَلَ الْفُرْقانَ»، وقوله: «إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ»، وقوله: «وأَتِمُّوا الْحَجَّ»، وقوله: «ذلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الْحَكِيمِ»، وقوله: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ والشَّهْرَ الْحَرامَ»، فهذه الأسماء الّتي فرض الله طاعتها على الخلق وقبولها والعمل لها والانقياد إليها وجعلها الدّلالة عليه.

و أمّا الحدّ الخامس: فهو كلّ اسمٍ ذكره الله فحمده بفعله، وعرف الخلق طاعته، وذكر اجتهاده والمبالغة في رضاه وقبول أمره، والمحافظة على حدوده، وفرائضه، وهو قوله: «الم، ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ»، وقوله: «آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ»، وقوله: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ والصَّادِقِينَ والْقانِتِينَ والْمُنْفِقِينَ والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحارِ»، وقوله: «التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ...»، **وليس يخرج وليٌّ من أولياء الله من هذه الحدود الخمسة، فاعلم ذلك.**

قلت: سيّدي، إنّه يأتي من هذه الأسماء ومما يشتكل عليّ، فلا أدري محمودٌ هو أم مذمومٌ؟

قال أبو الحسن: يا عمر، ما اشتكل عليك منها فاقصد إلى القرينة، فإن كانت القرينة محمودةً فالاسم محمودٌ، وإن كانت مذمومةً فالإسم مذمومٌ.

فقلت: جعلت فداك اشرح لي ذلك شرحاً لا يداخلني معه شكٌّ.

فقال: إنّ الأسماء على ثلاثة ضروب: اسمٌ محمودٌ واسمٌ مذمومٌ واسمٌ مهملٌ، فما كان محموداً فهو وليّ الله، وما كان مذموماً فهو عدوّ الله، وما كان مهملاً فهو من الّذين قال الله فيهم: «وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ»، وقوله: «وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ».

فأمّا القرين الّذي لا يكون مع الإسم دليلاً، فإذا رأيت اسماً قد وقع عليه ذكر كفرٍ أو عصيانٍ أو سخطٍ، أو لعنة، وما كان من الأفعال المكروهة. فاحكم على ذلك بالذّمّ، وإذا رأيت الاسم قد وقع عليه ذكر إيمانٍ وطاعة، ورضى ورحمة وتسليم فاحكم عليه بالحمد، وإذا رأيت الاسم لا يقع عليه شيءٌ من هذه الضّروب، فلا يلزمه حمدٌ ولا ذمٌّ، وقد تجري أسماءٌ على لفظٍ واحد، يكون بعضها محموداً وبعضها مذموماً، يعرف ذلك في قرين الاسم، فمن ذلك قوله تعالى: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»، فهذه أرضٌ محمودةٌ، وقال في الأرض المذمومة: «فَخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الأَرْضَ»، فهذه أرضٌ مذمومةٌ، لذكره لها بالخسف، وقوله: «ومِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ويَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ»، فهؤلاء محمودون لأن الله لا يحفظ إلاّ مؤمناً، ثمّ قال: «وما كَفَرَ سُلَيْمانُ ولكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا»، فهؤلاء مذمومون لذكره لهم بالكفر، وقوله «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ولَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً»، فهؤلاء محمودون لذكره لهم بالإيمان، وقوله: «ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

فهؤلاء جنٌّ مذمومون بما أوجب عليهم من النار، وقوله: «وهُو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ»، فهذه نجومٌ محمودةٌ، وقوله: «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ»، فهذه نجومٌ مذمومةٌ، وقوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ.إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ» فهذه وجوهٌ محمودةٌ، ثمّ قال: «ووُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ»، فهذه وجوهٌ مذمومةٌ، وقوله: «ونَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً»، فهذا ماءٌ محمودٌ، ثمّ قال: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ»، فهذا ماءٌ مذمومٌ.

و المهمل الّذي لا يجب عليه حمدٌ ولا ذمٌّ، مثل قوله: «ولَقَدْ خَلَقْنَا السَّماوات والأَرْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»، فهذه أرضٌ لا يجب أن تُحمد ولا تُذمّ، لأنّه لم يذكر لها فعلٌ محمودٌ ولا مذمومٌ، ولا معها قرينةٌ توجب لها حمداً ولا ذمّاً، ومثل قوله: «أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا»، فهؤلاء ليس معهم قرينٌ يوجب حمداً ولا ذمّاً، ولا يجوز أن يكونوا محمودين ولا مذمومين، لأن الله سلّطهم على الكافرين.

و قال: كذلك عن أسماء المؤمنين وأهل المراتب في الملكوت إذا دخلوا الأجسام النّورانيّة، وهي مثل أسمائهم مبيناً، فقال: إنّما يدعون بالرّفيع الأعلى بعبيد الله لا بغيره، أما سمعت قول المسيح: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وجَعَلَنِي نَبِيًّا»، فسمّى نفسه:«عبد الله» بالإسم الحقيقي.

قلت: فإذا استوت أسماؤهم، فكيف يُعرف بعضهم من بعضٍ؟

فقال: إنّما جعلت هذه الأسماء المختلفة لأصحاب الأجسام الكثيفة الّتي يسير بعضها إلى بعضٍ، وأمّا الأجسام النّورانيّة، فصاحبها يبلغ حيث يشاء من وقته وساعته.

فقلت: فقد نرى النّجوم تسمّى بالأسماء المختلفة وهي نازلةٌ في الملأ الأعلى.

فقال: إنّما سمّيت بالأسماء المختلفة عندنا لا عندهم، وإنّما فعل ذلك لحاجتنا إليه، ولولا ذلك ما فعل.

و حدّثني أبو عليّ محمد بن عبد الله بن جعفر عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسن عن صفوان بن يحيى عن ذريح بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنّ أبي – ونعم الأب – كان يقول: لو أجد ثلاثة رهط لاستودعتهم علماً وهم أهلٌ لذلك، ولحدّثتهم بما لا يحتاج معه إلى النّظر فيه إلى حلالٍ أو حرامٍ وإلى ما كان وما يكون إلى يوم القيامة».

و بالإسناد عن سعد بن عبد الله عن أحمد ومحمد ابني الحسين، والهيثم بن أبي مشرف عن الحسين بن محبوب عن علي بن رباب عنّ أبي بصير قال: قال أبو

عبد الله الصّادق: «لو وجدت منكم ثلاثة مؤمنين يكتموا حديثاً ما استحللت أن أكتمهم شيئاً».

و حدّثني أحمد بن القاسم عن محمد بن جعفر عن الأعور الأسْدي عن سهل بن زياد عن محمد بن رومة عن النّضر بن يحيى عن أبي خالد القماط عن حمران بن أعين قال: قلت: لأبي جعفر:«ما أقلّنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها» قال: «لأحدّثك بأعجب من ذلك: إنّ المهاجرين والأنصار ذهبوا – وأشار ثلاثاً–.

قال حمران: قلت: جعلت فداك، ما حال عمّار؟

فقال: رحم الله عمّاراً أبا اليقظان، فإنّه وقف مع أمير المؤمنين، وقتل شهيداً.

فقلت في نفسي: ما أفضل من الشّهادة !، وقد فعل طوبى له طوبى ممّا ناله من المكافآت، فنظر إليّ وقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثّلاثة؟ هيهات هيهات.

قلت: الثلاثة من هم؟

قال: سلمان والمقداد وأبو ذرّ.

و بالإسناد عن جعفر بن بشير عن يحيى بن عاصم عن المفضّل الجّعفي عن أبي عبد الله الصّادق قال: كم شيعتنا في الكوفة؟

قلت: خمسون ألفاً، فما يزال يقول حتّى يرجعون عشرين... ثمّ قال: والله يا مفضّل، لو دريت أنّ شيعتنا بالكوفة خمسةٌ وعشرون يعرفون أمرنا الّذي نحن عليه لا يقولون إلاّ الحقّ لكنت ألقي إليهم سرّاً مستسرّاً يحرصون عليه وعلى كتمانه، وأرادوا أن يعلموا لي وقت جدّي رسول الله بلحظة واحدة لعلموا».

و عن عبد الله بن رومة قال: قال محمد بن سنان عن قتيبة الأعمش عن أبي عبد الصّادق قال: «المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر»، فهل رأى أحدكم الكبريت الأحمر؟!

فإذا تأمّل ذو البصيرة هذه الأخبار في قلّة المؤمنين، هذا وهم في أيّام أبي جعفر وأبي عبد الله، لرأى القلّة، وإنّ الأخبار في علم الحقّ في توحيد العليّ العلاّم

مع الأقلّين، لأنّه قد نفى الجمّ الغفير من الشّيعة، ومن يوثق بهم، وأشار إلى النّفر اليسير العدد، فهم الموحّدون.

و كذلك في قوله: «حديثنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحمله إلاّ ملكٌ مقرّبٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو عبدٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان»، فقد رأينا بحمل هذا الظّاهر الكثير من الشّيعة، وما يحمل الصّعب إلاّ النّفر الموحّدون وهم قليلٌ.

و حدّثني أحمد بن هودة قال: حدّثني إبراهيم بن إسحاق قال: حدّثني عبد الله بن حمّاد عن صالح المدني عن الحارث عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الدّابة الّتي تخرج في آخر الزّمان؟

فقال عليّ: والله إنّي أعرفها وأعرف أباها وأمّها، وتكلّموها، وتحصي أعمالكم الكبيرة والصّغيرة.

و بالإسناد عن عبد الله بن حمّاد عن عمر بن شمّر عن جابر بن أبي جعفر الباقر قال: «إذا بعث الله العباد أتى بالأيّام السّبعة الّتي عرفها الخلائق بأسمائها يوم الجّمعة له نورٌ ساطعٌ يتبعه سائر الأيّام كأنّه عروسٌ كريمةٌ ذات حسنٍ تهدى إلى ذي حليٍ وأساور، ويكون يوم الجّمعة شاهداً لمن حفظه وسارع إليه ثمّ يدخل المؤمنون الجّنة على قدر سبقهم إلى يوم الجّمعة».

و حدّثني محمد بن همام عن عبد الله بن طريف عن محمد بن عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله قال: «إنّ الكلام ينصرف على سبعين وجهاً، لو حفظه محتفظه ما كذب، وكتمه عن جاحديه، وعمل بموجب ما يأمره، ثقل ميزانه، وعرّف الله النّاس ارتفاع شأنه».

ثمّ قال أبو شعيب: **مثال الله غير الله وصورة الله غير الله، والله، والصورة غير المثال، والمثال غير الصّورة، والمثال هو الصّامت الّذي يدعونه أبداً بوصيّ الإمام بعد الإمام.**

قال: وسألته عن الصّورة أهي المثال؟

فقال: **من قال إنّ الصّورة هي المثال فقد صدق.**

و سألته عن تفسير ذلك، فقال: **المثال هو الصّامت الّذي يدعونه صورةً، فمتى أظهر النّاطق الموت، فالّذي يقال له المثال هو الميت، وهو المثال، وقد كنتم تدعونه صورةً قبل أن تدعوه مثالاً، فمن قال إنّ الصّورة والمثال واحدُ فقد صدق، على أنّه الإسم الّذي تدعونه مرّة صورةً ومرّةً مثالاً، وهو الصّامت الّذي يدعونه النّاس وصيّ الإمام بعد الإمام.**

و قد روي في الخبر: إنّ الله خلق صورةً، ثمّ أجرى فيها روحه ونفسه، وكلّ اسمٍ معلومٍ، وكلّ ظاهرٍ مخلوقٍ، وكلّ صفةٍ غير الموصوف، إلاّ أنّك بقصدك وعقلك ومعرفتك تعلم وتتحقّق أنّ الّذي رأيت، - الّذي يقول النّاس هو عليّ أمير المؤمنين- هو الله الّذي لا إله إلاّ هو، يظهر كيف يشاء، لم يغب عن أرضه بمشاهدة سمائه، ولا عن سمائه بمشاهدة أرضه، فمن زعم أنّ ما رأى بعضاً فقد بعّض الله، ومن قال: هو هو بذاته وحقيقته على أنّه بدنٌ وروحٌ فقد عاناه وحدّه ووصفه بما يقع عليه فكره، ومن قال إنّه الله يظهر كيف يشاء من خلقه، لا موصوفٌ ولا محدودٌ ولا زائلٌ ولا يقضى عليه بحراكٍ ولا سكونٍ، ولا حدٍّ ولا مثالٍ، استدلّ على معرفته وصورته، ومن استدلّ بمعرفته وصورته عليه فقد صار بعون الله على سبيل النّجاة، وقال صورته وما زال منها دليلةٌ على خلقٍ من خلقه، ونورٍ من نوره.

و روي عن المولى الصّادق أنّه قال: «كلّ ما كان من قول: الله **خلقنا وقدّرنا ورزقنا فهو ما جمع فيه الفعل من الخمسة**، وما يشاء من صورته وصفاته وما تجري به المشيئة والقدرة والفعل من واحد، وكلّ ما كان من قوله: **خلقت ورزقت، وأنا وإيّاي واعبدني، فهو واقعٌ على المعنى بالقصد وعلى النّفس بالصّفة**، كقوله: أنا عبد الله وأخو رسول الله، فأنا واقعةٌ على محمد وهو النّفس، والقصد والعبادة إلى المعنى، وقوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فإيّاك واقعةٌ على محمد، والقصد بالعبادة للمعنى، وقوله: أخو رسول الله، هو الباب وهو الروح المرسلة، وليس يقع على الله لفظٌ، ولا يدري ما الله إلاّ الله، وأمّا قول النّبيّ:«أنا عليّ وعليّ أنا»، فإنّما عنى بعليٍّ الإسم».

ثمّ قال أبو شعيب مرفوعاً إلى عمر بن ابراهيم قال: قال الحكيم: «كذب من زعم أنّ الله في شيءٍ أو من شيءٍ أو على شيءٍ، فمن زعم أنّه في شيءٍ فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنّه من شيءٍ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنّه على شيءٍ فقد

جعله محمولاً، والله غاية من الغايات والمعنى فوق الغاية توحّد بالرّبوبيّة، ووصف نفسه بغير حدوديّة، فالذّكر لله غير الله، والله غير اسمه، وكلّ اسمٍ – ما خلا الله – أو صفةٍ أو معنىً أو شيءٍ يقع عليه اسمٌ فهو مخلوقٌ، ألا ترى أنّك مخلوقٌ؟

ألا ترى أنّك تقول: «العزّة لله، والعظمة لله، والكبْرياء لله...»، وقولهَ تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى»، فالأسماء مضافةٌ إلى الله، ثمّ قال الحكيم: «هذا هو التّوحيد الخالص».

و روي فيه عن جابر عن أبي جعفر الباقر أنّه قال: «الحمد لله الّذي تراءى لخلقه كخلقه وهو غير خلقه، ورؤيته غيره وهو غير رؤيته»، ثمّ قال الحكيم: «من زعم أنّه يعرف الله بحجابه فهو مشركٌ بالله العظيم، أو بصورةٍ أو بمثالٍ، **لأنّ حجابه غير صورته وصورته غيره، ومثاله غيره، والله لا يعرف بغيره، وإنّما هو واحدٌ موجودٌ، فكيف وحّد الله من زعم أنه يعرفه بغيره، وإنّما عرف الله بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، وإنّما عرف غيره، وإنّما عرفه بقلبه لأنّ القلب يمحو ما تراه العين، ومثله معرفة الله بالأبدان عبادة الشّيطان**»، أعاذنا الله وإيّاكم.

و سأل سائلٌ المولى الصّادق منه الرّحمة عن التّوحيد فقال: «إنّ الباري الأحد فردٌ لا ثاني معه، معلومٌ لا مجهولٌ، محكمٌ لا متشابهٌ، مذكورٌ لا منسيٌّ، لا يقع عليه اسم شيءٍ من الأشياء كلّها، قائمٌ بذاته غير مغيّب عن خلقه، لا من وقتٍ كان ولا إلى وقتٍ يكون، ولا إلى شيءٍ قام، ولا إلى شيءٍ يقوم، ولا في شيءٍ يسكن، ولا إلى شيءٍ أسند، ولا يخطر ببالٍ، ولا هو صورة ولا مثال، ولا نسيج ولا ظلال، ولا مدروكٌ ولا منظورٌ، ولا فيه للقائل مقال، وذلك كلّه قبل الخلق في الحال الّتي لا شيء فيها غيره، والحال الّتي لا شيء فيها غيره في هذا الموضع خطر، وكلّ ما وقع عليه من الأسماء والكلام إنّما هي صفاتٌ محدثةٌ، وترجمةُ مترجمٍ، فهمٌ من فهيم».

ثمّ قال أبو شعيب: «وأمّا الأعداد فهم أعداد شتّى، فعددٌ فيه الخمسة من الاثني عشر، والاثني عشر من الأربعين، وهم الأبدال، والأربعون من السّبعين...و السّبعون من المئة والستّين.. حتّى يبلغ إلى مائة ألاف وأربعة وعشرين ألفاً، وقيل إنّه عدد المؤمنين وكلّ عدد غير صاحبه، والأقلّ هو الأفضل...

و قال جعفر الصّادق – منه السّلام – في رسالة التّوحيد بعد ذكره الإرادة والمشيئة: «إنّ أوّل إرادة الله ومشيئته الحروف الّتي جعلها أصلاً لكلّ شيءٍ، وفصلاً لكلّ شيءٍ يشتكل، ولمّا فعل الحروف عند إرادته في غير اسمها لأنّها أوّل فعل الله، والحروف هي المفعولة بذكر الفعل، وهي خمسةٌ وثلاثون حرفاً، منها اثنان وعشرون حرفاً على لغة السّريانيّة والعبرانيّة، ومنها ثمانية أحرفٍ على اللّغة العربيّة، وخمسة أحرف منحرفة على سائر اللّغات من أقاليم الأرض، فالخمسة المنحرفة هي حروف التّقحيم «ك – ف– ب– ج – ح» واللّسان بينهم باللّفظ لا بالكتابة، ثمّ جعل الحروف فعلاً منه للمفعول به كقوله للشّيء «كن فيكون» فالـ«كن» نفسه منه صنع ما يكون به، فهو المصنوع، فلذلك جعلت وما أخرجته الحروف فهو المفعول من صفةٍ أو دلالةٍ أو أمرٍ أو نهيٍ، **فالخلق الأوّل من الله الإرادة** لا وزن لها ولا لون، وهي مسموعةٌ بالآذات موصوفةٌ بالألسن، غير منظورٍ إليها بالأعين.

و الخلق الثّاني: ما كان من الحروف ملموساً ذا وزنٍ منظوراً إليه، فالله عزّ وجلّ سابق الإرادة لأنّه ليس قبله شيءٌ، ولا معه شيءٌ، والإرادة سابقةٌ الحروف، لأنّ الحروف مرادة الإرادة، فأوّل صنعته الحروف، وفرقته، فمفعولٌ بالحروف الموصولة غير المفصولة، وذلك في الحدّين، الأوّل والثّاني بعد الإرادة لهما، والمعرفة أحصى عددها وسأبيّن ذلك إن شاء الله تعالى.

إنّ الكون الواحد قبل خلقه إرادة الحروف ومبتدعها، وكانت الحروف محدثةً فعلاً، والمشيئة والمكان والإرادة بالله وحده وليس وراء الله مذهبٌ للأشياء كلها بعد الإرادة، وهو أولى بالإرادة، ثمّ قال: والواحد الّذي قائم بغير تقدير ولا تحديدِ خلق التّقدير والتّحديد، وفيه كان الّذي خلق خلقين التّقدير والمقدور، وليس لواحدٍ منهما وزنٌ ولا لونٌ ولا ذوقٌ، فجعل أحدهما مدركاً بالآخر، وجعلهما جميعاً مدركين بنفسه، ولم يخلق شيئاً فرداً بعينه دون غيره الّذي أراد من الدّلالة على نفسه، وإثبات وجوده إلى خلقه لأنّه فردٌ لا ثاني معه، ولا يجوز أن يقوم بين الله فردٌ واحدٌ مثله قائماً بنفسه بلا جوهرٍ ولا عرضٍ ولا تقديرٍ...

و حدّثني إبراهيم المصري عن أبي سعيد عن علي بن الحسين عن ابن سنان قال: قال الصّادق منه الرّحمة «إنّ من وراء عالمكم هذا ستّة وثلاثين ألف عالمٍ، في

كلّ عالمٍ ستّة وثلاثون ألف مدينة منقوشة، في كلّ مدينة ستّةٌ وثلاثون ألف ملك، يساوي كلّ ملك ستّة وثلاثين ألف نفسٍ لا يعلمون أنّ الله خلق آدم وذرّيّته، وهم أطوع لنا من أحدكم لهواه، وهم مع ذلك لا يعلمون أنّ الله خلق إبليس ولا أنزل كتاباً»...

و حدّثني محمد بن موسى الكرخي عن إسماعيل بن عليّ عن ابن صدقة عن هشامٍ عن المفضّل قال: قال الصّادق منه الرّحمة: «لقد ظهر الباري بينهم بالفرس فأنكره بعضهم، فنفخ عليهم وأحرقهم، وأدركته رحمته، فأنشرهم لوقتهم».

و قد قال مولانا أمير المؤمنين: «و بقيت النّار فعظّموها لتعظيم صاحبها إلى وقتنا هذا».

و كذلك قال أبو حمزة:«رحم الله يزدجرد، لقد كان موحّداً»، قال المفضّل: قلت: سيّدي أظهر ثمّ بالفرس؟

فقال: وأين لم نظهر؟

إنّ والله وراء عالمكم هذا اثني عشر ألف عالمٍ في كلّ عالمٍ اثني عشر ألف عالمٍ في كلّ عالمٍ اثني عشر ألف مدينةٍ، في كلّ مدينةٍ اثني عشر ألف باب، في كلّ باب اثني عشر ألف رجل، يكبّرون الله ولا يسمع من على الباب الّذي يليهم لكثرتهم، ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس وهم أعرف بنا منكم».

و حدّثني الحسن بن محمد العلوي قال: حدّثني أبو عبد الله الميداني قال: حدّثني إبراهيم عن داوود بن إبراهيم عن عمر بن توبة قال: قال المفضّل: سألت مولاي أبا عبد الله: أمع دنياكم هذه دنيا؟ فقال: أي والله، وخلف قبّتكم هذه إثني عشر ألف قبّة، لو أخذت قبّتكم هذه ووضعت في وسط واحدةٍ منها لم تبن فيها إلاّ كحبّة خردلٍ ملقاةٍ في أرضٍ فلاةٍ، لكلّ قبّةٍ اثني عشر ألف باب، عرض الباب من المصراع إلى المصراع اثني عشر ألف عام، فيه الملائكة صفوفاً قياماً على أقدامهم، لو ألقيت إبرة ما وقعت إلاّ على رأس رجالٍ يسبّحون الله ويقدّسونه ويلعنون فلاناً وفلان... قلت: من ذرّيّة آدم هم؟

قال: لا يعلمون من هو آدم، ولا يعرفون من هو إبليس، قلت: يعرفونكم؟

قال: نحن عندهم أعرف من عندكم.

و عنه قال: حدّثني علي بن أحمد بن علي العقيقي عن أبيه عن أحمد بن إبراهيم عن محمد بن عبد الله بن مهران قال: سألت أبا عبد الله الصّادق: كم مضى من الدّنيا؟

قال: أربعمائة كورٍ، كلّ كورٍ سبعة آلاف سنة، وفي كلّ كورٍ سبعة أوادم، مع كلّ آدم نوح وإبراهيم وعيسى ومحمد، وفي رواية ثانيةٍ: كلّ كورٍ أربعمائة دور والدّور خمسون ألف سنة، ما كان لمؤمن فيها دولة.

و بالإسناد عن محمد بن عبد الرحمن عن عليّ بن حزير عن جميل بن درّاج عن إسماعيل الجّعفي عن أبي عبد الله قال: مضى ستّة أدوار، وهو الدّور السّادس، وهم يدخلون في السّابع، وفي كلّ دورٍ منها سبعة آدم، وموسى وفرعون وكذلك اختلفت المخاطبة في قصّتهم في سبعة مواطن في القرآن.

و أخبرني أبو عبد الله بن محمد بن يعقوب الميداني ولقيته وهو شيخٌ كبيرٌ في الموصل عن محمد بن عبد الله النيسابوري عن أحمد بن العباس عن الحرس عن إبراهيم بن عمر المكفوف عن إبراهيم بن يزيد عن أبي جعفر البّاقر وأبي عبد الله الصّادق، وقد سألوهما عن الكرسي وصفة الخلق فقالا: وهو كتابٌ مترجم بكتاب الكرسي، والعلم والقدرة، ولقد اختصرنا منه موضع الحاجة إليه: إنّ الله خلق أركانه أربعة أرواح: روح القدس وروح الأمين وروح ذي المعارج، وروح الأمر، فباطن أركانه الأرواح. فجمعهم في الأمر، وعرّش الأركان على الماء المعين الّذي خلق بلا شبحٍ بالقدرة بلا جسد ولا حدو'د، قائماً غير معدوم، وهو قوله: «وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ»، وقوله: «وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ»، ثمّ بدأ بالتبدّي من المشيئة فأفاض الماء على الهواء فاختلط به، فأنشأ من الماء ظلاًّ، ثمّ أنشأ من ذلك الظلّ ظلمةً، فكان الظلّ مظلماً، والهواء مظلماً، والظّلمات مظلمةً، ثمّ جعل الظّلمات والنّور، ثمّ خلق من ذلك النّور صورةً محدودةً بأقطار العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر، ثمّ أسكنه ذلك النّور، فخلق من العقل العلم، وقدّر صورة النّور بالقدرة، فأقامه حيّاً بالماء قائماً بالعلم دائماً في الملكوت، فقال: «الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ

سنَةٌ ولا نَوْمٌ».. وأقام الأوّل جعل لنفسه نسبةً ولم يجعل له شبهاً فقال: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ، اللّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ».

و أشهد الأظلّة على نفسها، ثمّ قال في تفسير النّفخة الأولى: لها سبعة صفوف أو سبع طرائق: الأوّل النّور، الثّاني الهواء، الثالث الظلمة، والرابع النار، والخامس الرّيح، والسّادس الماء، والسّابع الطّين... وكلّ صفٍّ قائمٌ في يومٍ إلى تتمّة الصّفوف.

فالصفّ الأوّل والثّاني: الرّسل، والثّالث النّبيّون، والرّابع المؤمنون، والخامس الكفّار، والسّادس الفراعنة، والسّابع الأبالسة والطّواغيت، ثمّ أخرجهم إلى الذّرو. وأجرى فيهم النّفخة الثّانية، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ خلق الكلمة الطّيّبة عن يمينه، والكلمة الملعونة عن شماله، فأسكن فيها الذّرو فرقتين، فرقةٌ ناجيةٌ بالكلمة الطّيّبة، وفرقةٌ هالكةٌ بالكلمة الملعونة، ثمّ خلق البحرين أحدهما عذبٌ فراتٌ، والآخر مالحٌ أجاجٌ، ثمّ أنشأ منهما الذّرو، ثمّ أغشى الطّرائق السّبع، والصّفوف السّبعة بغواشي، **فأوّل يومٍ إلى الثّاني هفوةٌ، وبين الثّاني والثّالث وسنةٌ، وبين الثّالث والرّابعة نعسة، وبين الرّابع والخامس سهوةٌ، وبين الخامس والسّادس غفلةٌ، وبين السّادس والسّابع سكرةٌ.**

ثمّ جعل اللّيل من هذه الغواشي، ثمّ إنّ الله سطح نوراً، وخلق من قدرةٍ وصورةٍ، ثمّ أمر أن يخلق ناراً مسطوحةً، ثمّ أمر أن يقدّ منها قدداً، ويصوّر منها صوراً، **فأقامت القدد والصّور بين عابدين، ثمّ نهى النّورانيّة ألاّ تختلط بالنّاريّة، فاختلطت، فسطح خلقاً من خلقين، ثمّ أمر أن يخلق ريحاً فقدّ منه قدداً، وصوّر منه صوراً، فأقاموا لله عابدين، ثمّ أمر النّاريّة ألاّ تختلط بالرّيحيّة، فاختلطت بعضها ببعض، ثمّ سطح البعض الّذي اختلط، ثمّ أمر أن يخلق ماءً، فخلق وصوّر منه صوراً وقدّ منه قدداً، فأقاموا لله عابدين، ثمّ أمر الرّيحيّة ألاّ تختلط بالمائيّة فاختلطت، ثمّ خلق طيناً من البحر العذب الفرات، والمالح الأجاج، وقدّ منه قدداً وصوّر منه صوراً فقاموا لله عابدين، ثمّ أمر المائيّة ألاّ تختلط بالطّينيّة فاختلطت بعضها ببعضٍ.**

فكان هذا الخلق الممزوج الأربعة: النّور والنّار والرّيح والماء، وسطحت طينة آدم فخلق سائر الأجزاء..... وقال بعد كلامٍ طويلٍ، ثمّ خلق النّور وخلق النّار، فحجب النّور بالنّار، ثمّ خلق الماء فحجب به الرّيح، ثمّ خلق الطّين من زبد البحر، فحجب بينهما، فهذه الطّرائق والقدد:

فالنّور خلق منه الملائكة مصوّرين، والنّار خلق منه الجّان مصوّرين، والرّيح خلق منها الجنّ مصوّرين، والماء خلق منه الإنس مصوّرين.

و الطّين صورة آدم، فخلق آدم من النّور والنّار والرّيح والماء، والنّور من سائر الأجزاء، قوله تعالى: «كنّا طرائق قدداً» يقول: كلّ جوهرٍ خلقت منه صورة، ففيكم من جوهرهم، فصارت الملائكة ترى جميع الخلق ولا يراهم إلاّ الجّان لأنّهم خلقوا من النّار، ولا يراهم الجنّ والإنس إلاّ من أكرم منهم على الله، وإنّما رآهم من الإنس من كان من جوهرهم بالنّور، فصار الإنسان يأكل ويشرب بالنّار، ويسمع ويتحرّك بالرّيح، ويجد لذّة الطّعام والشّراب بالماء، وينظر ويعلم بالنّور.

فلولا النّار الّتي في معدنه ما أنضج الطّعام والشّراب، ولولا الرّيح ما التهبت نار المعدة، ولولا برد الماء لأحرقته نار المعدة، ولولا النّور ما أبصر ولا عقل، ولولا الرّوح ما تحرّك ولا جاء ولا ذهب، فإذا فرّق بين الرّوح والجّسد ردّت الرّوح والنّور والنّار إلى القدد الأوّل، وترك الجّسد في الأرض، وإنّما فسد الجّسد في الدّنيا لأنّ الرّيح ينشف الماء فييبس الطّين ويصير رفاة، ويردّ كلّ إلى جوهره، وقيل إلى جنسه الأوّل، فما كان من نفس المؤمن فهو النّور مؤيّداً بالعقل، وما كان من نفس الكافر فهو النّار مؤيّداً بالكفر، فهذه صورة النّور، وهذه صورة النّار.

ثمّ قال في ذكر الحجب السّبعة: **وهي حجاب بين الأمر والملائكة وحجابٌ بين الملائكة والرّوح، وحجابٌ بين الجنّ والجّان، وحجابٌ بين الإنس والجنّ، وحجابٌ بين الماء والنّار، وحجابٌ بين النّور والظّلمة**، فلمّا أهبط آدم إلى الأرض أمر الفلك أن يدور، وكان على عهد الجنّ لا يدور، فبقي آدم هو وذرّيته في أقاليم من الدّهور، والإقليم انقطاع حساب العرب والرّوم، ومبلغ حساب الهند، والأقاليم ثمانية منها سبعة تدور وواحدٌ قائمٌ لا يتحرّك، ولا يدور، وهو إقليم الجنّ، فكان الفلك سبعة أقاليم تدور في القطب، فمن أجل ذلك عرف اللّيل والنّهار.

و قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن أيّوب القمّي قال: أخبرني أبو المثنّى عمر بن مختار الخزاعيّ عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبي عبد الله الصّادق نمه الرّحمة في كتاب المراتب والدّرج، قال: «إنّ الله خلق الخلق روحانيّين لا يطعمون ولا يشربون، ذوو أجسامٍ نورانيّة، فظهر فيهم على هيئاتهم وأشكالهم، وأظهر لهم القدرة الباهرة، وجعلهم يشاهدونه ويرونه وينظرونه ويسمعون كلامه، ويعرفون قدرته، ويعقلون أمره ونهيه، ثمّ إنّه دعاهم إلى معرفة وحدانيّته، والإقرار بربوبيّته، وجعل لهم من العقل ما يفصلون به بين الحقّ والباطل، والخير والشرّ، والطّاعة والمعصية، فأجاب منهم إلى ذلك من أجاب، وعصى من عصى، فكان الّذين أجابوا أن كانت إجابتهم في أوقاتٍ شتّى، فمنهم من أجاب أوّل الدّعوة، ومنهم من تخلّف عن ذلك، ومنهم من أبى واستكبر، ومنهم من حار ووقف، وافترق الخلق فرقتين، فرقةٌ مؤمنةٌ، وفرقةٌ كافرةٌ، فكان مقدار الوقت منذ دعاهم إلى أن افترقوا سبعة أيّام، وسبع ليالٍ، فجعل الله إيمان المؤمنين ضياء النّهار، وجعل كفر الكافرين ظلام اللّيل، فصار السّابقون في الإيمان رؤساء المؤمنين، وصار السّابقون في الكفر رؤساء الكافرين، فاستوفى القوم إيمانهم وكفرهم في الحال من الأيّام السّبعة، فجعلها الله الدّائرة بين هذا العالم.

ثمّ إنّ الله جعل المؤمنين في مراتب الإيمان، والكافرين في مراتب الكفر على قدر سبقهم في الطّاعة والمعصية، فجعل السّابقين الّذين أجابوا في أوّل الدّعوة الأبواب، ثمّ الأيتام ثمّ يليهم النّقباء ثمّ النّجباء ثمّ المختصّون ثمّ المخلصون ثمّ الممتحنون، فهذه المراتب السّبع للمؤمنين على قدر السّبعة الأيّام المذكورة، ثمّ جعل الكافرين سبع مراتب أيضاً بالكفر، ثمّ قسم أيضاً كلّ مرتبةٍ من هذه المراتب إلى سبع درجٍ على قدر ما كان منهم بالسّبق بالطّاعة أو المعصية، فكمل للمؤمنين تسعةٌ وأربعون درجةً، وللكافرين تسعةٌ وأربعون درجةً، ثمّ إنّ الله أسكن المؤمنين السّماوات وجعلهم منازلهم، وخلق من أفعالهم أجساماً نورانيّةً، وجعلهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتألّمون.

قلت: جعلت فداك، فهل ترى تلك الأجسام النّورانيّة. قال: نعم يا عمر، أما ترى الشّمس والقمر والكواكب؟

قلت: نعم يا سيّدي، قال: كلّ هذه الأجسام أجسام الّذين أجابو الرّبّ وقبلوا دعوته، وأقرّوا بربوبيّته على حقيقة المعرفة.

فقلت: سيّدي ما بال بعضها أشدّ ضياءً من بعضٍ، وبعضها أعلى من بعضٍ وبعضها أسرع من بعضٍ؟

فقال: أمّا شدّة الضّياء فهو على قدر كثرة علومهم وقلّتها، وعلوّها على قدر الاجتهاد وحسب المواضع الّذي قد أمر أهلها بالدّعاء، وأمّا علّتها في البعد والقرب، فهو على حسب الأماكن ممّا فرض الله على كلّ وليٍّ ومؤمنٍ من الملازمة للمكان، والمقاربة له.

قلت: فهل للمؤمنين منزلةٌ أعلى من الشّمس أو أكثر علوّاً، أو أجلّ قدراً منها، فإنّي لست أرى في الفلك أشدّ من ضيائها؟

فقال: أمّا ما كان ممّا يلي الأرض فلا، وأمّا ما كان ممّا يلي العلوّ، فنعم، أعلى منها مكوّنها، وأشدّ ضياءً، وذلك أنّه لو ظهر لها نور الملكوت بذاته لأحرقها، وذابت كما يذوب الرّصاص، حتّى لا تعاين ولا تحسّ، وكذلك الشّمس لو ظهرت بذاتها لمن هو دونها في المرتبة والدّرجة ممّن كوّنته لكان يكون في الحال مثل ذلك، وكذلك لو ظهر نور شمس واحدٍ ممّن يحلّ الملكوت والعلوّ لأعشى أبصار أهل الأرض أجمعين، وإنّما يظهر لهم شمس الشموس من الأولياء دون غيرها لأنّه أجلّ منها نوراً، وأكثر علوّاً، وأشدّ ضياءً لمعرفته بهم، وما يطيعون من ذلك من أهل السّماء، فجعل أهل السّماء الّتي تلي الأرض هم الّذين عليهم الفروض في النّورانيّة لم يخلصوا منها بعد ذلك، **فإذا قضى كلّ وليٍّ ما عليه من الدّعاء المفترض عليه رُفِعَ من هذه السّماء إلى موضعٍ ومحلٍّ يُعرف بعمود الشّبح، ومن ذلك الموضع يأتي أهل تلك السّماء المادّة المبرّة من العلوم.**

قلت: جُعلت فداك، فهل يُوصف ويُرى النّور الّذي فوق هذه السّماء؟ وهل له دليلٌ أو شاهدٌ نحتجّ به إذا سئلنا عنه؟

قال: يا عمر ألست ترى إذا فتق الله ناحيةً من هذه السّماء وظهر مقدار شرك من النّور الّذي يسمّى البرق، هل يقد أحدٌ من البشر أن يملأ بصره به؟ وإنّما هو

بمقدار الخيط، وتكاد أبصار الخلائق تخطف منه، فكيف إذا فتقت السماء أبوابها كلّها؟ فهذا دليلٌ على ما ذكرت لك.

فقلت: جُعلت فداك، فكم يحلّ ذلك الموضع أهل مرتبة بكمالٍ، إنّما يحلّ أهل أربع درجٍ من مرتبة الأبواب وما سوى ذلك فهو يكرّ في هذه السّماء، فقلت: فهل للوليّ إذا انتقل من هذه السّماء إلى الموضع الّذي يُعرف بعمود الشّبح علامة يُعرف بها؟

قال: أمّا ما كان من نقلة الشّمس فبالكسوف والاستتار وأمّا ما كان من نور الكوكب فبالإنقضاض، ألا ترى لا يصعد إلى ذلك المحلّ إلاّ ما كان من درجة الشّموس، وما كان من دون ذلك من الأقمار والكواكب والأفلاك والبروج، فإنّها تكبر حتّى تلحق بمنزلة الشّمس، فتكون معه في ذلك الموضع إن غاب تغيب لغيبته، وإن ظهر تظهر لظهوره، وليس يحلّ ذلك الموضع من أهل الدّرج غير الأسماء والحجب والآيات والأنوار، فإنّ الدّرجة ليكون فيها عالم من المؤمنين، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ كرّر الخلائق أجمعين بالمواليد، وظهر فيهم وجعل المؤمنين الدّعاة إليه، والدّالّين عليه، وجعل الدّليل لهم على نفسه عند ظهوره القدرة والمعجزة الّتي لا يأتي بها أحدٌ سواه، فلا يزال العبد يكرّ مرّةً بعد مرّةٍ، ووقتاً بعد وقتٍ، وعصراً بعد عصرٍ، حتّى يخلص له الإيمان المحض أو الكفر المحض.

فإذا أخلص العبد منهم الإيمان المحض يردّ إلى الرّوحانيّة والأجسام النّورانيّة، ويسكن في جوار الله وحسن أولئك رفيقاً، وإذا أخلص العبد الكافر منهم الكفر المحض أنشأ له من فعله جسماً من المسوخيّة يعذّب فيه علي قدر منازلهم، وإيمانهم ويزدادون، والكافرون يعذّبون على قدر كفرهم وذنوبهم، فإذا قضوا ما عليهم ردّوا إلى الأشخاص البشريّة ولحقوا بالإقليم الّذي فيه الرّبّ ظاهرٌ والدّعوة مستأنفةٌ.

قال أبو المثنّى: قلت لأبي عبد الله الحسن جعلت فداك، فإذا ظهر الرّبّ لإحداث أمرٍ، أو تغيير شريعةٍ، أو تبديل دينٍ، فكلّ هؤلاء المؤمنين من أصحاب المراتب والدّرج يكونون معه ويشهدون مقامه؟

فقال: يا عمر إنّما يكون معه من أحبّ الجّهاد وصبر علي البلاء، فأمّا من سئم من معاشرة هذا المخلق المنكوس، وملّهم وضجر منهم لم يكلّفه الله ذلك، فهو

يسرح مع الملائكة، مثبتٌ في الملأ الأعلى في العالم النّورانيّ، فقلت: جعلت فداك، فأيّ القوم أفضل المقيمون في الملكوت أم النّازلون مع اللاّهوت؟

فقال: ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ إذ يقول: «لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى».

فقلت: جعلت فداك، فكم نزل منهم في هذا العصر مع السّيّد محمد منه السّلام ممّن قد حلّ المراتب وسكن الدّرج مع الملائكة؟

فقال: يا عمر ليس هم من الملائكة الّذين ملّكهم الله علمه واستودعهم سرّه، وكذلك كلّ من صفا من هذا العالم، وخرج من شكل هذا الجّرم يكون ملكاً، ثمّ قال: يا عمر إنّه لم يهبط مع الله سبحانه وتعالى في عصرٍ من الأعصار ودورٍ من الأدوار من المؤمنين أكثر ممّا هبط، فقلت: جعلت فداك، فكم أكثر ما كان معه منهم في وقتٍ من الأوقات، منذ ظهور السّيّد محمّد إلى أن غاب؟

فقال: أكثر ما كان معه منهم خمسة آلاف، وقد كانوا قبل ذلك اليوم معه الألف والألفين أو الثّلاثة، وأقلّ من ذلك أو أكثر، وفيهم يقول الله عزّ وجلّ للمؤمنين: «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ.بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ»، فكانوا يوم الأحزاب ثلاثة آلاف وكانوا يوم بدرٍ ألفاً، وكانوا يوم أحد ألفاً، والشّاهد قوله تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ»، فتمّوا يوم حنين خمسة آلاف، ألم تر إلى الّذين كانوا مع السّيّد محمد لم ينصرف منهم أحدٌ ولا غاب منهم أحدٌ إلاّ وأنزل الله تعالى مكانه واحداً من ذلك الوقت إلى يوم استشهدوا بصفّين مع أمير المؤمنين، وهو اليوم الثّالث المعروف من أيّام الهرير بشرطة الخميس دون سائر الشّرط، وذلك أنّ أمير المؤمنين كان له لكلّ يومٍ شرطة، فالعرّافون منهم بشرطة الخميس دون سائر الشّرط، فقصد بهم مجموع أهل الشّام، ثمّ أذن لهم فرجع أهل كلّ مرتبةٍ إلى مرتبتهم، وأهل كلّ درجةٍ إلى درجتهم، وإلى مقاماتهم في الملكوت، وحلّوا أجسامهم النّورانيّة، ولم يبق منهم

إلاّ نفرٌ قليلٌ، وهؤلاء الخمسة آلاف وليّ، **سبع مراتبٍ كلّ مرتبةٍ مقسومةٌ على سبع درجٍ، فتلك تسع وأربعون درجة.**

فقلت: جعلت فداك يا سيّدي، أهم معروفون في الأسماء والأشخاص ويحلّون في سائر القبائل على أنّهم من سائر النّاس؟

قال: يا عمر لا يكون ذلك إلاّ كذلك، أيجوز يا عمر أنّ الله تبارك وتعالى يظهر بشخصٍ بشريٍّ واسمٍ ونسبٍ، وقبيلةٍ حتّى تراه النّاس مثلهم وعلى صورهم وشبههم ويظهر عبيده بخلاف ذلك؟

يا عمر لو يظهر بخلاف ذلك لم يخف على أحدٍ أمره ولا يستوي النّاس أجمعين في معرفته وخرج في ذلك عن حدّ المحنة... فقلت: جعلت فداك، إن رأيت أن تتفضّل على عبدك بشرح معرفة أسماء هؤلاء الخمسة آلاف، وأن تقسّمهم على درجاتهم كما قسّمتهم على مراتبهم، وتعرّفني على أسمائهم وأنسابهم وقبائلهم في وقت ظهورهم مع الرّبّ، وأسمائهم المحمودة الّتي دعاهم الله بها في كتابه، فإنّ معرفة ذلك تزيدني بصيرةً وتقرّبني من الله تعالى، فأزداد تعبّداً واجتهاداً وطاعةً لربّي، وذكراً...

قال: يا عمر، قد أعلمتك أنّ أعلى المراتب وأقربهم إلى الله وسيلةً الأبواب، وهم الّذين لم يجعل الله لأحدٍ سبيلاً إلى خالص معرفته، وحقيقته إلاّ بهم، فهم أمناؤه على وحيه، وهم الّذين أمر الله سبحانه ألاّ يقصد ولا يتوجّه إليه إلاّ بهم، قال تبارك وتعالى: «ولَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها ولكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، فقوله: ليس البرّ أن تأتوا البيوت من ظهورها، يعني علم الظّاهر وأهله، الّذين ينسبون إلى الله ما أظهره من الأقوال والأفعال وهم لا يقرّون به ولا يثبتونه، ولا يريدونه، لأنّ الشّخص الّذي ظهر بينهم رأوه مخلوقاً مربوباً، فأمر بالاتقاء منهم، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: «وأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها»، يعني هم الأولياء الّذين يدخلون النّاس في معرفة حقيقة علم الباطن الحقّ، ويقيمون بذلك الحجّة البالغة لأنّ الله ربّ العالمين هو هذا الشّخص الظّاهر فيما بيننا يدعوننا إلى طاعته والإقرار به.

ايضاح المصباح

الدالّ على سبيل النّجاح

للسيد الجنان الجنبلاني

رسالة إيضاح المصباح هي عقيدة متكاملة تتوضّح بها معالم الدّيانة بصورة ثابتة تجعل من العقيدة والشّريعة شيئين متلازمين يوضحان بتلازمهما وحدةً وتكاملاً في الوجود، ومن الظّاهر في هذه الرسالة أنّها لم تكن مرسلة إلى مؤمنين بالفكرة العلويّة على الخصوص، بل هي مرسلةٌ إلى الشّيعة على العموم دليلنا على ذلك هو إقرار الجنّان بإخفائه بعض الشّرح وعدم إظهاره، دالاً أنّ رسالته مقدّمة للعامّ والخاصّ، وتعدّ الرّسالة من شروحات كتاب الأكوار للسّيّد أبي شعيب المار ذكره .

تبيان شرائع الناس واختلافها

الحمد لله ربّ العالمين، المتوحّد في غيبه بذاته، الدّالّة عليه أسماؤه مع صفاته، وهي الذّات العليّة والأسماء الخفيّة، والحمد لله الموجود بكلّ مكانٍ مقصود، فهو تعالى وتقدّس وعزّ وجلّ أن يشغله شأنٌ عن شأنٍ، والحمد لله الظّاهر بالأنوار الموجود ظهورها منه، والحمد لله المتوحّد بالوحدانيّة، المتفرّد بالصّمدانيّة، الدّاعي إلى نفسه بنفسه، الموحي إلى حجابه، ومبهر أبوابه وأشخاصه بالآيات، ومُظهر المعجزات إيجاداً بحجّته لئلاّ يقولوا: «ما جاءَنا مِنْ بَشيرٍ ولا نَذيرٍ»، فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ، والله على كلّ شيءٍ قدير.

أحمده على ما عرّفنا به من نفسه المحذّرة، وقدرته المشهورة، لأنّ تلك القدرة هي قدرته المصوّرة وآياته المنذرة، أحمده حَمْدَ من نزّهَهُ عن الإحاطة والإحصار، وجلّ من أن تحويه الضمائر والأفكار، فقد تعالى عن التكييف بالخواطر والأسرار، وجلّ عن الإدراك في الدّهور والأعصار، وصلّى الله على هذا الحجاب الأعلى وعلى الباب المقيم صاحب الشّرف والنّور الأسنى، وعلى من يليه من الأيتام والنّقباء والنّجباء والمختصّين والمخلصين، والممتحنين، تمام العالم الكبير العلويّ النّورانيّ الّذين بهم الهداية إلى معرفة أسّ المفعولات **ألف** الصّبغة و**هاء** القدرة و**عين** السلسبيل، وينابيع المعنى، وأُثني بالصّلاة والسّلام والتّسليم على العالم الصّغير الأدنى وهم: المقرّبون، والكروبيّون، والرّوحانيّون، والمقدّسون، والسّائحون والمستمعون، واللاّحقون.

فيحيى بتحيّاتهم من تمسّك بهم وبهدايتهم حياةً لمن عرفها ولا موالاة لمن جهلهم، وعلى من آل إليهم في حقيقة المعرفة إيقاناً بصدقٍ وإيماناً بحقٍّ، وسلّم تسليماً يُعلِي قائله إلى منازل النّور، ودرجات الحبور، بارتقاء يستضيء بأنوار العلوم الرّبّانيّة، فتسفر له عن غرائبها وتنبئه عن عجائبها وتهديه قصد مسالكها، فلم يزل في استنباط الحكمة الملكوتيّة اعتداله بحقائقها تؤدّيه إلى حسن طرائقها في رموزها ودقائقها وتنجيه من الّذين هم أهل الحيرة في الدّنيا وهم عن الآخرة معرضون.

اعلم أيّها السّائل – رحمك الله – أنّي أتعرّض لك بتعرّضٍ وهو ما رُوي عن العالم منه السّلام وقد سأله سائلٌ عن بدء النّشأة الأولى من كتاب الله عزّ وجلّ، وهو قوله تعالى: «وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَني آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلينَ [1]»، فقال منه السّلام: إنّ الله بدأ الخلق أجمعين ذرواً واحداً ذوي أشباحٍ وأرواحٍ واحدة، وصورٍ واحدة، بأفهامٍ وعقولٍ متساويةٍ، وناداهم بنداءٍ واحدٍ، فأجابوا كلّهم بإجابةٍ واحدة: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»؟ قالُوا: «بَلى».

فيقول السّائل للمسؤول: فإذا كان ابتداء الخلق ابتداءً واحداً بصفاتٍ واحدة، فلِمَ قد صار منهم مؤمنٌ وكافرٌ، وغنيٌّ وفقيرٌ، وعاقلٌ وجاهلٌ، ومتكبّرٌ ومتواضعٌ، ونظائر هذا من القول، وأين موضع الهداية إلى هذا وذلك؟ – مسألةٌ من موضعٍ مصونِ الفهم – لا يقدر عليه في ردّ الجّواب عنها وحقيقته إلاّ **عالمٌ ربّانيٌّ**، يكون قد نقل علمه عن **الهداة الصّادقين، والأئمّة العارفين** في هذه المسألة، ولا يخلو أن يكون من أحدِ سبعة أصنافٍ، فمنهم ثلاثةٌ ممّن قد تقدّم ذكرهم، وتأخّر الباقون إلى أن ظهرت شريعة الإسلام مع من يقرّ بالكتب المنزلة، والشّرائع قولاً، ويخالفها عقلاً، فإنّه يضاف إلى هذه الأصناف الثّلاثة، وهم الملحدة والدّهريّة والمعطّلة، ممّن يدّعي برأي الفلاسفة.

فأولئك غرضهم نقض الشّرائع، ونبذ الكتب المنزلة، لإبطال ما جاءت به الرّسل والأنبياء، وتضعيفاً للقدرة، وتزويراً على مَنْ أقرّ بالآيات، وصدّق بالمعجزات، ومن شرائعهم ممّن يقول: أيموت، أم يعيش، أم يُنشر، وآخر فإنّه يقول بقول أبي بكر عبد الله بن عثمان حيث قال:

يقول لنا ابن كبشة سوف نحيا … وكيف حياة أشلاء وهام
إذا ما الرأس فارق منكبيه … فقد شبع الأنيس من الطّعام
فتشغلني إذا ما كنت أحيا … وتحييني إذا رمّت عظامي

وقول صاحبه حيث يقول في شعره:

[1] الأعراف آية ١٧٢.

إنّـــا وماضـــينا وغابـــرنا ‏ فلـــيس نـــرجع لا خـــبرٌ ولا أثـــرُ

فميّـــتٌ ثـــمّ مولـــودٌ وبيـــنهما ‏ صـــدق العـــيان وهذا الخلق والبشر

و نظائر هذا كثيرٌ عمّن يُخجل قوله، ولا حاجة لنا في ذكره، وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربّهم، وعصوا رسله، واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد، فمنهم ثلاثة أصناف، وهم:

القدريّة: الّذين استبدلوا العدل بالجّور، وجادلوا بالباطل.

و **الجَبريّة** أصحاب البدع والقياس والزّيغ والانعكاس، فإنّهم عدلوا عن الحقّ واتّبعوا الباطل، واتبعوا رأي إبليس اللّعين المخبر حكاية عنه في قولِ الله عزّ وجلّ: «خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [1]»، فهو أوّل من فاخر ونافر وأنكر وفاجر، وبدأ الاعتداء، وعلى اثره من بكفره اقتدى.

و **منهم الحشويّة**: الّذين أخذوا بظاهر الأمر والمقالة، فتاهوا عن طريق الحقّ ومالوا ونزلوا في طريق الجّهالة، وتعالوا وتنكّبوا عن أعلام الهداية، وسلكوا غير سبيل الولاية، فوكّلهم الله إلى أهوائهم، وما الله بظلاّم للعبيد.

و **الصّنف الرّابع: وهم المسترشدون الّذين يطلبون سبيل النّجاة** بما أدرك الطّالب طلبته، ونال أربه، وبغيته، فالسّائل منهم غرضه الحقيقة، ودفعه الشّكوك المغرضة، فيوشك أن يفرج له عن الحجّة، ويرقى على سبيل المحجّة، وأمّا المَسائل فنصفان، نصفٌ يقوله العلماء وهم الّذين نقلوه من مطارحه إلى مضاربه، وحملوه من معادنه مجيبين لله خاشعين لله متفقّهين لله، كلّما ارتقوا درجةً في العلم زالوا عن الخمول، وتواضعوا لله تعالى، ولأوليائه درجةً، فأولئك درجتهم درجة الأنبياء، ورتبة الأوصياء، وأئمّة الهدى، وهم كما وصفهم السّيّد جعفر - منه السّلام- في جوابه لأبي سعيد الخدريّ بقوله له: (اعلم رحمك الله أنّهم ذوو منزلة رفيعة، {و أنّ منابتهم وضيعة} وأنّهم يُحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصرون به لمن عمى)، لقوله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَساداً

[1] الأعراف ١٢.

والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [1]»، وقوله تعالى: «أَولَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها [2]»، وقول العالم إليه التّسليم: يموت العلم بموت حامله، وهذا قولٌ ممتثل.

وقد كنّا نراهم قليلين، فقد صاروا أقلّ من القليل، عملوا بما علموا، فأدركوا الحياة السّرمديّة، واتبعوا الرّاحة الأبديّة، أجسامهم بين الورى، وقلوبهم بالملكوت الأعلى، دأبهم الاجتهاد والعبادة، واشتغالهم الورع والزّهادة، فحججهم ثابتةٌ بثبوت الدّهر، لا تنقض، وأقوالهم قائمةٌ بقيام الدّهر، لا تخفض، فمن استرشدهم رشد، ومن أخذ عنهم سعد.

و أمّا الطّبقة الثّانية: فأرادوا العلم للدّنيا لا للدّين، وللتّقدّم عند الأمراء والسّلاطين، وللمباهاة، والمفاخرة لأمثالهم من المخالفين والاشتطاط على الضعفاء والمساكين، يقتحمون في الهلكات ويتهافتون في الشبهات، فيحللون حراماً ويحرّمون حلالاً، وذلك رغبةً في الدّنيا وحطامها، وأولئك في ضلالٍ بعيدٍ، إن قالوا رُدّ قولهم بأيسر المعارضات، وإن احتجّوا دُحضت حجّتهم بأقلّ الجّوابات، الآخذ عنهم هالكٌ.

[1] القصص ٨٣.
[2] الرعد ٤١.

تبيان فضل الأئمة

قال أبو محمد عبد الله الجنّان النّاطق بهذا الكلام:

أقول – وما توفيقي إلاّ بالله – عليه توكّلت، وإليه أنيب، وذلك أنّي لمّا رأيت نهج الخاصّة منهم والعامّة والطّوائف بهذا السّؤال والمعارضة وكلٌّ في حاشيته يتورّط، وفي شبهته في أهله وقبيلته يتخبّط، كما قال الله تعالى مخبراً عنهم: «ولَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وما كانَ مُنْتَصِراً[1]»، وإنّي رأيت المسترشد مشفقاً في طلبه، بعيداً من أربه، ولم أجد العلماء المحقّين في طلب تجديد هذا السّؤال قولاً في نقلٍ مسطورٍ، ولا تعمّدوا جواباً شهدوه، ولا شفاءَ فيها يُوردوه من علومٍ عميقة وجواهر أنيقة، ضنّاً بوصوله إلى المخالفين وتجنّباً لتعليق اليواقيت على رقاب الخنازير والقردة، بل جعلوه مندباً وسفهاً.

وسألقي – إن شاء الله تعالى – خطاباً للبالغين، والأئمّة المستحقّين، والإخوان العارفين، والسّادات المؤمنين، ما ألقي في روعي على نزول درجتي عن درجة العلماء، ونقصان رتبتي عن رتبة الحكماء، فألّفت كتاباً وسمّيته (إيضاح المصباح، الدّالّ على سبيل النّجاح) فيهتدي به الحائر، ويستقيم به الجّائر، ويقوى به الضّعيف، ويلتهي به اللّهيف، وأرجو أن أحيي نفساً من مماتها، وقد تسعد معه بحياتها، وهو قول الله تعالى: «ومَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَميعاً[2]»، ونورد في ذلك أنّ الكافر قد قفل قلبه، وسُلب لبّه، وقد حجب عن الأنوار أن يقتبسها، ودفع عن الحكمة أن يلتمسها، والخبرة أن يلتقطها، فضرب دونه بسورٍ له بابٌ، باطنه فيه الرّحمة، وظاهره من قبله العذاب.

أمّا أنت أيّها السّائل، الّذي عن الباطل حائل، وفي النّور جائل، لا ميّلك الله عن عدله، وأدخل التّنسّك على نفسك، ومن بحضرتك، بما سمعته خبراً، وشاهدته عياناً، فإن كنت من الفرقة النّاجية من الإسلام، طرحنا لك معنى الكلام، لقوله تعالى:

---

١ الكهف ٤٣.
٢ آل عمران ٨٥.

«ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُو فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرينَ[1]»، وقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ[2]»، وإنّنا لم نقل هذا، غير أنّ غرضنا مجاورتك، لكنّنا إذا سلّطنا الكلام مع من هو من أمثالك كان في الأصول الّتي أنتم طالبوها لا في الفروع الّتي هذه المسألة عنها، وإنّما كلامك بها مظاهرةٌ وممالأةٌ ممّن اعتقد المحال، ورماك في طرق الضّلال، إذا كنّا قد اخترنا ذلك في كلام أهل مقالتك في تبطيل الشّرع والنّبوّات، وورود الآيات المبهرات، وإذا كان ذلك كذلك، فقد وجب أن يكون السّائل ذلك.

واعلم – وفّقنا الله وإيّاك– لو أحسنت بالله ظنّاً، وأخلصت له سرّاً، وطلبت العلم من السّفرة الّذين ذكرهم الله تعالى فقال: «بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ[3]».

قد جعلهم الله تعالى الوسائط بينه وبين خلقه، وهم خزّان علمه، والقوّامون بالقسط بين عباده، والأوصياء له صلّى الله وسلّم عليهم أجمعين.

و قوله – جلّ من قائل–: «ولَقَد اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمينَ. وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فيه بَلْؤا مُبينٌ[4]»، وقوله تعالى: «في صُحُفٍ مُكَرَّمَة. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَة. بِأَيْدي سَفَرَة. كِرامٍ بَرَرَة[5]»، وقوله تبارك وتعالى اسمه: «إِنَّما وليُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذينَ آمَنُوا[6]»، وقال عزّ من قائل: «ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا[7]»، وقوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالدينَ فيها وذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ[8]»، وقوله عزّ من قائل: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ[9]»، وفي القرآن أيضاً كثيرٌ بمعنى ذلك، مثل قوله: «وكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِتَكُونوا

---

١ آل عمران ١٩.
٢ الأنبياء ٢٦.
٣ الأنبياء ٢٦.
٤ الدّخان ٣٣.
٥ عبس ١٣ – ١٥.
٦ المائدة ٥٥.
٧ الحشر ٧.
٨ النساء ١٣.
٩ آل عمران ١١٠.

شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [١]»، وذلك أنّهم هم الشهداء على الخلق، وهم الحجّة على النّاس.

وقول الرّسول منه السلام: «إنّي مخلفٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله حبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين، وجمع بين إصبعيه»، فلو تمسّكت بهما أيّها السّائل لنلت منحة الهدى، وتوفيق الحُسنى، فلا تركب عن طريقهما، ووكّل إلى الله اختيَارك، ولا تخلف بينهم وبين إشارتك، فإن اتّفق أن يقول السّائل: فإنّي لولاهم ما اعتقدت، وبحبلهم تمسّكت، قلنا له: قد ذهب إلى التّقصير في أمورهم، ولم توفّهم حقّ اصطفائهم ورضيت من معرفتهم باليسير بلاغاً، وتركت الغاية القصوى، ولم تتأمّل نفوسهم، وما وصفهم الله تعالى، وما وصفوا به أنفسهم، وقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [٢]»، وقوله تعالى في قصّة آدم عليه السّلام: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوابُ الرَّحِيمُ [٣]»، **وهم الكلمات.**

و قوله تعالى في قصّة إبليس لعنه الله لمّا امتنع من السّجود لآدم: «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ [٤]»، **وهم العالون المرتفعون**، وقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [٥]».

و هم الّذين ندب الله إلى الكون معهم، فمن عدل عنهم هلك، ومن تخلّف عن إبليس وارتقى إليهم فقد علا إلى الدّرجات الزّلفى في المقام الأعلى، ونظائر هذا وما قد قالوه في أنفسهم، وهو قولهم: «قولوا في فضلنا ما شئتم، بعد أن تجعلوا لنا ربّاً نتقرّب إليه، فإنّكم لا تضعونا في منزلة إلاّ كنّا أعلى منها»، وبقولهم عليهم السّلام: «إنّ لنا منزلةً من الله إذا كنّا بها كنّا كَهُو، وإن لم نكن بها كان هو كما هو، ونحن كما نحن»، وقولهم – منهم السلام-: «إنّا فعلنا، ونحن فعلنا، فإيّانا عنى»، ومثل قوله تعالى: «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ.ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ [٦]»، ولولا أنّ الإكثار يخرج

[١] البقرة ١٤٣.
[٢] المائدة ٣٥.
[٣] البقرة ٣٧.
[٤] النساء ١٣.
[٥] التوبة ١١٩.
[٦] الزخرف ٣٢.

عن مواقع الآثار في هذه المسألة لأطلنا في هذا الكتاب ما يقتضيه، ونحن بعون الله تعالى وإرشاده، فنذيع من السّرّ نبذاً يقتضيه الجّواب، ونُظهر من الباطن لفظاً يوجبه الخطاب، ويكون بذلك شفاء لمن فتح الله مسامع قلبه، ووفّقه لرشده.

الوجود

فنقول: قد أقررت أيّها السّائل، وسلّمت فيما سمعت خبراً: إنّ ذلك التّساوي بالكمال في الصّفة والنّداء والإجابة عدلاً تامّاً كاملاً، لا اعتراض به ولا شبهة، وبقي أن تعرف العدل فيما شاء عياناً لا اختلاف من ذلك الائتلاف، ومن يتأثّر بتلك الأوصاف فيجب أن تظهر ذوات فهمك من سمعك وبصرك ولبّك مستصغراً لتسليم الحقّ إذا ورد عليك غير معاند له، ويشرح صدرك كلّما سمعته، فإنّ القدرة والملك فوق ما نورد عليك، فلعلّ ذلك أن يعود بصلاحك لقوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ [1]».

فنقول: إنّ ذلك الذّرو المبدي في تنقّله أنّه خلقة الله من ذكر أو أنثى، وهو آدم وحوّاء، وشاهده قول الله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ [2]»، فظهر ذلك الذّرو في الولادة، ويظهر في أزمنة متتابعة مولدها عمر الدّنيا، فجعلها أجساماً كثيفةً مركّبةً من ستّة أجزاء غيريّة، ومعنى قولنا غيريّة أي كلّ جزء منها غير صاحبه، ألّفها على تباينها واختلافها وأعدادها على تضاددها وانحرافها، وقامت الصّورة البشريّة بأحسن تقويم، وهو كما قال الله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [3]».

وذلك أنّ الأزل القديم كان ولا كون ولا مكان، ولا حدوث، ولا زمان، فلمّا أراد إيجاد الحكمة أبدى الصّنعة والدّلالة بالفعل على القوّة، وهو كما قال العالم منه السّلام:«إنّ الفتق والرّتق دليلان على العالم والمعلوم»، ودليل الظّهور والبطون، ودليل القوّة والفعل، لأنّه سبحانه أشرق من ذاته نوراً ما زال به، ولمّا بان عنه هذا الكون النّورانيّ، وهو من قِبَل نور الذّات، وصفات الذّات، وهو حجاب الذّات كما قال العالم: «فتق من الرّتق فتقاً» يعني الإرادة، **وأبدى من الكون النّورانيّ الكون**

[1] الأنعام ١٢٥.
[2] الحجرات ١٣.
[3] التين ٤.

الجوهريّ، فقيل: قدرةٌ كما قد روي قدرة قدير، ونور منير، وقيل: الاسم، وقيل المكان، وقيل الضّياء، لقول الصّادق منه السّلام: حجب ذاته بنوره، وحجب نوره بضيائه، وحجب ضيائه بظلّه، وقيل: المشيئة.

ثمّ أمدّ الكون الجوهري والكون المائيّ، وهو الحدوث المذكور في كتاب الله تعالى: «مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ [1]»، وأصل هاتين الجنّتين جنّة الخلد سكّانها بغير زوال، ولا انتقال، قال العالم منه السّلام: إنّ آدم لو سكن جنّة الخلد لم يخرج منها، وإنّما سكن جنّة عدن.

وفي هذه الجنّات سبع أعين: أوّلها **السّلسبيل**، وهو قوله تعالى: «عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً [2]»، وثانيها **عين التّسنيم** لقوله تعالى: «مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ [3]»، وقوله تعالى: «عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً [4]»، وإنّ شجرتها طوبى أصلها في دار أمير المؤمنين، وأغصانها في أيدي العارفين، وهم الّذين قال الله فيهم: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ». ظلّ هذه الشّجرة في القُدس مسيرة مئة عام، وهي مجالس لأهل الجنّة، قد يجتمعون فيها على كثبان الطّيب، فيها أنهارٌ من **ماء غير آسن**، والماء أجلّها، وأنهارٌ من **لبن** لم يتغيّر طعمه، وأنهارٌ من **خمر** لذّة للشّاربين، وأنهار من **عسل** مصفّى، ولهم فيها من كلّ الثّمرات، فورد أنّ العسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، والثّلاثة منها الكوثر، وهو ما خصّ به السّيّد محمد منه السّلام، لقوله تعالى: «إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ [5]».

فروت العامة من أهل اضتلال أنّ الأبتر هو شطٌّ من لم يشرب منه ولم يتوضأ، ويرمي الجمّار الثّلاث في يوم القيامة كان من الخاسرين، وإنّ هذا الكلام ليس هو الصّحيح، وإنّما الثّاني الأبتر هو (الأدلم)، والكوثر هو علم الحقّ وهو السّيّد

[1] الرحمن ٥٤.
[2] الدّهر ١٨.
[3] المصطفين ٢٧ – ٢٨.
[4] الدّهر ١٨.
[5] الكوثر.

منه السّلام، وهذا الكلام تلويحٌ، وتصريحٌ، ففي تصريحه بحار علومٍ لا تنفد عجائبها ولا تفنى غرائبها.

فأمّا الشّجرة هي الذّات العالية، ليس فوقها نورٌ ولا سماءٌ ولا غايةٌ، ولا وراءها للطّالب مطلبٌ.

قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وهِيَ دُخانٌ [1]»، أي الّتي ترونها بأعينكم كما كلّفتكم الحجب والعلّة في النّاظر لا في المنظور، وذلو قوله تعالى لها: «فَقالَ لَها ولِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَو كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ.فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [2]».

و هذا القول تلبيسٌ على أهل الظّاهر، وتغطيةٌ على الباطن لمن لا يعرف هذا الحديث، فكان ذلك التّرتيب في أفلاكها ونجومها وشمسها وقمرها، وغير ذلك من الأنوار، وقد جعل لكلٍّ منها تأثيراً دلّ به على عظيم القدرة، وجليل الملك، وهو كما قال الله تعالى: «هُو الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [3]»، ثمّ خلق الأرضين سبعاً ورتّبها طباقاً مؤسّسة على وجه الماء، باطنها سبع مراتب.

أوّلها السّابقون، لقوله تعالى: «والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ.أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [4]»، وهم المقرّبون والكروبيّون، والرّوحانيّون، والمقدّسون، والسّائحون، والمستمعون، واللاّحقون، فهؤلاء هم العالم السّفليّ الرّوحانيّ، ولذلك قال العالم إليه التّسليم: كلّ سماء سلسل، وكلّ أرضٍ مقداد، وهم الأبحار السّفليّة الّتي منها أمواج أبحر الأرض والأنهار والعيون، والمعادن، والجّواهر، مثل الياقوت والعقيق والزّمرّد الأخضر، والجّذع، والبلّور، واللؤلؤ، وغير ذلك من المرجان وأعين القطرات، والحديد والنّحاس، والفضّة، والزّئبق، وهو (الفضّة الجّدماء) ومنابت الذّهب، ومعادن القصدير القلعيّ والرّصاص وغير ذلك ممّا لا نحتاج إلى ذكره،و هم بأجمعهم هذا البحر الّذي قال الله تعالى فيه: «والْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ

---

[1] فصّلت ١١.
[2] فصلت ١١ و١٢.
[3] يونس ٥.
[4] يونس ٥.

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [1]»، ولو جئنا بمثله مداداً، والسّبعة الأبحر الّتي تمدّه هم العالم العلويّ، وهم شجرة الأقلام الّذين بهم تُرفع أعلام الخلق، وأعمالهم، وهي المحافظة عليهم.

فإن قال قائلٌ: هذا مثلٌ مضروبٌ على مجاز القول، قلنا له: المجاز باطلٌ، والله تعالى يضرب الأمثال ولا يقول إلاّ الحقّ، فمن قال: إنّ في الكلام مجازاً فقد كفر، وهم الشّجرة الّتي أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء باسقٌ، وهو قوله تعالى: «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [2]»، وقوله تبارك اسمه: «وجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وشَهِيدٌ [3]»، تبارك اسمه وهم الكرام الكاتبون... ومادّتهم من العالم العلويّ، وأمّا الأرض التّرابيّة الماسكة على وجه الأرض وهو قوله: «قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ.و جَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وبارَكَ فِيها وقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ [4]»، وجعل فيها أوتاداً، وقوله تعالى: «وأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً ومِنَ الشَّجَرِ ومِمَّا يَعْرِشُونَ.ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [5]».

فالنّحل هم المؤمنون، وقيل هم العالم السّفليّ السّبع المراتب الأرضيّة والقولان صحيحان لأنّ المؤمنون هم اللاّحقون، والجّبال فهي الظّهور الفارسيّ، والشّجر الظّهور العربيّ، وسئل عنهم أنّهم أولياؤه النّاطقون عند الأمر بالخشوع بين أيديهم والتّذلّل لهم، وشرابٌ مختلفٌ ألوانه فيه شفاءٌ للنّاس، وهو العالم، والجّبال فهم أجسام الأنبياء، وهو قول العالم إليه التّسليم، قول الله تعالى: «فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وخَرَّ مُوسى صَعِقاً [6]»، فالجّبل هو جسم موسى عليه السّلام، والجّبال أيضاً قلوب المؤمنين، قال تعالى: «وتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ [7]»، وورد أنّها الأوصياء،

---

[1] لقمان ٢٧.
[2] سورة ق ١٨.
[3] سورة ق ٢١.
[4] فصّلت: ٩ – ١٠.
[5] النحل ٦٤ – ٦٩.
[6] الأعراف ١٤٣.
[7] النمل ٨٨.

وظواهر الأنبياء، وقول العالم إليه التّسليم: «ما قلناه في الله فهو في أنفسنا، وما قلناه في أنفسنا فهو في شيعتنا ظاهر»، وهذه فائدةٌ جليلةٌ شهدوا بها على ما قلناه وقدّمنا ذكره، ونحن نورده فائدةً غريبةً وإلى الوقت قريبةً يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسّماوات، ولا بدّ أن تتبدّل هذه الأرض التّرابيّة والسّماء الدّخانيّة في ظهور باطنها الّذي ذكرناه، وهم أهل مراتب العالم العلويّ النّورانيّ، والعالم السّفليّ الرّوحانيّ، فهذا البدو الأوّل الّذي يكون في يوم الأظلّة.

قال الله سبحانه وتعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ والْمَلائكَةُ وقُضِيَ الأَمْرُ وإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الأُمُورُ [١]»، ورتبة الغمام هي الدّرجة السّابعة العليا وجعل السّماوات ملتفّة على الأرض فانحصر ما في الدّار فأشرقت الشّمس، ورتبتها الدّرجة الخامسة من سبع درجات السّماء السّابعة العليا بخمس صفات: طلوعٌ وأفولٌ، وقرصٌ، ونورٌ، وضياءٌ، وإنّ في قرصها ونورها وضيائها لمثلاً مبيناً وقمراً منيراً، فأنار القمر ورتبته الدّرجة الثّالثة من سبع درجات السّماء السّادسة العليا بصفات سبع، وإنّ في طلوعه قد أنارت. وقال عزّ وجلّ في خسوفه واستسراره وزيادته ونقصانه لآياتٍ لقومٍ يعلمون، وفي قولهم المهلّ المبدر المقمر لعلمٍ غربت معرفته وتقدّرت حيرته وأزهرتِ الكواكب، فمنها السّيّارة، ومنها الخُنّس والكُنّس، ومنها المشارق والمغارب، ورتبتها الدّرجتان الأوّليّتان من سبع درجات السّماء السّادسة، ومنها ذوات الجّسم وذوات الذّوائب، ومنها الطّوارق وهو النّجم الثّاقب، ومنها طوالعهم وهي الطّوالع السّبع الدّراري ورتبتها الدّرجة السّادسة من سبع درجات السّماء السّابعة العليا، ومنزلة هذه الأفلاك الخمسة منزلة عظيمة، عظيمٌ خطرها وجليلٌ قدرها، لذلك أدركت خبراً ولم تُدرك عياناً.

و منها **الأفلاك الأربعة**، وتسمّى الطّبائع الأربع، وهي هيولات ما شرحناه من ذوات ما في الأرضين والسّماوات محيطة بها، وماسكة لها.

فالفلك الأوّل الأوتاد هيولى عالم البشر، طبيعته متكوّنة من الكون التّرابيّ، وهيولى بُرج الثّور وبرج السّنبلة، وبرج الجّدي.

[١] البقرة ٢١٠.

و **الفلك الثّاني** الّذي قد يليه طبيعته متكوّنة من الكون النّاريّ، وهيولى برج الحمل، وبرج الأسد، وبرج القوس.

و **الفلك الثّالث** طبيعته متكوّنة من الكون الهوائيّ وهيولى برج الجّوزاء وبرج الميزان وبرج الدّلو..

و **الفلك الرّابع** طبيعته متكوّنةٌ من الكون المائيّ، وهيولى برج السّرطان وبرج العقرب وبرج الحوت..

و **الفلك الخامس** وهو هيولى الهيولات، ويسمّى الأثير ويسمّى الطّبيعة الخامسة، ويسمّى الدّهر، ويسمّى الزّمان، وهو الحياة الأبديّة، والسّرمديّة، والهيولى الدّيموميّة وهو الّذي ذكرناه، وهو فينا المثال، ونحن مثال الصّورة وهو النّقطة الوهميّة الّتي لا تنقسم، ومنها جرت تلك الخطوط الأربعة والنّقطة مركز الدّائرة، وهو القطب لجميع الأفلاك، وهو منتقلٌ على ما يليه من الهيولات المتقدّم ذكرها من سائر الأجرام والآلات والأدوات وهو المحيط بالسّماوات السّبع وما فيهنّ وما بينهنّ، وما يليهنّ، ومدبّر ما قد اشتمل عليه، فلذلك صارت السّماوات كرويّة والأرض كريّة والماء كريّ، وما في السّماوات من الأجرام كرويّة، وما في الأرضين من الحيوان والنّبات وغيرها كريّ، وإن كانت كائنة كما تراها بالعيان، منها مستطيلٌ ومتعرّض فحقيقته كريّ بمادّة الحيّ القيوم، وإرادته ومشيئته.

وإنّ في الإثني عشر والسّبعة والخمسة علماً أنيقاً باطنه عميقٌ بها يكال الزّمان وتحويله بيد ذي الجّبروت، فتكامل قولهم: كان ولا كون ولا مكان ولا حدوث ولا زمان، ثمّ فتق السّماء بالقطر، وفتق الأرض بالنّبات، وهو قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ والأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ [١]»، فالكون المائيّ باردٌ رطبٌ، والكون النّاريّ حارٌّ يابسٌ، والكون التّرابيّ باردٌ يابسٌ، والكون الهوائيّ حارٌّ رطبٌ، وهي أربع طبائع، وتسمّيها الفلاسفة الاستقصات الأربع، وجعل لها تدبيرات الأرض، وحيوانها وأمدها بمناظرة من الأبراج العلويّة زائدة في قولها وثابتة في أفعالها، فجعل السّرطان والعقرب والحوت مائيّة، وجعل الجّوزاء والميزان والدّلو رياحيّة، وجعل الحمل والأسد والقوس ناريّة،

[١] الأنبياء ٣٠.

وجعل الثّور والسّنبلة والجّدي ترابيّة، وجعل السّنة أربع طبائع، الشّتاء بإزاء الطّبيعة المائيّة، وهو باردٌ رطبٌ، والرّبيع بإزاء الطذبيعة الهوائيّة، وهو حارٌّ رطبٌ، والصّيف بإزاء الطّبيعة النّاريّة، وهو حارٌّ يابسٌ، والخريف بإزاء الطّبيعة التّرابيّة وهو باردٌ يابسٌ، فقامت هذه الأكوان السّتّة العلويّة والسّفليّة عارفةً بربّها، مسلمة لباريها.

و قد روي في بعض الرّوايات أنّ ثالث الأكوان الكون الهوائيّ ولم يوجد له شاهدٌ إلاّ من مكانٍ واحد، من فردِ وجهٍ واحدٍ، والثّالث من الأكوان هو الكون المائيّ، لكثرة الشّواهد والدّلائل على صحّة ذلك، فأوردناه ثالث الأكوان.

مظاهر اعداد الوجود

و إنّما صارت السّنة اثني عشر شهراً بعدد أبراج السّماء لأنّ الشّمس تقطع في مسيرها في كلّ شهرٍ برجاً فيكون قطعها في تلك البروج مدّة السّنة، وهذه الشّمس ثلاثمائة وستّون مشرقاً بإزائها ثلاثمائة وستون مغرباً.

فلها في مدّة الصّيف ستّة أشهرٍ يضاف إليها مائة وثمانون مشرقاً، وبإزائها مائة وثمانون مغرباً، فلذلك تطول ساعات النّهار في الصّيف، وتقصر ساعات اللّيل، والسّتّة أشهر الباقية، ففي الشّتاء يضاف إليها مائةٌ وثمانون مشرقاً وبإزائها مائة وثمانون مغرباً، تشتمل مطالعها ومغاربها عليه فتقصر ساعات النّهار في الشّتاء وتطول ساعات اللّيل، فلذلك صارت السّنة ثلاثمائة وستّون يوماً بإزاء هذه المشارق، لأنّ النّهار يسمّى نهار بطلوع الشمس، وها هنا إشارةٌ لطيفةٌ حسنةٌ.

ممّا روي عن المفضّل منه السّلام أنّه قال: إنّ الثّلاثمائة وستّين يوماً من أيّام السّنة هي الثّلاثمائة وستون ظهوراً، فجعلت الشّمس دليلاً عليه ومحلّ كلّ برجٍ منها ثلاثون درجة، والشّمس مشرقة في كلّ يومٍ في أحدهنّ، وبإزاء البروج شهور السّنة، فصارت ساعات النّهار اثنتي عشر ساعة.

و أمّا ما يقوله المنجّمون من أنّ النّهار في الشّتاء تسع ساعاتٍ فهذا باطلٌ، أمّا ما كوّنه الله فليس هو في يد المنجمين نقصه، وإنّما يذهبون إلى الجّحيم في ذلك لأنّهم لم يأخذوا إلاّ بالقياس كقولهم مقدار تسع ساعات، وفي ذلك علمٌ عظيمٌ باطنٌ، ونحن نذكر بعضه، وهو قوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ ورَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [1]»، وقوله تعالى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلاّ هُو فَاتَّخِذْهُ وكيلاً [2]»، وقول العالم إليه التّسليم: إنّما المشارق هي الظّهور الفارسيّ، والمغارب هي الظّهور العربيّ، وأمّا المشرق المحيط بطور سيناء، وضوؤه المغرب فصاحبها المنعم علينا بتجلّيه، وقوله

[1] الرحمن ١٧.
[2] المزمّل ٩.

تعالى: «قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وعَلَى اللَّهِ فَتَوكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [١]».

و أمّا المشرق الكلمات البادية لا غير في أرض القدس، وأمّا المغرب فصاحبه المسمّى بالصّقا وهو باللّغة السّريانيّة (كابيا) وكلّ إشراق غروبه في غيره، وقال الله تعالى: «حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ووجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً [٢]»، والحما ها هنا مأخوذٌ من الحميم، والحماية، لا من السّخونة ولا من الحمّى، وروي في التّوراة أنّه قال: جاء الرّبّ من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وهو من جبال مكّة وحرمها من جبال الرّحمة، وأمّا قوله تعالى: «ولِلَّهِ الْمَشْرِقُ والْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ [٣]»، فهذه فائدةٌ عظيمةٌ جليلٌ قدرها، رفيعةٌ منزلتها.

وقال العالم – إليه التّسليم –: المشرق والمغرب ها هنا ما أشرق من الحاء الأوّل إلى الحاء الثّاني فأغرب فيه، وهو الوجه المحيط، فلمّا تكاملت البروج وكانت اثني عشر برجاً، وشهور السّنة اثني عشر شهراً، وساعات النّهار اثنتي عشرة ساعة، وساعات اللّيل اثنتي عشرة ساعة، وكلّ ذلك له ظاهرٌ وباطنٌ، وقد ورد في السّنة ما قال الله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [٤]».

فهذه إشارة إلى الباطن، وقد ورد فيه أنّ البروج هم أئمّة السّطر علينا من ذكرهم السّلام، وأنّ الربعة الحرم في الظّاهر محرّم ورجب وشعبان ورمضان، وفي الباطن هم أمير المؤمنين وعليّ بن الحسين، وعليّ بن موسى الرّضا، وعليّ بن محمد صاحب العسكر.

---

[١] المائدة ٢٣.
[٢] الكهف ٨٦.
[٣] البقرة ١١٥.
[٤] التوبة ٣٦.

و روي من وجهٍ آخر أنّ الأربعة الحرم هم السّيّد محمد ومحمد الباقر ومحمد بن علي الجواد، ومحمد بن الحسن المؤمّل المرجّى، صلوات الله عليهم أجميعن، وإذا لم يكن ذلك، فما كان يقول الله تبارك اسمه وتعالى: «فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [١]»، بما يجب على المؤمن من معرفتهم، وهذا الدّين القيّم، وإنّ المقصّر في ذلك هو الظّالم لنفسه، وكذلك ساعات النّهار الاثنتا عشرة ساعة، فورد في الباطن أنّهنّ النّقباء الإثني عشر وفيهم يقول الله جلّ ثناؤه: «وبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً [٢]»، وقوله تعالى: «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ [٣]».

والبلاد هم أبدان المؤمنين لمّا نقبوا عمّا في الصّدور وكشفوا ما في الضمائر، وقوله تعالى: «والْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً [٤]»، وهذه الأبدان هي البلد الطّيّب وهو السّيّد محمد والبلد الخبيث هو سكد – لعنه الله –، وقال العالم إليه التّسليم: لا يحيص شيءٌ من علم النّقيب، لأنّه يحيط بما تخرجه هذه الأبدان الّتي تحجب القلوب من خيرٍ ومن شرٍّ وما تنطوي عليه القلوب المحجوبة بالأبدان من إيمانٍ ومن كفرٍ، وإنّ هذا من أسرار العلم وفوائده، ولكلّ ساعةٍ من هذه السّاعات دعاءٌ يُتوسّل به إلى الله، وكذلك ساعات اللّيل والنّهار لهنّ صلواتٌ مبلغهنّ إحدى وخمسون ركعةً، فرائض ونوافل، وسنن، منهنّ ثماني ركعاتٍ نوافل الزّوال، وهي صلاة الأوّابين، وإنّ الأوّابين ثمانية أشخاصٍ، ومنها فريضة الظّهر وهي أربع ركعات، ومنها ثمان ركعات نافلة العصر، تعرف بالسّجدة، ولهنّ ثمانية أشخاصٍ، وهم المسبّحون، ومنها فريضة العصر، أربع ركعات وفاطر أربعة أحرفٍ بأربع ركعات، والعشاء الأوّل ثلاث ركعات، وبعدها أربع ركعات نافلة والعشاء الآخر أربع ركعاتٍ فالحسين أربعة أحرفٍ بأربع ركعات، ووجهٌ آخر إنّهم محمّد وفاطر والحسن والحسين، ولا فرق بينهم وبين الفروض، ونافلة اللّيل ثمان ركعات، وثلاث ركعاتٍ اثنتان منها الشّفع وواحدة الوتر، ونافلة العشاء الآخر ركعتان من جلوسٍ تحسبان بواحدة، فتلك اثنتا عشر ركعة باثني عشر شخصاً.

---

[١] الروم ٣٠.
[٢] المائدة ١٢.
[٣] سورة ق ٣٦.
[٤] الأعراف ٥٨.

و صلاة الفجر أربع ركعات، ركعتان نافلة، وركعتان فرضٌ، محسن أربعة أحرف، وإنّما جعل منها اثنتان في اللّيل واثنتان في الصّبح لأنّ سيّدنا محسن سمّي الخفيّ، وفي هذا الأمر علمٌ يطول شرحه.

و جعلت الأيّام سبعة واللّيالي سبعٌ المدبّرات لمنافع العالم والحيوان، وللأيّام أشخاصاً وأدعية، يدعى بها في كلّ يومٍ ويتوسّل في ذلك، ومنسوبٌ إليه، وقد ورد السّبت رسول الله صلعم لأنّ النّبوّة أثبتت عليه، أي لم تنقطع عنه، والأحد أمير المؤمنين، والاثنين الحسن والحسين، والثّلاثاء عليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمّد، والأربعاء موسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعلي بن محمد، والخميس الحسن العسكري، واسم العسكر في اللّغة الخميس، والجّمعة قائم آل محمّد صلعم، وإنّما سمّي الجّمعة لاجتماع الأمم عليه.

وفي خبر آخر عن المفضّل إليه التّسليم أنّه قال: السّبعة من الواحد، والاثني عشر من السّبعة، والثّلاثون من الاثني عشر، والثّلاثمائة وستّون من الثّلاثين، فإنّه يقطع البروج الإثني عشر في كلّ شهرٍ، وله صورةٌ مقابلةٌ للشّمس في كلّ شهرٍ مرّة، وإقامته في كلّ برجٍ من الأبراج يومان وثُلث، وله من الأبراج ثمانية وعشرون تسمّى منازل القمر، وكلّ منزلتين وثلث لبرجٍ، وهي تبيّن معه بكواكب معروفة ومشهورة مبيّنة، وشرحها نحن نوضحه إن شاء الله تعالى:

أوّلها الشّرطين والبطين وثلث الثّريّا للحمل، وعلى هذا القياس فالشّرطين والبطين من كواكب برج الحمل، وإنّما بتداء الحساب من برج الحمل لأنّه كان طالع الأرض، فقد وجب له التّقدّم، وكانت الشّمس في رأس الحمل، ولذلك علومٌ وقضايا ظاهرةٌ، وباطنةٌ، وبهذه الثماني والعشرين منزلةً تكون الأنوار الشّمسيّة، فمنها ما يكون بمطرٍ وريحٍ أيّام الشّتاء ومنها ما يكون حرّاً وسموماً في أيّام الصّيف، وربّما لم يكن هو النّجم المعهود، وكانت العرب تقول: أمطرنا في يوم كذا وكذا من النّجوم، فسمع رسول الله صلعم قائلاً يقول: أمطرنا في يوم النّجم الفلانيّ، فقال صلعم: إنّ الإسلام قد غير ما كان في الجّاهليّة، فلا تقولوا هكذا، بل قولوا: أُمطرنا بفضل الله ورحمته، وهذه الأنوار في منازلها مقسومةٌ على أربعة أرباع السّنة، في كلّ واحد وتسعين يوماً وربعٍ منها سبع منازل، فالرّبع الأوّل: الرّبيع، وله سبع منازل، أوّلها الشّرطين والبطين، والثّريّا، والدّبران، والهقعة، والهنعة والذّراع.

و الرّبع الثّاني الصّيف له سبع منازل أوّلها النّثرة والطّرف والجّبة والزّبرة، والصّرف والعوّا والسّماك.

و الرّبع الثّالث الخريف له سبع منازل، أوّلها الغفرة والزّبانين والإكليل والقلب والشّولة والنّعائم، والبلدة.

و الرّبع الرّابع الشّتاء له سبع منازل، أوّلها سعد ذابحٍ، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، وفرع المقدّم وفرع المؤخّر وبطن لحوت.

فتلك ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً ولم يخل الفلك من منازل أربع عشرة، منزلة مستترة بكرة الأرض.

الوجود والإيمان والعبادة

فكلّما غربت منزلةٌ طلعت أخرى، فهذه الثّمانية والعشرين منزلة الّتي هي منازل القمر المهلّ المبدر، وهي رتبة النّجباء ظاهر ما بطن من حروف المعجم، الّتي جلّ قدرها وعظم خطرها، ولم يعلم شيئاً من الملك الأعلى ولا من الملك الأدنى، ولا فهم ولا نطق، إلاّ ولها فيه علمٌ وعملٌ، ولها ثلاث رتب الأيتام والنّقباء والنّجباء، ومن دلائلها وجليل خطرها أنّك لا تصل إلى تسمية الرّب العالي إلاّ بها، وهو الله، فالألف واللاّم والهاء أصل واللاّم الثّانية عطف، وله علمٌ عظيمٌ يدلّ على ذلك، ما قاله العالم – منه السّلام – أتاكم من أمرنا ألفٌ غير معطوف ولو انعطف لانعطفتم، وقول أبي الخطّاب: «إنّما خرج إليكم من علمنا حرفان، حرف معوجّ وحرف مستقيمٌ، فأضاء له المعوجّ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، وأقام له سبعين ألف حجاب، ليكون منها ومن الأنبياء والأوصياء الوصول إلى معرفته، ولم يكن ذلك إلاّ بمشيئته وإرادته، ومن ذلك أنّ هذا العالم فيما يتعاملون من أمر دنياهم ويعبدون به ربّهم ويعرفون به ما لهم وما عليهم يكون لهم بهذه الحروف دليلٌ، وجميع ما خرج إلى الهند تسعة أحرف بها حسابهم، ونهايتهم، وإن كانت التّسعة مخالفةً لأشكال ما تُكتب به الآن.

و أعطيت كلّ أمّةٍ منها جزءاً مثل: أبجد، هوّز، وغيره، وهي ثمانية وعشرون حرفاً، ولها علمٌ معلّقٌ بالأكوان السّتّة يطول شرحه، وأُعطي السّريانيّون والعبرانيّون اثنان وعشرون حرفاً، كرامة لكليم الله تعالى ذكره، وكلمته المسيح، وأمّا باقي الأقلام الّتي كانت في العالم فدون ذلك، وشرفت هذه الأمّة بشرف رسول الله صلعم، يعني أنّه أخرج إليها الثّمانية والعشرين حرفاً من العلم، فهم يتعلمون بها وانضافت إليها الياء كالية لها كما ورد، فإنّها قد اتّصلت بالألف، ولها علمٌ طويلٌ لأنّ الابتداء بها عند نداء الاسم، وتأخّرت عن الحروف، وعند سجود العالم لباريها وفي هذا علمٌ يطول شرحه، ومنه قولك إذا سألت يا الله يا ربّ، فتبدأ بالألف، ثمّ بالاسم الأعلى، ومن الحكمة تأليف هذا الكلام، لأنّ الأحرف كتبت ألفاظاً، وبالكتابة حُفظت المنزلة والعلوم والشّرائع وعلمت السّير الماضية، وصحّة الأنساب والنّكاح،

والأملاك، والمواقيت، والحجّ، وغيرها، وهذه الأحرف تكون هي ونقطها إحد وخمسين لفظة، باطنها أشخاصٌ لهم عند الله تعالى أعلى الرّتب، والمنازل، وجعلهم قوام ملكه بأمره، وجعلهم دلالةً على إحدى وخمسين ركعةً للفرائض، والنّوافل والسّنن، والصّلاة، في كلّ يوم وليلة، وإذ قد ذكرنا الموجب المعلوم أنّ البروج والأفلاك والحروف والسّماوات والأرض والشّمس والقمر والأعوام والشّهور والأيام، والسّاعات أشخاص باطنة، فقد لزمنا فيما نذكر به الشّرع ويظهر به الأصل ممّا هو دليلٌ على هذه البواطن ومعقودٌ بها لئلاّ يظنّ من يرجو الرّاحة والإباحة أنّ معرفة هذه البواطن تغنيه عن استعمال الظّواهر، وذلك أنّ الإسلام قبل الإيمان، وهو ما قالته الأعراب، قال الله تعالى: «قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ولَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [1]». وقال العالم إليه التّسليم: الإسلام حلقةٌ متضمّنةٌ الإيمان، فمن دخلها بالشّكّ فلا سبيل له إلى الإيمان، فلذلك يقال: كلّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلّ مسلم مؤمناً إلاّ أن يجمع بين الإسلام والإيمان جملةً واحدةً فحينئذ يكون مسلماً، كما قال الله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ومَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ومَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ [2]»، وقوله تعالى: «ومَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ»، وقوله منه الرّحمة: إنّ الإيمان عقدٌ في القلب مقبول، وقولٌ باللّسان، عملٌ بالجوارح والأركان.

و رواه أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن محمد بن سنان الزّاهريّ عن يونس الصّقيل عن أبي عبد الله الصّادق منه الرّحمة قال يونس: سمعت أبا عبد الله يقول: لم يتقبّل الله عمل عاملٍ إلاّ بمعرفته، ولا يقبل معرفته إلاّ بعمله، فمن عرفه دلّته معرفته على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له وإنّما الإيمان بعضه من بعض، ورواه أبان بن عباس عن سليم بن قيس قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين منه السّلام فسأله عن الإسلام والإيمان فقال منه الرّحمة: الحمد لله الّذي شرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده وأعزّ أركانه على من غالبه فجعله ملجأً لمن التجأ إليه

[1] الحجرات ١٤.
[2] آل عمران ١٩.

وعلماً لمن وعاه، وحرزاً لمن رواه وحكماً لمن استقصاه، وفرضاً لمن تولاّه، وسلماً لمن دخله، وإماماً لمن ائتمّ به، وزينةً لمن تحلّى به، وعزّاً لمن انتحله، وعروةً لمن اعتصم به، وحبلاً لمن تمسّك به، ومحارباً لمن جهله، وحلماً لمن تحرّر به، ولبّاً لمن تدبّره، وفهماً لمن فهم، وأنساً لمن عقل، وبصيرةً لمن عرف، وآيةً لمن توسّم، وعبرةً لمن اتّعظ، ونجاةً لمن صدق، ومدّةً لمن أصلح، وزلفى لمن قرب، وثقةً لمن توكّل، وصديقاً لمن صادق، وجنّةً لمن صبر، وظهيراً لمن رشد، وسكينةً لمن أمن، وأمانةً لمن أسلم، وروحاً للصّادقين، وموعظةً للمتّقين، ونجاةً للفائزين، وذلك الدّين الحقّ وإنّ ما تدعون من دونه الباطل، ولا يكشف سرّه وعلمه إلاّ لمؤمنٍ يكون على سبيل الهدى صفته الحسنى ومأثرته الحمد وثناؤه المجد، أبلج المناهج مشرّف المنار، مشرق الجّواد، مضيء المصابيح، رفيع الغاية، كريم المضمار، جامع الحلبة، متنافس السّبقة، أليم النّقمة، قديم العدّة، شريف الغرسان....

فالإيمان منهاجه والصّالحات امره، والفقه مصابيحه، والموت غايته، والدّنيا مضماره، والقيامة حلبته والجّنة سبقته، والنّار نقمته والتّقوى عدّته، والمحسنون فرسانه، وبالإيمان يستدلّ على الصّالحات، وبالصّالحات يعمر الفقه، وبالفقه يرهب الموت، وبالموت تغنم الدّنيا، وبالدّنيا تجوز القيامة،و بالقيامة تجوز الجنّة، وبالجنّة حسرات أهل النّار، والنّار عظمة التّقوى، والتّقوى سنح الإيمان، والإيمان على أربع دعائم: على الصّبر، واليقين، والعدل، والجّهاد.

و **الصّبر** على أربع شعب: على **الشّوق والشّفق والزّهد، والتّرقّب**، فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات، ومن أشفق من النّار اجتنب المحرّمات، ومن زهد في الدّنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات.

و **اليقين** منهاعلى أربع شعب: على **تبصرة الفطنة، وتأوّل الحكمة،و موعظة العبرة، وسنّة الأوّلين**، فمن تبصّر في الفطنة تبيّنت له الحكمة، ومن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين.

و **العدل** منها على أربع شعب: على **غائص الفهم وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم**، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرّط في أمره وعاش في النّاس حميداً.

و **الجّهاد** منها على أربع شعب: على **الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّدق في المواطن، وشنآن الفاسقين**، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضِب الله له وأرضاه يوم القيامة.

فلذلك الإيمان سبع: الأولى الشّهادة، وهي قوله: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، والثّانية الصّلاة، والثّالثة الزّكاة، والرّابعة الصّيام، والخامسة: الحجّ، والسّادسة الجّهاد، والسّابعة الولاية، فاثنتان منهنّ على النّفس هما الشّهادة والولاية، واثنتان على الجّسم والمال وهما الحجّ والجّهاد، وواحدة على المال وهي الزّكاة.

الشهادة والولاية

وأمّا **الشّهادة** وقول الرّسول صلعم في أوّل من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنّة، ومات على ذلك أقوامٌ فهم بشهادة رسول الله صلعم في الجنّة، والجنّة لمن عرف منهم كلمة الإخلاص، وكلمة الإخلاص فهي علمٌ نذكر بعضه.

وهو ممّا روي عن السّيّد الرضا منه السلام أنّه كان يوماً في منزلةٍ من منازل الطّريق وهو سائرٌ إلى (طوس)، وقد أسرع الظّعن عنهم فاجتمع إليه شيعته وقالوا له: يا مولانا أسرع الظّعن عنّا ولم تمتّعنا بشيءٍ من نعمتك، فرفع سجاف القبّة، وقال لهم: اكتبوا حديثي وحديث أبي موسى عن أبيه جعفر الصّادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: حدّثني أخي وحبيبي وقرّة عيني رسول الله صلعم قال: حدّثني جبرائيل قال: سمعت ربّ العزّة يقول: لا إله إلاّ الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي.

قال: فكتبنا هذا الحديث، وتركت القبّة لمسير، ثمّ أخرج رأسه منها، وقال: بشروطها، وأنا من شروطها.

و روي عن أمير المؤمنين لذكره التّعظيم أنّه وقف بالجبّانة ومعه كميل بن زياد، فقال: «يا أهل لا إله إلاّ الله، كيف رأيتم قول لا إله إلاّ الله؟ ثمّ التفت إلى كميل بن زياد وقال: لو أذن لهم في الجوّاب لقالوا: وجدناها خير الزّاد، والتّقوى».

و سئل العالم إليه التّسليم عن قول لا إله إلاّ الله، وعن كل من يقولها، فقال: إذا كان يوم القيامة، فالّذين يسواهم من أهلها سلب منهم لا إله إلاّ الله، وإنّه لا يقولها إلاّ من هو من أهلها، وأمّا الولاية فمقرونةٌ بالشّهادة، ولا تقبل الشّهادة إلاّ بالولاية، وذلك معنى قول الرّضا منه الرحمة: (بشروطها، وأنا من شروطها).

و قال أبو سعيد الخدري: سمعت رجلاً يسأل رسول الله صلعم عن دعائم الإسلام فذكرهنّ حتّى بلغ إلى الولاية فقلت :احداهنّ.

فقال: يا أبا سعيد، لولا الولاية لهلك النّاس ومن على الأرض، وروي في قوله جلّ من قائل: «إِنَّما وليُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وهُمْ راكِعُونَ [1]»، وقوله تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ ومَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً [2]»، وقوله تعالى: «والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ [3]»، فقال العالم منه السّلام: العمل الصّالح هو الولاية وهي كالطّبق ترفع أعمال المؤمنين، ومن لا ولاية له كان عمله مطروحاً في النّار، فهو ممنوعٌ من الارتفاع والقبول، وأمّا الصّلاة هي عماد الدّين، ومن لا صلاة له لا دين له، ومن أوجب الأشياء لقبولها معرفة بواطنها والعمل بظواهرها، وتحتاج إلى الطّهارة والنّيّة، وإقامة المعرفة بالمواقيت والفرض منها والسّنّة، ونزيد كلاماً من ذلك في موضعه.

وأمّا **الأذان والإقامة** فلها خمسٌ وثلاثون كلمة منهنّ ثمان عشرة كلمة للأذان وسبعة عشرة كلمة للإقامة، والّذي يقوله بعض الشّيعة في الأذان إنّ محمّداً وعليّاً خير البشر، وقولهم: محمّد خير البشر، وعليّ خير البريّة، ليس ذلك من الأذان أو الإقامة، والّذي تقوله الحشويّة – لعنهم الله – قولهم: الصّلاة خيرٌ من النّوم، يدعونه بدلاً لما أقلعوه من الأذان والإقامة «حيّ على خير العمل»، فقد جعلوا مكانها: «الصّلاة خير من النّوم»، وقد قال أمير المؤمنين – إليه التّسليم – (والله ما أخرجوا منها إلاّ بقلبها إنّي أنا الصّلاة وهم النّوم.

---

[1] المائدة ٥٥.
[2] النساء ٨٠.
[3] فاطر ١٠.

الصيام

وأمّا **الصّيام** فهو جُنّة المؤمن، وعصمة له من الأعمال الفاسدة، ومنه قول الرّسول صلعم: الصّيام وحيٌ منه وإنّه لمفترضٌ ومكتوبٌ على هذه الأمّة، منها قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.أَيّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَو عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ [1]»، ثمّ قال جلّ من قائل: «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ومَنْ كانَ مَرِيضاً أَو عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ولِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [2]».

فمن صام دون الثّلاثين معلولاً على الرّواية، وإذا لم يوافق الغهد فقد أخطأ، ولم يصم، وقوله تعالى: «وعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُو خَيْرٌ لَهُ وأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [3]»، وذلك أنّ قوماً من الأمّة كانوا يفطرون، فنسخت هذه الآية ومنعت فدية الصّيام، وبالجّملة شهر رمضان اسمي وأيّامه ثلاثون، وفيه ليلة القدر الّتي هي خيرٌ من ألف شهر، وفي قراءة ابن مسعود: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ.فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.أَمْراً مِنْ عِنْدِنا..الآية [4]»، وقوله جلّ من قائل: «إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، ولها شخصٌ مسمّى، ومن الصّيام شعبان، وهو سنةٌ لاحقةٌ بالفرض، وفيه يقول الرّسول صلعم: شهر شعبان شهري، وشهر رمضان شهر الله، فمن صام شهري ضمنت له عند الله الجنّة.

و من نوافل الصّيام: الأربعاء بين خميسين ثلاثة أيّام في كلّ شهر، وذلك أنّ رسول الله صلعم نهى عن الوصال، فقيل له: يا سيّدنا أنّا نراك تواصل، فقال عليه السّلام: إنّي لست كأحدكم، وكهيأتكم، إنّي أظلّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني، ثمّ قال

[1] البقرة ١٨٣ – ١٨٤.
[2] البقرة ١٨٥.
[3] البقرة ١٨٣.
[4] الدخان ٣ – ٤.

صلعم: إنّ صوم الدّهر كلّه يوم في كلّ عشرة، وهو أوّل خميس في الشّهر، وآخر خميس في الشّهر، والأربعاء في وسط الشّهر، فاليوم كفّارةٌ لعشرة أيّام، قال الله تبارك وتعالى: «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها ومَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وهُمْ لا يُظْلَمُونَ»، فيكون في تلك العشرة أشهر من السّنة شهر كفّارة لعشرة أشهرٍ، تفسير ذلك إمّا المواصلة فهي صيام الطيّ، وكان الرّسول صلعم يطوي، فاعترض لهم شفقةً عليهم، وقال: إنّ صيام الدّهر كلّه يلزم على كلّ مؤمنٍ وهو أن يصوم في كلّ شهرٍ ثلاثة أيّامٍ، وصيام شهر شعبان وشهر رمضان، فذلك صوم الدّهر كلّه.

الحج

و أمّا **الحجّ** إلى بيت الله الحرام، فقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، والاستطاعة هي الزّاد والرّاحلة، وقال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، فقرن التّأخّر عن الحجّ مع وجود الزّاد والرّاحلة بالكفر، وهذه فريضةٌ لا مندوحة عنها، غير أنّها مرّة واحدة في العمر وهي حجّة الإسلام، وقد كان هذا البيت محجوجاً قبل إبراهيم عليه السلام، وهو قوله تعالى: «إِنَّ أَوَلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ.فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، وقوله تعالى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ»، وذلك أنّ الله تعالى لمّا أهبط آدم عليه السّلام بالخطيئة الّتي أوجبها العدل سمّي موضع مهبطة (الصّفا) وهو مشتقٌ من صفوة الله تعالى، وهو آدم عليه السّلام، كذلك سمّي موضع مهبط حوّاء (المروة) وهو مشتقّ من المروءة، ووضع بازاء الكعبة وهو البيت الحرام مثابةً، وأمناً للمستغفر المستقيل كما قال اله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [1]»، وهو قوله: «فلاذوا بالعرش، واستقالوا فأقالهم الله»، وقد جعل البيت المعمور من دون العرش في السّماء السّابعة ملاذاً للعالم العلويّ، فسمّي البيت المعمور، وهو من دون العرش، لأنّه يدخل إليه كلّ يومٍ سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون يرجعون إليه أبداً، فكان هذا البيت في الأرض بإزائه ملاذاً للعالم البشريّ، فلم يزل ذلك إلى طوفان نوحٍ عليه السّلام، ولم يبق على وجه الأرض أرفع من مرسى السّفينة، فلمّا عاد نوحٌ إلى عمارة الأرض من بعد مهبطه من السّفينة، وقام أهلها، فأمر بأن يجدّد البيت ويُرفع، وأن تعقد له قواعد من خمسة جبال، وقيل: من سبعة، منها طور سيناء وجبل قاف، وكانت قواعده غير معروفة فيطاف بها ويحجّ إليها، إلى أن كان من زمن إبراهيم عليه السّلام عشر سنين، وهو في جوار البيت، فكان من ظهور زمزم ما كان، وبلغت من إسماعيل

---

[1] البقرة ١٢٥.

عليه السّلام عشرين سنة، فأمر الله تعالى إبراهيم أن يرفع قواعد البيت، فرفعها على قدر القامة، ولمّا بلغ ابراهيم موضع الحجر استدعى من اسماعيل حجراً، فذهب لإحضاره، فأتاه جبرائيل صلوات الله عليه من الجنّة بحجرٍ من لؤلؤ أبيض، فجعل في المكان.

و ورد أنّ هذا الحجر هو الملك المسلم إليه مواثيق الخلق في الذّرو وبعده في سائر الأندية، والأوقات الأوّليّة، ولذلك يقول الطّائف من الحجّاج عند استلامه: إنّ أمانتي وميثاقي تعاهدا إليك ليشهدا لي بالموافاة، وإنّما اسودّ من لمس المشركين ولمس المنافقين ولم يبق في الأرض صنمٌ يُعبد من دون الله غيره.

و ورد أيضاً أنّ إسماعيل صلوات الله عليه أوّل من نطق بالعربيّة والسّريانيّة فيقول: «هالي كابيا»، وهو اسم الحجر تفسيره: هذا حجرٌ، وإنّما قوله: من دخله كان آمناً، وصار حجّ البيت داخلاً في فروض الشّرع من عهد إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، وقوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [1]»، أي يأتون مشاةً وركباناً، وقول الحاجّ: لبّيك اللهم لبّيك، إنّما هو جواب الأمر الّذي سمعه العالم على إبراهيم الخليل، وهو قوله: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [2]».

و قد ورد أنّ البيت العلويّ والبيت السّفليّ من ياقوت أحمر، وقيل من لؤلؤ أبيض، وزمرّد أخضر، وموجب العلم أن يكون البيت العلويّ نورانيّاً، وغيره جوهريٌّ، وقد كان رسول الله صلعم لا يُرى له ظلٌّ لا في الشّمس ولا في القمر، ولا في ضوءٍ، وقد نهي الحاجّ عن الرّفث والفسوق والجّدال في الحجّ، ويجب على الحاجّ أن يعرف المواقيت والإحرام وطهارته، ويمتنع به عن المآكل والمشارب والمناسك، والمناكح، والطّيب من الصّيد وغيره، ذلك في أيّام إحرامه، ومعرفة البيت وأبوابه، والأركان والحجر الأسود، والميزاب (المزراب) والمسحب والملتزم، ومقام إبراهيم والظّهور منه والطّواف سبعاً وبعده ركعتان في مقام إبراهيم الخليل، ومعرفة الصّفا والمروة، والسّعي بينهما، وعرفات، والمواقف، والمزدلفة، وليلتها،

---

[1] الحج ٢٧.
[2] ابراهيم ٣٧.

ومنى، والمقام بها، والذّبح، والحلق، ورمي الجّمار، والعمرة، وأوانها، وميقاتها، وحدود الحرم، وجميع المناسك، وكلّ ذلك له باطنٌ وظاهرٌ معقودٌ بعضه ببعض، فلا يغني باطنه عن ظاهره، ولا ظاهره عن باطنه، فلذلك قرن الكفر بالتّأخر عنه، والمضيّ إليه بغير طهارةٍ، ومعرفةٍ.

و قد ورد أنّ الحجّاج يكونون بعرفات على ثلاث طبقاتٍ منهم طبقةٌ يغفر الله لهم، قال العالم إليه التّسليم على شرط التّوبة من الكفر، فإن تاب وأناب قبل حجّه، ولا يجوز سفره وسعيه في الدّنيا لأجل الثّروة والجّاه والأهل والمال، فقد بيّن هذا الحديث أنّ هؤلاء أضدادٌ ومن أخذ الأضداد أولياء من دون الله فقد خالف الله.

الجهاد

و أمّا الجّهاد فهو فريضةٌ لقوله تعالى : «لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً.دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً[1]».

و من شروط الجّهاد أن يكون مع إمامٍ عادلٍ، وهو قول الرّسول صلعم: رجعنا من الجّهاد الأصغر إلى الجّهاد الأكبر، فسئل عن ذلك فقال: هو جهاد النّفس، وفي الجّهاد أيضاً وجهٌ آخرٌ، قوله تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ[2]»، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [3]».

و هذا اللّفظ لفظان أحدهما باطنٌ والآخر ظاهرٌ، فما ذكرنا منها فهو الظّاهر، وأما معنى باطنها فالعدل هو أمير المؤمنين، والإحسان هو فاطمة الزهراء، وذوي القربى الحسن والحسين، صلوات الله عليهما.

وورد في وجهٍ آخر أنّ العدل هو رسول الله صلعم، والإحسان هو فاطمة، ووجهٌ ثالثٌ : إنّ العدلَ هو أمير المؤمنين، والفحشاء والمنكر والبغي: الأوّل والثّاني والثّالث – لعنهم الله –.

و قد وجدنا في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا مندوحة عن مثل هذا وهو: أن تأمر بالمعروف بقلبك ويدك ولسانك، فإن لم تقدر فبقلبك، ولسانك، فإن لم تقدر فبقلبك، فأوجب الله أنّ لا بدّ من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

---

[1] النساء ٩٥.
[2] الحج ٤١.
[3] النحل ٤٠.

و ورد في ذلك عن أمير المؤمنين إليه التّسليم أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى شعيب النّبيّ صلعم: إنّي معذّب من قومك أربعين ألفاً من أشرارهم، وستّين ألفاً من أخيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار عذّبتهم وأنا عرفتهم، فما بال الأخيار؟

فقال له: إنّهم لم ينهوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي...

الزكاة

و أمّا الزّكاة ففريضةٌ لقوله تعالى: «وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ [١]».

و قال تعالى في الأموال – جلّ من قائل-: «وما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوا في أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ [٢]»، والزّكاة في عشرة أشياء: في المواشي والحبوب والثّمار والغنائم والكنوز والمال، وذكرها فهو مشروحٌ في كتب الفقه نستغني به عن شرح أحوالها، وكتاب الفقه لأبي شعيب فزكاة المال ربع العشر في كلّ سنة، فهو من كلّ أربعين درهماً واحداً، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى جعل تسعة وثلاثين غنيّاً وجعل فقيراً واحداً، فإذا أخرج الأغنياء زكاة أموالهم لحق ذلك الفقر بهم وصار كأحدهم، ولا شيء فيما دون المائتين.

و من أخرج الخمس من ماله فقد حلّ جميعه، ولا زكاة عليه، فيما أخرج خمسه بقيّة دهره، وقد ورد أنّ في المال حمداً وذمّاً، وباطناً وظاهراً، ومنه قول أمير المؤمنين منه السّلام: «أنا مال المؤمنين، وما لهم زكاة غيري»، وقوله: «أنا يعسوب المؤمنين، والمال هو يعسوب الكافرين، وليس لهم يعسوب إلاّ المال»، يعني الذّهب والفضّة.

و قد ورد أيضاً: إنّ المرء يسأل عن جاهه كما هو مسؤولٌ عن زكاته وماله، وقضاء حوائج إخوانه المؤمنين، وماله ميله إلى مولاه، وقوله تعالى: «وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ [٣]»، فلا تملّوا النّعم، فتحلّ عليكم النّقم، وعن العالم منه السّلام روي أنّه قال: من رزقه الله أربعين حديثاً فعليه أن يزكّي بحديثٍ منها على مستحقّيه.

---

[١] البقرة ٤٢.
[٢] الروم ٣٩.
[٣] النحل ٥٣.

فنقول: إنّ هذه الأوامر السّبعة المسمّاة دعائم الإسلام وما ينضاف إليها من الحدود والأوامر والشّرع الظّاهر الّذي لا مندوحة عن حدّ العلم به ولا انتهاء إلى أحدٍ إلاّ فيه، وهو الإسلام، ولكن هذه الدّعائم والأوامر والحدود وبواطن هذا الإيمان لا مندوحة لأحدٍ عن معرفتها والاعتصام بها، والتّديّن بموجبها، ولا يتمّ للمؤمن إيمانه حتّى يكونَ فاعلاً ذلك، ومن فعل ذلك فقد أقام الظّاهر والباطن جُملةً كما ذكرنا، وحينئذٍ يكون مؤمناً محقّاً، ومن قصّر في شيءٍ من الظّاهر والباطن نقص من إسلامه بحسبِ ذلك.

قال العالم – إليه التّسليم –: «لا يحلّ العقدة إلاّ عاقدها»، وقال: «من حلّ عقدة عقدها رسول الله صلعم أكلته السّباع ومزّقته الكلاب، وأكلته الهوام وعاد أعرابيّاً خائناً، ويقع في قومٍ لا يعرفون الله، فيعود جاهلاً، وقد يجهلكم»، وحسبك بهذا القول كنايةً أيّها السّائل، وقد ورد في قول الله تعالى: «وأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهارِ وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذّاكِرينَ [١]»، فالحسنات هنّ الأعمال الظّاهرة الّتي أمر بها وبأعمالها أئمّة العدل، ولو شرحنا الفواحش ظاهرها وباطنها لطال في ذلك الكتاب والشّرح.

[١] هود ١١٤.

الخمر

فمن ذلك ما روي في شرب الخمر ممّا ورد فيه: إنّه مفتاح كلّ خير، ومنه الخمر الظّاهر لأنّه مفتاحٌ للرّزق، وذلك أنّ قوماً من الإسلام يقولون في شربه وعندهم محلّلٌ، وهو مخالف الظّاهر وشرعه، والباطن وشرعه، لقوله تعالى: «قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والإثْمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأنْ تُشْرِكُوا بِاللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وأنْ تَقُولوا عَلى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ [١]».

فقد حرّم الله الفواحش ظاهراً وباطناً، وهم الأضداد الثّلاثة، والخمر الّذي هو داخلٌ فيها، فهو علمهم ممّا زخرفوه وحرّفوه، وغيّروه وبدّلوه، ثمّ أفردوه بقول الإثم – لعنهم الله – وهم الثّلاثة، هذا القول في ظاهر الإثم وباطنه.

و قال رسول الله صلعم: «الخمرة بعينها حرامٌ للسّكر من الشّراب»، وقال صلعم: «ما أسكر كثيرُهُ مع الأضداد، فقليله مع المؤمنين حرامٌ، إيّاكم إيّاكم أن تشربوه مع المخالفين، فإنّهم لا يزيدونكم إلاّ حمقاً ونفوراً»، وقال أيضاً في هذا الخمر أنّه سكد، ولأجل ذلك خلقه الله آلةً للمؤمنين، وترويحاً للأجساد، فمن يقول إنّه عبد النور فقد كفر.

و قال أمير المؤمنين منه السّلام: الخمر عبد النور، لأنّ النّور محمّد والعبد سلمان، والخمر العالم الكبير، وإنّ النّور لم يمازجه شيءٌ من الظّلمة، ولا الظّلمة يمازجها شيءٌ من النّور، وإنّ هذا الخمر المسكر آخرته للتّلف، وفيه تعذّب أرواح الكافرين، وقد تستريح فيه أرواح المؤمنين.

و قال: شارب الخمر فاجلدوه ثمانين جلدة، وعلم بني أميّة حرامٌ في الظّاهر والباطن، وإنّما هذا الخمر هو سكد بعينه، الّذي يشربونه مع الأضداد، ومن فعل ذلك فلا ولاية بيننا وبينه، وقال أمير المؤمنين منه السّلام: حلالٌ لكم معكم، حرامٌ عليكم مع غيركم، ومن يقول إنّ الخمر الّذي يشربونه مع الأضداد عبد النّور فقد كفر، لأنّ

[١] الأعراف ٣٣.

الخمر المشروب معهم ظلمةٌ، وإذا كان ظلمةً لا يكون عبد النّور مولاه، وفقد كشفنا لك أيّها السّائل علماً عظيماً، أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم.

ثمّ نعود إلى شرح شارب الخمر، والجّلد الّذي قال عنه فاجلدوه ثمانين جلدةً، فإن عاد فاجلدوه مائة جلدة، فإن عاد ثالثة فضرب عنقه حلالٌ، ودمه مباحٌ لا محال، واجتمعت الشّيعة على هذا من علم أبي شعيب عليه السّلام من كتاب (أقرب الأسانيد) ففيه صنائع معدن الذّهب والفضّة، وفائدة لمن يستفيد.

قال في هذا الكتاب ما أنا مفسّره لك إن شاء الله تعالى: إنّ رجلاً أتى إلى أمير المؤمنين – منه الرّحمة– فسأله عن رجلٍ يشرب الخمر، فأجابه – منه الرّحمة– قائلاً: «و الّذي نفس محمّد بيده إنّ الّذي أولجه في بطنه أعظم من الّتي أولجته في بطنها»، وعنه منه السّلام أيضاً في كتاب (أقرب الأسانيد) أنّه قال: من ترك الخمر لأعداء الله ووالى أولياءه سقاه الله من الرّحيق المختوم، فقالَ السّائل: يا سيّدي، ما هذا التّرك؟

قال: صيانة نفسه عنه.

ورواه أحمد بن سعيد بن عقدة يرفعه إلى حمران بن أعين عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السّلام أنّه قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ وفي نبوّته تحريم الخمر الّذي ذكرناه، وتحريمٌ لشربه مع الأضداد، فلم يزل محرّماً أيضاً مع الإخوان إلى عصر السّيّد محمد – منه السّلام – فصار محرّماً أيضاً إلاّ مع الإخوان.

و رواه أبو شعيب في كتاب (أقرب الأسانيد) قال: حدّثني أبو عامر الخادم عن الرّضا – منه الرّحمة – أنّه قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ بتحريم الخمر، ويأمر النّاس بولاية أمير المؤمنين وولاية أهل البيت، وأن يقرّوا بالبداء والإعادة، ونظائر هذا كثيرٌ في كتاب (أقرب الأسانيد) ممّا لا يتحمّل كتابنا هذا إيراده لئلاّ يطول شرحه.

الخلق والبشرية

ثمّ نرجع إلى ذكر الخلق والبشريّة فنقول: إنّه خلق من الكون الترابيّ الجّسم الطّينيّ كما قال الله تعالى: «وبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ [1]»، ثمّ جعل فيه من كلّ كونٍ من الأكوان السّتّة جزءاً.

فكان **من جزء الطّين** لحمه، ودمه، وعظمه، وشهوته، وغضبه، وكيده، وهمّه.

ومن جزء الهواء: قوّته، ونظامه، وقيامه، وحمله، وقعوده، وخروجه.

ومن جزء الماء: تربيته، وغذاؤه، ولينه، وتثبّته وحفظه، وراحته ورأفته، ورحمته.

و **من جزء الكون الجّوهريّ** قلبه، وهو الأنفس فيه، وجعله محجوباً بالجّسم باطناً بخمس صفات: سمع وبصر ونطق، وراحة وبطش، وأظهر لها في الخلقة خمس صفاتٍ تسمّى الجواسّ الخمس، وهي حواسّه الباطنة، ففي الأذن سمعه، وفي العين بصره، وفي الأنف شمّه، وباللّسان نطقه وأوامره ونهيه وتشدّد بطشه.

وله شواهد من الكون النّورانيّ نوراً احتجب بالقلب كما ذكرنا في المبتدأ النّورانيّ، وهو الجّزء الجّوهريّ، لقولهم: الرّوح في النّفس، وله خمس صفات باطنة لبطونه، منها في القلب اثنتان وهما الفهم والتّمييز، وواحدة في العينين، وهي الرّوح الباصرة، واثنتان في الرأس وهم التفكير والتّذكير، فلمّا كملت الصّورة البشريّة بالأجزاء الكائنة، وفيها يكون ما قابلته الطّبائع الأربع.

فالجزء الكائن من الكون المائي البرودة، والرّطوبة والبلغم، ومن الكون الهوائيّ الهواء الحارّ الرّطب، والدّم وهو حارّق رطبٌ، ومن الكون النّاريّ نارٌ حارّةٌ يابسةٌ مثل الصّفراء، فهي حارّةٌ يابسةٌ، ومن الكون التّرابيّ السّوداء، فهي باردةٌ يابسةٌ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

---

[1] السّجدة ٧.

و لكلّ كونٍ من هذه الأكوان علمٌ وشرحٌ على ما شرحناه، فعالم البشر المتكوّن من الكون التّرابيّ أصله الطّين من الخمسة الأكوان على ما شرحناه، وكذلك الكون النّاريّ عالمه الجنّ، وهو قوله تعالى «ولقدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ, والْجَانَّ خَلَقناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ [1]».

فكانّ أيّها السّائل من الكون النّاريّ الجنّ الّذين ظهرت منهم الطّاعة على ما أوجب العدل، وإنّ الحشويّة – لعنهم الله – يقولون أنّنا نجمع الجنّ بالعزائم والطّلسمات والتّكرارات في المنازل، وكلّ ذلك ردٌّ منهم على الله، ولغوٌ وزورٌ.

و أمّا أنت أيّها السّائل، فاستمع لقوله تعالى: «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فقالُوا إنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً, يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ولنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً [2]».

فأمّا هؤلاء الجنّ هنا هم العالم الكبير النّورانيّ، وهم الجنّ المحمودون، الّذين جنوا العلم، واقتبسوا النّور.

و أمّا الجنّ المذمومون هم الأضداد، وهم بنو أميّة، وبنو الشّيطان، وقد كذّبهم الله تعالى في كتابه العزيز في هذا القول كما أمر إبليس بالسّجود، فعصاه وخالف الأمر فأبلس من الرّحمة، وسمّي شيطان، وكان منه شياطين، والشّاهد على إبليس في قوله وفسوقه وعصيانه قول الله تعالى: «وإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً [3]»، وقولنا في هذا الكون والأكوان الأربعة الباقين كفاية حسب ما أوردناه فيهم وفي أمثالهم.

والكون الهوائيّ وعالمه فيهم من الأكوان الثّلاثة الباقية، بحسب ما ذكرناه فيما تقدّم، ومن عالمه الرّياح الأربعة المكوّنة للرّحمة والأربعة الثّانية المكوّنة للسّخط، وفيها يخرج من بينهنّ، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى وكّل بهذه الأرياح الأربعة أربعة أملاك تسمّى الأربعة الأيتام بأسمائهم، وهي الصّبا والدّبور والشّمال والجنوب، وهي **رياح الرّحمة**، ويتفرّع منها ريح صرصر العاصف، والصّفّار

١ الحجر ٢٦ – ٢٧.
٢ الجنّ ١ – ٢.
٣ الكهف ٥٠.

والقصّار، والكبّار، واللّواقح، والنّافحة، والسّموم، ومن علّله السّحاب، وهو قوله تعالى: «إنَّ في خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ والْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي في الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وما أنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فأحْيا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّياحِ والسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [1]»، ومنها سحاب الرّحمة الّذي منه يحلّ الغيث وتحمله الرّياح، وتحطّه بحيث تؤمر من البلاد، وأسماؤها كثيرةٌ منها الرّزاز والمسري، والمُزن، وغيرها، قال الله تبارك وتعالى: «أفَرَأَيْتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ, أأنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ [2]»، وقوله جلّ من قائل: «وهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذا أقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فأنْزَلْنا بِهِ الماءَ فأخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [3]».

و منها سحابٌ يحمل العذاب والصّواعق والرّجز، وهو الثّلج، وغير ذلك، وقد وكّل بجميع ذلك ملكٌ يقال له الرّعد، وذلك أنّ الصّوت الشّديد الّذي يسمّى الرّعد هو زجر الملك، والسّحاب يسيّره إلى حيث أمر به، وهو قوله تعالى: «ويُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ والْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بها مَنْ يَشاءُ وهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ وهُو شَدِيدُ الْمِحالِ [4]»، وقوله تعالى: «ولمَّا وقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إسْرائِيلَ [5]».

و كذلك **الكون المائيّ**، وله علمٌ علويّ يطول كلامه، ومنه البحر المكفوف في السّماء، الّذي يمطر على الأرض، وجبال البرد والثّلج، وهو قوله جلّ من قائل: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ ويَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصارِ [6]»، وفيه من الكونين الباقيين بحسب ما توجبه

١ البقرة ١٦٤.
٢ الواقعة ٦٨ – ٦٩.
٣ الأعراف ٥٧.
٤ الرعد ١٣.
٥ الأعراف ١٣٤.
٦ النور ٤٣.

أجزاؤه، وهذا الكون المائيّ حجابٌ لما فوقه من الكون النّورانيّ، والجبّال في الثّلاثة الأكوان أجلّ وأعظم من أن يدرك شرح أحوالها وكنه أوصافها وعلومها، فلمّا تكاملت الصّورة التّرابيّة الآدميّة الطّينيّة البشريّة الكرويّة مشتملةً على أجزائها من الأنوار اللاّهوتيّة والقدرة الجّوهريّة، والحياة الرّوحانيّة، والهوائيّة، والنّاريّة، وبأسبابها المشتملة بالإسميّة والحجابيّة، والبابيّة واليتيميّة، وغيرها من المراتب السّبع العلويّة، والأجرام والمنازل السّفليّة، وهي مظهرة الوحي وتصاوير الأرضين، حتّى لقد ورد أنّ في الخلق جبالاً وأودية وكهوفاً ومغاوير وعيوناً، وفيه ثلاثمائة وستّون عضواً بعدد منازل القمر، والأنوار تشتمل الضّلوع وغيرها، وفي الظّهر ثمان وعشرون فقرة بعدد الحروف، وبها قامت الصّورة، وكلّ شيء يقوم بالحروف، والرّأس سبع قطع بعدد الطّوالع الدّائرة، وفي العين سبع طبقات حجباً للرّوح النّاظرة بعدد السّماوات السّبع وغيرها، وغير ذلك ممّا في الأرض، وهذا معنى قول الرّسول إليه التّسليم: «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه»، وهذه فائدةٌ غريبةٌ، وأمّا قوله: أعرفكم بربّه، يعني إذا داع من نفسه إلى نفسه، فأيّ هذه الأنفس عرفت ربّها على الحقيقة تكون فائزة، وأمّا قولهم (عرفان المعرفة) فهي معرفة الرّتب العلويّة والنّورانيّة الّذين هم هيولات لهذه الأكوان السّتّة، وذلك أنّ المعنى الأحد أظهر من نور ذاته اسمه، فهو الواحد من الأحد وهو الاسم الأعظم، والحجاب الأعلى والنّور الأقدم، وإليه وقعت الإشارة بقول مولانا أمير المؤمنين منه السّلام: نورٌ أشرق من صبح الأزل، فهو حجابه اللاّحق، ونوره اللاّصق، وعلمه العليم، وسرّه المكنون الباطن، فالإسم من نورٍ واحدٍ قديمٍ، والباب من نورين قديمٌ ومحدثٌ، وأبدى الباب بمعونة الاسم وتأييده اليتيم الأكبر، وهو المقداد من نور نوره، وذلك قول العالم إليه التّسليم: ظاهر المعنى هو باطن الإسم، وظاهر الإسم هو باطن الباب، وظاهر الباب هو باطن اليتيم الأكبر، وهو المقداد، وهو من نور نوره، وهو ظاهر القلب، وهو الفؤاد، وقول العالم إليه التّسليم: فوقف في صورة اللّطف في الضّياء والظلّ، وشاهده قوله تعالى: «سُبْحانَ الّذي أسْرى بعَبْدِهِ ليْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُريَهُ مِنْ آياتِنا إنّهُ هُو السَّميعُ البَصيرُ [1]».

[1] الإسراء ١.

ثمّ أبدى اليتيم الأكبر الأجلّ من نوره الأيتام الأربعة، وهو قوله تعالى: «وإذْ قالَ إبْراهيمُ رَبِّ أرني كَيْفَ تُحْيي المَوْتى قالَ أولَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى ولكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبي قالَ فَخُذْ أرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأتِينَكَ سَعْياً واعْلَمْ أنَّ اللّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ [1]»، ولهذه الآيات شرحٌ لا يحلّ ذكره في هذا الموضع لئلاّ نخرج عن القصد، ثمّ إنّ اليتيم الأكبر أبدى من نوره الأيتام الأربعة والنّقباء، وأبدى النجباء من نور الأيتام والنقباء، وأبدى المختصّين من نور النّجباء، وأبدى المخلصين من نور المختصّين، وأبدى الممتحنين من نور المخلصين، وأبدى من نور العالم الكبير النّورانيّ العالم الصّغير، وهم المقرّبون والكروبيّون، والرّوحانيّون، والمقدّسون والسّائحون، والمستمعون، واللاّحقون.

فهذه المراتب العلويّة والسّفليّة، ولكلّ رتبة منها حجابٌ بما فوقها تحجب به وتناجي من دونها، **فالسّتّة الأولى العلويّة هيولات ما دونها لما شرحناه من الأكوان السّتّة**، ولكلّ رتبة منها عالمٌ نذكره، فالأيتام هيولى الكون النورانيّ، وعالمه المشارق والمغارب، والأقمار والأهلّة، والنّجوم، والرّعود، والبروق.

و النّقباء هيولى الكون الجّوهريّ، وعالمه: الصّلاة والزّكاة، والحجّ والصّيام، والهجرة، والجّهاد والدّعاء.

و النّجباء هيولى الكون المائيّ، وعالمه الجّبال والمعصرات والأبحار، والأنهار والرّياح، والسّحاب، والصّواعق.

و المختصّون هيولى الكون الهوائيّ، وعالمه: الليل والنّهار والغداة والعشيّ، والغدوّ والآصال، والسّبل.

و المخلصون هيولى الكون الناريّ، وعالمه الأنعام والدّواب والإبل،و النّحل والطّير، والصّوامع والبيع.

و الممتحنون هيولى الكون التّرابيّ، وعالمه البيوت المساجد والنّجيل والأعناب وارمّان والتّين والزّيتون.

[1] البقرة ٢٦٠.

فلذلك سمّي العلويّ النّورانيّ، والعالم السّفليّ التّرابيّ لأنّهم لبسوا القمص الطّينيّة، فمنهم من يخلص بقميصٍ واحدٍ أو قميصين، ومنهم من يخلص بثلاثين قميصاً.

و لهذه الهيولات الستّ هيولى سابعة وهي هيولى الهيولات، وهم الأبواب، وعالمه الأسماء والحجب والآيات، والأنوار، والشّموس، والأفلاك، والغمام.

فهذه عرفان المعرفة، ومنه الوجه المبين في كنه اتّصال الأنوار وكيفيّة التّجلّي والظّهورات والأشهاد والمراتب والدّرج والمساكن والمقامات والمنبّئين والأشخاص.

و لمّا خلق الله سبحانه آدم خلقه من طين، وكانت نهايته في كمال الصّورة التّرابيّة الآدميّة من الكون النّورانيّ، والرّوحانيّ ما ذكرناه، واسمع أذنيه، وأنظر عينيه، واشتمّ منخاره بالعطس، فنطق الحد لله.

ثمّ استوى جالساً مثلما صار قائماً، فأثابه العالم على أقداره، وذلك بالحمد يدلّ على روح القدس، وقد نصبّه قبلةً للعالمين، وإماماً للمؤمنين، وسبيلاً للهدى، ولا يقبل عملٌ، ولا يُزكّى فضلٌ إلاّ ما كان من جهته، ولا فاز إلاّ من عرفه، وعرف سجود ملائكته له، وهو قوله تعالى لهم: «إذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لهُ ساجِدِينَ، فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ، إلاّ إبْلِيسَ استَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ [1]».

فأمّا الحمد ممّا أفضى من إقرار آدم عليه السّلام – الحمد لله على كلّ نعمة، وعلى كلمة التّقوى، والحكمة– وقد ورد في الحمد من الفضل ما يطول شرحه، فنحن نورده ونوضح منه ما يدلّ على فضيلته.

أمّا قوله: الحمد لله، فالحمد ورد على لسان كلّ برٍّ وفاجرٍ، وإن في قوله الحمد لله معرفة الحجاب، فقد فاز من عرف الحجاب لأنّ سجود الملائكة له، وقد كفر إبليس بتأخذره عن السّجود، فخاطبه الله تعالى بقوله: «قالَ يا إبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أسْتَكْبَرْتَ أمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ، قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ

[1] ص ٧١ – ٧٤.

وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ، قالَ فاخْرُجْ مِنْها فإنّكَ رَجِيمٌ، وإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إلى يَوْمِ الدِّينِ [1]»، فأهبطه من الجنّة وأبعده من الرّحمة، وقد جعله ملعوناً لأجل إصراره على الكفر وإقامته على المخالفة، وهذا الأمر أكبر الذّنوب، وأوّل ذنبٍ عصا الله تعالى، فكبر أمر إبليس بحدوثه من النّار، فكان إبليس أوّل من قاس أمره بالأقوال المشروحة، وكذلك كلّ من استعمل القياس من سائر الفرق في اللّعن والهبوط.

فقال إبليس: ربّ أعطني من هذه الشّجرة حتّى أعبدك عبادةً ما عبدك بها أحدٌ من العالمين في الأرض ولا في السّماء، فقال له: إنّي لست أقبلك أيّها اللّعين، ولا أجيرك، ولا قبول لك عندي، ولا لغيرك إلاّ من الباب الّذي أشرعته، والسّبيل الّذي انهجته.

فقال: يا ربّ، أنت توّابٌ عادلٌ، فبيّن لي ثواب عملي، وكان من العابدين المجتهدين على ذلك أوجب له الطّلوع إلى السّماء ومجاورة الملائكة، فقد ورد في الأثر أنّه سجد سجدتين في أربعة آلاف سنةٍ، فقال الله تعالى: وما الّذي تريد ثواب عملك؟

قال: «رَبِّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

فقال الله تعالى: «فإنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ، إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ [2]»..

و لا عجب أعجب من هذا العجب، من أن يكون إبليس ينسب الله إلى العدل، وجماعة يدعون الإسلام ينسبونه إلى الجّور والعجز، فنعوذ بالله من الضّلال، والنّكار، وسوء الأعمال.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أسكن آدم جنّته، وكملت له المثوبة على محض طاعته، فكان بها بغير فصلٍ عمّا يساكله، فشاء الله تعالى أن يخلق له من أحد أضلاعه حوّاء، فكان آدم عليه السّلام يؤمن إليها في كلّ ما يريد، وهو بالجنّة يجتمع فيها حيث شاء، ويتعرّض منها ما يشاء، إلاّ الشّجرة الّتي في الجنّة، ولنا بالشّجرة وآدم علمٌ ليس هذا موضعه.

[1] ص ٧٥ – ٧٨.
[2] ص ٧٩ – ٨١.

فذكر الله تبارك وتعالى القول الّذي قاله إبليس لآدم وحوّاء: «إنّي لكُما لمِنَ النّاصِحِينَ [1]»، فلمّا لحق بآدم الكون الّذي هو من أوصافه مثله الحرص والنّسيان، وما وسوس له الشّيطان، إذ خالف الأمر فمرّ به يُحرّضه على الشّجرة الوحيدة الّتي منع منها جميع أهل الجنّة، فأهبط إلى الأرض، وأبعد عن الجّوار، فكان هذا ذنباً ثانياً أكبر من ذنوب المؤمنين في الخلاف الّذي خالفوا الله تعالى فيه، فلم يكن من آدم – عليه السلام– من أمر المعصية والإقامة على المخالفة عِناد بل نسيان كما قال الله تعالى: «ولَقدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً [2]»، وهو على المعصية، ولقد سئل العالم عن هذه المسألة فقال: إنّ الله تبارك وتعالى فعل ذلك في آدم عقوبةً، ثمّ إنّ آدم – عليه السلام– راجع خطيئته بالإستقالة وذنبه بالاستغفار بأجزائه النّورانيّة والجّوهريّة والرّوحانيّة، وتوسّل إلى الله تعالى بالوسيلة العظمة، فقبل توبته، وأجاب دعوته، وغفر له زلّته، وجعله خليفةً له في أرضه من غير أن يسلبه شيئاً ممّا استمدّ به من روح القُدس، إنّه القبلة للخلق والباب بينه وبينهم، وهو السّبيل الّذي لا يؤتى إليه إلاّ منه، فهبط إبليس اللّعين، فسأل آدم عليه السّلام على ما نطق به التّنزيل على لسان السّيّد الجّليل، قال: «فَبِما أغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ وعَنْ أيْمانِهِمْ وعَنْ شَمائِلِهِمْ ولا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ [3]»، وبقوله تعالى حكاية عن إبليس: «قالَ أرَأيْتَكَ هذا الّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاّ قَلِيلاً، قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً، واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وأجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ وشارِكْهُمْ فِي الأمْوالِ والأوْلادِ وعِدْهُمْ وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاّ غُرُوراً [4]»، قال العالم إليه التّسليم وقد سُئل عن هذه المشاركة: «يقعد الشّيطان والمرأة، ويقعد الرّجل معها، فيشاركه في ماله وولده»، وذلك عدلٌ من الله تعالى لمن أشرك الشّيطان في طاعة الله تعالى، واتّخذ من دونه وليّاً، ثمّ كان من سيرته حتّى باق وعقّ والديه، وقتل أخاه هابيل، فكان في ذلك اليوم أوّل دمٍ هُرق على وجه الأرض، وكان ذلك الذّنب والحسد هو ثالث الذّنوب الكبار، وهو من الكون النّاريّ، ومن هذه الذّنوب

[1] طه ١١٥.
[2] الأعراف ٢١.
[3] الأعراف ١٦ – ١٧.
[4] الإسراء ٦٢ – ٦٤.

الثّلاثة تفرّعت ذنوب العالمين، وهي **الكبر والعناد والحسد**، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السّلام أنّ اتّخذ ابنك هابيل للسرّ والوصيّة والحكمة والكتب المنزلة، قال قابيل لآدم: أنا الأكبر وأخي هابيل الأصغر، فلم عدلت بالوصيّة؟

فقال آدم عليه السّلام: ذلك أمر الله تعالى أمرني به، ونزل به الوحي عليّ، ولا لي قدرةٌ على مخالفته بالأمر.

قال: لا بل تحبّ هابيل من دوني، وتؤثره عليّ، وإنّما فعلت هذا ميلاً إليه.

فقال له: يا بنيّ، إن أردت أن لا تعصي ربّك فافعل.

قال له قابيل – لعنه الله –: إنّما أنت تحبّ نفسك.

فقال له هابيل: إنّي أحببت أن أجعل بيني وبينك حكماً قاطعاً.

قال قابيل: بماذا؟

قال هابيل: بأن أقرّب قرباناً وتقرّب أنت قرباناً، فأيٌّ منّا تقبّل قربانه كان الأمر له.

قال قابيل: من أين لك هذه الحكمة! فما سمعنا بها ولا رأيناها، ولا رأينا آباءنا حكموا بمثلها؟

قال له هابيل: ها هي حكمةٌ وعدلٌ.

قال قابيل: افعل ذلك.

فذهب هابيل بنفسٍ طاهرةٍ وقلبٍ طيّبٍ، ونيّةٍ حسنةٍ، وكان له مواشٍ كثيرة، فأخذ منها كبشاً وهو أجودها، وأسمنها وأطيبها، فذبحه، وقرّبه في بيت الصّلاة ومدرسة الحكمة، ودعا الله تعالى، فنزلت نارٌ من السّماء، فأخذت القربان الّذي لهابيل حتّى أتت على جميع القربان، فنظر هابيل إلى القربان الّذي صار أمام عينيه، فذهب بغير طاعةٍ ونيّةٍ غير مستقيمة، وكان صاحب زروعٍ شتّى، فأتى إلى أردأ شيءٍ من غلاّته، فاتّخذ منه قرباناً، وقرّبه حيث قَرَّبَ أخوه وهي شاةٌ له، فذبحها وسأل أن يتقبّل منه، فلم يُقبل القربان منه، ولا نزلت نارٌ أخذته.

فقال لأخيه هابيل: أنت سحرت النار حتّى أخذت قربانك معها، ومنعتها حتّى لا تأخذ قرباني، لأقتلنّك.

فكان من قصّته ما حكاه الله تعالى في كتابه بقوله تعالى: «واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما ولَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قالَ لأقْتُلَنَّكَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأقْتُلَكَ إِنِّي أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ وذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ[1]»، وحدّثته نفسه الشّيطانيّة الّتي تمكّن منها إبليس، فأخبر الله عنه بقوله تعالى: فسوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله، فلمّا قتله شربت الأرض من دمه، فكان أوّل دمٍ هرق على وجه الأرض حراماً، فلمّا رآه ملقى بين يديه، والرّياح تهوي في ثيابه، فكشفت سوأته، وهو لا يدري كيف يصنع به، وهو قوله تعالى: «فَبَعَثَ اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قالَ يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ[2]»، وأخذ منه مثلما أخذ من صاحبه، يعني قابيل من هابيل حتّى طرحه ميّتاً، ثمّ أقبل على الأرض يحفرها بمنقاره ومخالبه حتّى احتفر ضريحاً وجرّ الغراب المقتول ودفنه وألقاه فيه، رأسه إلى الأرض نحو الغرب ورجلاه إلى الشّرق، وهو على جانبه الأيمن، ليكون متوجّهاً إلى القبلة، وخدّه على التّراب، ثمّ حثا عليه بمنقاره شيئاً من الماء وحثا عليه التّراب بجناحيه، فلذلك صارت سنّة القتلى أن يُدفنوا به بدمائهم غير مغتسلين محنّطين مكفّنين، فأمّا كون الرّأس إلى الغرب ورجلاه إلى الشّرق، والجنب، والخدّ الأيمن على الأرض متوجّهاً إلى القبلة، فسنّة كلّ ميّت بعد الغسل والتّكفين، وكذلك جرت السّنن في تربيع القبور ورشّ الماء عليها، فأمّا السّنّة فبدعةٌ عند أهل الضّلال، وأمّا الغسل والكفن وقصّته، والغربان، لهم شرحٌ ليس هذا موضعه.

فأمّا قوله تعالى – حكاية عنه -: «يا وَيْلَتى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هذا الْغُرابِ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ»، فدفنه على ما ذكرناه، ثمّ إنّ آدم– عليه السّلام – افتقد هابيل، فلم يقف له على أثرٍ، ولم يجد له خبراً، فقلق لأمره قلقاً شديداً،

[1] المائدة ٢٧ – ٣٠.
[2] المائدة ٣١.

فنزل عليه جبرائيل الأمين سلام الله عليه، فعرّفه ما كان منه، وأنّ الأرض شربت دمه، وأنّه واراه تحت التّراب.

و أوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض أن لا تشرب بعد ذلك اليوم دماً، فامتثلت الأرض لأمره، وإنّ قابيل أبعد عن الله هو ونسله، وعن آدم غير مستقبلٍ، ولا مستغفرٍ على ذلك، ولو أنّه استقال واستغفر لم يُقبل منه، ولم يُغفر له، لأنّ الله تبارك وتعالى حتّم حتماً أنّه لا يغفر لمن قتل مؤمناً، وهو قوله تعالى: «ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً[1]»، وهو من الكبائر والآثام المقرونة بالشّرك الّتي لا تُغفر، فما بال من قتل خيار الله وصفوته، ونسبه إلى لاعجز، ثمّ إنّ قابيل – لعنه الله – بفعله اشتطّ هو ونسله، وكان منه ما كان بتزويجه بابنته وبنيه، وكان ذلك فعل المجوسيّة المخطئة، وتمادوا في غيّهم على مرّ الدّهور والأزمان، فمنهم الجّبابرة والفراعنة ورؤوس الضّلال والطّواغيت، وقتلهم الأنبياء والشّهداء والصّالحين، وآل الأمر إلى ظهور حبتر ونعثل ودلام، ووردت كما ذكرت، ورأيت الحقّ في بيت هاشم أعني محمّداً وعليّاً، فإذا أردت رواية الباطل في بيت عبد شمسٍ أعني بني أميّة وهم الشّجرة الملعونة في القرآن لا يزال يُروى عنهم سوء أعمالهم ولم تزل تُروى روايات الحقّ في بيت هاشم إلى أن يقوم قائم آل محمّد – منهم السّلام-.

و قد روت الحشويّة – لعنهم الله – أخباراً اعتقدوها مناقباً لهم، وهي مثالبٌ لهم، فمنها ما روت قول عمر: «يا سارية الجبل الجبل»، وكان أصل هذا الحديث أنّ رسول الله صلعم قال يوماً لأمير المؤمنين منه الرّحمة: وإنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا مخافة أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النّصارى في المسيح عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأٍ من النّاس إلاّ أخذوا التّراب من تحت قدميك يبغون به البركة ويستشفون به، وكان ممّن حضر الثّاني يسمع ذلك، فأخذ قبضة ترابٍ من تحت قدم أمير المؤمنين إليه التّسليم ليثبت الحجّة على كلّ من جلس مكانه، وقعد موضعه، فلمّا تقلّد الأمر الأول سار عليّ إليه على خلوةٍ فقال له عليّ: أنا أحقّ منك بمقعدك هذا.

[1] النساء ٩٣.

فقال له أبو بكر: ولم ذلك يا عليّ؟

قال عليّ: إنّ رسول لاله صلعم أمرني أن أكون أنا وإيّاك، ونمضي إلى القبر، فمن سلّم له الأمر صار له، قال من حضر، فلمّا أتيا إلى القبر خرجت يد رسول الله من القبر وأنا أنظرها وأعرفها، وأبو بكرٍ ينظرها ويعرفها، وهو يومي إلى عليٍّ ويقول لأبي بكر: أكفرت بالّذي خلقك من ترابٍ، ثمّ من نطفةٍ، ثمّ سوّاك رجلاً، ثمّ أومي ثانيةً إلى عليّ وقال: لكن هو الله ربّي ولا أشرك بربّي أحداً، وتأويل ذلك إنّ من قدّم حبتر على عليٍّ فقد ظلم نفسه وكفر بالله.

و قد روت جماعةٌ ليست من المؤمنين وهم بنو أميّة وبنو العبّاس، وفيهم أبو بكرٍ وعمر وغيرهم أنّهم قعدوا على باب حجرة رسول الله ينتظرون، وجرى ذكر عليّ أمير المؤمنين – منه الرحمة – فسبّوه، فخرج صلعم يقول لهم: أيّكم السّابّ الله؟

قالوا: ما فينا أحدٌ سبّ الله.

قال: أيّكم السّابّ رسول الله؟

قالوا: ما فينا أحدٌ سبّ رسول الله.

قال: أيّكم السّابّ عليّاً؟

قالوا: قد كان ذلك يا رسول الله.

فقال رسول الله صلعم: من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أخلده في النّار.

و قال صلعم: لا تسبّوا عليّاً لأنّه محشوٌّ بذات الله حشواً.

ثمّ نرجع إلى حديث أبي بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا أبا الحسن، قم حتّى أسلّم الأمر إليك.

قال له عليّ: أنا ناظرٌ، وأنا عالمٌ أنّ ما يغويك إلاّ شيطانك، ولا يدعك تسلّم الأمر إليّ.

و كانت هذه إقامة الحجّة على الأوّل.

ثمّ إنّ عمر قال: أرني معجزةً كما أريت حبتر أسلّم الأمر إليك.

قال له عليّ: وماذا تريد من المعاجز؟

فقال له عمر: أتمنّى أن أرى سارية بمكانه بخراسان، وما هو عليه، قال له عليّ: أحضر قبضة التّراب الّتي قد أخذتها من تحت قدميّ، وهي مخبوءةٌ عندك، فأحضرها، فأمره ان يبسطها على الأرض ويقف عليها وينادي: يا سارية.

فإذا هو في مكانه من الحرب، وأنّ المسلمين مقهورون.

قال: يا أمير المؤمنين: قهر المسلمون قهراً عظيماً، وغاب سارية.

فقال أمير المؤمنين: ناده حتّى يضير إلى الجّبل، فإنّه يسلم، ومن معه.

قال عمر: من يبلغ صوتي إليه؟

قال له عليّ: عليك بالأذان، وعلى الله البلاغ.

فقال: يا سارية الجّبل الجّبل.

فسمعه سارية، فانحرف إلى الجّبل، فسلِمَ هو ومن معه.

ثمّ إنّ عمر لم يسلّم الأمر، غير أنّه ثبتت عليه الحجّة، فهذه قدرة مثلبة لا منقبة.

و من رواياتهم: إنّ حبتر ودلام سيّدا كهول الجنّة، وإنّما كان رسول الله صلعم قال يوماً للحسن والحسين: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، وكهولها، لأنّ الجنّة لا يدخلها من هم في سنّ الشّيبة ليكون تمتّعهم أشدّ بنعيمها، فرووا: إنّ حبتر ودلام، سيّدا كهول أهل الجنّة، ورووا أنّ النّبي صلعم مازح عجوزاً فقال: إنّ الجنّة لا يدخلها العجائز، فجزعت، فقال النّبيّ صلعم: إنّما يدخلها جرداً مرداً في سنّ ابن الثّلاثين، وإنّما أراد بقوله كهول أهل الجنّة يعني أنهما جنّتان، فالجنّة الّتي هما سيّدا كهولها هي هذه الطّبائع البشريّة، لأنّها جنّة الكافر، وسجن المؤمن، فهذه مثلبةٌ لا منقبةٌ.

وورد عن النّبيّ صلعم أنّه قال: «عليّ رابع الخلفاء»، ويذهبون أنّه رابع الثّلاثة المتقدّمين عليه، ولم يكن كذلك، وإنّما أراد الرّسول صلعم بقوله علي رابع

الخلفاء، لأنّ الله تعالى يقول في كتابه: «وإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ [1]»، وكان آدم عليه السّلام الخليفة بنطق القرآن، ثمّ قال جلّ من قائل: «وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وقالَ مُوسى لأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وأَصْلِحْ ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ [2]»، وكان ثاني الخلفاء بنطق القرآن، وقال الله تبارك وتعالى: «يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ [3]»، فكان ثالث الخلفاء بنطق القرآن، وقال رسول الله صلعم لعليّ: يا عليّ، أنت منّي كهارون من موسى، فكان رابع الخلفاء، فهذه مثلبةٌ لا منقبةٌ.

وورد أنّ الأوّل والثّاني شمس هذه الأمّة، وقمرها، وقال أيضاً: إنّ شمس هذه الأمة وقمرها في صورة ثورين يكونان في الموقف معذّبين قائمين بمقام أهل الموقف، وذلك أنّه أولاً يحاسب هذا الخلق، ثمّ يؤمر بهما، وهذه مثلبةٌ لا منقبةٌ، وروي عن رسول الله صلعم أنّه قال: اقتدوا في الدّين من بعدي بأبي بكر وعمر، فذهبت الحشويّة إنّه ندب الأمّة إلى أبي بكر وعمر، فكان ذلك سفاهةً منهم وظلماً، وكفراً، وزوراً، وكذباً على رسول الله، ونسبوه إلى الجنّة، وأنّه لم يعرف العربيّة، وأنّه لو أراد ما ذهبوا إليه لقال النّبيّ صلعم من بعدي أبو بكر وعمر، وإنّما ندب إلى الأئمّة وإلى القرآن، والاقتداء بهما، وهما الثّقلان، ثمّ خصّ حبتر ودلام بحرف لا، لأنّه عالمٌ بما يكون منهما من مخالفتهما على أمير المؤمنين منه السّلام في أمر الوصيّة والخلافة، فأوجب الحجّة عليهما.

و روي في حديث يطول شرحه أنّ رسول الله صلعم قال يوماً لعثمان في أمرٍ ائتمره: «افعل ذلك يا عظيم الأمّة»، وكان ذلك استعظاماً لشركه وكفره، وما يكون من فعله، كذلك روِي في قوله تعالى: «وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [4]»، فإنّ الذّبح العظيم هو

---

[1] البقرة ٣٠.
[2] الأعراف ١٤٤.
[3] ص ٢٤.
[4] الصافات ١٠٧.

الثّاني، وقوله عظيم أي عظيم الوزر، وكذلك قوله صلعم: يا كبير، وهو صغير، فإنّه سمّاه كبيراً لما أظهره من أمر الدّين وأدبه.

و مثل ذلك تسمية عائشة بأم المؤمنين، وما كان من فعلها بركوب الجمل، وحربها لأمير المؤمنين، وسمّاها الحميراء، مشاكلةً لفعل صفراء بنت شعيب عليه السلام، زوجة موسى – عليه السلام–، وركوبها الزّرافة وقتالها ليوشع بن نون وصيّه، ونظير هذا كثيرٌ.

و اختاره الله تعالى الوصيّ لآدم – عليه السلام– هبة الله، وهو شيث، وكان قد أهبط إليه من الجنّة حوريّةً ونسل منها نسله.

و روى عمر بن المقدّم عن أبيه أنّه قال: سألت الباقر منه السّلام عن تزويج آدم ولده، قال: وأيّ شيءٍ يقول هذا الخلق المنكوس؟

قلت: يقولون: إنّه إذا ولد له ولدٌ جعل بينهما بطناً، ثمّ زوّج ولده من البطن الآخر، فقال أبو جعفر عليه السّلام كذبوا، هذا مذهب المجوسيّة المخطئة.

قال: أخبرني أبي عن أبيه عن رسول الله صلعم أنّه قال: لمّا وهب الله آدم هابيل وشيث وصيّه بعث الله عزّ وجلّ جوريّتين يقال لإحداهما ناعمة والثّانية منينة، وأمره أن يزوج ناعمة بهابيل، ومنينة لهبة الله، فزوّجهما، وتوالدوا، وكان يزوّج بنات العمّ ببعضهم، وهذه الزّيجة الّتي على الرّشد والطّهارة هي سنّة المسلمين، وصار من ذلك الأنبياء والأوصياء والشّهداء والصّالحون والمؤمنون من نسلهما على كون الطّهارة عالين عن التّنجّس بإبليس وذرّيته، وكانوا على حذرٍ من قابيل ونسله، وأوصى آدم إلى جميع أولاده بأن لا يخالطهم أحدٌ منهم ولد قابيل، ولا يواكلهم ولا يشاربهم، ولا يناكحهم، كي لا يفسد النّسل، ويطلعوا على ما معكم من السّرّ والحكمة، فيقتلونكم بها، لأنّهم أضدادٌ لكم، فكان ذلك الأمر مدّة من الدّهر، ثمّ اختلطوا بهم، فلمّا اختلطوا بهم احتضر آدم عليه السّلام، فأمره الله بالوصيّة، وأن يسلم الحكمة، والكتب المنزلة، ومعرفة اسم الله إلى شيث، ونقل إليه ما كان من آدم من تأييدٍ بروح القدس، وجعله إماماً للمتّقين، وقبلةً للمتوجّهين، والباب المشرّع للعالمين، والصّراط المستقيم، وخليفته في الأرض، فقام في الأمر، ثمّ بالوصيّة من اختيار الله تعالى، فانتقل إليه ما كان من آدم – عليه السّلام– وكذلك جرى هذا

الانتقال من وصيٍّ إلى وصيٍّ حتّى انتهى إلى النّبيّ صلعم، فسلّمه الله الوصيّة، وأوصاه بأمره تعالى، واختاره في كلّ حينٍ، وإنّما سمّي خاتم النّبيّين لقوله: لا نبيّاً بعدي، لأنّه انقطع العذر بين الله تعالى، وبين خلقه في رسالة محمّد صلعم، وهو من الأيّام السّبت، وإنّما سمّي السّبت لانقطاعه من الأيّام، ولجلالته وعظمته، وعلوّ شأنه، وما منعت أمّة موسى عليه السّلام من التّعيّش فيه والعمل إلاّ بطاعة الله تعالى، وهو الحاشر، وله الرّسالة وله الشّفاعة، وهو السّيّد البشير، وهو النّذير، وهو الكلّ والكلام، والمرّ والم، وص، ون، وجعل له صلعم فضائل النّبيّين والمرسلين، وزِيدَ من الفضل ما لم يكن للأنبياء والمرسلين المتقدّمين، ولذلك قال أمير المؤمنين – علينا سلامه – أنا ورثت علم الأوّلين والآخرين، بما ورد من رسول الله صلعم، وأورد أنّه قال – إليه التّسليم –: شربت ما اجتمع في حجر رسول الله صلعم عند غسله واختاره الله – جلّ اسمه– بالوصيّة، والخلافة على خلقه (عليّاً) أمير المؤمنين لذكره التّعظيم، وأمر الرّسول صلعم بإظهار أمره والدّعوة إليه بقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - في علي - وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ [1]»، هكذا في قراءة ابن مسعود، فراجع النّبيّ صلعم وقال: أخاف أن أُعصى ولا أُطاع، حتّى نزل عليه الوحي قائلاً: «وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ»، ونزل هذا الوحي في دعوة رسول الله صلعم من حجّة الوداع، وقد نزل في غدير خمّ، وفي قوله: غدير خمّ علمٌ لا يمكن إيراده ومشاهدته إلاّ لمستحقّيه، فأمر أن يصلح له منبرٌ من سبعة أقتاب الإبل، وصعد عليه محمد صلعم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ أخذ بيد أمير المؤمنين فرفعها، وقال: «اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ»، ثمّ قال: يا أيّها النّاس، من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، ومن كنت أنا نبيّه فهذا عليٌّ وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

ثمّ قال: يا عليّ: أنا وأنت أبوا هذه الأمّة، لعن الله العاق أبويه.

ثمّ قال: يا عليّ: أنا وأنت موالي هذه الأمّة، لعن الله من أنكر مواليه.

[1] المائدة ٦٧.

ثمّ قال: معاشر النّاس، هذا مولاكم، فهل أنذرت وبلّغت؟

فقالوا: نعم.

فقال: اللهم أشهدك أنّي عبدٌ لك، وكرّرها ثلاثاً، فأنزل الله تعالى على رسوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً [1]»، فكانت هذه الآية تكملةً للشّرع والدّين والرّسالة.

و رواه سليم بن قيس أنّه قال: سمعت أبا سعيد الخدريّ يقول: إنّ هذه الآية لمّا نزلت دعا رسول لاله النّاسَ بغدير خمّ وأشار إليهم أن أحبطوا وخذوا من الدّوحات ما سقط وائتوني به، فليس ما جمعوه بعضه فوق بعض.

فلمّا رآه ما وفى للجّمع أمر عليه السّلام بالأقتاب، فنصب بعضها فوق بعضٍ حتذى علت العسكر، ثمّ علاها، وكان ذلك في يوم الخميس، ثمّ أخذ بعضد أمير المؤمنين ورفعه حتّى نظرنا إلى بياض إبطي رسول الله صلعم، وقال: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

قال أبو سعيد: ولم يزل رسول الله صلعم على المنبر حتّى نزلت هذه الآية «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً»، فقال رسول الله صلعم: الله أكبر على كمال الدّين وإتمام النّعمة ورضوان الرّب برسالتي، وبولاية علي بن أبي طالب بعدي، فشهد الله لجلالة هذا اليوم، وسمّي في النّداء: يوم يقوم العهد والمعهود، والميثاق المأخوذ، وقول الحاجّ في الطّواف إذا استلم الحجر: أمانتي أدّيتها إليك، وإيماني وميثاقي تعاهدته لديك لتشهد لي بالموافاة، وفي الأمانة علمٌ نحن نذكر منه ما قد يجوز ذكره من قوله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ والأَرْضِ والْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَهَا الإِنْسانُ [2]»، الظّلوم الجّهول، وهو الأوّل، وهو كلّ إنسانٍ مذمومٌ في القرآن، وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسانِ وإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى ويَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

[1] المائدة ٣.
[2] الأحزاب ٧٢.

تَذَكَّرُونَ[1]»، فالفحشاء والمنكر والبغي، فلان وفلان وفلان، وهو قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إِلى أَهْلِها وإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاس أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً [2]».

فالأمانة الأولى هي ما ندب به المؤمن إلى المعرفة وإلى الدّين القيّم بالأمر بما أُعطي عليه في القدم عهده.

و الأمانة الثّانية: أن يؤدّي الرّجل إلي من آنس منه رشده ما يعرف به ربّه، وعبادته ووليّ أمره، وهو قوله تعالى: «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ ولا تَأْكُلوها إِسْرافاً [3]».

و الأمانة الثّالثة: فهي ممّا يتعلّق بحُطام الدّنيا لقول الحسن العسكري –منه السلام – لو ائتمننا قاتل أمير المؤمنين منه السلام على سيفه لأدّيناه إليه.

و الأمانة علمٌ أعلى ممّا شرحته وذكرته، ليس هذا موضع ذكره، والحجر علمٌ يطول شرحه، وكذلك البيت وبابه، وأركانه له علمٌ لو شرحنا منه شيئاً لخرجنا عن حدّ القصد إلى غيره، وأمير المؤمنين قَسيم النّور وصاحب الحوض، ولواء الحمد، وهو الهادي لقوله تعالى: «ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ [4]»، وهو النّور لقوله تعالى: «فَآمِنُوا بِاللّهِ ورَسُولِهِ والنُّور الَّذِي أَنْزَلْنا واللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [5]»، ثمّ نظر إلي السّيّد الرّسول صلعم بحياته وحياة أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وقال: إمامان قاما وقعَدا، فكان اختيارهما بأمر الله تبارك وتعالى.

ولقد رأى رسول الله صلعم فقد الأمر من يد الحسن ثمّ من يد الحسين صلوات الله عليهما وجعلت الأمانة كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة وهي قيام القائم وهو من آل محمد صلعم لقوله تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى [6]»، وقوله تعالى: «ولِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ

[1] النحل ٩٠.
[2] النساء ٨٥.
[3] النساء ٦.
[4] الرعد ٧.
[5] التغابن ٩.
[6] طه ١٥.

البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [1]»، وقوله جلّ اسمه: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [2]»، وهذه هي الحطمة، وهذه نار الله الموقدة، الّتي تطلع على الأفئدة، إنّها عليهم موصدة، في عمدٍ ممدّدة، وتأويل ذلك أنّ القائم منه الرحمة حين ظهوره سيعاقب على سرائرهم وما تشتمل عليه أفئدتهم من غير إمهالٍ ولا إنظارٍ، إذ قد مضى الإمهال والإنظار والإعذار والإنذار وباب التوبة مفتوحٌ بالقبول لمن تاب وأناب، ولا تنفع التّوبة بعد ذلك الوقت إذا وقع الاشتداد وقام قائم الحقّ، وهو قوله تعالى: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ [3]»، وشاهد ذلك قول الرسول صلعم: يكون رجال القائم كما كان بنو إسرائيل مع موسى حذو النعل بالنعل، والقذّة بالقذّة، وذلك أنّ هارون كانت له منطقةٌ كسبها من الجنّة عوضاً عمّا نزعه فرعون عنه من الدّرّ والجّوهر عند تصديقه لموسى – عليه السلام – وقد جاء إلى فرعون بالرّسالة وأعطاه الله اثنتي عشرة جوهرة لاثني عشر سبطاً، فاختار من الأسباط اثني عشر نقيباً وكانوا مثل النقباء في القبّة المحمّديّة، وكان إذا مضى رجلٌ في الظّلمة من بني إسرائيل وأخطأ، تضيء الجّوهرة الّتي برسم ذلك، فيقوم الإثني عشر نقيباً بين الأسباط ويحضرون المخطيء، فيجعلون القرعة فيما بينهم حتّى يخرج اسم الجاني صاحب الخطيئة، فيقضي ذلك السّبط بتلك الجّوهرة، وكان معهم أيضاً الحجر يحمل على الأيدي، فإذا حلّوا في موضع حطّ فيه مغرسة، وجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وهذا الحجر يكون مع المهدي – منه السلام– ويخرج من عند مغرسه لأصحابه في أسفارهم الخبز والماء واللبن، والتين والخمر لكلٍّ على قدره، وقد قال السّيّد المسيح لوصيّه شمعون: «أنت صخرتي وعليك أبني كنيستي»، وقولهم «شمعون كابيا» يعني به حجر الصّفا، وبإزائه الحجر الأسود في البيت الحرام، والقائم – منه الرحمة – هو الّذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وهو المرجّى لدين الله، وهو

[1] النحل ٧٧.
[2] الأعراف ١٨٧.
[3] الأنعام ١٥٨.

القائم المنتظر، وهو بقيّة الله، وهو كما قال الله تعالى: «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [1]»، وهو صاحب الكرّة الزّهراء والرّجعة البيضاء، وهاتان النّقطتان الواقعتان إذا ظهر القائم يصلّي محمد بعليّ، ويكون زمانه زمان عدلٍ لا جور فيه ولا باطل، وقد ذُكِرَت الرّجعة البيضاء في مجلس الصّادق – منه السّلام– فقال: يظهر قائم آل محمّد ويحضر كلّ من مَحَضَ الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، ويسلّط المؤمنين على الكافرين، فسأل بعض الحاضرين المولى الصّادق عن شاهد ذلك من القرآن فقال: قول الله تبارك وتعالى: «يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ [2]»، وهو فرعون الفراعنة، وأمّا الحشر فهو اليوم الّذي ذكره الله في قوله تعالى: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً وحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً [3]».

فقال السّائل: اللهم أجرنا.

قلنا له: فتأمّل أيّها السّائل المستمع إلى عظيم القدرة وبليغ الحكمة وإتقان الصّنعة ومواقع العدل وأبواب النّصفة في البريّة، وأنّ الإمام – منه السلام– هو صفوة الله وفطرته الّتي فطر النّاس عليها، وقد نال آدم الفضل لمّا كان الغِاب عليه الكون النّورانيّ وهو محمّد، وعطس محمّد الله، وكيف حَمَدَ الله على البلاء، وكيف أثيب ثواباً لا تقدر عليه الأمانيّ، ولا يدركه الاقتراح، ثمّ إنّه لمّا أمر بدخول الجنّة، وجعل معه حوّاء فأكل وشرب ونكح، ولمّا كان من إبليس ووسوسته إلى حوّاء إنساه ما كان عليه من الحرص الموجب لنسيان العهد والميثاق الكائن من الكون الهوائيّ حتّى مال به هوى النّفس، فأكل من الشّجرة المحرّمة عليه، فلمّا أكل منها كانت عقوبته على ذلك حرمانه ممّا ناله من الجنّة، وهبوطه منها، وما كان من ولده قابيل، وهو بكره اول ولد له، ربّاه معه سامعاً للحكمة وشاهداً لأخلاق الملائكة إلى أن مال به الجسد، فعقّ أباه وقتل أخاه، الّذي اختاره الله واصطفاه، وإنّما نال انبيّون والأوصياء هذه المراتب بحسب ما كان من إخلاصهم في الطّاعة، فأثابهم الله على اصطبارهم، واختارهم ونبّأهم بما دقّ من العلوم والمعرفة، وهو قوله تعالى: «نَبِّئْ

[1] هود ٨٦.
[2] النمل ٨٣.
[3] الكهف ٤٧.

عِبادي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [1]»، وقوله: نبأ مأخوذ من أبنائهم وأخبارهم بما كان وما يكون، وقيل: إنّ النّبوّة تجمع الأنبياء بحسب الطّاعة، والمصطفون من جملة الأنبياء خمسة أولو العزم من الرّسل، وفي رواية ستّة، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجميعن، وهم أصحاب الشّرائع والكتب المنزلة، وقد ورد في الكتب المنزلة أنّ الأوصياء منهم السّلام ينظرون في عمودٍ من نورٍ فيما بينهم وبين العرش، وقد ورد لهم عن الله تعالى ما يوردونه من هذا العمود الّذي يقال له عمود الشّبح، ويقال له السّبب الموصول، وله علمٌ وخبرٌ في حظيرة القُدس، وورد أنّه يقضي إليهم أمر كلّ سنةٍ ما كان وما يكون فيها من الآيات والقدر، وهو قوله تعالى: «فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [2]»، وروي عن العالم منه السلام أنّه قال: قلب الإمام وكرٌ لإرادة الله، فإذا شاء الله شاء الإمام، وورد أيضاً أنّ الدّنيا بين يدي الإمام كشقّ الجّوزة في كِفّ النّاظر وكذلك هو الشّاهد عليهم فيما يعملون، والخبير فيما يؤوّلون، ويذرون، وهو الشّاهد والمشهد، وإنّ من الشّهداء والمؤمنين والصّالحين من يتحدّث بحديثٍ ويلقى إليه في نومه وحيُ، ومنهم من ينبذ في صدره نبذاً، في قراءة ابن مسعود: «وما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ولا نبيٍّ ولا محدّثٍ إلاّ أودعنا له سرّاً [3]»، وأكثرهم الأنبياء والأوصياء وقد رغّبوا النّاس وحذّروهم وأنذروهم مما يكون منهم من سهوٍ وغلط، ومنهم من يكون كلامه تأديباً، فإذا كانوا وهم الصّفوة والجّوهرة تحمّلوا أثواب الإحسان، وأظهروا المجازاة لمن خالف ذلك من أهل الغلط والنّسيان، فإنّ الذّرّيّة والمساكين والنّسل المستضعفون ساروا على هذا السّبيل واتّبعوا الشّرع.

ونقول إنّ هذه الأجزاء المكوّنة للخلقة الآدميّة ومن خرج منها بالولادة كلّ مخلوقٍ منها له جسمٌ يقابل بكيفيّته نوعاً من العوالم الّتي جاورها بطبع نسبته إليها، وقد جعلت له موادّ من المآكل والمشارب، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى بحكمته جعل من الخلق أقواماً بنعوتٍ في الدّار إلى قضاء الأعمار، فأمّا قُوّام الخلق فجعله الله تعالى في **أربعة أشياء وهي: الأغذية والمناكح والأمكنة والملابس**، وجعل لهم الأمر والنّهي، فإن عملوا بالأمر وانتهوا بالنّهي نالوا السّاعدة في الدّار الآخرة كما

[1] الحجر ٤٧.
[2] الدخان ٤.
[3] ليست في مصحف عثمان.

قال الله تعالى: «وتَحْمِلُ أثقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاّ بِشِقِّ الأنْفُسِ إنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ[١]»، وأمّا المناكح فقد أمر بها ليبقى النّسل وتعمر الدّنيا، وذلك قوله تعالى: «هُوَ الّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إلهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ [٢]»، وقوله تعالى: «يا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً ونِساءً واتَّقُوا اللّهَ الّذِي تَسائَلُونَ بِهِ والأرْحامَ إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [٣]»، وقوله تعالى: «وأنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وإمائِكُمْ إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ واللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ [٤]»، إلى قوله تعالى: «واللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أزْواجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أفَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ [٥]»، وأمّا الأكنان والملابس فهما من وجهٍ واحد لحاجة الخلق إلى الرّاحة في منازلهم والاستتار فيما يأتونه من المناكح وغيرها من الأمور الّتي لا يحسن التّظاهر ولراحتهم ولنومهم، قال الله تبارك وتعالى: «واللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبالِ أكْناناً وجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بَأسَكُمْ كَذلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ»، وقوله: «قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ ورِيشاً ولِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ [٦]»، فالخير هو التّقوى وهو الحياة، وأمّا الأمر والنّهي فهو وجهٌ واحدٌ، لأنّه لا قوام للدّار وأهلها إلاّ بالأمر والنّهي إذ كانت المفترضات والتّكليفات وإقامة الحدود والعقوبات والأحكام والمناكح وسائر أبواب الشّرع معقودةٌ بامتثال الأمر والانتهاء بالنّهي واتّباع الأمر فيما ضرّ منها وبرّ، وكلّ ما يجري من كلّ طاعةٍ ومعصيةٍ، وإيمانٍ وكفرٍ، وعدلٍ، وجورٍ، وحقٍّ، وباطلٍ، وصدقٍ، وكذبٍ، وأمنٍ، وخوفٍ، وغمٍّ، وحربٍ، وسلمٍ، وحمدٍ، وذمٍّ، وشكرٍ، وجحودٍ، وغفرانٍ،و انتقامٍ، وعذابٍ، ورضوانٍ، وسعادةٍ، وشقاءٍ، هو قوله تعالى «يا أيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ ولِلرَّسُولِ إذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ واعْلَمُوا أنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ وأنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ [٧]»، فأخبر أنّه لا حياة إلاّ بالأمر والنّهي،

---

[١] النحل ٦.
[٢] آل عمران ٦.
[٣] النساء ١.
[٤] النور ٣٢.
[٥] النحل ٧١.
[٦] الأعراف ٢٦.
[٧] الأنفال ٢٤.

وقوله تعالى: «ولَكُمْ فِي القِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الألْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [١]»، وقوله تعالى: «فَاتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ واسْمَعُوا وأطِيعُوا وأنْفِقُوا خَيْراً لأنْفُسِكُمْ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ [٢]»، فالخير هو التقوى والحياة أوضح دليلٍ على أنّه لا بدّ من القيام بالأمر والنّهي وأنّه أحد أسباب بقاء الخلائق ليوفق الأمّة على مصالحها ويجنّبها مضارّها، وإلاّ بطلت الرّغبة والرّهبة، وفتر الخلق عن أعمالهم، وكذلك إذا ارتفعت الأغذية هلك العالم.

---

[١] البقرة ١٧٩.
[٢] التغابن ١٦.

الأمر والنهي

وأمّا دلائل الأمر والنّهي واردةٌ عن الله تعالى والرّسول المُظهر لهما يكون متّصفاً بثمانية حدودٍ تدلّ عليه منيرةٍ بيّنةٍ بين الأمّة وهي:

أوّلاً أن يكون بمنصبه أطهر الخلق وأعفّهم حتّى لا يعجز عليه أحدٌ في العفّة والطّهارة، قال الله تعالى: «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [1]»، فمن طهّره الله تعالى فهو معصومٌ مطهّرٌ.

ثانياً : أن يكون أعلى الأمّة حسباً ونسباً لئلاّ يفاخره الرّجال بالأبوّة، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحاً وآلَ إِبْراهِيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ [2]»، وفي قراءة ابن مسعود: «و آل محمد على العالمين».

ثالثاً: أن يكون أشجع الأمّة، لأنّ رئيس فئة المسلمين الّذي إليه يرجعون في حروبهم وملاقاة عدوّهم فإن جَبُنَ وفَشِلَ، وانهزم، فليس بنبيٍّ ولا وصيٍّ.

رابعاً: أن يكون قاضياً بالعدل حتّى لا يجري منه ظلمٌ لخصم، ولا عجزٌ فيما يدبّره من أمر الشّرع، ولا في وضع الأموال في مواضعها والدّيانات في حقوقها والحدود في أماكنها.

خامساً: أن يكون أصبر الأمّة عند نزول النّوازل والشّدائد، لتثبت الأمّة به، قال الله تبارك وتعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [3]»، وقال الله عزّ وجلّ: «واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ولا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ [4]».

[1] الأحزاب ٣٣.
[2] آل عمران ٣٣.
[3] آل عمران ٢٠٠.
[4] النحل ١٢٧.

سادساً: أن يكون أشكر الخلق لتتأدّ ببأفعاله الأمّة، والشّكر والصّبر من معدن واحد، والصّبر أفضل، قال تعالى: «قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ[1]».

سابعاً: وأن يكون بالعلم بمثابة من لا يعجز عن جواب في صغيرةٍ ولا في كبيرةٍ، ولا دقيقة، ولا جليلة، ولا سائرٍ يسري في السّماء ولا في الأرض ممّا يُسأل عنه إلاّ أجاب بالجّواب الّذي ينصب الحرص بين عيني المستمع، وله أن يُظهر العجز من تلك الخلال إلاّ في العلم، فليس له أن يُظهر العجز فيه.

ثامناً: له أن يُظهر المعجزات والآيات إذا شاء أو يدبّرها إذا شاء، وهذا القول كافٍ.

[1] الزمر ١٠.

باب العدل في سائر المخلوقات

و ذلك أنّ جميع الحيوان الدّار على صنفين ذو فهمٍ ومستبهمٍ، فذو الفهم هو المأمور والمنهيّ والمكلّف، وقد مضى من ذكره وشرح أحواله ما فيه كفايةٌ، والمستبهم فليس مكلّفاً ولا مأموراً ولا منهيّاً، بل قد أُلهم معرفة صانعه، ومضارّه ومنافعه، وهو ما روي عن العالم منه السّلام أنّه قال: أبهمت البهائم إلاّ عن ثلاثة، معرفة أن لها خالقاً، ومعرفة الذّكر للأنثى، ومعرفة مضارّها ومنافعها، وإنّ العادل بفضله جعل لها أشعاراً وأصوافاً، وأوباراً، ونظائر ذلك من نعوتها ممّا يصنعه المأمورون والمكلّفون في الأغذية والمناكح والملابس من الأمور الّتي جعلت للبهائم واستحقّت لبساه بمخالفتها الأمر والنّهي، والمكلّفون ينتفعون بالمطلق بأكل اللّحم منها بأصوافها وأشعارها وأوبارها وألبانها وممّا يتّخذ من جلودها من الآيات والمنافع، قال الله تعالى: «واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ويَوْمَ إِقامَتِكُمْ ومِنْ أَصْوافِها وأَوْبارِها وأَشْعارِها أَثاثاً ومَتاعاً إِلى حِينٍ [1]»، وفي هذا الحيوان المستبهم أصنافٌ مختلفةٌ، فمنه ما أطلقوا ذبحه وأكل لحمه واستعمال جميع آلاته، ومنه ما حرم لحمه وجميع آلاته وحلّل قتله، ومنه جنس الضّواري من الوحوش، والطّير الّتي أكلها اللّحم ولا غذاء لها غيره، فالأيسر منها مستأنسٌ للنّاس، والأكثر مستوحشٌ يُتّقى ولا يَتّقي، ومنه مأكله العشب والحبّ والتّمر وأكثره مستأنسٌ بالنّاس وبعضه مستوحشٌ، ولهذا الحيوان على اختلاف أجناسه تأثيرٌ من قوّته في ضعيفه وقوّته.

و ورد في الأثر أنّ الله تبارك وتعالى قال في محكم كتابه: «وما مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [2]»، فتأمّل أيّها المستمع مواقع العدل والقدرة، وإنّه لمّا رفع عن الحيوان المستبهم الأمر والنّهي لم يدعه سدىً بل جعله مسخّراً لذي الفهم المكلّف تحت التّقدير والتّدبير ولم يجعله مهملاً.

[1] النحل ٨٠.
[2] الأنعام ٣٨.

في العقاب والثواب

فأمّا ذو الفهم المكلّف، فله ثوابٌ عاجلٌ وآجلٌ، وعقابٌ عاجلٌ وآجلٌ، قال الله تعالى في الثّواب: «مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا والآخِرَةِ وكانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً [1]»، وقال الله جلّ اسمه في العقاب: «لَهُمْ عَذابٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ولَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ [2]»، فالثّواب في الدّنيا الحسنة بعشر أمثالها وما زاد على ذلك فلا يعلمه إلاّ الله.

[1] النساء ١٣٤.
[2] الرعد ٣٤.

فهرس الموضوعات